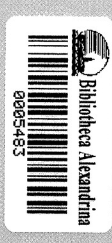
الخليج العربي

دراسة لتاريخ الإمارات العربية
في
عصر التوسع الأوروبي الأول

دكتور جمال زكريا قاسم



دار
الفكر العربي

الخليج العربي

دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول

١٥٠٧م - ١٨٤٠م

دكتور جمال زكريا قاسم
أستاذ التاريخ الحديث
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص ب: ١٣٠ - ت: ٧٦٠٥٢٣

فهرس الموضوعات

صفحة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بصدور هذا الكتاب نكون قد انتهينا من وضع دراسة شاملة لتاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر . وقد شملت هـــذه الدراسة بما فيها ذلك الكتاب الذى نقدمه اليوم أربعة مجلدات تناولنا فيها تاريخ الإمارات العربية فى الخليج العربى بين عامى ١٥٠٧ و ١٩٧١ أى منذ بداية الاستعمار البرتغالى فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى حتى استكمال إمارات الخليج اســـتقلالها السياسى وظهورها فى شكل دول حديثة عقب انسحاب الوجود العسكرى البريطانى من الخليج بنهاية عام ١٩٧١ .

وإذا كان من المتفق عليه اصطلاحاً بين كثير من المؤرخين على تحديد السنوات الأولى من القرن السادس عشر الميلادى باعتبارها تشـــكل بداية لتاريخ العرب الحديث وذلك قياسا على التقسيم الأوربى إلا أنه ينبغى أن نقرر هنا أن القياس مع الفارق الـــكبير ونعنى بذلك بين التطورات السريعة التى سار فيها العالم الأوربى فى القرون التالية منذ بدء نهضته الحديثة وبين الانهيار السريع الذى تعرض له العالم العربى منذ بداية هذه الفترة . وهذه الظاهرة نكاد نلمسها بوضوح تماماً فى منطقة الخليج العربى التى كانت أول جزء فى العالم العربى يتعرض لطلائع الاستعمار الأوربى فى العصر الحديث . كما قدر لها أن تكون آخر منطقة عربية يجلو عنها الاستعمار فى عصرنا الحاضر. ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الغزو البرتغالى الذى تعرضت له منطقة الخليج العربى

لم يكن سبباً فى أفول المنطقة حضاريا وسياسيا واقتصاديا فحسب بل كان سبباً فى أفول الحضارة الإسلامية بصفة عامة .

وإذا كنا قد اتخذنا من القرن السادس عشر نقطة بداية لهذه الدراسة باعتبار السنوات الأولى من ذلك القرن تواكب مطلع العصور الحديثة بصفة عامة ؛ كما أنها شهدت أول حركة استعمارية أوربية تصل إلى منطقة الخليج العربى فى العصر الحديث، ونعنى بها حركة الاستعمار البرتغالى بصفة خاصة، إلا أنه قد تثار أمامنا نقطة عاطفية وهى أنه قد يصعب على المؤرخ العربى أن يبدأ التاريخ الحديث لأحد أجزاء الوطن العربى بالغزو والاستعمار هذا فضـــلا عن أن الفترة الزمنية موضوع الدراسة هى فى مجموعها فترة تسلط استعمارى، ومع ذلك فإن مما يخفف ذلك الشعور تلك الصفحات التى أمكن تسجيلها لأبناء الخليج فى كفاحهم لتحرير المنطقة من الاستعمار البرتغالى، ثم مقاومتهم للاستعمار الهولندى ومحاولتهم التصدى للوجود البريطانى فى مراحله الأولى، ونجاحهم فى المحافظة على كيانهم ومقوماتهم الذاتية وإكساب الخليج شخصيته العربية رغم التحديات الكثيرة التى واجهوها ولا غرو فى ذلك فإن العصور الحديثة فى تاريخ الخليج العربى شهدت الغزو البرتغالى وما أعقبه من تنافس بين الدول الأوربية فى تلك الحقبة التى أطلق عليهـــا المؤرخون عصر التوسع الأوربى الأول والتى انتهت بنجاح بريطانيا فى تمكين سيطرتها على الخليج بعد تخلصها من القوى المنافسة لها .

والفترة من بداية الغزو البرتغالى حتى نجاح بريطانيا فى تدعيم سيطرتها على الخليج والتى تقع بين عامى ١٥٠٧ و ١٨٤٠ هى الفترة التى تتحدد بها دراستنا فى هذا الكتاب . وليس من شك فى أن امتداد الفترة الزمنية هذا الامتداد الواسع قد أثارت أمامنا العديد من الصعوبات والتى يبرز من بينها تميع الوحدات السياسية فى المنطقة وتعددها سواء كان ذلك بسبب طبيعتها القبلية أو بسبب تأثـــير السياسة البريطانية فى تكريس تفـــككها

وتغيرها قوة وضعفا بالإضافة إلى تضارب اتباعهاق ولاءاتهم السياسية والقبلية رغم عدم وجود فوارق إثنولوجية أو اجتماعية للمجموعات البشرية المنتمية إليها ، ومن ناحية أخرى فإن الأمر لم يقتصر على التنوع فى التشكيلات السياسية التى ظهرت فى المنطقة ، وإنما يضاف إلى ذلك علاقاتها بالقوى الأجنبية والقوى الاقليمية المجاورة لها. وقد حرصنا على التركيز على المقومات الذاتية لتلك التشكيلات السياسية بحيث لم نلجأ إلى معالجتها فى إطار المصالح الاستعمارية ، كما فعلت ذلك كثير من المصادر الأجنبية ، التى تناولت تاريخ المنطقة بوجهة نظرها الخاصة مما ترتب على ذلك ظهور الكثير من المفاهيم والأحكام الخاطئة التى أصبحت فى حاجة ماسة إلى رؤية موضوعية جديدة .

وإذا كانت الفترة الزمنية التى يتناولها هذا الكتاب تشكل من حيث ترتيبها الزمنى الجزء الأول من دراستنا الشاملة لمنطقة الخليج التى قدر لنا أن نضطلع بها منذ منتصف الخمسينيات إلا أنه قدر لتلك الدراسة أن تأتى متأخرة عن سابقاتها، وعلى الرغم من أن هذه الدراسة التى يشملها هذا الكتاب يمكن أن ننهى بها دراستنا عن تاريخ الخليج العربى إلا أن الأمل لا يزال يراودنا فى أن نتبع هذه الدراسة بدراسة تالية نعالج فيها التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السريعة التى تشهدها منطقة الخليج العربى منذ الاستقلال حتى وقتنا الحاضر .

ولعلى مدين فى وضع هذه الدراسة ونشرها إلى تلك الرغبة القوية التى ظلت تراودنى طيلة السنوات العشر الماضية منذ ظهور كتابى الأخير عن الخليج العربى دراسة لتاريخه المعاصر فى عام ١٩٧٥ ، بضرورة تغطية الفترة الزمنية التى لم أتناولها بشكل متكامل فى دراساتى السابقة لمنطقة الخليج العربى ولعلى بنشر هذا الكتاب أكون قد أنجزت دراسة متصلة الحلقات لمنطقة الخليج العربى فى تاريخها الحديث والمعاصر وهو الهدف الذى شغل اهتماماتى وكرست له حياتى العلمية منذ ما يقرب من ثلاثين عاما .

بقى أن نشير هنا أنه على الرغم من الحجم الكبير الذى وصل إليه هذا الكتاب إلا أنه لا يشكل مع ذلك سوى المعالم الرئيسية للفترة موضوع الدراسة التى حرصنا على معالجتها دون الخوض فى التفصيلات الاستعمارية التى حفلت بها المصادر الأجنبية التى تناولت تاريخ المنطقة من وجهة نظر المصـــالح الاستعمارية . ولذا فقد يكون من دواعى الغبطة إقبال المؤرخين والباحثين العرب فى السنوات الأخيرة على دراسة تاريخ الخليج العربى بوجهة نظر عربية دون الإخلال بالموضوعية وهى ظاهرة تستحق التنويه . .

وعلى الله قصد السبيل :

القاهرة ١٩٨٥/٥/١١

جمال زكريا قاسم

مقدمة

تتميز الفترة الزمنية التى يعالجها هذا الكتاب بثرائها فى مصادرها وأحداثها التاريخية ولعل أول أحداث تلك الفترة الغزو البرتغالى الذى تعرضت له منطقة الخليج العربى ومن ثم كان تحديدنا لوصول البرتغاليين إلى سواحل الخليج العربى فى عام ١٥٠٧ نقطة انطلاق لهذه الدراسة . ومما لاشك فيه أن نجاح البرتغاليين فى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى سواحل الهند الغربية ، ثم اتجاههم إلى احتكار تجارة الشرق بالسيطرة على المنافذ البحرية التى كانت تعبر منها فى البحر الأحمر والخليج العربى فى طريقها إلى أوربا ، عبر موانى البحر المتوسط ، يشكل نهاية عصر قديم وبداية عصر جديد يختلف اختلافا كبيرا عن العصر الذى سبقه ، ذلك أن منطقة الخليج العربى التى كانت تعيش عصراً ذهبياً فى الملاحة والتجارة خلال الفترة التى سبقت مجىء البرتغاليين إلى بحار الشرق لم تلبث أن فقدت أهميتها التجارية بتحول التجارة إلى الطريق البحرى المباشر حول إفريقيا إلى موانى الأطلنطى فى غرب أوربا ، وانتقلت منطقة الخليج العربى إلى مرحلة من التدهور والانكماش منذ بداية العصور الحديثة بل إن أوضاع الخليج المتدهورة فى تلك المرحلة لم تلبث أن أحدثت تأثيرها على بقية أجزاء العالم العربى وبصفة خاصة على الأقطار العربية التى كانت تمر من خلالها تجارة الشرق عبر بحارها وموانئها وتستفيد من وراء ذلك فائدة كبيرة . ومن ناحية أخرى فقد أتى الغزو البرتغالى لمنطقة الخليج العربى بمرحلة جديدة من تاريخ الشرق العربى وهى المرحلة التى يمكن أن نطلق

عليها مرحلة التوسع الأوربى الأول ، وهى المرحلة التى تمتد من وصول البرتغاليين إلى بحار الشرق فى أواخر القرن الخامس عشر حتى استطاعت بريطانيا تدعيم نفوذها فى تلك البحار منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، إذ أن المجال لم يترك للبرتغاليين وحدهم فى تجارة الشرق وإنما نافس البرتغاليين العديد من القوى الأوربية وعلى الأخص هولندا وفرنسا وانجلترا التى حرصت كل واحدة منها على الحصول على مراكز تجارية لها على طول الطرق البحرية الموصلة إلى مناطق نفوذها فى الهند أو جزر الهند الشرقية . ولاتكمن أهمية هذه المرحلة فى تنافس القوى الأوربية فيما بينها فحسب وإنما فى جهود القوى الاسلامية والعربية للتخلص من نفوذ البرتغاليين واحتكارهم التجارى أيضا . وقد بدأ الأتراك العثمانيون الذين تصدوا لزعامة العالم الاسلامى منذ السنوات الأولى من القرن السادس عشر صراعهم ضد البرتغاليين على غرار ما فعله المماليك قبيل زوال دولتهم . ولكن الصراع العثمانى البرتغالى لم يكن صراعا متكافئا من حيث موازين القوى البحرية والعسكرية[١] ، ولا غرو فى ذلك فقد أثبتت منطقة الخليج العربى بحكم طبيعتها البحرية وفى مختلف عصورها التاريخية على أن القوة البحرية هى القوة الوحيدة القادرة على السيطرة على ضفافها ومما يؤكد ذلك أنه على أثر انتهاء العصر الذهبى للملاحة والتجارة الإسلامية فى الخليج العربى والمحيط الهندى تمكنت القوى الأوربية ، التى تميزت بتفوقها فى المجال البحرى كالبرتغاليين والهولنديين والانجليز ، من السيطرة على مقدرات المنطقة ولم تجد مقاومة إلا من القوى البحرية التى ظهرت فى منطقة الخليج العربى واستطاعت أن تنازعها البقاء فيها كما حدث فى صراع اليعاربة ضد البرتغاليين أو محاولات القواسم وغيرهم من القوى المحلية الأخرى التصدى للقوة البحرية الانجليزية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى على نحو ما سوف

---

(١) صالح أوزبران : البرتغاليون والأتراك العثمانيون فى الخليج العربى ص ٨ ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجى — منشورات مركز دراسات الخليج العربى — جامعة البصرة ١٩٧٩ .

نتعرض له فيما بعد . على أنه يهمنا الاشارة فى هذا المجال إلى أنه إذا كان التفوق البرتغالى أمراً لا مفر منه فى محصلة الصراع العثمانى البرتغالى فى مياه الخليج نتيجة للاسباب التى أشرنا إليها فإنه يمكننا أن نضيف إلى جانب ذلك عوامل أخرى أدت إلى إحراز البرتغاليين لذلك التفوق . ولعل من أهم تلك العوامل الصراع المذهبى بين القوتين الإسلاميتين الكبيرتين ونعنى بهما الدولتين الصفوية والعثمانية . ومما يسترعى الانتباه أكثر مما يبعث على الدهشة ما سوف نلحظه فى بعض مراحل ذلك الصراع من تحالف بعض شاهات الدولة الصفوية مع البرتغاليين أو مهادنة العثمانيين للبرتغاليين ! [١] . أما على صعيد القوى الإسلامية المحلية فقد فشل الأتراك العثمانيون فى تكوين تكتل إسلامى وربما يرجع السبب فى ذلك إلى بعض الأساليب التعسفية الشاذة التى صدرت عن بعض القباطنة العثمانيين الأمر الذى أدى إلى شيوع أجواء من عدم الثقة بينهم وبين بعض الأمراء المحليين .

وعلى الرغم من أن الدولة الصفوية قد اعتمدت على مؤازرة الانجليز لها فى التخلص من النفوذ البرتغالى كما ظهر ذلك واضحا على عهد الشاه عباس الكبير الذى استطاع بفضل مؤازرة الإنجليز له أن يسقط قلعة البرتغاليين الحصينة فى هرمز فى عام ١٦٢٢ إلا أنه قد ترتب على تلك المؤازرة أن استبدلت فارس النفوذ البرتغالى بالنفوذ الانجليزى [٢] .

وعلى عكس فارس اعتمدت القوى العربية فى الخليج العربى بزعامة اليعاربة فى عمان فى تحرير شواطئها من النفوذ البرتغالى على جهودها الذاتية وتمكنت تلك القوى بفضل اتحادها من أن تحقق انتصارات كبيرة ضد البرتغاليين فى الخليج العربى ولم تكتف بذلك فحسب وإنما تتبعت البرتغاليين

---

(١) صالح أوزبران مرجع سبق ذكره ص ٣٣ .

(٢) Sykes. P. History of Persia Vol II P. 190.

فى معاقلهم الرئيسية فى سواحل الهند وشرق أفريقيا . ولعل من الصفحات المشرقة فى هذا الصراع ذلك التحدى الصلب الذى واجهت به القوى العربية البرتغاليين ، ونجاح اليعاربة فى عمان فى أن ينتزعوا من البرتغاليين اعترافا بكسر الاحتكار التجارى والاعتراف بحرية الملاحة فى الخليج العربى والمحيط الهندى لجميع الأجناس ، وبذلك كان عرب الخليج من أوائل الشعوب التى تنبهت إلى أهمية ذلك المبدأ الذى أصبحت تقره المواثيق والأنظمة الدولية فى عصرنا الحاضر [١]. على أن ما يثير الانتباه حقيقة ذلك التفوق الكبير الذى أحرزته القوى العربية المحلية على أعتى الامبراطوريات البحرية فى مطلع العصور الحديثة ، وهذا التفوق يحتاج إلى تشخيص العوامل التى مكنت لتلك القوى العربية التى مهما قيست بموازين القوى البحرية فى عصرها فهى لاتعدو أن تكون قوى محلية صغيرة ولكنها استطاعت ، وهذا هو الجديد فى الأمر ، أن تصل إلى مجال الصدارة البحرية بفضل نجاحها فى استغلال الطاقات البحرية الكامنة فى أبنائها ، كما استطاعت بفضل اتحادها مع غيرها من القوى المجاورة لها أن تزيح عن كاهلها المعاناة التى تعرضت لها من جراء تعسف السيطرة البرتغالية ، وساعدها على ذلك الظروف السياسية الحرجة التى كانت تمر بها الامبراطورية البرتغالية والتى أدت فى نهاية الأمر إلى أفولها ثم انهيارها وترتبط تلك الظروف السياسية بالعوامل الخارجية ، وكذلك بالعوامل الذاتية التى أثرت على الامبراطورية البرتغالية . وتتمثل العوامل الخارجية التى أثرت على قوة البرتغاليين فى الشرق فى تلك المنافسات الاستعمارية الشديدة التى تعرضوا لها من قبل الهولنديين والانجليز ، أما العوامل الذاتية فترتبط ارتباطا كبيراً بسوء السياسة التى انتهجها البرتغاليون فى بحار الشرق وما اتسمت به من تعسف واحتكار وسوء معاملة الأهالى ، والأهم من ذلك عدم مقدرة البرتغال ، وهى دولة محدودة المساحة قليلة السكان ، فى السيطرة على إمبراطورية ساحلية ضخمة امتدت عشرات الآلاف من الأميال من

---

(١) Kassem G. Z. Omani—Portuguese Conflict in the 17th Century. CF. Bulletin of Arab Research and Studies Institute—Cairo 1980.

لشبونه إلى كاليكوت ؛ هذا بالاضافة إلى فقدان البرتغال استقلالها السياسى بخضوعها للتاج الاسبانى على عهد الملك فيليب الثانى واستمرارها تحت التبعية الاسبانية قرابة ستين عاما ١٥٨٠ — ١٦٤٠ [١] .

ويمكننا بشىء من التجاوز تحديد نهاية القرن السابع عشر أو السنوات الأولى من القرن الثامن عشر باعتبارها تشكل المرحلة النهائية من مراحل أفول الامبراطورية البرتغالية فى الشرق ، ولعل أهمية تلك المرحلة تكمن فى التطورات البالغة الأهمية التى وصلت إليها منطقة الخليج العربى والتى كان من أبرز خصائصها انفساح المجال أمام القوى العربية كى تؤكد لنفسها السيادة فى الخليج العربى ، إذ أن أهم ما يسترعى انتباه الدارس لتاريخ الخليج العربى فى النصف الأول من القرن الثامن عشر عودة موجات المد العربى إلى استئناف نشاطها من داخل الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج وذلك بعد فترة انكماش وركود استمرت أكثر من قرنين من الزمان ولم يقتصر الأمر فى تلك الفترة التى نتحدث عنها ، وهى الفترة التى أعقبت انهيار النفوذ البرتغالى فى الخليج على مجرد هجرات تقليدية ؛ وإنما اتخذت تلك الهجرات اتجاها جديدا يتناسب وشعور عرب الخليج بقوتهم الفعلية وسيادتهم البحرية مما دفع بهم إلى تكوين تشكيلات سياسية أخذت طريقها إلى النمو حتى اصطدمت بالاستعمار البريطانى خلال القرن التاسع عشر . ولعل من أبرز التشكيلات السياسية تلك التشكيلات التى نجمت عن هجرات العتوب من أواسط نجد إلى سواحل الخليج العربى . ففى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر استقرت فى الكويت تجمعات العتوب من آل صباح وآل خليفه والجلاهمة ثم امتدت هذه التجمعات أو فروع منها بعد ذلك إلى كل من قطر والبحرين ، أما فى منطقة الساحل الجنوبى للخليج العربى فقد ظهرت حول منتصف القرن الثامن عشر قوة بحرية كبيرة بزعامة القواسم الذين برزوا إلى القوة فى أعقاب انهيار دولة اليعاربة فى عمان واستفادوا من انهيار القوة البحرية الفارسية

---

(١) Pearce, Zanzibar, The Island Metroplis of Eastern Africa P. 87.

وعن ازدهار وانهيار الامبراطورية البرتغالية يمكن الرجوع إلى

Boxer, C.R. Four Centuries of Portuguese Expansion London 1961.

وانشغال فارس فى صراعاتها الداخلية فى السنوات التى أعقبت اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧[١] فى تدعيم كيانهم ، وقد اتخذ القواسم من رأس الخيمة مركزا لهم يديرون منه عملياتهم البحرية ضد أساطيل الدول الأوربية ولم تقتصر سيطرتهم على القسم الشمالى من الساحل الجنوبى للخليج العربى وإنما امتد نفوذهم إلى كثير من البنادر والجزر والموانى الواقعة على الساحل الشرقى للخليج . وإلى جانب قوة القواسم البحرية ظهرت فى ذلك الوقت أيضا قوة برية تألفت من مجموعة من القبائل بزعامة بنى ياس اتخذت من واحة ليوا فى منطقة الظفرة مركزا لها ثم لم تلبث أن امتدت إلى جزيرة أبو ظبى والمناطق المجاورة لها لتسهم فى ابراز إحدى التشكيلات السياسية التى ظهرت فى منطقة الخليج العربى فى بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر[٢] .

وحول هذه الفترة التى نتحدث عنها وهى الفترة التى أعقبت انهيـــار الامبراطورية البرتغالية فى الشرق انتقلت السلطة السياسية فى عمان من أسرة اليعاربة إلى أسرة البوسعيد ١٧٤١ واستطاعت الأسرة الجديدة ، التى لا تزال تحكم فى سلطنة عمان حتى وقتنا الحاضر ، أن تصل إلى أقصى تفوقها وازدهارها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حين كونت امبراطورية ضخمة امتدت على طول سواحل شرق إفريقيا من رأس جردفون شمالا حتى خليج دلجادو شمال موزمبيق جنوبا ، كما امتد نفوذها الاقتصادى فى دواخل القارة الأفريقية حتى بلغ منطقة البحيرات الاستوائية وأعالى الكونغو[٣] .

ولعل مما تجدر الاشارة إليه أنه عاصر ظهور تلك التشكيلات السياسية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر فترة هامة من فترات التنافس الاستعمارى

---

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠–١٩١٤ انظر تقديم الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم — القاهرة — جامعة عين شمس ١٩٦٧ .

(٢) راجع الدراستين الخاصتين بالقواسم وبنى ياس فى مختارات حكومة بومباى .

Bombay Government, Selections from the Records of Bombay Government Vol. XXIV—Bombay 1856 cf. Historical Sketch of the Joasmee P. 299 ff and Beniyas Tribes of Arabs P. 461 ff.

(٣) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص ص ٢٠٥ — ٢٠٦ معهد البحوث والدراسات العربية — القاهرة ١٩٧٥ .

بين إنجلترا وهولندا وفرنسا، والأمر الذى لا شك فيه أن انشغال تلك القوى الاستعمارية بشئون تلك المنافسات والمنازعات فيما بينها هو الذى أتاح المجال لتلك الوحدات السياسية التى أشرنا إليها أن تصل إلى تحقيق درجة من النمو والسيادة على شواطئها، ولكن ما كادت بريطانيا تتخلص من المنافسات الاستعمارية التى واجهتها حتى أخذت تتصدى لتلك التنظيمات، واستطاعت بفضل صداقتها لسلطان مسقط وتحييدها للسعوديين، أو تخلصها من نفوذهم على أثر سقوط عاصمتهم الدرعية على يد إبراهيم باشا فى عام ١٨١٨ أن تركز عملياتها البحرية ضد القواسم، الذين أظهروا مقاومة باسلة أجبرت بريطانيا على إرسال العديد من الحملات البحرية إلى سواحلهم، وكان مما ساعد القواسم على التصدى للحملات البريطانية المتعاقبة الطبيعة الجغرافية التى يتميز بها الساحل الجنوبى للخليج، وصعوبة الملاحة فى مياهه بسبب وجود الألسنة الرملية والشعاب المرجانية والجزر المغمورة؛ فضلا عن وجود الأخوار والخلجان الضيقة التى استخدمها القواسم بمثابة ملاجىء طبيعية لسفنهم، ولعل ذلك هو الذى سيدفع بريطانيا بعد توقيعها لمعاهدة السلام العامة مع القبائل العربية فى الساحل الجنوبى للخليج العربى فى عام ١٨٢٠ إلى إجراء عمليات المسح البحرى التى أسهمت فيها البحرية الهندية بالدور الكبير .

ومما تجدر الاشارة إليه أن معاهدة السلام العامة هى التى وضعت أسس التجزئة فى منطقة الساحل الجنوبى للخليج إذ تبع توقيع تلك المعاهدة اخضاع الساحل للمراقبة البحرية البريطانية، كما تم لبريطانيا فرض سلسلة من اتفاقيات الهدنة البحرية التى وقعها شيوخ الساحل والتى على أثرها أصبح الساحل الجنوبى للخليج العربى يعرف بساحل الهدنة أو الساحل المتصالح أو الساحل المهادن Trucial Coast وذلك بعد أن كان يطلق عليه فى الخرائط والمصورات الجغرافية التى وضعت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر بساحل القرصان Pirate Coast [١] .

---

(١) Great Britain F.O. No. 67 the Persian Gulf P. 44 London 1920 see also Sanger, Richard, The Arabian Peninsula P. 172 Cornell University Press 1954.

وما يستلفت النظر ما صوره المؤرخون الأوربيون عن تاريخ الخليج العربى منذ بداية القرن السادس عشر حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر بأنه كان قصة متصلة الفصول لصراع الأوربى متجاهلين الدور المهم والأساسى لسكان المنطقة فلخصوا تاريخ الخليج الحديث بمجىء البرتغاليين إليه وفرض سيادتهم على المنطقة ثم مجىء الهولنديين والانجليز ونجاحهم فى التخلص من البرتغاليين ثم انفراد الانجليز بالنفوذ فى الخليج منذ أواخر القرن الثامن عشر على أن الواقع التاريخى لا يتفق مع هذا الوصف إذ أن تصفية الوجود البرتغالى فى الخليج لم تتم على يد الانجليز والهولنديين بل تمت على يد فريق من عرب الخليج، وتصفية الوجود الهولندى لم تأت نتيجة لتفوق الانجليز بل أتت نتيجة لجهود فريق آخر من عرب الخليج[1]، وقد يكون حقيقة أن الانجليز قد نجحوا فى بسط نفوذهم وسيادتهم ولكن ذلك لم يتم إلا بعد معاناة شديدة استغرقت سنوات عديدة من القرن التاسع عشر. ولم تكن القوى المحلية هى القوى الوحيدة التى كان على بريطانيا أن تواجهها بل كان عليها أن تواجه إلى جانب ذلك القوى الإقليمية الممثلة فى السعوديين وفارس، وكذلك القوات المصرية حين توغلت فى دواخل الجزيرة العربية ووصلت إلى سواحلها الشرقية على عهد محمد على باشا، وقد استطاعت بريطانيا التخلص من هذه القوى بانسحاب القوات المصرية من نجد وسواحل الخليج العربى خلال الأزمة المصرية التركية ١٨٤٠/١٨٤١، وتعهد الدولة السعودية الثانية على عهد الامام فيصل بن تركى ١٨٤٢/١٨٦٥ بعدم التوسع على حساب الامارات العربية المرتبطة بمعاهدات خاصة مع بريطانيا، أما النزاع بين بريطانيا وفارس فقد اقتصر على المجادلات النظرية بشأن الادعاءات الفارسية على البحرين وغيرها من إمارات الخليج

---

(١) عبد الأمير أمين : مقاومة إمارات شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربى للتغلغل الاستعمارى الأوربى ١٥٠٠ — ١٨٢٠ — من أعمال ندوة التجارب الوحدوية العربية المعاصرة — تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة ص ص ٥٣ — ٥٤ — مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨١ .

واستطاعت بريطانيا فى ظل تلك الأوضاع التى تحركت لصالحها أن تدعم نفوذها فى الخليج العربى فى اطار ما اسمته بالسلام البريطانى Pax Britannica .

وقد حرصنا فى تتبعنا لأحداث الخليج العربى خلال الفترة موضوع الدراسة على إبراز صراع القوى الخارجية وتأثيرها على الأوضاع المحلية بالإضافة إلى علاقات القوى المحلية بعضها بالبعض الآخر وعلاقتها بالقوى المجاورة لها وذلك فى ضوء السياسة البريطانية التى أصبحت منذ بداية القرن التاسع عشر هى المحور الذى تدور حوله أحداث الخليج العربى .

وعلى الرغم من اشتراك كثير من الدوائر البريطانية فى سياسة وإدارة شئون الخليج العربى خلال فترة السيطرة البريطانية إلا أن الفترة الزمنية التى نعالجها فى هذه الدراسة قد اقتصرت على شركة الهند الشرقية البريطانية التى بدأت علاقتها بمنطقة الخليج منذ عام ١٦١٦[1] ولما كانت هذه العلاقة لم تقتصر على النواحى التجارية وإنما تعدتها إلى المجالات السياسية فإن التساؤل الذى يثار هنا هو كيف أمكن لمؤسسة تجارية أن تبنى علاقة سياسية بالخليج العربى ؟ ولعل التطور الذى حدث فى صلاحيات تلك الشركة هو الذى يعطى إجابة لذلك التساؤل إذ أن الشركة على الرغم من نشأتها كمؤسسة تجارية بحتة إلا أنها لم تلبث أن تطورت وأخذت تكتسب طابعا سياسياً بعيد المدى وكان أبرز معالم ذلك التطور حين ظهر فى بريطانيا اتجاه منافس ضد شركة الهند وتمكنت مجموعة من رجال الأعمال الإنجليز أن تصدر مرسوماً برلمانياً فى عام ١٦٩٨ يقضى بتأسيس شركة لهم تحت اسم الجمعية العامة للتجارة مع الهند الشرقية ودخلت هذه المجموعة فى صراع مع شركة الهند وهذا الصراع أدى مؤقتا

---

(١) من أفضل المصادر التى وضعت عن شركة الهند الشرقية البريطانية تلك التى وضعها جيمس بروس James Bruce بعنوان :

Annals of the Honourable East India Company London 1810.

إلى فقدان الإنجليز لمركزهم فى الهند والخليج العربى على أنه فى عام ١٧٠٨ اتحدت المؤسستان باسم اتحاد انجلترا للتجارة مع الهند الشرقية ومنذ ذلك الوقت بدأت الشركة تكتسب طابعا قوميا حتى أنها حصلت من الملك على مرسوم بتعيين سفير لها لدى بلاط امبراطور المغول كما خول لرئيس مجلس ادارة الشركة صلاحيات قنصلية ومنح رتب مدنية وفى عام ١٧٨٤ أصدر البرلمان البريطانى قانونا تشكلت بمقتضاه هيئة إدارية للإشراف السياسى والعسكرى والمالى على الممتلكات البريطانية فى الهند نيابة عن الحكومة البريطانية وبعد ذلك التاريخ انتقل التوجيه السياسى من الشركة إلى الحاكم العام فى الهند وإلى مجلس الوزراء فى لندن وكان ذلك تمهيدا لانتقال الادارة من الشركة إلى الدولة وهو الأمر الذى تحقق بعد ثورة الهند فى عام ١٨٥٧ حيث تغير لقب الحاكم العام إلى نائب الملك فى الهند Vice Roy

ويبدأ الدور التجارى فى علاقة شركة الهند البريطانية بمنطقة الخليج حين تمكنت الشركة فى عام ١٦١٦ أن تؤسس لها وكالة تجارية فى ميناء جاسك على الساحل الشرقى للخليج وكان ذلك بفضل الصداقة التى ربطت بين الشركة وبين الشاه عباس الكبير ١٥٨٧ / ١٦٢٩ ومن المعروف أن التقارب الانجليزى الفارسى كان موجها أساسا ضد البرتغاليين الذين كانوا يسيطرون على كثير من موانىء الخليج العربى وقد حصلت الشركة على ميناء جاسك على أثر الفرمان الذى أصدره الشاه عباس فى أكتوبر ١٦١٥ والذى كان ينص على أنه يجوز للشركة أن تقيم مستودعات فى فارس وأن تعين وكلاء لها ومن ثم وقع اختيار البعثة الإنجليزية التى أوفدت من قبل شركة الهند الشرقية البريطانية إلى البلاط الفارسى على ذلك الميناء الذى استمر يعمل فى خدمة التجارة الانجليزية حتى عام ١٦٢٤ حين انتقل الانجليز منه إلى ميناء جمبرون (بندر عباس) وكان هذا المستودع الجديد جزءاً من عطاء الشاه عباس لشركة الهند حين ظاهرته على البرتغاليين فى هرمز فى عام ١٦٢٢ [١] .

ومما يستلفت النظر أنه حتى منتصف القرن الثامن عشر لم توجه شركة الهند

---

(١) Sykes, Sir Percy, A History of Persia Vol. II P. 190. London 1951.

الشرقية اهتماماً كافياً إلى منطقة الخليج العربى وذلك باستثناء بعض المعاملات التجارية ولعل ذلك يرجع إلى أن جهودها كانت موجهة لإحراز مراكز لها فى شبه القارة الهندية حتى تحقق لها ذلك بالفعل فى معركة بلاسية عام ١٧٥٧[١] وعموما فقد مرت علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية بالخليج العربى بعدة مراحل تميزت المراحل الأولى منها باتجاه الشركة إلى الاتجار مع فارس ثم إلى ممارسة التجارة دون دفع رسوم جمركية بل والمشاركة فى الرسوم التى تأتى من التجار الآخرين نتيجة الامتيازات التى حصلت عليها الشركة من فارس أما المراحل الأخيرة فقد نجحت الشركة بفضل إنشائها لوكالة بوشهر فى عام ١٧٧٦ أن تدخل فى النسيج السياسى للخليج ولعل ذلك مما يدفع بنا إلى القول إلى أنه إذا كانت جاسك هى بداية الشركة فى الخليج ، وجمبرون والبصرة من مراكز المراقبة على أبواب الهند فإن بوشهر غدت نواة النفوذ البريطانى الذى امتدت أطرافه إلى الخليج العربى[٢] .

لقد استمرت علاقة شركة الهند الشرقية البريطانية بالخليج حتى نهاية القرن الثامن عشر يغلب عليها الطابع التجارى أكثر من الطابع السياسى كما أن المراكز البريطانية التى تأسست فى الخليج حتى ذلك الوقت كانت مراكز تجارية أكثر من كونها مراكز سياسية على الرغم من تجهيزها بقوات عسكرية لتمكينها من الصمود أمام المنافسات التجارية الأوربية التى كانت تتعرض لها والتى كانت تأخذ شكلا عسكرياً فى كثير من الأحيان كما يلاحظ أيضاً أن اهتمام شركة الهند الشرقية لم تكن وجهته فى تلك الفترة الساحل الغربى من الخليج بل كانت وجهته الساحل الشرقى حيث فارس كذلك كان يمتد نظر الشركة إلى العراق العثمانى وذلك باستثناء بعض الفترات التى ظهر فيها اهتمام الشركة بالساحل العربى للخليج ولعل أهم تلك الفترات

---

(١) Grover, B.L. and R.R. Sethi, Studies in Modern Indian History Delhi 1963 P. 41.

(٢) عبد العزيز عبد الغنى : حكومة الهند البريطانية والادارة فى الخليج العربى دراسة وثائقية ص ص ٩٢ — ٩٣ — الرياض ١٩٨١ .

تلك الفترة الواقعة بين عامى ١٧٧٦ و ١٧٧٩ حين تحول بريد الشركة الصحراوى إلى الكويت خلال احتلال الفرس لميناء البصرة أو حينما انتقلت الوكالة التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية من البصرة إلى الكويت فى عام ١٧٩٣ بسبب بعض الخلافات التى نشبت بين موظفى الوكالة والسلطات العثمانية فى البصرة وإن كان ذلك لم يدم إلا لفترة قصيرة لم تلبث بعدها أن عادت الوكالة التجارية إلى مركزها السابق فى البصرة[١] ، على أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر استجدت بعض العوامل التى دفعت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تتحول بعلاقاتها بالخليج من علاقات تجارية إلى علاقات سياسية واستراتيجية وحدث ذلك بعد أن تمكنت الشركة من أن تبسط سيطرتها على أقاليم واسعة فى الهند وبدأ يتغير وضعها من مجرد مؤسسة تجارية إلى سلطة سياسية، وبظهور الإمبراطورية البريطانية فى الهند إلى الوجود أصبح من المحتم أن تكتسب منطقة الخليج العربى أهميتهـــا السياسية والاستراتيجيه بالنسبة لتلك الامبراطورية بسبب قرب موقع المنطقة من خطوط المواصلات البريطانية إلى الهند . وتمثل السنوات العشر التى أعقبت حرب السنوات السبع فترة متميزة فى تاريخ شركة الهند الشرقية البريطانية فى الخليج العربى إذ أخذت الشركة تمارس نشاطا عسكريا وسياسيا لم تكن قد مارسته طيلة تاريخها الطويل ، وكان الوضع السياسى العام فى أوربا ووضع الشركه الخاص فى الهند ملائمين لقيام الشركة بدور فعال فى الخليج فقد انتهت حرب السنوات السبع وحقق صلح باريس الذى جاء فى أعقابها مكاسب للإنجليز فى أمريكا والشرق فقد طرد الفرنسيون من كندا وقضى على نفوذهم فى الهند وأحكمت الشركة سيطرتها على البنغال أغنى الأقاليم الهندية على الإطلاق وصارت الشركة فى وضع يمكنها من توجيه ممارسة

---

(١) Brydges (Sir Harford Jones), An account of Transaction of His Majesty's mission to the court of Persia in the years 1807—1811 to whieh is appended a brief History of the wahabees Vol. II P. 13 London 1871.

أعظم لشئونها فى الخليج ومن ثم تميزت الشركة بعد عام ١٧٦٣ بتكريس جزء كبير من جهودها الدبلوماسية والعسكرية فى الخليج ، وجاء القرن التاسع عشر بتطورات جديدة ومهمة بالنسبة إلى الخليج العربى فإن حروب الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت وغزوه لمصر وتهديده خطوط المواصلات الإمبراطورية البريطانية فى الشرق أظهر لبريطانيا بوضوح الأهمية الاستراتيجية للمنطقة ومن ثم أخذت تكرس جهودها العسكرية والسياسية لتعزيز نفوذها وبسط سيادتها عليها والأمر الذى لاشك فيه أن محاولة بونابرت اتخاذ مصر قاعدة للوثوب إلى الهند كان لها أثر كبير فى الجهود التى بذلتها بريطانيا لتأمين مصالحها الاستراتيجية فى السواحل الشرقية للجزيرة العربية والوقوف بصلابة فى وجه أية محاولة تبذل فى سبيل زعزعة المركز البريطانى فى الهند ولذلك يمكننا أن نعتبر المعاهدة التى وقعت بين شركة الهند الشرقية البريطانية وسلطان بن أحمد سلطان مسقط فى عام ١٧٩٨ أول ملامح تغير العلاقات البريطانية مع منطقة الخليج ونعنى بذلك التحول من الناحية التجارية إلى الناحية السياسية(١) . وقد استمر الاهتمام البريطانى السياسى والعسكرى يتزايد بمنطقة الخليج العربى بعد زوال التهديدات الفرنسية للانجليز وذلك بنجاحهم فى إجلاء الحملة الفرنسية من مصر فى عام ١٨٠١ ثم باسقاطهم للمستعمرة الفرنسية فى جزيرة موريس فى عام ١٨١٠ ولم يأت منتصف القرن التاسع عشر حتى كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد فرضت هيمنتها السياسية والعسكرية على الساحل الجنوبى للخليج بمـــا فى ذلك سلطنة مسقط وعمان ومشيخات الساحل العمانى .

ومما تجدر الاشارة إليه أن شركة الهند الشرقية البريطانية قسمت إدارتها فى الهند إلى ثلاثة مراكز رئيسية هى بومباى ومدراس والبنغال واستمر هذا

---

(١) Aitchison C.U. A collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries, Calcutta 1929 vol. XII pp. 207—208.

التقسيم الإدارى قائماً حتى قيام ثورة الهند الكبرى عام ١٨٥٧ وكانت حكومة بومباى بحكم موقعها الجغرافى هى المختصة بالقسم الغربى من المحيط الهندى وبذلك كانت منطقة الخليج العربى والبحر الأحمر تدخل فى مجال اختصاصها . وقد بذلت حكومة بومباى مجهودات كبيرة لإحكام سيطرتها على منطقة الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر[١] ونتيجة للدور الجديد الذى كان على حكومة بومباى أن تقوم به تغير لقب الممثل البريطانى التابع لها من المقيم البريطانى فى بوشهر إلى المقيم البريطانى فى الخليج كما تغيرت مسئولياته تبعا لذلك من مسئوليات تجارية محدودة إلى مسئوليات سياسية وعسكرية وقد استمر المقيمون البريطانيون التابعون لحكومة بومباى يديرون شئون الخليج ويملكون الصلاحيات الواسعة للتصرف المطلق بما فى ذلك عقد الاتفاقيات وابرام المعاهدات والقيام بالأجراءات العسكرية والبحرية التى تحقق أمن الوجود البريطانى فى المنطقة خلال الفترة من عام ١٨٢٠ إلى عام ١٨٥٧ وذلك باستثناء بعض الفترات الطارئة التى تحول فيها الخليج إلى اهتمام وزارة الخارجية البريطانية فى لندن وخاصة خلال وقوع الأزمتين الفارسية والمصرية وقد ظهر ذلك واضحاً فى معارضة وزير الخارجية البريطانية اللورد بالمرستون Palmerston للتوسع المصرى فى الخليج العربى على عهد محمد على فى عام ١٨٣٨/١٨٤٠ .

وقد يكون من المفيد ختاما لتلك الصورة أن نوضح هنا إلى أنه أعقب قيام ثورة الهند ، كما سبق أن أشرنا ، إعادة تنظيم الإدارة البريطانية حيث صدر من أجل ذلك مرسوم ملكى نص على حل شركة الهند الشرقية البريطانية وبذلك أصبحت شئون الهند والمناطق التابعة لها يتم تصريفها عن طريق

(١) Bombay Government, Selections from the Records of the Bombay Government CF. Historical and other Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrein and other Places in the Arabian Gulf Vol. XXIV Bombay 1856.

وزارة الهند كما اقتضى الأمر إيجاد منصب جديد هو منصب نائب الملك فى الهند وقد استمر ذلك المنصب قائماً حتى استقلال الهند والباكستان فى عام ١٩٤٧ حين انتقلت إدارة شئون الخليج إلى وزارة الخارجية البريطانية وتحولت وزارة الهند إلى وزارة العلاقات الخارجية لدول الكومنولث[١] .

وإلى جانب الزحف البريطانى على الخليج العربى كانت هناك مشكلة أخرى تمثلت فى الادعاءات الفارسية التى ظهرت نتيجة عوامل اقتصادية تمثلت فى وجود مغاصات اللؤلؤ فى الماضى أو ظهور النفط فى السنوات الأخيرة وكانت فارس تتمسك بتسمية الخليج بالفارسى وتؤكد بعض ادعاءاتها الإقليمية على أساس تلك التسمية وإن كانت الأسماء فى اعتقادنا لا تشكل حقوقاً كما أنها لا تتمشى مع الواقع فى كثير من الأحيان فمن الوجهة الجغرافية تبلغ طول السواحل العربية للخليج نحو ضعف سواحله الفارسية هذا فضلا عن أن الساحل الشرقى الذى يخضع لسيطرة إيران فى الوقت الحاضر كانت تقطنه ولازالت قبائل عربية منها بنو كعب وبنو تميم [٢] وأغلب سكانه من أصول عربية وإن كان معظمهم قد استعجم وفشت بينهم اللغة الفارسية وإلى عهد قريب كان يطلق اسم عربستان على أجزاء كبيرة من ذلك الساحل ومعناها أرض العرب ولعل ذلك كان اعترافاً ضمنيا من فارس أو من اللغة الفارسية على الأقل بعروبة هذا الساحل .[٣] وليس من شك فى أن استقرار القبائل العربية على الساحل الشرقى للخليج قد أكد صفته العربية من الجانبين . ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن قبائل بنى كعب قد دخلت عربستان فى القرن السابع عشر الميلادى وهى تنتمى إلى قبيلة الأزد المعروفة فى الجزيرة العربية وفى منطقة عربستان قويت سلطتها بسرعة ، واستطاع شيخها العربى أن يحتفظ باستقلاله

---

(١) جمال زكريا قاسم : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى ص ٥ — جامعة الكويت ١٩٧٢ .

(٢) السويدى (أبو الفوز البغدادى) سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب ص ٤٦ بغداد ١٢٨٠ هـ .

(٣) تشكل عربستان فى الوقت الحاضر جزءا من إقليم خوزستان وعاصمته الأهواز .

عن كل من فارس والدولة العثمانية ولذلك لم تكن العلاقات بين بنى كعب وجيرانهم علاقات هادئة مما يفسر لنا كثرة التعديات التى كانت تقوم بها سفنهم وقيام العديد من الحملات التأديبية التى اشترك فيها العثمانيون والفرس والإنجليز ضد شيوخ بنى كعب . وفى عام ١٨٣٧ نجح العثمانيون فى إخضاع إمارة المحمرة — وهى الإمارة التى أنشأتها تلك القبائل— وإن كانوا قد انسحبوا منها بعد احتلال قصير . ومما هو جدير بالذكر أن المنافسة العثمانية الفارسية ظلت قائمة على هذه الإمارة حتى تم توقيع معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين فى عام ١٨٤٧ والتى نصت على اعتبار المحمرة جزءاً من الأراضى الفارسية[١] وإن كانت فارس لم تمارس فى واقع الأمر سيطرة فعلية على تلك الإمارة التى ظل يحكمها أمراء من العرب حتى انهيارها وانضمامها إلى إيران فى عام ١٩٢٥ فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وصارت تعرف باسم خورمشهر وكان ذلك تمشيا مع سياسة التفريس التى اتجه إليها الحكم القومى فى إيران على عهد رضا شاه بهلوى [٢] .

ومما يستلفت النظر أن سكان الساحل الغربى كانوا هم المتغلبون فى الخليج وقد اهتموا بالملاحة والتجارة وقامت على هذا الساحل دول كبيرة تملك الأساطيل الضخمة كما هو الحال فى سلطنة مسقط وعمان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر . وقد عبر كثير من العرب إلى السواحل الشرقية للخليج ولا تزال توجد حتى الآن أقليات كبيرة من العرب أو على الأقل من أصول عربية فى هذه السواحل كما قدر لسلطنة مسقط أن تحكم أجزاء كثيرة من السواحل الشرقية للخليج فى غضون القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وخضعت كثير من الجزر والموانى الفارسية لإدارتها

---

(١) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربى فى شط العرب — دراسة وثائقية — منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج — البصرة ١٩٧٤ ص ٧٦ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤ ص ٣ — جامعة عين شمس ١٩٦٧ .

العربية كما حدث بالنسبة لجزيرتي قشم وهرمز وميناء بندر عباس وغيرها [١].

ولعل ما أوردناه يوضح لنا أن الخليج العربي قد احتفظ بشخصيته العربية أما عن التصاق الصفة الفارسية بالخليج فقد كانت ناشئة عن التسمية الإغريقية القديمة إذ لم يتمكن الإغريق من التعرف إلا على السواحل الفارسية فقط وحدث ذلك أثناء فتوحات الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد حين كلف هذا الفاتح المقدوني قائد أسطوله نيارخوس[٢] خلال حملته المشهورة على الهند بالذهاب إلى الخليج لسبر غور مياهه واكتشاف مصب الفرات (٣٢٦ ق. م) فمر بالساحل الشرقي للخليج الذي تطل عليه فارس مما دعا الإغريق إلى إطلاق التسمية الفارسية وظلت تلك التسمية غير الدقيقة متداولة منذ هذا التاريخ حتى تدفق المد العربي إلى الخليج في ستينيات ذلك القرن ، هذا مع التسليم بأن كثيراً من المؤرخين القدامى أدركوا عدم دقة التسمية فالمؤرخ الروماني بلينيوس Pliny يشير في كتاباته لدى وصفه لمدينة خاراكس Charax إلى التسمية الصحيحة للخليج حين يذكر أن المدينة تقع في أقصى طرف الخليج العربي حيث يبدأ الجزء الأعظم من العربية السعيدة كذلك درج كثير من الجغرافيين العرب على تسمية الخليج العربي بخليج البصرة ومكمله خليج عمان كما أطلق بعض المصنفين العرب على الشاطىء الممتد من البصرة حتى عمان بخط عبد القيس كما جرت في بعض الأحيان تسميته بالبحرين [٣] .

وعلى الرغم من أن كثيرا من الكتاب الفرس يؤكدون أن فارس استطاعت في فترات متقطعة من التاريخ وخاصة على عهد الميديين والساسانيين أن تبسط سيادتها على البصرة والبحرين وعمان وغيرها من المراكز الواقعة على الساحل الغربي للخليج فإنه من الملاحظ أن ذلك كان عملا مؤقتاً لم يدم

---

(١) Curzon, George N Persia & the Persian Question Vol. II p. 423 London 1892.

(٢) صادق نشأت (ميرد أماد) تاريخ الخليج السياسي (ترجمة وتحقيق) ص ٨-١١

(٣) ياقوت الحموي — معجم البلدان ج ٣ ص ٤٤٩ ، فاروق عمر فوزي : الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ١١—١٢ دار القلم ، دبي ١٩٨٣ .

طويلا ولم ينجم عنه أى تغيير فى التركيب الاجتماعى فى السواحل العربية بعكس ما حدث للسواحل الفارسية من تغيرات أساسية عندما قدر للعرب أن يندفعوا تحت لواء الدين إلى ما وراء جبال البختيارى فى الأراضى الفارسية[1] .

والأمر الذى لاشك فيه أن شيوع اسم الخليج العربى فى الوقت الحاضر يجىء مطابقا للواقع إلى حد كبير خاصة إذا ما غلبنا طول سواحله التى تطل عليها الهضبة الفارسية ولذلك لم يكن من العجيب أن تلفت التسمية الفارسية للخليج نظر كثير من الرحالة الأوربيين من أمثال كارستن نيبور Niebuhr الذى جاب أطراف الجزيرة العربية فى عام ١٧٦٢ لكى يدون أخبار رحلته فى مؤلفاته الشهيرة عن الجزيرة العربية وترك لنا فى تلك المؤلفات وصفا شيقا للقبائل العربية فى الخليج وذكر لنا بشىء من التفصيل أسماء هذه القبائل وعلاقة بعضها بالبعض الآخر وتميز من بين جميع الرحالة الذين زاروا الخليج خلال القرن الثامن عشر بدقة الملاحظة وكان أكثرهم إدراكا للدور المهم الذى يلعبه العرب فى الخليج[2] ، وأكد خطأ الجغرافيين الأوربيين فى اعتبار سواحل الخليج تابعة لملوك الفرس حيث قرر أن هـــذه السواحل أبعد ما تكون عن ذلك إذ أن العرب يسيطرون على الشواطىء البحرية للامبراطورية الفارسية من مصب نهر الفرات إلى مصب الاندس وأن المستوطنات العربية على الساحل الفارسى مستقلة تماما عن فارس ويستخدم أفرادها اللغة العربية ويمارسون نفس العادات والتقاليد التى يتميز بها بقية اخوانهم العرب سكان الجزيرة العربية[3]. وفى السنوات المعاصرة دافع الكاتب جان جاك بيريبى عن عروبة

---

(١) جان جاك بيريبى : الخليج العربى (مترجم) ص ٢٦ بيروت ١٩٥٩ .

(٢) عبد الأمير أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ص ص ٧٦ — ٧٧ بغداد ١٩٦٦ .

(٣) Neibuhr (Carsten), Travels through Arahia and other countries in the East Vol. II P. 103.

الخليج وإن سمى كتابه بالخليج الفارسى مجاراة للتسمية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، كذلك أشار الكاتب الإنجليزى رودريك أوين owen إلى الفكرة التى كانت تراوده عن منطقة الخليج قبل زيارته لها فى منتصف الخمسينيات واعترف بالخطأ الذى وقع فيه مؤكداً غرابة تسمية الخليج بالفارسى[1] .

وعلى الرغم من أننا قد استرسلنا بعض الشىء فى مناقشة تسمية الخليج العربية أو الفارسية فان الأمر فى قناعتنا لا يعتمد على المسميات إذ من المعروف بداهة أن الأسماء لا تؤلف حقوقا إنما العبرة بواقع الخليج ومدى وعى أبنائه بالحفاظ على هويتهم العربية .

وتتميز فترة الدراسة التى نعالجها فى هذا الكتاب بثرائها فى مصادرها ووثائقها المتنوعة التى لا غنى عنها للباحث ولكن الأمر الذى يثير الانتباه غلبة المصادر الأجنبية على المصادر العربية والمحلية وكان من نتيجة ذلك اعتماد الدراسات التاريخية التى صدرت عن الخليج العربى فى عصوره الحديثة على تلك المصادر بل لقد وصل الأمر إلى الاعتماد على الوثائق الأجنبية بشكل مكثف بحيث أصبحت بعض دول الخليج تعتمد على هذه الوثائق فى عرض أو إيجاد حلول لخلافاتها الإقليمية . ولعل السبب فى كثرة المصادر والوثائق الأجنبية خضوع الخليج لمدة أربعة قرون لأنواع مختلفة من السيطرة الأجنبية البرتغالية والهولندية والفارسية والعثمانية والبريطانية مما أدى إلى تنوع تلك الوثائق وإن كانت المجموعة البريطانية هى بطبيعة الحال أوسع مجموعة من الوثائق والمصادر التى صدرت عن منطقة الخليج إذ أن الانجليز أخذوا يولون اهتماما زائدا بالمنطقة منذ تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية فى بداية القرن السابع عشر[2] . ومن ثم حظيت المصادر والوثائق البريطانية بالنصيب الأوفى من عناية الباحثين ومن هذه المصادر تقارير الرحالة الأوروبيين الذين قاموا برحلات فى بعض مناطق الخليج

---

(١) Owen, Roderick. The Golden Buble — Arabian Gulf Documentary P. 13 London 1937.

(٢) Low, Charles R. History of the Indian Navy 1613— 1863 2 Vols. London 1847.

والجزيرة العربية ابتداء من كارستن نيبور ومرورا ببكنجهام وولستد وبالجراف وغيرهم كثيرين هذا بالإضافه إلى بعض الدراسات الهامة التى صدرت فى القرن الماضى ومن أبرزها دراسة شارل لو Low عن تاريخ البحرية الهندية ١٦١٣ — ١٨٦٣ وتقرير هارفورد جونز بردجيز عن بعثة حكومة صاحب الجلالة البريطانية إلى البلاط الفارسى ١٨٠٧ / ١٨١١ وقد ذيل هذا التقرير بتلخيص واف عن تاريخ الحركة الوهابية وقيام الدولة السعوديه الأولى[١]. كذلك ينبغى الإشارة إلى دراسة صموئيل ميلز Miles الذى عمل وكيلا سياسيا وقنصلا عاما لبريطانيا فى مسقط فى بداية الثمانينيات من القرن الماضى وتقع هذه الدراسة فى مجلدين ركز فيهما على أقطار وقبائل الخليج العربى . وقد عرف عن ميلز اهتماماته الواسعة بالتاريخ والتراث المحلى للمنطقة التى عمل فيها[٢] .

أما عن أبرز المصادر التى وضعت عن تاريخ الخليج العربى فى أوائل القرن الحالى فهى دراسة جورج لوريمر Lorimer وتتكون من قسمين كبيرين تناول القسم الأول النواحى التاريخية أما القسم الثانى فقد تناول الأوضاع الجغرافية والقبلية والاجتماعية ، ويعد القسم التاريخى من أوفى الدراسات وأشملها فى تناول أحداث الخليج وأواسط الجزيرة العربية والعراق وفارس منذ أوائل القرن السادس عشر حتى السنوات الأولى من القرن العشرين . وتستمد هذه الدراسة صفتها الرسمية من أنها وضعت بتكليف من حكومة الهند البريطانية وقد طبع القسم الجغرافى فى عام ١٩٠٨ ، والقسم التاريخى فى عام ١٩١٥ بمدينة كلكتا ولم يطبع « دليل الخليج الفارسى » وهو الإسم الذى عنون به هذا المصدر[٣] إلا باعداد قليلة وزعت على الموظفين الرسميين فى

---

(١) Brydges, Harford Jones, An account of Transaction of His Majesty's Mission to the court of Persia with a brief Notes of Wahabbees. London 1871.

(٢) Miles, Samuel, The countries and Tribes of the Persian Gulf 2 Vols. London 1919.

(٣) Lorimer. G.G. The Gazetteer of the Persian Gulf. Oman and Central Arabia 2 Vols. Calcutta 1915.

حكومة الهند واعتبر عند صدوره فى حكم الوثائق السرية التى لا يجوز الاطلاع عليها أو تداولها إلا بعد انتهاء الفترة الزمنية التى كانت تفرضها الحكومة البريطانية على حظر تداول وثائقها ولذلك لم يسمح بتداول هذا المصدر بين الباحثين إلا بعد انتهاء هذه الفترة حيث وافقت وزارة الكومنولث على نشره ومن ثم صدرت طبعة حديثة لذلك المصدر الهام فى عام ١٩٧٠ وقد يكون من دواعى الغبطة ما أقدم عليه المكتب الثقافى بديوان حاكم قطر من إخراج ترجمة عربية وأخرى معدلة للقسمين التاريخى والجغرافى من هذا الدليل .

وعلى الرغم من أن دليل الخليج ينسب تأليفه إلى جورج لوريمر وكان واحداً من المسئولين الكبار فى حكومة الهند البريطانية إلا أن هذه الموسوعة الضخمة لا يمكن أن تكون من إعداد فرد واحد ، والأمر الذى لاشك فيه أن فريقاً من الباحثين والسياسيين والعسكريين والجغرافيين عاونوا لوريمر فى تجميع المعلومات اللازمة لوضع ذلك الدليل الذى يعزى فكرته إلى اللورد كيرزون Curzon نائب الملك فى الهند ١٨٩٩ / ١٩٠٤ حين قرر فى عام ١٩٠٣ وضع دليل شامل عن الخليج العربى يتناول النواحى التاريخية والجغرافية و القبلية والاجتماعية وغيرها ويحتمل أن يكون كيرزون قد قرر ذلك خلال زيارته المشهورة لسواحل الخليج العربى وحط فى خلالها فى إمارة الشارقة فى نوفمبر ١٩٠٣ حيث ألقى خطبته المشهورة على شيوخ الساحل العمانى وكان لوريمر مرافقا لكيرزون فى تلك الزيارة التى فى خلالها أبدى كيرزون رغبته فى تجميع معلومات كافية يمكن أن يستعين بها المسئولون البريطانيون فى وقت اشتدت فيه أهمية الخليج السياسية والعسكرية وتعرضت بريطانيا لخطر التنافس من قبل الدولة العثمانية من ناحية والدول الأوربية كفرنسا وروسيا وألمانيا من ناحية أخرى. وعلى الرغم من تقديرنا لأهمية ذلك الدليل إلا أنه ينبغى أن نقرر أن النزعة الاستعمارية كانت تغلب عليه شأنه فى ذلك شأن غيره من المصادر الأجنبية الكثيرة التى وضعت عن الخليج العربى فى القرن التاسع عشر .

أما عن الوثائق التى كان يتحتم علينا الرجوع إليها فى إعداد تلك الدراسة فيبرز من أهمها وثائق شركة الهند الشرقية البريطانية المتعلقة بالخليج العربى وبصفة خاصة سجلات الوكالات Factory Records والتى يرمز لها اختصارا بـ .F.R والوكالة فى ذلك الوقت كانت مقر ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية ومستودعا للبضائع المخزونة الخاصة بالشركة فى هذا الموقع ثم أضيفت إليها مع تطور الأحداث بعض التحصينات ومساكن للموظفين الانجليز وكان يطلق على كل هذا كلمة الوكالة . ومن المعروف أن شركة الهند البريطانية قد نشطت فى فتح وكالات لها خارج الهند وخاصة فى فارس ومنطقة الخليج العربى . ويحفل أرشيف الوكالات بالعديد من المراسلات الخاصة بتأسيس الشركة والمنافسات التى كانت تتعرض لها من قبل الشركات التجارية الأخرى وعلاقتها بمنطقة الخليج وغيرها من المناطق كما تشمل بالاضافة إلى ذلك على تقرير الوكلاء الانجليز فى المراكز التجارية التى أقامتها الشركة فى كل من البصرة وبندر عباس وبوشهر وجاسك وغيرها من الموانى العربية أو الفارسية كما توجد بها تقارير على درجة كبيرة من الأهمية عن التجارة البريطانية مع فارس والجزيرة العربية إلى جانب الاشارة إلى الأحداث السياسية التى كانت تؤثر على حركة التجارة كاحتلال الفرس للبصرة ١٧٧٦ / ١٧٧٩ أو النشاط الوهابى فى سواحل الخليج العربى والعراق فى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر[1] .

وقد تصعب قراءة هـــذه الوثائق بسبب طريقة الكتابة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ونعنى بذلك اختلاف أشكال الحروف اللاتينية عن الحروف الحالية المستخدمة فى الكتابة إلى جانب نسخها باليد كما أنها غير مصنفة فى جملتها بمعنى أنها لم ترتب حسب الموضوعات ولكنها جمعت على أساس تتابع السنوات وطبقاً لأوراق ومجلدات الادارات المختلفة وتقارير المجالس السياسية والسرية وإدارات شركة الهند ومجلس الرقابة مما يتطلب من

---

(١) جمال زكريا قاسم : مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى، مطبوعات جامعة الكويت رقم ٨ — الكويت ١٩٧٢ .

الباحث جهدا للتعرف على ما يريده من معلومات فى هذه المجموعات الضخمة من المجلدات ذات الموضوعات المتناثرة على تتابع السنين وكل هذه الأمور لا شك فى أنها تشكل صعوبات أمام الباحث ومع ذلك فإنه لا مناص من الرجوع إليها لما تشكله من أهمية بالغة بالنسبة للأوضاع التجارية من ناحية ولما يتخللها من بعض الأحداث التاريخية من ناحية أخرى . وقد ركزنا بصفة خاصة على الوثائق الخاصة بوكالات البصرة وجمبرون (بندر عباس) وبوشهر والكويت وعلى المراسلات التى كان يبعث بها موظفو الوكالات المعينون فى بعض موانى الخليج إلى المركز الرئيسى للشركة .

كذلك كان لا بد لنا من الرجوع إلى التقارير والمراسلات الخاصة بشئون الخليج ومعظم تلك التقارير كان يضعها الوكلاء الوطنيون Native Agents التابعون للمقيم البريطانى فى الخليج وكان مقرهم الرئيسى فى إمارة الشارقة وذلك منذ عام ١٨٢٣ حين بدأت بريطانيا تستعين بأولئك الوكلاء فى أعقاب عقد معاهدة السلام العامة فى عام ١٨٢٠ . ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن الوكلاء الوطنيين لم يكونوا وطنيين بمعنى الكلمة إذ كان معظمهم من الفرس أو الهنود الذين استوطنوا إمارات الساحل العمانى وقد حفلت تقاريرهم ومراسلاتهم بتوضيحات مسهبة لأوضاع مشيخات الساحل وعلاقة بعضها بالبعض الآخر من ناحية وعلاقتها بالانجليز من ناحية أخرى إلى جانب تفصيلات كثيرة عن أوضاع تلك المشيخات الداخلية وكذلك معلومات عن الامارات العربية الأخرى كالكويت وقطـــر والبحرين وعلاقتها بالقوى المجاورة لها . ويمكن أن نضيف إلى هذه التقارير المكاتبات السياسية والقنصلية والإدارية التى كان يضعها الوكلاء والقناصل البريطانيون فى مسقط وكان هؤلاء يحتلون المرتبة الثانية من حيث الأهمية فى الخليج بعد المقيم البريطانى كما كانوا بحكم الوضع القانونى لسلطنة مسقط وعمان يتبعون حكومتى الهند ولندن معاً باعتبارهم قناصل من قبل الحكومة البريطانية ووكلاء معتمدين من قبل حكومة الهند .

وإلى جانب تلك الوثائق الهامة حفلت المكتبة السياسية والسرية لوزارة الهند بمصادر ومجموعات وثائقية على جانب كبير من الأهمية نخص منها مجموعة سالدانها Saldanha التى تشتمل على أوراق الدولة الخاصة بحكومة بومباى وعلاقتها بالخليج العربى فى الفترة من القرنين السابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر كما تشمل مجموعة سالدانها بالاضافة إلى ذلك على عدة مختصرات تاريخية شاملة عن بعض إمارات الخليج كمسقط وقطر والبحرين ومشيخات الساحل العمانى[١]. وتحتوى هذه المختصرات على التقارير والمراسلات التى كان يبعث بها موظفو الوكالات البريطانية فى فارس والعراق وبعض القواعد الأخرى فى الخليج إلى رئاسة الشركة البريطانية وهى تتنوع من كونها تقارير ورسائل تجارية إلى وصف للأحداث التاريخية التى كانت تجرى فى هذه المناطق فى السنوات الخاصة بكتابة تلك التقارير أو الرسائل إلى جانب وصف الظروف التى كان يعيش فيها موظفو الوكالات فى المناطق المقامة فيها ، كما احتوت مختارات سالدانها على الكثير من مراسلات وكلاء الشركة إلى السلطات العثمانية والفارسية والتى كان يستهدف منها توثيق العـــلاقات الاقتصادية أو الحصول على امتيازات للتجارة البريطانية إذ كانت شركة الهند الشرقية البريطانية حريصة ازاء المنافسات التى تواجهها على الحصول على امتيازات تعطى الأولوية لتجارتها فى الدول الشرقية التى كانت تتعامل معها خاصة فارس والدولة العثمانية ولدينا بصـــدد ذلك تقرير المستر جون مالكولم Malcolm مبعوث شركة الهند الشرقية البريطانية إلى البلاط الفارسى فى عام ١٨٠٠ ، كذلك العديد من تقارير موظفى الوكالات البريطانية فى كل من البصرة وبوشهر وبندر عباس . وليس من شك فى أن هذه المختارات المشار إليها أفادت إلى حد كبير فى تخفيف بعض الصعوبات التى يواجهها الباحث بالنسبة للسجلات الرئيسية لشركة الهند الشرقية البريطانية وإن كانت بحكم كونها مختصرات لا تحل المشكلة تماماً .

---

(١) East India Connexion with the Persian Gulf (1600—1800), Selection from Bombay State Papers, CF. precis of correspondence regarding Trucial States (1839—19.05)

وإلى جانب الوثائق غير المنشورة هناك الكثير من الوثائق المنشورة التى تبرز من بينها مجموعة أيتشيسون Aitchison عن المعاهدات ولاتفاقيات والسندات البريطانية المرتبطة بالهند والأقطار المجاورة لها [1] وكان. أيتشيسون قد كلف من قبل حكومة الهند بإعداد هذه المجموعة التى صدرت طبعتها الأولى فى عام ١٨٧٦ فى اثنى عشر مجلدا ركزت المجلدات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة منها على منطقة الخليج وما يجاورها . وقد سبقت مجموعة أيتشيسون مجموعة وثائقية أخرى ربما كانت هى المصدر الرئيسى لمجموعة أيتشيسون وهى المجموعة التى نشرها هيوتوماس عن معاهدات شركة الهند الشرقية البريطانية مع الأمراء الوطنيين فى غرب الهند والبحر الأحمر والخليج العربى[2]. وقد كلف هيوتوماس بإعداد هذه المجموعة من قبل حكومة بومباى التى كانت تشرف على هذه المناطق بحكم مجاورتها لها وقد نشرت هذه المجموعة فى عام ١٨٥١ وهى فيما نعلم تعد من أقدم المجموعات الوثائقية المنشورة عن المعاهدات بين شركة الهند الشرقية البريطانية ومنطقة الخليج العربى ، وهى تركز بطبيعة الحال على المعاهدات المبرمة مع سلطنة مسقط ومشيخات الساحل العمانى إذ أن النفوذ البريطانى لم يكن قد وصل فى الفترة التى أعدت فيها هذه المجموعة إلى أبعد من الساحل الجنوبى للخليج باستثناء اشتراك البحرين فى المعاهدة العامة التى أبرمت مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٢٠ .

وإلى جانب مجموعة هيوتوماس نشرت حكومة بومباى مختارات من سجلاتها تناولت النواحى التاريخية وغيرها من المعلومات الأخرى الخاصة

---

(١) Aitchison, C.U. A collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries Vols 10—12 Calcutta 1929.

(٢) Hughes (Thomas). Treaties, Engagements, and Agreements between the Honourable East India Company and the Native Princes, chiefs and States in Western India, the Red Sea, the Persian Gulf etc. Bombay 1851.

بمسقط وعمان والبحرين والكويت وغيرها من إمارات الخليج الأخرى كما حفلت بمجموعة أخرى من التقارير السياسية والقنصلية الهامة التى تضمنت دراسات عن الأوضاع السياسية والتكوينات القبلية لإمارات الخليج العربى إلى جانب دراسات خاصة عن تطورها السياسى وعلاقتها بحكومة بومباى منذ السنوات الأولى من القرن الثامن عشر أى منذ ظهور معظم تلك الوحدات السياسية حتى تاريخ الانتهاء من وضع تلك المختارات فى منتصف القرن التاسع عشر(١) . وقد شارك فى وضع وثائق حكومة بومباى المقيمون البريطانيون ومساعدوهم اللذين تعاقبوا على المقيمية البريطانية فى الخليج حتى تاريخ وضع تلك المجموعة كذلك شارك فى وضع بعض هذه التقارير ضباط البحرية الهندية الذين قاموا بزيارات استطلاعية فى المنطقة كما حفلت هذه المختارات أيضاً بالمعاهدات والاتفاقيات التى أبرمها المقيمون البريطانيون مع مسقط ومشيخات الساحل الجنوبى للخليج العربى إذ كان للمقيمين البريطانيين فى الخليج فى الفترة التى تضمنتها تلك المختارات صلاحيات وسلطات واسعة حيث كان مخولا لهم حق إبرام المعاهدات والتصرف فى شئون المنطقة وكانت حكومة بومباى أو حكومة الهند فيما بعد تكتفى بالمصادقة على ما يبرم من معاهدات ولم يحدث لحكومة الهند أن اعترضت على المعاهدات التى يبرمها المقيمون البريطانيون إلا فيما حدث بالنسبة لمعاهدة شيراز الخاصة بالبحرين والتى أبرمها الكولونيل روس Ross المقيم البريطانى فى الخليج مع أمير مقاطعة فارستان فى عام ١٨٢٠ وذلك لتجاوزه فى الصلاحيات المخولة له من قبل حكومة الهند فضلا عن أن عقد هذه المعاهدة لم يكن يتمشى مع السياسة التى اختطتها الحكومة البريطانية بالنسبة للخليج العربى .

وتشتمل مختارات حكومة بومباى على معلومات تاريخية على جانب كبير من الأهمية عن مسقط وإمامة عمان منذ ظهورها كوحدة سياسية على

---

(١) Historical Skereh of the Rise and Progress of the Government of Muscat (1614—1844).

عهد اليعاربة في السنوات الأولى من القرن السابع عشر ، كما تتناول مختارات حكومة بومباى التشكيلات السياسية والتنظيمات القبلية فى الخليج التى برزت فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر فهناك تقرير عن القرين وهو التسمية القديمة للكويت وضعهجون فيلكس Felix من ضباط البحرية البريطانية فى الهند[1] وهناك تقرير آخر عن مشيخات الساحل المهادن بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الوثائق المتعلقة بشركة الهند الشرقية البريطانية وعلاقتها بقبائل الساحل العمانى خلال الفترة من ١٨٠٦ إلى ١٨٥٣ وهى الفترة التى أبرمت فى خلالها الكثير من المعاهدات والاتفاقيات التى بدأت باتفاقية عام ١٨٠٦ ثم تتابعت حتى تم توقيع اتفاقية الصلح البحرى الدائم فى عام ١٨٥٣ ، وإلى جانب ذلك حفلت مختارات بومباى ببعض الدراسات الهامة الخاصة بالقواسم وبنى ياس وبوفلاسة[2] إلى جانب دراسات أخرى عن اتحاد قبائل العتوب الذى تشكل من آل خليفة وآل صباح والجلاهمة وقد ظهر ذلك الاتحاد فى عام ١٧١٦ ثم تعرض إلى الانهيار بعد انفصال آل خليفة ثم الجلاهمة[3] . كذلك أفردت مختارات حكومة بومباى دراسة موجزة عن الحركة الوهابية وانتشارها بين قبائل ومشيخات الساحل الجنوبى للخليج[4] كما ركزت بصفة خاصة على العلاقات التى كانت قائمة بين حكومة الهند والقبائل العربية خاصة قبيلة القواسم حيث تتبعت وصولهم إلى القوة فى عام ١٧٤٧ حتى انهيار نفوذهم البحرى فى عام ١٨٥٣[5] .

---

(١) Extracts from a Report on the Harbour of Grane (Koweit) by J. Felix, Indian Navy.

(٢) Historical Sketch. of Joasmee, Beniyas, Boo Felasa Tribes of Arabs.

(٣) Histroricl Sketch of the Utoobee tribo of Arabs (1795–1853), Bombay Govt. op cit. Vol. XXIV pp. 437–460.

(٤) Ibid, pp. 427–460

(٥) Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs 1747–1853, Vol XXIV pp. 299–359.

وتعتبر وثائق حكومة بومباى ذات فائدة محققة لمن يحاول تتبع أسس السياسة البريطانية فى منطقة الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ولما كانت بريطانيا قد نجحت فى التوغل فى منطقة الخليج العربى خلال هذه الفترة تحت حجة قمع القرصنة وتجارة الرقيق فإننا نجد الكثير من الصفحات التى خصصتها تلك المختارات عن الدور الذى قامت به بريطانيا لقمع القوى البحرية فى المنطقة (١) .

وإلى جانب المصادر والوثائق البريطانية التى تشكل الغالبية العظمى من المادة التاريخية التى أمكننا الرجوع إليها تجدر الإشارة إلى وثائق وزارة الخارجية الفرنسية Archives des Affaires Etrangers ووثائق وزارة المستعمرات الفرنسية Archives des colonies. وبصفة خاصة الوثائق المتعلقة بمستعمرة موريس الفرنسية التى كانت تعرف باسم جزيرة فرنسا Isledc France حيث تتناول العلاقات التى كانت تربط هذه المستعمرة الفرنسية بسلطنة مسقط وعمان منذ سيطرة فرنسا على هذه المستعمرة فى عام ١٧١٥ حتى سقوطها فى أيدى الإنجليز فى عام ١٨١٠ . ومن المفيد الإشارة أيضا إلى المجموعة الدراسية والوثائقية الهامة التى نشرها القبطان شارل جيان Guillain عن شرق إفريقيا ولما كان الشرق الإفريقى قد شكل فى جانب كبير من تلك الفترة التى نتعرض لها بالدراسة القسم الآخر من سلطنة مسقط لذلك حفلت مجموعة جيان بالكثير من الأحداث والوثائق المتعلقة بسلطنة مسقط وعمان وعلاقتها بالقوى الأجنبية والقوى الإقليمية المجاورة لها فى الخليج العربى وشرق إفريقيا(١)

---

(١) Slave Trade. paper relative to. the measures adopted by the British Govt. beween the years 1820–1844 pp. 635–687.

(٢) Guillain, Charles : Documents sur l'Histoire, la Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale 3 Tomes, Paris Paris 1856.

وبصفة عامة تأتى المصادر الفرنسية فى مرتبة تالية بعد المصادر البريطانية لأنها تقتصر على بعض الفترات التى كانت لفرنسا فيها اهتمامات خاصة بالمنطقة وعلى وجه التحديد خلال الصراع الإنجليزى الفرنسى فى مسقط فى القرن الثامن عشر والذى تصاعد خلال عهد الحملة الفرنسية على مصر والسياسة النابليونية فى الشرق ، وأخيراً أثناء احتدام التنافس الاستعمارى بينها وبين انجلترا فى أواخر القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين . أما الوثائق الأمريكية فهى تقتصر خلال فترة دراستنا على العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأمريكية وسلطنة مسقط وزنجبار حيث أبرمت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة تجارية مع مسقط فى عام ١٨٣٣ واقتصر نشاطها الاقتصادى فى مقاطعات الشرق الأفريقى التى كانت تابعة لسلطنة مسقط حتى انفصالها عنها فى عام ١٨٦٢ .

ولابد أن نشير فى هذا المجال إلى أهمية الأرشيف الفارسى فى دراسة علاقة فارس بمنطقة الخليج العربى ومن المؤكد أن دراسة الوثائق الفارسية يمكن أن تأتى بعمق أكبر فى دراسة تاريخ المنطقة وعلى الرغم من أنه لم يقدر لنا الرجوع إلى الوثائق الفارسية إلا أنه أمكننا الرجوع إلى مجموعة من المراجع الفارسية أو المعربة عن الفارسية ومنها الدراسة التى وضعها عباس إقبال وعنوانها « مطالعات درباب بحرين وسواحل وجزاير خليج فارس » ودراسة صادق نشأت ميرأماد عن تاريخ الخليج السياسى وعلى رضا ميرزا « أسانيد الخليج الفارسى » إلى جانب بعض الدراسات الأكاديمية التى وضعها باحثون إيرانيون ونشرت باللغة الانجليزية وتبرز من بينها دراسة فريدون اميات ودراسة عباس فاروقى وتركز هاتان الدراستان على تاريخ البحرين والمباحثات الانجليزية الفارسية بشأن وضعية تلك الجزر[1]. وكان لابد لنا من مناقشة الدراسات الفارسية عن الخليج بوجهة

Farroughy, Abbas, Bahrein Islands New York 1951 (١)
Adamyiat, F Bahrein Islands, A legal and diplomatic study of the British Iranian controvesy New York 1965.

نظر موضوعية وخاصة أن معظم تلك الدراسات اتخذت جانب المطالبة بالسيادة الفارسية على كثير من جزر وإمارات الخليج العربي لاسيما البحرين بل إن بعض هذه الدراسات وضعت بتكليف من وزارة الخارجية الإيرانية لتدعيم وجهة نظر سياسية معينة بالنسبة للادعاءات الايرانية على الخليج العربي التي تصاعدت خلال الستينيات من ذلك القرن .

أما عن الوثائق والمصادر التركية والتي يوجد أغلبها في قصر يلدز باستانبول فربما تكمن صعوبة الرجوع إليها رغم ثرائها بالمادة التاريخية إلى مشكلة عدم تنظيمها بالإضافة إلى ما تحتاجه دراسة الوثائق التركية من دراية كافية باللغة التركية القديمة وبأسلوب الكتابة الذي كان شائعا في الفترة العثمانية (خط القرمة) وقد يكون من دواعي الغبطة ما توليه الدوائر العلمية العالمية في الوقت الحاضر من اهتمام بالفترة العثمانية والعمل على التعرف على وثائقها ومن المفيد أن نشير بصدد ذلك إلى اللجنة العالمية لدراسات العهد العثماني والفترة السابقة له والتي يرأسها البروفسير روبيرت مونتران وكذلك اللجنة العربية للدراسات العثمانية التي أعلن عن قيامها في تونس عام ١٩٨٢ وكان لنا حظ المشاركة في تأسيسها . وفي محاولة التعرف على السياسية العثمانية في منطقة الخليج العربي في بعض فترات هذه الدراسة كان اعتمادنا على أرشيف البصرة المحفوظ في السجلات البريطانية العامة في لندن كذلك اعتمدنا على بعض الدراسات التي ارتكزت على الوثائق العثمانية ومن بينها الدراسة القيمة التي وضعها صالح أوزبران بعنوان « البرتغاليون والأتراك العثمانيون في الخليج العربي »[١] .

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى أن الوثائق البرتغالية تحفل بمادة تاريخية كبيرة خاصة وأن البرتغاليين كان لهم سبق الاتصال بمنطقة الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية منذ السنوات الأولى من القرن السادس

---

(١) صالح أوزبران : البرتغاليون والأتراك العثمانيون في الخليج العربي — البصرة ١٩٧٩ .

عشر الميلادى واستمرت علاقتهم بمنطقة الخليج ما يقرب من قرنين من الزمان وإذا كانت مشكلة اللغة قد حالت دون دراستنا لتلك الوثائق إلا أننا قد حاولنا سد هذه الثغرة بالرجوع إلى طائفة من المصادر البرتغالية التى ترجمت إلى اللغة الانجليزية والتى نخص من بينها مذكرات أفونسودى البوكيرك [١] ورحله تكسيرا Teixiera [٢] ودورات باربوسا Barbosa [٣] ودراسة فاريا سوسا عن آسيا البرتغالية [٤] . ومع ذلك فانه توجد كميات ضخمة من الوثائق المتعلقة بالخليج العربى فى توريه دى تومبو Torre Do Tombo وهو المبنى الرئيسى للأرشيف البرتغالى فى لشبونة وتشتمل على المنشورات الملكية المتعلقة بالمستعمرات البرتغالية ومملكة هرمز بصفة خاصة بالاضافة إلى رسائل نائب الملك فى الهند والأهم من ذلك مجموعة الوثائق الموسمية Livros das Monsoes المتعلقة بالمحيط الهندى وتحتوى على مراسلات بين التاج البرتغالى ونائب الملك فى جوا وتوجد مخطوطات من هذه الكتب الموسمية فى جوا والأرشيف الوطنى بلشبونه [٥] . كذلك يوجد فى الأرشيف البرتغالى مجموعة من الوثائق التى كتبت بلغات شرقية وجمعت تحت عنوان « الوثائق العربية » وتناولت كل ما يتصل بافريقيا والمحيط الهندى [٦] وقد نشر العالم الفرنسى جان

---

(١) The Commentaries of Great Alfonso delboqurque Translated by Gravy Birch, London 1881, Hakluyt society

(٢) Travels of Pedro Teixiera with his kings of Hormuz, London 1902,.

(٣) The Book of Durate Barbosa,

(٤) Fariya Sousa, Asia Porrugnesa.

(٥) Boxer, C.R. Some Aspects of the Struggle beween the Omanis and the Portuguese AD. 1650–1730.

وللتعرف على الأرشيف البرتغالى بجوا راجع دراسة بوكسر بعنوان

Glimpse of the Goa Archives–Bulletin of SOAS Vol. XIV pp. 299–324 London 1952.

(٦) CF. Arabie Documents in the Torro Do Tombo National Archives by Dr. Antonio Dias Farinha pp. 63–67.

أوبين Aubin بعض هذه الوثائق الفارسية والعربية فى كتاب بعنوان بحار الهند البرتغالية . ولا يزال الأرشيف البرتغالى منجما كبيرا لمنطقة الخليج العربى يشابهه فى ذلك الأرشيف الهولندى حيث ظهر النشاط الهولندى واضحا فى الخليج فى منتصف القرن الثامن عشر. وقد أمكن الرجوع إلى مختصرات لبعض الوثائق الهولندية المترجمة عن الانجليزية والمتعلقة بشركة الهند الشرقية الهولندية ووكالاتها التجارية فى جمبرون ومستعمرتها فى جزيرة خرج وتتناول بعض المراسلات المتبادلة بين القناصل الهولنديين وبين الحكومة العليا فى باتافيا .

أما الوثائق المصرية المعروفة بوثائق عابدين والمحفوظة حاليا بدار الوثائق القومية بالقلعة فتتناول موضوعات كثيرة متعلقة بالتوسع المصرى فى الخليج والجزيرة العربية على عهد محمد على ويمكن الرجوع إليها فى محافظ الحجاز ومحربرا وهى تشكل مادة تاريخية لاغنى عنها لكل من يتصدى لعلاقة مصر بمنطقة الخليج العربى على عهد محمد على .

وتمدنا المصادر المحلية بمادة أولية هامة عن إمارات الخليج العربى ولعل من أبرز تلك المصادر المخطوطات المتعددة التى وضعها المؤرخ العمانى حميد بن رزيق والتى تناول فيها تاريخ الأئمة والسادة البوسعيديين حتى عهد سعيد بن سلطان ١٨٠٦/١٨٥٦ والجدير بالذكر أن بعض هذه المخطوطات ترجمت إلى اللغة الانجليزية ونشرها جورج برسى بادجر وهو أحد الباحثين الثقاة فى تاريخ عمان بعد أن أضاف إليها مقدمة تاريخية تحليلية امتد بها إلى عام ١٨٧١ (١) .
كذلك تجدر الإشارة إلى مخطوطة عمانية ظلت مجهولة المؤلف حتى عثر على نسخة منها فى الدمام تحمل اسم سرحان بن سعيد الأزكوى ، واشتهرت هذه المخطوطة التى تتناول تاريخ عمان منذ أقدم العصور حتى عام ١٧٢٨ بسبب ترجمتها إلى اللغة الانجليزية وقام بهذه الترجمة المستر روس E.C. Ross

---

(١) History of the Imams and Seyyids of Oman Salil by Bin Razik. Introduction and analysis by Badger. G. London 1871

وكان معتمدا بريطانيا فى مسقط وقد نشرت هذه الترجمة فى مجلة الجمعية لآسيوية فى البنغال فى عام ١٨٧٤ تحت عنوان حوليات عمان [1] . كذلك تجدر الإشارة إلى مخطوطة المعولى بعنوان قصص وأخبار جرت فى عمان . ومن المهم أن ننوه بالدور الهام الذى تقوم به وزارة الثقافة والتراث القومى بسلطنة عمان فى الاهتمام بتجميع المخطوطات المتعلقة بتاريخ عمان بصفة خاصة وتاريخ الخليج العربى بصفة عامة وكان من نتيجة ذلك أن وجدت كثير من المخطوطات الهامة طريقها إلى النشر والتحقيق بعد أن كانت حبيسة المكتبات الأجنبية أو فى حوزة بعض الأفراد والأسر [2]. ولا شك أن دراسة المصادر المحلية هى من الأمور الهامة التى ينبغى أن يركز عليها الباحثون فى تناولهم لتاريخ الخليج العربى حتى يمكن الخروج عن طوق الخضوع المطلق للمصادر والوثائق الأجنبية .

وقد حرصنا فى وضعنا لتلك الدراسة أن نتتبع أربعة محاور رئيسية تناولنا فى المحور الأول الغزو البرتغالى لمنطقة الخليج العربى والمنافسات التى تعرضت لها البرتغال من قبل القوى الأوربية المنافسة ثم أبرزنا إلى جانب ذلك الدور الذى قامت به القوى العربية المحلية فى التخلص من السيطرة البرتغالية .

أما المحور الثانى فقد ركزنا فيه على ظهور ونمو التشكيلات القبلية التى أخذت جانبا من التنظيم السياسى فى أعقاب انهيار السيطرة البرتغالية من سواحل الخليج العربى وبصفة خاصة تحالف القواسم وبنى ياس فى الساحل

---

(١) Ross. E.C. of Oman by Sirhan Bin Said from old days until 1728.

(٢) انظر على سبيل المثال الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين تأليف حميد بن محمد بن رزيق ١٢٧٤ هـ وكذلك بدر التمام فى سيرة السيد الهمام سعيد بن سلطان تأليف ابن رزيق وتحقيق عبد المنعم عامر والدكتور محمد مرسى عبد الله . وكذلك سيرة الامام ناصر بن مرشد تأليف عبد الله بن خلفان بن قيصر وتحقيق عبد الحميد القيسى . وقد نشرت هذه المخطوطات وزارة الثقافة والتراث القومى بسلطنة عمان .

الحنـــوبى من الخليج وتنظيمات العتوب فى الـــكويت وقطر والبحرين وتتبعنا فى المحور الثالث تطور السياسة البريطانية فى الخليج وذلك منذ أن بدأت بريطانيا تنفذ إلى المنطقة تجاريا ثم سياسيا وما تبع ذلك من تصاعد نفوذها العسكرى . علاقتها بالوحدات السياسية فى الخليج حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

أما المحور الأخير من محاور هذه الدراسة فقد عالجنا فيه علاقات القوى المحلية فى الخليج بالقوى الإقليمية المجاورة لها وعلى وجه خاص فارس والدولة السعودية الأولى وجانبا من عهد الدولة السعودية الثانية بالإضافة إلى علاقة محمد على بامارات الخليج العربى حين وصلت قواته إلى المنطقة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وما ارتبط بسياسة محمد على فى الخليج من أزمات سياسية مع بريطانيا واتخذنا من انسحاب القوات المصرية من الخليج والجزيرة العربية فى عام ١٨٤٠ معلماً تاريخياً أنهينا به دراستنا هذه التى نرجو أن نكون قد وفقنا فى تناولها .

* * *

الفصل الأول

الغزو البرتغالى

دور الخليج العربى فى الوساطة التجارية بين الشرق والغرب — الازدهار الاقتصادى فى مدن وموانى الخليج العربى قبل مجىء البرتغاليين — اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وأثره على تجارة الخليج — القوى السياسية فى الخليج العربى قبل الغزو البرتغالى — مملكة هرمز — بنو جبر فى الاحساء والبحرين — الصراع بين النباهنة والاباضيين فى عمان البوكيرك والعمليات العسكرية الأولى — استسلام هرمز — مقاومة عرب الخليج للسيطرة البرتغالية وثورة ١٥٢١ ، معاهدة ميناب — سقوط الحكم الوطنى فى هرمز — المواجهة العثمانية للبرتغاليين — انهيار النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى . .



الفصل الأول

الغزو البرتغالى

استمر الخليج العربى محتفظا بسماته ومقوماته العربية طيلة العصر الإسلامى المزدهر، وهو العصر الذى شهد تفوقا فى القوى الملاحية والتجارية العربية ليس فى الخليج العربى فحسب وإنما فى بحار الشرق بصفة عامة إلى أن أخذت هذه القوى تصاب بالتمزق الشديد الذى حدث نتيجة الزحف الاستعمارى على بحار الشرق الذى استهله البرتغاليون فى أعقاب نهضتهم الملاحية والاستكشافية الكبرى وما تبعها من احكام سيطرتهم على المنافذ العربية التى كانت تمر منها تجارة الشرق إلى أوربا عن طريقى البحر الأحمر والخليج العربى (١).

وبصفة عامة يمكن أن نطلق تعبير العصر الذهبى للملاحة والتجارة فى الخليج العربى على الفترة التاريخية الممتدة من أواسط القرن الثامن حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى أو على وجه التحديد بين عامى ٧٥٠ و١٥٠٧م حين كانت موانى الخليج العربى تقوم بدور رئيسى فى الوساطة التجارية بين الشرق والغرب، وتحدد هذه الفترة من نشوء الخلافة العباسية فى بغداد حتى وصول البرتغاليين إلى مياه الخليج العربى فى عام ١٥٠٧ . وكان الخليج العربى خلال هذه الفترة يعد واحداً من أهم المعابر التجارية فى آسيا وعن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين والأرخبيل الشرق إلى أسواق فارس والشام

---

(١) Lockhart L. The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghanistan occupation to Persia P. 182 Cambride 1938.

وعن الازدهار العربى الملاحى فى المحيط الهندى انظر آدم متز ج ٢ ص ٤٣٩ –٤٤٣ ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة وكذلك فضلو حورانى : الملاحة العربية فى المحيط الهندى القاهرة ١١٥٨ .

والجزيرة العربية والعكس من ذلك كانت تعبر السلع الواردة من الجزيرة العربية وفارس وأوربا من نفس هذا الطريق إلى الهند والشرق الأقصى وقد ساعد هذا الانتعاش التجارى على ظهور كثير من المدن والموانى التجارية على ضفاف الخليج كالبصرة والبحرين وسيراف وقيس وبوشهر وهرمز وغيرها، وقد حققت تلك المدن والموانى قدراً كبيراً من الثروة والازدهار ولكن هذه المدن رغم ازدهارها وثرائها كانت تتأثر بضغط الأحـــداث السياسية التى كانت كثيراً ما تتوالى على المنطقه مثل حركة القرامطة فى البحرين وسقوط الدولة العباسية فى بغداد وغزوات المغول المدمرة وقيام امبراطورية الصفويين إلى أن طواها الفناء عند اكتشاف البرتغاليين للطريق البحرى المباشر إلى الهند وتحويلهم تجارة الشرق إلى الطريق المكتشف الجديد الذى عرف بطريق رأس الرجاء الصالح وذلك منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى[1] .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه فى خلال فترات الازدهار الاقتصادى للخليج العربى فى المرحلة التى سبقت مجىء البرتغاليين كان لعرب الخليج أدوار رئيسية فى تجارة الشرق[2] وكانوا كأقرانهم الحضارمة من بين أوائل المسلمين الذين سلكوا الطريق البحرى إلى الصين وقاموا بدور أساسى فى إنشاء العديد من المدن والموانى التجارية على طول السواحل الشرقية للقارة الافريقية من رأس جرد فون شمالا حتى خليج دلجادو جنوبا [3] وبينما كان العرب والمسلمون سادة على التجارة فى بحار الهند كان الإيطاليون من أهالى جنوة والبندقية

---

(١) Kelly' John A., Britain and the Persian Gulf 1498-1885 pp. 6-8 London 1963.

(٢) Landen, R.G. Oman since 1856. Disruptive modernization in a traditional Arab Society p. I1Princeton University Press 1968.

(٣) جمال زكريا قاسم : استقرار العرب فى ساحل شرق أفريقيا المجلد العاشر من حوليات كلية الآداب – جامعه عين شمس، وكذلك صالح العابد ، دور القواسم فى الخليج العربى ١٧٤٧ – ١٨٢٠ ص ص ٣٦ – ٣٧ بغداد ١٩٧٦ .

وفلورنسه وغيرها يحتكرون الوساطة التجارية في البحر المتوسط بين آسيا وأوربا . ومن المعروف أن التجارة بين الشرق والغرب كانت منذ القديم تسلك أحد طريقين إما طريق البحر الأحمر ومصر أو طريق الخليج العربي والشام، ولما كان كل من الطريقين يقع تحت السيطرة الإسلامية المباشرة فإن ذلك كان سببا فى أن يبحث تجار الفرنجة عن طريق آخر يصلهم ببلاد الشرق مباشرة وظلت تلك الفكرة تراود الأوربيين فترة طويلة من الزمن تغذيها حدة الاضطرابات والأزمات السياسية التى كانت تتعرض لها تجارة الشرق بين حين وآخر وتؤثر فيها تأثيراً شديداً [1]. ويمكننا أن نسوق بصدد ذلك مقدار ما أحدثه الغزو المغولى لفارس والعراق على يد تيمور لنك فى عام ١٢٥٨م من آثار سيئة على تجارة الخليج العربى وعلى دوره فى الوساطة التجارية التى كان يقوم بها بين الشرق والغرب بالإضافة إلى تأثير ذلك الغزو فى الوقت نفسه على طريق التجارة البرى الوعر الذى كان يسلك أواسط آسيا إلى شبه جزيرة الأناضول . ومما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن الظروف السياسية المضطربة كانت تجعل تجار الفرنجة يفضلون التعامل مع ذلك الطريق رغم قسوة مسالكه والخطورة التى كانت تتعرض لها قوافل التجارة العابرة فيه إلا أن فتح الأتراك العثمانيين للقسطنطينية فى عام ١٤٥٣م جعل المسلمين يتحكمون فى تجارة هذا الطريق أيضا ولعل ذلك مما حفز الأوربيين إلى التطلع إلى طريق آخر يتخلصون به من الوساطة الإسلامية فى تجارة الشرق فضلا عن تعرض تجارتهم لخطر التوقف فى بعض الأحيان بسبب الاضطرابات السياسية التى كان يتعرض لها المشرق الإسلامى ناهيك عن وصول تجارة الشرق إلى أوربا بأثمان باهظة بسبب ما كان يفرضه عليها المماليك فى مصر والشام من مكوس جمركية متعددة، وبسبب ما كان يقوم به تجار جنوة والبندقية من مغالاة فى وساطتهم التجارية حين كانت تصل هذه التجارة إلى موانى البحر المتوسط ويحملونها بسفنهم إلى الأسواق الأوربية [2] ، ومن ثم كان واضحاً أن اكتشاف

---

(١) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج — القسم التاريخى جـ ١ ص ٣ الدوحة ١٩٦٧ .

(٢) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية — ترجمة توفيق اسكندر وأحمد عزت عبد الكريم ص ١٤٧ وما بعدها ، الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٤٧ .

طريق بحرى مباشر غير مطروق بين أوربا والشرق سيعود بثروة ومكانة عظيمتين على الدولة التى تستطيع اكتشاف ذلك الطريق والإفادة منه .

وكانت البرتغال هى الدولة البحرية الأولى التى كرست أكبر قدر من جهودها فى البحث عن هذا الطريق وحدث ذلك منذ بداية العصور الحديثة حين بدأت تزول كثير من الأوهام والخرافات التى كانت تغلف أذهان الأوربيين . وساعد على التقدم البحرى فى البرتغال تشجيع ملوكها وأمرائها لذلك النشاط . وظهرت بداية التحول الجديد فى سير التجارة العالمية حين تمكن بارتلميو دياز Barthlemeo Diaz وكان واحدا من المغامرين البحريين الذين وجدوا اهتماما وتشجيعاً من فيكتور عمانويل Emanuel ملك البرتغال من الوصول إلى أقصى الطرف الجنوبى من القارة الافريقية وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من العبور للوصول إلى سواحلها الشرقية وسواحل آسيا الغربية بسبب العواصف الشديدة التى تعرض لها مما اضطره للعودة إلى البرتغال إلا أن ذلك لم يثن الملك عمانويل عن تشجيع سلسلة المحاولات الأخرى التى تمكن فاسكودى جاما Vasco De Gama فى إحداها من اجتياز الطرف القصى من القارة الإفريقية الذى أصبح يعرف باسم طريق رأس الرجاء الصالح بدلا من رأس العواصف . ونجح فاسكودى جاما فى الوصول إلى الهند فى أغسطس ١٤٩٧ وانتهت رحلته بعودته إلى لشبونة فى سبتمبر ١٤٩٩ واعتبرت رحلته هذه من أشهر الرحلات الكشفية فى التاريخ (١) .

وكانت النتيجة السريعة والمحققة لتلك الرحلة ثورة فى تجارة أوربا ومجدا عظيما للبرتغال حتى أن ملوكها أصبحوا يطلقون على أنفسهم سادة الفتح والملاحة والتجارة فى الهند والحبشة وجزيرة العرب وفارس وسرعان ما صدق

---

(١) Grenville, Freeman, Select Documents, The East African Coast pp. 52–53, Oxford, 1962 CF. Raventstein, Journal of the first voyage of Vasco da Gama, Hakluyt Society pp. 32–46, London 1898.

البابا على هذا اللقب[1] على أن ذلك المجد الذى حظيت به البرتغال إنما تم على حساب زوال السيادة الإسلامية على التجارة بين آسيا وأوربا ولم يقتصر الأمر على تدهور الأوضاع الاقتصادية الإسلامية فحسب وإنما كان واضحا أن فاسكردى جاما بوصوله إلى سواحل الهند قد وضع أول ركيزة للاستعمار الأوربى للشرق الإسلامى فى العصر الحديث[2] ومن ناحية أخرى أثر اكتشاف الطريق البحرى المباشر تأثيرا سيئا على تجارة الخليج العربى نتيجة سياسة الاحتكار التى طبقها البرتغاليون فى تعاملهم مع أسواق الشرق وتحويلهم التجارة إلى الطريق المكتشف الجديد مما ترتب عليه تأثير اقتصادى سىء على عرب الخليج الذين كانوا يجنون أرباحاً كثيرة من جراء عبور التجـــارة الآسيوية وخاصة تجارة التوابل التى كانت تجد رواجاً كبيرا فى الأسواق الأوربية فى مياههم ويشهد بذلك ازدهار مدنهم وموانئهم ذلك الازدهار الذى اعترف به البرتغاليون أنفسهم[3] ولعل من سخريات التاريخ أن الملاح العربى الشهير شهاب الدين أحمد بن ماجد هو الذى قاد سفينة فاسكودى جاما من مالينده فى شرق إفريقيا عبر المحيط الهندى إلى كاليكوت على سواحل الهند الغربية كما تشير إلى ذلك بعض الروايات التى إن تحقق ما ورد بها فإن ذلك البحار العربى الخليجى المولد[4] يكون قد ساعد — من غير إدراك —

---

(١) Philips (wendell) Oman, A History p. 30 London 1967
See also Kassim, G. Omani Portuguese couflict in the 17th century – Bulletin of the Institute for Arab research and sjudies Yol X Cairo 1980.

(٢) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى — ترجمة وتحقيق أحمد كمال حلمى وبدر الخصوصى ص ٦٠ الكويت ١٩٧٢ .

(٣) The Commentaries of the Great Alfonso dalbouquer-que Translated by W. Gray P. 187 N. Hakluyt Society London 1284.

(٤) ولد فى راس الخيمة وتدرب على فنون الملاحة فى سواحل الخليج العربى ومن أبرز مؤلفاته كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد وحاوية الاختصار فى أصول علم البحار إلى

على انهاء السيادة الاسلامية على تجارة المحيط الهندى وحرمان منطقة الخليج العربى من مصدر أساسى من مصادر ثروتها تلك الثروة التى أقامت مدنا بل ودولا تجارية عظيمة الثراء كدولة هرمز التى سنتعرض لها فيما بعد[١] .

وما لبث البرتغاليون بعد وصولهم إلى مصادر تجارة الشرق أن صارعوا المسلمين بعنف وقسوة واستطاعوا أن يقضوا على وساطتهم التجارية[٢] ويحتكروا التجارة لأنفسهم ويضعفوا ما كان للعرب والمسلمين فيها من نشاط ظاهر ناهيك عما اتسم به الصراع الذى نشب بين البرتغاليين والمسلمين بنزعات غير إنسانية وتعصب دينى صارخ أعاد إلى الأذهان ذكرى الحروب الصليبية فى العصور الوسطى[٣] .

وقد بادرت الدول الاسلامية التى كان يهمها استمرار التجارة عبر الطرق البرية والبحريه القديمه بمساعدة القوى المحلية الإسلامية فى صراعها ضد البرتغاليين فقامت دولة المماليك التى كانت تحكم مصر والشام والحجاز واليمن بالتعاون مع تلك القوى وكذلك مع البنادقة التى انهارت تجارتهم بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ووحدت المصالح الاقتصادية بينهم وبين القوى الإسلامية بزعامة المماليك للتصدى للسيطرة البرتغالية . ونشط السلطان قنصره الغورى نشاطا سياسياً وعسكرياً حيث طلب من القوى

=جانب مجموعة من الأراجيز والمرشدات الملاحية وتوجد مجموعات من مؤلفاته المخطوطة فى المكتبة الوطنية بباريس وقد حقق بعضا منها المستشرق الفرنسى جبرييل فيران Ferranad الذى يرجع إليه الفضل فى اكتشاف تلك المخطوطات .

(١) دونالد هولى ، عمان ونهضتها الحديثة (مترجم) مؤسسة سايس الدولية لندن (بدون تاريخ) ص ٢٨ .

(٢) يجدر الاشارة هنا إلى أن كثيرا من الباحثين الأوربيين قد أطلقوا على الوساطة التجارية التى كان يقوم بها العرب الاحتكار التجارى والمعروف أن النشاط البحرى هو الذى جعل لهم دورا فى تجارة الشرق وليس احتكارهم للتجارة كما فعل البرتغاليون راجع ج . ج لوريمر ج ١ ص ٣ الدوحة ١٩٦٧ .

(٣) الشيخ زين الدين . تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين — نشر دافيد لوبز لشبونة ١٨٩٨ ص ٤٥ .

الأوربية التدخل لوقف الغزو البرتغالى ومنعهم من المضى فى سياسة الاستفزاز الدينى للمسلمين وذهب فى تحذيره إلى حد التهديد بتدمير الأماكن المقدسة المسيحيه فى فلسطين ومنع الحج إلى الأراضى المقدسة المسيحية فيها[1] . وفى تحركه العسكرى وجه حملة من ميناء السويس بقيادة حسين الكردى باش تجريد الهند وصلت إلى الساحل الغربى للهند فى منتصف عام ١٥٠٨ وألقت مراسيها فى ميناء ديو Deo وكان ذلك الميناء يتبع سلطنة كجرات الإسلامية التى استنجدت بالمماليك[2] ولكن هزيمة الأسطول المصرى المماوكى فى المعركة البحرية التى دارت فى عام ١٥٠٩ وضعت نهاية للتفوق الملاحى الإسلامى لتبدأ منذ ذلك التاريخ حقبة جديدة من السيطرة الاستعمارية الاحتكارية على تجارة الشرق خاصة بعد أن فشل المماليك فى محاولتهم الوصول إلى الهند بعد معركة ديو[3] مما أدى إلى الإطاحة بمشروعاتهم فى المحيط الهندى . حقيقة أن الأتراك العثمانيين تصدوا للبرتغاليين وبذلوا عدة جهود بهدف إعادة الحياة إلى الطرق التجارية القديمة وكان ذلك بعد فتحهم لأقطار المشرق العربى فى الشام ومصر والحجاز واليمن والعراق إلا أن جهودهم لم يقدر لها النجاح . كذلك فشل الصفويون فى التصدى للبرتغاليين بسبب افتقارهم إلى القوة البحرية الفعالة التى كانت ضرورة حتمية لمنازلة البرتغالين لما تميزت به امبراطوريتهم بتفوقها فى ميزان القوى العسكرية البحرية ومما تجدر الاشارة إليه أن البرتغاليين لم يكتفوا بتحويل تجارة الشرق إلى الطريق البحرى المباشر إلى غرب أوربا ، طريق رأس الرجاء

---

(١) عبد العزيز الشناوى : المراحل الأولى للوجود البرتغالى فى شرق الجزيرة ص ٦٥٢ — ٦٥٤ من أعمال مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية جـ ٢ الدوحة ١٩٧٦ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٤ تحقيق محمد مصطفى ص ١٨٥ القاهرة ١٩٦٠ .

(٣) عن هزيمة ديو البحرية انظر :

Barbosa (Durate), A Description of the Coasts of East Africa and Malabar in the begining of the Sixteen Century Trans. by H. Stanley pp. 75–76 Haklyut Society, London 1866.

الصالح ، وإنما عملوا على احكام سيطرتهم على الطرق البحرية الأخرى حتى تصبح جميع منافذ التجارة فى أيديهم ومن ثم اتجهوا إلى السيطرة على الخليج العربى لمنع التجارة من النفاذ منه إلى نهر الفرات وسواحل الليفانت أو الاستفادة من مرور هذه التجارة لصالحهم إمعاناً فى تطبيق سياستهم الاحتكارية[١] وقد سيطرت الروح الصليبية على ضباط البحرية البرتغالية الذين نشأوا فى وقت كان الصراع فيه يدور على أشده بين المسلمين والمسيحيين فى شبه جزيرة أيبريا فأشربوا فى قلوبهم الرغبة العنيفة فى الانتقام من المسلمين ويجسد هذه الحقيقة الضابط البحرى الفونسو دى البوكيرك الذى استهل حياته العسكرية فى الجيوب البرتغالية على سواحل المغرب ثم انتقل إلى ميدان الصراع الصليبى فى بحار الشرق وقد كلف البوكيرك من قبل عمانويل الثانى ملك البرتغال باعداد مشروع يهدف إلى انشاء امبراطورية برتغالية كبيرة فى الشرق والملك علق البوكيرك أهمية كبيرة على بنــاء القلاع العسكرية الحصينة وانتزاع اعتراف الحكام المحليين بالبرتغال كسلطة مسيطرة ولتحقيق هذا المشروع اتجه إلى تدمير الأساطيل المحلية والتخلص منها كما قام بأعمال شاذة غير إنسانية ضد البحارة المسلمين وإلى الفونسو دى البوكيرك ينسب بناء مجموعة من الحصون البرتغالية التى وصفت بالحصون التى لاتقهر فى كل من هرمز ومسقط والبحرين ولا تزال هذه الحصون باقية حتى يومنا هذا شاهدة على ماكان عليه البرتغاليون من غلظة وتسلط .

وكان أبرز ما استهدفه البوكيرك تحطيم مملكة هرمز التى كانت تتمتع بثراء كبير طيلة العصور الوسطى . ويمكن تأريخ بداية العمليات العسكرية البرتغالية فى الخليج حين تحركت ستة عشر سفينة برتغالية فى عام ١٥٠٧ يقودها البوكيرك بنفسه للسيطرة على هرمز لأهمية موقعها الاستراتيجى كمنفذ للخليج وباعتبارها أقوى تنظيم سياسى واقتصادى عرفته المنطقة فى

---

(١) Bent, Theodore, Southern Arabia. P. 50 London 1905

ذلك الوقت[1]. ولذلك قد يكون من المفيد أن نتفهم الأوضاع السياسية فى الخليج العربى فى الفترة التى سبقت مجىء البرتغاليين إلى سواحل الخليج العربى ومن الطبيعى أن نبدء حديثنا بمملكة هرمز التى كانت كما ذكرنا من أهم وأقوى التنظيمات السياسية والتجارية . وقد أخذت تلك المملكة مركزها التجارى منذ القرن الحادى عشر الميلادى[2] واستطاعت أن تتبوأ مكان الصدارة فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى حين أصبحت أهم منطقة لتجمع السلع التجاريه فى الخليج وأكبر منافس لميناء قيس الذى حل خلال الفترة من القرن الثانى عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى محل ميناء سيراف الذى كان من أهم الموانى التجارية فى الخليج العربى[1] .

وعلى الرغم من أن الكتاب الفرس يؤكدون على أن مدينة هرمز كانت مدينة فارسية بحكم نشأتها إلى أنه لا مجال للشك هنا أن المدينة أخذت صبغة عربية حين اندفعت إليها القبائل العربية بعد الفتح الاسلامى لفارس وأكثر من ذلك كما يؤكده بعض الباحثين أن أصل الأسرة المالكة التى تعاقبت على حكم هرمز ترجع إلى أصول عربية كما كان أمراؤها سنيين على خلاف المذهب الشيعى السائد فى بلاد فارس . أما المصنفون الجغرافيون المسلمون كالاصطخرى والمقدسى والادريسى فإنهم يؤكدون على عالمية المدينة حين يتحدثون عن سكانها الذين يخالطهم الكثير من التجار الفرس والهنود والزنوج والبلوش والترك والعرب والأوربيين إلى الحد الذى كانت تظهر فيه المدينة كمنطقة تجمع عالمية وإن احتفظت مع ذلك بطابعها العربى والاسلامى . واستمرت هرمز تحتل مكان الصدارة والتجارة البحرية إلى أن قضت جحافل

---

(١) Wilson, Sir Arnold, The Persian Gulf an Historical sketch from the Earliest times to the begining of the 20th century P. 185 London, 1954.

(٢) Aubin, Jean, les Princes d'Ormuz du XIIIE au XVE Siecles P. 7 ff', Mare Lusoindicum 11, 1973.

(٣) Ibid, P. 120 ff.

المغول على الدولة العباسية وسقطت عاصمتها بغداد فى عام ١٢٥٨ م وحينئذ لم تسلم هرمز من الفوضى والدمار خاصة بعد أن تمكن المغول فى عام ١٣٠١ م من الاغارة على المدينة والاستيلاء على كل شىء نفيس فيها وأعملوا الذبح والتقتيل فى سكانها . وقدر للرحالة ماركوبولو Marcopolo أن يكون آخر شاهد على عظمه هرمز حين زارها فى عام ١٢٩٢ م وأعطانا وصفا شائقا عنها وأفاض فى الحديث عن جوانب كبيرة من حركتها التجارية[1] . ومما يستلفت النظر أن الطاقة التجارية الكبيرة التى تمتع بها سكان هرمز لم تجعلهم يستسلمون لغارات المغول المدمرة وإنما انتقلوا بأميرهم بهاء الدين إلى جزيرة قيس ثم إلى جزيرة صغيرة عرفت باسم جزيرة جرون لا تبعد كثيرا عن مدينتهم القديمة وأخذوا من هناك يزاولون نشاطهم التجارى وبمضى الزمن أخذت جزيرة جرون تنتعش اقتصاديا وتستعيد مجد هرمز القديمة وتيمنا بعظمة مدينتهم السابقة هرمز أطلقوا على الجزيرة الجديدة اسمها التى نمت وأصبحت عاصمة لأكبر تنظيم سياسى وتجارى شهدته منطقة الخليج العربى حيث اشتملت على جزء كبير من سواحل شبه الجزيرة العربية من ناحية وسواحل فارس الجنوبية من ناحية أخرى كما امتد نفوذها الإدارى على طول السواحل الغربية للخليج حتى البصرة واستمرت كذلك قرابة مائتى عام حتى استولى البرتغاليون عليها منذ وطئت أقدامهم الخليج العربى فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى[2] .

ومما يذكر أن جزيرة هرمز التى كانت قاعدة لتلك المملكة المترامية الأطراف كانت من بين المناطق الهامة التى زارها الرحالة ابن بطوطة وذلك

---

(١) CF. Ricci A. Travels of MarcoPolo

(٢) لعل من أوفى الدراسات التى كتبت عن أمراء هرمز وملوكها بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر دراسة جان أوبان .

CF. Jean Aubin : les Princes d'Ormuz du XIIIE au XVE siecles.

فى رحلته الأولى التى قام بها فى الفترة من ١٣٢٥ إلى ١٣٤٩م [1] وقد خلف لنا وصفاً ممتعاً عن هرمز وسلطانها وتجارتها وحياتها الاجتماعية وقدم لنا صورة شيقه عما كانت عليه المملكة من عظمة وثراء وفى وصفه للجزيرة ذكر أن مدينة هرمز مدينة كبيرة بها أسواق حافلة وأنها مرسى السند وفارس وخراسان والهند ومنها كانت تحمل سلع الهند إلى العراق وفارس وخراسان . وقد بدأ ابن بطوطة رحلته إلى هرمز حين توجه إليها من بلاد عمان وقام أولا بزيارة المدينه القديمة التى وجدها خاوية مهدمة لاحياة فيها وليس بها سوى القليل من صيادى السمك الذين اتخذوها ملجأ لهم لقضاء أوقات راحتهم وذكر ابن بطوطة أن هرمز الجديدة تبعد عن هرمز القديمه قرابة ثلاث فراسخ وأنها تقابلها من ناحية البحر وأبدى أعجابه بأسواق المدينة المجهزة تجهيزاً حسناً كما وصف سلطان هرمز قطب الدين بالكرم والتواضع والأخلاق النبيلة غير أنه وجده مشغولا ومتهيئا للحرب ضد أخيه نظام الدين وذكر ابن بطوطة أنه استقى معلوماته التاريخية عن مملكة هرمز من وزير السلطان شمس الدين محمد بن على والقاضى عماد الدين الشونكارى وقد اسهب ابن بطوطه فى الحديث عن حياة السكان واعتمادهم فى معيشتهم على السمك والتمر الذى كان يجلب إليهم من البصرة وعمان واسترعى نظر ابن بطوطه ندرة مياه الشرب الذى هو غالى الثمن يجمع عن طريق الأمطار وذكر أنه هناك صهاريج وخزانات صناعية كبيرة لجمع الميـــاه حيث يذهب الناس لجلب مياه الشرب بآنية كبيرة من القرب يملأونها ويحملونها على ظهورهم .

ولم يكن الرحالة المسلمون وحدهم الذين استرعى انتباههم أهمية هرمز وإنما جذبت شهرة الجزيرة انتباه عدد كبير من الرحالة الأوربيين نذكر من بينهم الرحالة لودفيج وارتمان wartheman الذى زار الجزيرة فى عام ١٥٠٢ أى فى السنوات القليلة السابقة مباشرة لوصول البرتغاليين إلى هرمز وكان

---

(١) راجع أبو عبد الله محمد بن بطوطة : تحفه النظار ى عجائب الأسفار وغرائب الأمصار جـ ١ القاهرة ١٩٣٢ .

بكتابته عنها خير شاهد على عظمتها ومما ذكره بصدد ذلك أنه كان يوجد بمينائها ما يزيد أحيانا على ثلاثمائة سفينة تجارية لمختلف بلدان العالم راسية على أرصفتها البحرية كما كان يقيم فيها بصفة دائمة أكثر من أربعمائة تاجر وأن معظم تجارتها كانت من اللؤلؤ والأحجار الكريمة والحرير والعقاقير والتوابل كما قدم الأب بيير رانيل Raynal وصفا شيقا لعظمة المدينة وازدهارها التجارى وأشار إلى أن التجار يفدون إلى هرمز من جميع أنحاء العالم ويتبادلون السلع ويعقدون الصفقات التجارية فى هدوء يندر أن نجد مثيله فى أى مكان تجارى آخر . كما ذكر الرحالة البرتغالى دورات باربوسا Barbosa أن المدينة ليست كبيرة على قدر ما هى جميلة ووصف بيوت أثريائها بأنها أشبه ما تكون بالمتاحف لما تحويه من تحف وقطع أثاث واردة من الهند والصين والسجاد الفارسى الفاخر والقناديل المصرية ذات النقوش الشرقية البديعة[1] ولا شك أن الازدهار التجارى الذى تمتعت به جزيرة هرمز كان يعود بالدرجة الأولى إلى موقعها الاستراتيجى فى المضايق المؤدية إلى الخليج العربى وأضيف إلى ثرائها التجارى الدخل الذى كانت تتحصل عليه من المكوس الجمركية التى كانت تفرضها على الموانى التابعة لها حتى قدر دخل الدولة من هذه الرسوم وحدها بأكثر من ستين ألف ريال هذا إلى جانب استغلالها لمصائد اللؤلؤ التى أضافت إليها مصدرا هاماً من مصادر ثروتها .

وعلى الرغم من المساحة الصغيرة للجزيرة فإن ملوك هرمز كانت لهم سلطة شكلية فقط إذ تركزت السلطة الفعلية فى أيدى مجموعة أوليجاركية من التجار وعلى أية حال فقد ساعد على نمو وازدهار الجزيرة بعدها عن مراكز القلاقل السياسية داخل فارس[2] ورغم أن الجزيرة كانت تجمع

---

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى : مملكة هرمز المجد فى نشأتها وازدهارها والعبرة فى سقوطها واستسلامها بحث منشور فى مجلة العربى الكويت .

(٢) على عبد الرحمن أبا حسين : من تاريخ العتوب خلال المخطوطات والوثائق بحث منشور فى أعمال الحلقة الرابعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية — أبو ظبى نوفمبر ١٩٧٩ .

الكثير من الأجناس إلا أن اللغة العربية كانت لغة التعامل كما كان أغلب سكانها من العرب إذ أن طبيعة النشاط البحرى التجارى ساعدت على أن يبرز فيه بحارة وتجار من اليمن وعمان والخليج العربى . واستطاعت هرمز بنشاطها التجارى أن تكون من أعظم الدول التى شهدتها المنطقة عظمة وثراء وربما يرجع سبب ذلك الازدهار إلى أن دائرة النشاط التجارى قد اتسعت فى نهاية العصور الوسطى فلم تعـد مقصورة على نقل التجارة بين الهند وسواحل شرق إفريقيا إلى قلب العالم الإسلامى بل أصبحت جزيرة هرمز تمثل الحلقة الهامة فى نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب خاصـة حين دخلت المدن الإيطالية ذلك الميدان وأصبحت هرمز مثلا يضرب على الثراء ويعرفها رجل الشارع الأوربى واعتبارها خاتم العالم وأن من يمتلكها يمتلك العالم بأسره [1] .

ولعل من ينظر الآن إلى تلك الجزيرة التى تكاد تكون خالية من السكان يدهش كثيرا حين يعرف أن سكانها كانوا يبلغون فى الفترة التى سبقت مجىء البرتغاليين أكثر من أربعين ألف نسمة وأنهم كما سبق أن أوضحنا وطبقا لروايات الرحالة المعاصرين كانوا يعيشون على مستوى عال من الرفاهية والثراء بالرغم من أنهم كانوا يحضرون جميع احتياجاتهم الرئيسية من خارج الجزيرة بما فى ذلك مياه الشرب التى كانوا يضطرون إلى نقلها من خارج الجزيرة إذا ما قلت الأمطار . وقد اشتهر من بين ملوك هرمز السلطان

---

(١) لم تحصل هرمز على شهرة تجارية فحسب بل حصلت على شهرة فى عالم الأدب حين أشاد بها بعض الكتاب والشعراء وعلى رأسهم الشاعر الانجليزى جون ميلتون Melton فى ديوانه الفردوس المفقود Lost Paradise حيث أورد بيتا من الشعر جاء فيه إذا كان العالم مجرد خاتم فإن هرمز هى جوهرته If all the world were mere a ring Ormuz the Diamond should bring

كما كتب فى نفس القصيدة متحدثا عن الشيطان :

مرتفعا على عرش سـام يليق بالملـوك ويطغى دون عناء على ثروة هرمـز والهند

أو حيث غدق الشرق الفنان بأغنى الأيادى اللآلى والذهب البربرى على ملوك بلاده

انظر دونالد هولى : عمان ونهضتها الحديثة — رجع سبق ذكره ص ٢٦ .

قطب الدين فيروز شاه الذى حكم حتى عام ١٤١٧ م وكان يلقب بملك هرمز والبحرين والاحساء والقطيف وهو السلطان الذى كان قائما بالحكم حين زار ابن بطوطة الجزيرة كذلك اشتهر من بين سلاطين هرمز سيف الدين مهار الذى حكم حتى عام ١٤٣٥م وكان يوصف بأنه صاحب هرمز والبحرين وكان يتبعه كل من عمان والقطيف وقلهات [١] .

ومع بداية القرن الخامس عشر بدأ الضعف يدب فى كيان هرمز بسبب تفاقم الصراع بين افراد الأسرة المالكة ولعل ذلك الصراع هو الذى شجع القبائل العربية المنتشرة على طول السواحل الشرقية للجزيرة العربية للتخلص من تبعية هرمز والأمر الذى لاشك فيه أن عدم وجود سلطة مركزية قوية هى التى ساعدت المناطق التابعة لهرمز على الاستقلال خاصة وأن هذه المناطق كانت تختلف فى تبعيتها لهرمز بين التبعية الاسمية والفعلية فعلى حين كانت مناطق القطيف والاحساء تعين حكامها كان حكام البحرين يعينون من قبل ملوك هرمز مباشرة كما أن الامتداد الكبير الذى بلغته هذه الدولة كان عاملا هاما من عوامل تقويضها إذ استطاعت أن تبسط سلطانها السياسى على أجزاء مترامية من شواطىء الخليج وجزره شملت السواحل العمانية وامتدت حتى القطيف شمالا كما دخلت جزر البحرين وجزيرة قشم فى تبعيتها إلى جانب قسم كبير من السواحل الفارسية المطلة على الخليج وكانت كل هذه المناطق تشكل جزءا من تلك الدولة الواسعة الثراء . ومن الطبيعى أن يؤدى تفسخ مملكة هرمز إلى افساح المجال لظهور مجموعة من القوى السياسية خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى واستطاعت تلك القوى منازعة هرمز فى سيادتها وظهر ذلك واضحاً على عهــد الملك سيف الدين مهار الذى شهد حكمه اضطرابا سياسياً وصراعاً أسرياً خطيراً مكن لبنى جـبر من الإطاحة بسيادته وأحرزوا نجاحاً فى انتزاع الإحساء والقطيف من أيدى حكامها السابقين الذين كانوا خاضعين لملوك هرمز . وساعد بنو جبر على

---

(١) Aubin, J., op. cit. P. 120.

تثبيت نفوذهم فى الاحساء ذلك الصراع الأسرى الذى كان قائماً بين سيف الدين مهاروأخيه فخر الدين تورانشاه بل أن ذلك الصراع أعطى لبنى جبر فرصة التدخل فى مملكة هرمز ذاتها حين استعان بهم فخر الدين ضد أخيه وعندما انتهى الأمر بفوزه على أخيه ووصوله إلى الحكم فى عام ١٤٣٩ كانت المكافأة التى غنمها بنو جبر هى التوسع فى رقعة أراضيهم حين ضموا القطيف وما كاد ينتصف القرن الخامس عشر حتى كان بنوجبر قد نجحوا فى السيطرة على البحرين وامتدوا إلى بعض أقاليم نجد وتمكنوا من تسيير دفة أمورهم مستقلين تماما عن مملكة هرمز وأصبح شيخ بنى جبر يلقب بسلطان البحرين والقطيف والاحساء ورئيس أهل نجد ولم يقتصر امتداد سيطرة الجبور على تلك المناطق المشار إليها وإنما امتد نفوذهم إلى كثير من المقاطعات والموانى العمانية وكان هذا التعاظم فى النفوذ الذى بلغه الجبور دافعاً لاستئناف الصراع بينهم وبين ملوك هرمز وكان من سوء الطالع أن يواكب ذلك الصراع وصول البرتغاليين إلى سواحل الخليج فعملوا على تعميقه تحقيقاً لمصالحهم[1] .

وبينما كانت الأوضاع فى الاحساء والبحرين تتأرجح بين سيطرة بنى جبر وسيادة مملكة هرمز كانت الأوضاع السياسية فى إقليم عمان أكثر اضطرابا ففى الوقت الذى كانت فيه المناطق الساحلية من عمان فى قبضة ملوك هرمز كانت المقاطعات الداخلية فى أيدى الملوك النبهانيين الذين كانوا يخوضون صراعا دائباً ضد الاباضيين المتحمسين لبعث الامامة الاباضية وكان يدفع الاباضيين إلى خوض ذلك الصراع رغبتهم فى التخلص من نفوذ هرمز والنباهنة معاً . وحول منتصف القرن الخامس عشر نجح الامام عمر بن محمد الخروصى فى انتزاع الحكم من النباهنة وأعلن بعث الامامة الاباضية إلا أنه لم يلبث أن أطيح به من قبل النبهانيين بعد سنوات قليلة قضاها فى الحكم

(١) عبد اللطيف الحميدان : التاريخ السياسى لامارة الجبور فى نجد وشرق الجزيرة العربية العدد ١٦ من مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة ١٩٨٠ .

ولعل ذلك مما جعله يستعين ببنى جبر فى الاحساء الذين نجحوا فى إعادة تنصيبه إماما على عمان فى عام ١٤٨٧ وطرد الملك النبهانى سليمان وكان من الطبيعى أن تصبح عمان الداخل فى دائرة نفوذ بنى جبر خاصة حينما تجدد القتال بين الاباضيين والنبهانيين على عهد الامام محمد بن اسماعيل الذى خلف الامام الخروصى الذى نجح فى قتل الملك سليمان النبهانى بفضل استعانته بالجبور فى عام ١٥٠٠ .

ولعل ما يؤكد تفوق نفوذ بنى جبر فى عمان أن البرتغاليين حينما دخلوا الخليج أول مرة فى عام ١٥٠٧ تحدثوا عن قوتهم حتى أن الفونسو دى البوكيرك ذكر أن عمان الداخل كانت خاضعة لشيخ من شيوخهم الذى وصفه بملك الجبور وذكر أن جميع جزيرة العرب تدين له بالولاء وعلى الرغم من أن ذلك الوصف يحمل الكثير من المبالغة إلا أنه يحمل أيضاً كثيراً من الحقائق فالأمر الذى لاشك فيه أن الجبور كانوا قد تمكنوا حول بداية القرن السادس عشر من السيطرة على كثير من المقاطعات الداخلية فى الجزيرة العربية بالاضافة إلى الاحساء والقطيف والبحرين وعمان الداخلية والساحلية ويؤكد ذلك ما أشار إليه المؤرخ البرتغالى باروس Barrotz من أن الجبور كانوا يشنون هجمات مستمرة على مملكة هرمز وأنهم كانوا يشكلون خطرا عليها وسوف نشير فيما بعد إلى السلطان أجود بن زامل الجبرى الذى كان من أشهر سلاطنة الجبور والذى بلغت سلطة الجبور على عهده أقصى اتساع لها فى الاحساء والقطيف والبحرين وعمان ونجد بل إنه كان يفرض الجزية على بعض ملوك العجم المجاورين له .

نخلص من ذلك أن الصراع الذى كان قائماً بين ملوك هرمز وشيوخ الجبور كان هو الوضع السائد فى الخليج حين وصل البرتغاليون إلى سواحله وعلى الرغم من أن الجبور كانوا هم القوة الصاعدة إلا أن هرمز

كانت هى القوة الرسمية المتصدية لزعامة الخليج وكان عليها أن تتكفل بحماية الخليج من الغزو البرتغالى المفاجىء رغم التفكك السياسى الذى كانت تعانى منه[1] ولعل مما يلفت النظر أن الدولة الصفوية الناشئة فى فارس حول ذلك الوقت لم تتعاون مع مملكة هرمز فى هذه المهمة وتلك الملاحظة لها أهميتها الخاصة لأنها دليل واضح على عدم تبعية هرمز للدولة الصفوية أو للدول التى سبقتها فى فارس وذلك خلافا لادعاءات بعض الكتاب الإيرانيين المعاصرين الذين تمادوا فى تطبيق النظرة القومية على ذلك العهد إلى حد ادعائهم بأن نفوذ فارس كان يمتد على طول سواحل شرق الجزيرة العربية باعتبار تبعية هرمز للسيادة الفارسية[2] وحقيقة الأمر كما سبق أن أشرنا أن مملكة هرمز لم تكن دولة عربية أو فارسية وإنما كانت دولة اسلامية تضم مختلف الجنسيات التى تسكن حول شواطىء الخليج ويؤمها عدد كبير من العناصر الاسلامية الأخرى وإن تمتع فيها العرب بالنفوذ الأدنى .

وعلى الرغم من أن البرتغاليين بدأ أول احتكاكهم بمنطقة الخليج العربى بوصولهم إلى هرمز فى عام ١٥٠٧ إلا أن عملياتهم العسكرية لم تظهر واضحة فى هذه الفتره المبكرة من أوائل القرن السادس عشر إذ اضطر البرتغاليون إلى وقف عملياتهم فى هرمز بهدف التفرغ لحرب المماليك فى المحيط الهندى ولم يعاود البرتغاليون اهتمامهم باخضاع هرمز إلا بعد ذلك بعدة سنوات وعلى وجه التحديد فى عام ١٥١٥ . ومما يستوجب الأسف أنه فى خلال تلك الفترة التى انصرف فيها البرتغاليون مؤقتا عن هرمز لم تظهر تكتلات عربية فى منطقة الخليج العربى بهدف مواجهة التحديات البرتغالية وإنما على العكس من ذلك أخذت منطقة الخليج تعانى قدرا

(١) Adamyiat, F. Bahrein Islands Alegal and Diplomatic Controversy P. 14. New York, 1955.

(٢) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٠–١١ القاهرة ١٩٧٤ .

كبيرا من التفكك مما سيسهل عمل البرتغاليين فيما بعد فقــد انصرفت سياسة ملوك هرمز إلى محاولة سحق النفوذ المتصاعد الذى وصل إليه بنو جبر فى شرق الجزيرة العربية . ففى عام ١٥١١ قام الوزير خوجه عطاء الذى كانت بيده مقاليد السلطة فى هرمز بارسال حملة عسكرية إلى البحرين نجحت فى احتلالها وانتزاعها من أيدى شيوخ بنى جبر الذين كانوا قد نجحوا فى مد السيطرة عليها على عهد سلطانهم أجود بن زامل قبل ذلك الوقت بقليل وعلى الرغم من نجاح هرمز فى استعادة البحرين إلا أن شيوخ بنى جبر أعادوا السيطرة عليها والأمر الذى لا شك فيه أن الصراع السياسى الذى حدث بين أكبر قوتين محليتين فى الخليج العربى فى ذلك الوقت ونعنى بهما مملكة هرمز ومشيخة الجبور قد أفاد منه البرتغاليون فائدة كبيرة فمن الثابت لدينا أن البرتغاليين اتجهوا إلى الاستعانة ببعض القوى المحلية وتأليبها ضــد الهجمات المتكررة التى كان يشنها شيوخ بنى جبر المتمركزين فى بعض المقاطعات الساحلية من عمان[١] .

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من المصادر التى تحدثت عن المقاومة التى قام بها عرب الخليج ضد البرتغاليين فى الفترة التى واكبت انهيــار نفوذهم فى النصف الأول من القرن السابع عشر إلا أن المقاومة التى وجهها عرب الخليج ضد البرتغاليين عند بداية تسلطهم على الخليج العربى فى أوائل القرن السادس عشر لم تظفر بما تستحقه من دراسة ولاتزال فى حاجة إلى تسليط مزيد من الأضواء عليها . ولعل بنو جبر كانوا هم القوة العربية التى تحدت السيطرة البرتغالية فى عنفوان قوتها ويؤكد ذلك أن كثيرا من المصادر البرتغالية قد اعترفت بقوة الجبور وتحديهم للنفوذ البرتغالى كما يتضح ذلك من تعليقات الفونسودى البوكيرك ومن كتابات المؤرخ والرحالة البرتغالى فاريا سوسا [٢] إذ يؤكد لنا البوكيرك أنه عندما حاصر ميناء صحار وصلت

---

(١) على عبد الله أبا حسين : بحث سبق ذكره .

(٢) — John Steven's Translation of Manuel de Faria e Sousa, The Portuguese Asia Vol. I Part II P. 126 FF

إلى الميناء نجدات عربية كانت تتألف من عشرة آلاف مقاتل بزعامة شيخ من شيوخ بنى جبر وحينما حاصر البرتغاليون مسقط فى عام ١٥٠٧ سارع أحد زعماء بنى جبر إلى نجدة المدينة وأكدت كثير من التقارير البرتغالية أن مقاطعات بنى جبر كانت تمتد امتدادا كبيرا على طول سواحل الخليج وأن أبناء السلطان أجود الذى حكم خلال الفترة من ١٤٧١ إلى ١٤٩٦م أى قبل وصول البرتغاليين إلى منطقة الخليج بعدة سنوات كانوا يتقاسمون السلطة السياسية فيما بينهم وكان أكبرهم يقيم فى عمان ويدين له أخواه الآخران بالولاء وقد اشتهر من بينهما محمد بن أجود الذى كان يحكم البحرين والاحساء والقطيف والأمر الذى لاشك فيه أن هيمنة البرتغاليين على هرمز منذ عام ١٥١٥ سوف تؤدى إلى مواجهتهم لبنى جبر وذلك بسبب الصراعات التى كانت قائمة بين ملوك هرمز وشيوخ الجبور وكان من الطبيعى أن يعمد البرتغاليون إلى مساندة ملوك هرمز للتخلص من نفوذ الجبور الذى وصل إلى درجة كبيرة من القوة والاتساع .

العمليات العسكرية البرتغالية فى الخليج العربى :

منذ أن عهد إلى الفونسودى البوكيرك قيادة الأسطول البرتغالى فى بحار الهند كان يهدف فى الدرجة الأولى إلى السيطرة على هرمز باعتبارها مفتاحا للخليج العربى يستطيع بها أن يسيطر على مياهه . ومما يذكر أن البوكيرك وقد اشتهر بعنفه وصلابته قد عمد وهو فى طريقه إلى هرمز إلى احراق وتدمير كل السفن الوطنية التى التقى بها معلنا بذلك الحرب على كل من يعارض سلطة البرتغاليين فى البحر كما عمد أيضا إلى اشعال النيران فى الموانى العربية التى مر بها كقريات ومسقط وخورفكان وهكذا كان خليج عمان أول منطقة تشهد فظاعة الغزو البرتغالى وقسوته .

= London 1695 see also Commentaries of the Great Alfonso Dalboquerque translated from the Portuguese edition 1774, notes and introduction by Walter de Gray Brich vol. I P. 75 Haklyut Society 1885.

وكان الغزو البرتغالى لمنطقة الخليج العربى سببا فى التدهور الاقتصادى الذى ألم بها وعانت الموانى العمانية من آثار ذلك التدهور حيث كانت أول الموانى فى الخليج تعرضا لذلك الغزو بعد ماكان لها من أهمية بالغة فى تجارة المحيط الهندى وكان بحارتها على درجة عالية من الكفاءة ومما يذكر أن البوكيرك قد اعتمد كما اعتمد فاسكودى جاما من قبله على المرشدين العمانيين من سكان المدن الساحلية العمانية التى كانت على درجة كبيرة من الازدهار وأكد أنه يدين بفتوحاته والأحرى بتساطه على السواحل العربيـــة للبحر الأحمر والخليج العربى إلى خارطة بحرية متقنة من صنع أحد الربابنة العرب وذكر فى تعليقاته بصدد ذلك أن ملاحاً عربيا يدعى عمر وقع فى أسر البرتغاليين عند جزيرة سقطره وكان ربانا عظيما ذا معرفة جيدة بالسواحل العربية وقد صحبه البوكيرك معه واستحوذ منه على مرشد للطرق البحرية مبين عليه جميع موانى مملكة هرمز وكان ذلك المرشد الملاحى من صنع ذلك الملاح العربى [١] ولم تخل العمليات البرتغالية العسكرية الأولى رغم ضراوتها من مقاومة عربية تصدت لها فبعد أن استولى البوكيرك على قريات توجه إلى مسقط فوجدها معززة بالرجال الذين لجأوا إليها من جميع الجهات بعد سماعهم بالتدمير الذى حل بقريات [٢] وكانت مسقط من أقوى المعاقل العمانية وكانت مزودة بوسائل دفاع قوية وبقوة من الجنود الذى جاءوا إليها من داخل البلاد [٣] . وعندما وصل الاسطول إلى ميناء مسقط حضر عرب مسقط على رأس وفد كبير من قبل شيخ بنى جبر وناشدوا البوكيرك عدم تعريض المدينة لأى تدمير وأبدوا رغبتهم فى التبعية للبرتغاليين ودفع ما يقرره القائد البرتغالى من ضريبة كالتى كانوا يدفعونها لملك هرمز

---

(١) أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ص ٥٧ العدد ٦٣ من سلسلة أعلام العرب القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) Commentaries of the Great Alfonso Dalbouquerque vol. I P. 75—77.

(٣) ويلسن : تاريخ الخليج (مترجم) ص ٦٧ وزارة التراث القومى والثقافة — سلطنة عمان ١٩٨١ .

وفيما يبدو أن هذه المفاوضات لم تكن إلا مراوغة من شيوخ بنى جبر ولذلك بادر البوكيرك ، حين أحس بأن عرب مسقط قد أخذوا يستعدون فى الخفاء لتنظيم صفوفهم للمقاومة والدفاع عن بلدهم بقصف المدينة ، وحين ناشده السكان بألا يدمر المدينة أو يحرقها وافقهم على ذلك بشرط أن يدفعوا ١٠٫٠٠٠ زرافين[١] ، على أن يصل إليه المبلغ فى اليوم التالى وعندما لم يصله المبلغ أصدر أوامره باشعال النار فى البلدة بما فى ذلك مساجدها والسفن الراسية فى مينائها ولم يطلق سراح سوى بعض الشيوخ والنساء بعد أن أمر بجدع أنوفهم وآذانهم [٢] . ولم يلبث بعد ذلك أن أوقف عملياته العسكرية فى مسقط متوجها إلى حصار هرمز .

وقبل أن نعرض للعمليات العسكرية فى هرمز قد يكون من المفيد الإشارة هنا إلى أن البوكيرك رغم ما عرف عنه من تسلط وقسوة إلا أنه كان يبدى إعجابه بالازدهار الاقتصادى الذى كانت عليه المدن العمانية وفيما يبدو أن الزراعة تركت انطباعا قويا لدى البوكيرك فكتب عن قلهات ، وهى أول ميناء تصل إليه سفنه فى الخليج ، أن كل مؤن سكانها من القمح والشعير والذرة والتمور تأتى إليها من الداخل الذى يفيض بهذه المحاصيل ، كما ذكر عن قلهات بأنها ميناء عظيم للشحن البحرى إذ كانت تأتى إليها الكثير من السفن لنقل التمور والخيول إلى الهند . أما عن مسقط فقد ذكر عنها أنها مدينة كبيرة كثيفة السكان محاطة من الداخل بسلسلة من الجبال الشاهقة وأما على الجانب الساحلى فهى تطل على البحر ومیناؤها صغير محمى من جميع الجهات من العواصف ، وهى المنطقة الحرة الرئيسية لمملكة هرمز ولابد أن تمر فيها جميع السفن التى تزاول الملاحة فى هذه المناطق وذلك للاحتماء من الساحل المواجه الذى تكثر فيه المياه الضحلة . وذكر البوكيرك أن مسقط

---

(١) يعادل الزرافين ما يقرب من ثلاثمائة ريال .

(٢) ويلسون ، أرنولد : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٨ .

تعد جزءا من مملكة هرمز وإن كانت مقاطعاتها الداخلية تخضع لحكام الجبور التى تمتد سلطتهم جنوبا إلى عدن وشمالا إلى سواحل الخليج ومنها إلى نجد والحجاز[١]. كما وجد البوكيرك فى صحار مدينة جميلة ذات منازل أنيقة ولاحظ أن الأراضى الواسعة الممتدة وراءها مزروعة بالقمح والذرة والشعير كما أن تربية الماشية والخيول تكثر بتلك المزارع لوجود المراعى والأشجار بها[٢] ، ومن صحار اتجه الأسطول البرتغالى إلى خورفكان وبما أن سكانها هبوا لمقاومة البرتغاليين فقد قام البوكيرك بتدميرها ونهبها وقطع آذان وأنوف الأسرى[٣]، ومن خورفكان اتجه الأسطول البرتغالى إلى رأس مسندم ومنها إلى هرمز .

وفى هرمز تصدى لأسطول البوكيرك أكثر من أربعمائة سفينة منها ستون سفينة كبيرة الحجم كان قد خصصها ملك هرمز لحراسة الجزيرة والدفاع عنها ولم يكن البوكيرك يمتلك أكثر من سبع سفن حربية كبيرة لم يتجاوز عدد بحارتها أكثر من أربعمائة وستون شخصاً غـــير أن البوكيرك القائد المحنك لم يجد فى قلة عدد السفن والجنود ما يمنعه من نيل مأربه فى الاستيلاء على الجزيرة[٤]. وقد أبدى البرتغاليون استماتة فى القتال حين بدءوا الهجوم وخاصة حينما أكد البوكيرك لجنوده أنه لا خيار لهم بين أمرين إما الانتصار أو يقطع المسلمون رؤوسهم وأعناقهم ويحملونها ضمن غنائمهم! ولدينا الكثير من التفصيلات عن معركة هرمز التى تعد أقوى المعارك البحرية التى خاضها البرتغاليون فى بلاد الخليج العربى ، حيث ذكر فاريا سوسا أنه عند وصول البوكيرك إلى هرمز كان يحكمها سيف الدين وهو فتى صغير وكان يرأس مجلس البلاد ويدير أمور الدولة خوجه عطاء وكان رجلا حاذقا

---

(١) Commentaries of Alfonso dalboquerque P. 78 FF.

(٢) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٢٩ .

(٣) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٦٩ .

(٤) Steven, John, Manuel de Faria e Sousa, the Portuguese Asia vol. II pp. 250 FF.

شجاعا بدأ استعداده للقتال عندما سمع بما فعله البوكيرك فى البلدان التى مر بها والتى كانت تعد تابعة لهرمز ولذلك بادر بالاستيلاء على جميع السفن الموجودة فى الميناء واستأجر بعض الجنود من الأقاليم المجاورة وخاصة من الفرس والبلوش، وهكذا عندما وصل البوكيرك إلى هرمز كان قد احتشد فى الميناء ما لا يقل عن ثلاثين ألف جندى كما كان فى الميناء ما يقرب من أربعمائة سفينة مسلحة بالمدافع إلى جانب عدد لا يحصى من زوارق الشاطىء يستقلها مقاتلون خبراء فى رمى الرماح والسهام[١]. وبالاضافة إلى ذلك عمل خوجه عطاء على استنفار ملوك المسلمين لنصرة هرمز ولجأ إلى الشاه إسماعيل الصفوى يلتمس منه العون والمساعدة ولكن الشاه لم يكن فى وضع يسمح له بمساعدة هرمز إذ كان قد بدأ صراعه ضد السلطان سليم الأول سلطان الدولة العثمانية وكانت استعدادته العسكرية ضد العثمانيين فى الشمال الغربى من بلاده تحول دون إرسال جزء من قواته إلى هرمز[٢] . ومن ناحية أخرى فيبدو أن الشاه اسماعيل الصفوى لم يعر حملة البوكيرك اهتماما كبيراً إذ كان يعتقد أنها نوع من المناوشات التى تتلاشى بالسرعة التى بدأت بها ولذلك لم يفعل أكثر من تهدئة رسول سيف الدين ملك هرمز مؤكدا له شدة اهتمامه بشئون امبراطوريته وعدم سماحه لأى مغير بأن يعبث بوحدة الأراضى الفارسية !

بدأت معركة هرمز بقصف البرتغاليين لجموع المقاتلين الذين احتشدوا على شواطىء الجزيرة وأحدث قصف المدفعية البرتغالية خسائر مروعة نظرا لتكدس المقاتلين ووقوفهم فى مواجهة البرتغاليين فى منطقة لا يزيد طولها عن ثلاثة أميال ، وقد شعر المسلمون من أول وهلة أنه لا طاقة لهم بمنازلة البرتغاليين فى الوقت الذى حاول فيه البوكيرك أن يثنى ملك هرمز عن مواصلة القتال ويدخل فى طاعة ملك البرتغال ولكن الشيخ عطاء رفض أى نوع من

---

(١) المصدر السابق وكذلك ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٦٩ — ٧٠ .

(٢) Kelly, J., op. cit. P. 6.

الاستسلام وكان من رأيه مراوغة البرتغاليين وتفويت الفرصة عليهم أملا فى أن تصل نجدات من المسلمين وشيوخ الخليج ، ولما تكشفت لالبوكيرك مراوغة الشيخ عطاء أصدر أوامره باقتحام الميناء وتدمير واحراق جميع السفن التى أبيدت عن آخرها[1]. وأجريت المفاوضات المسلحة بين الطرفين حين كانت مدافع الاسطول البرتغالى موجهة إلى الميناء حيث أعلن ملك هرمز ولاءه للبرتغاليين وتضمنت نصوص المعاهدة على أن يدفع ملك هرمز للبرتغاليين جزية سنوية قدرت بخمسة عشر ألف زرافين وعمد البرتغاليون إلى تأكيد سيادتهم على هرمز بطريقة تعسفية حيث أصدروا أوامرهم بمنع أية سفينة من ممارسة الملاحة فى الخليج قبل حصولها على تصريح من السلطات البرتغالية وبذلك كتب البرتغاليون السطر الأول فى سيادتهم البحرية والتجارية على الخليج العربى . وعلى أثر استيلاء البوكيرك على قلعة المدينة بدأ يستعد فى بنـــاء حصن كبير عرف فيما بعد بحصن النصر Visa Senhora Da Victoria وكان ذلك الحصن هو الأول فى سلسلة كبيرة من القلاع والحصون العسكرية الشهيرة التى شيدها البرتغاليون على سواحل البلدان المطلة على الخليج العربى والمحيط الهندى[2]، ومن ذلك الحصن سوف ترتكز سيطرة البرتغاليين على الخليج العربى طيلة فترة استعمارهم التى استمرت ما يقرب من قرنين من الزمان وأصدر البوكيرك أوامره المشددة بأن يتم بيع السلع البرتغالية بأسعار رخيصة بهدف كسب الأسواق التجارية لصالح البرتغال . والجدير بالذكر أن قبول ملك هرمز دفع الجزية إلى البرتغاليين قد أحدث أزمة سياسية بين فارس والبرتغال فعلى أثر مطالبة الشاه اسماعيل الصفوى لملك هرمز بدفع الجزية المفروضة عليه فى كل عام طلب الأخير من البوكيرك بأن يوضح له ما يجب أن يفعله إزاء هذا الطلب وكان رد البوكيرك هو أن مملكة هرمز قد أصبحت تابعة لملك البرتغال وأنه حصل عليها عن طريق

---

(١) ويلسن ، أرنولد : مرجع سبق ذكره ص ٧٠ — ٧١ .

(٢) هولى (دونالد) : مرجع سبق ذكره ص ٢٩ انظر أيضا صادق نشأت تاريخ الخليج السياسى ص ٦١ — ٦٢ .

الحرب وبالتالى فإن على ملك هرمز أن يعلم بأنه فى حالة دفع جزية لأى ملك آخر غير ملك البرتغال فإنه سوف يخلع من منصبه وتقلد السلطة لشخص آخر لا يخاف الشاه ! وأرسل البوكيرك إلى مبعوث الشاه اسماعيل الصفوى إلى هرمز كمية من الذخائر والأسلحة باعتبارها هى الجزية التى يمكن لمملكة هرمز أن تدفعها إلى فارس . كما هدد البوكيرك مبعوث الشاه بأنه سوف يضع جميع المناطق الساحلية التابعة لفارس تحت سلطة البرتغاليين [١] .

على أنه مما تجدر الاشارة إليه أن البرتغاليين رغم انتصارهم فى هرمز إلا أنهم لم يلبثوا أن أوقفوا عملياتهم العسكرية فى الخليج العربى وفى تقديرنا أن ذلك يرجع إلى أسباب كثيرة يبرز من بينها اتجاههم إلى مواجهة قوة المماليك التى كانت فى طريقها إلى المحيط الهندى هذا بالاضافة إلى أن البوكيرك بدأ يواجه حركات عصيان من بحارته[٢] . وهذه الحركات كانت تعد ظاهرة تميزت بها البحرية البرتغالية ويرجع سببها إلى أن كثيرا من البحارة البرتغاليين ومعظمهم من المغامرين كانوا قد قطعوا المسافات الطويلة لكى يحصلوا على الثروة من استغلال بلاد الهند الغنية ولذلك ساءهم أن يزج بهم فى مغامرات عسكرية على طول سواحل بلاد العرب المجدبة ومع نجاح البوكيرك فى قمع حركات التمرد التى واجهها إلا أنه واصل سياسة الانسحاب من هرمز وكان ذلك بناء على تعليمات وصلت إليه من فرانسيسكو دى الميدا D'Almeida أول نائب للملك البرتغال فى الهند وكان يأمره فى تلك التعليمات بفك الحصار على الفور . ومما تجدر الإشارة اليه بصدد ذلك أن دالميدا كان يختلف فى الرأى مع البوكيرك ولا يشاركه فى نزعاته المتشددة إذ كان يعتقد أنه ليس للبرتغال امكانات بشرية لإقامة مستعمرات بعيدة عن الهند ولذلك يجب الاقتصار على إنشاء وكالات لمزاولة الأعمال التجارية والاعتماد على

---

(١) ويلسن ، أرنولد : مرجع سبق ذكره ص ٧١ .

(٢) Faria e Sousa, The Portuguese Asia Vol. II pp. 256—258.

السيطرة البحرية وهذه السيطرة كفيلة بالقضاء على التجارة الاسلامية وفى تلك الحالة ستختنق هرمز من تلقاء نفسها دون حاجة إلى احتلال عسكرى فعلى . ولكن عام ١٥٠٩ لم يلبث أن شهد حدثين هامين كان لهما أثر كبير فى تاريخ الخليج العربى ؛ ويرتبط الحدث الأول بهزيمة الأسطول المملوكى فى ديو وما ترتب على تلك الهزيمة البحرية من احكام القبضة البرتغالية على بحار الشرق(١). أما الحدث الثانى فقد ارتبط بعزل فرانسيسكو دى الميدا وتولية البوكيرك فى منصب نائب الملك فى الهند خلفا له . وعلى الرغم من أن دالميدا قد حقق انتصاراً بحريا كبيراً على القوى الاسلامية بزعامة المماليك فى ديو إلا أن قرار الملك البرتغالى فيكتور عما نويل كان صريحا فى عزله من منصبه ولعل ذلك يرجع إلى مخاوف ملك البرتغال من أن انتصار ديو قد يؤدى إلى تثبيته فى مركزه وخاصة أن دالميدا كان قد قضى ما يقرب من أربع سنوات فى ذلك المنصب ١٥٠٥-١٥٠٩ ، ومثل هذه الفترة كانت تعد فترة طويلة بالقياس إلى الأنظمة البرتغالية التى وضعوها لحكم امبراطوريتهم وكانت تقضى بألا يبقى نائب الملك فى الهند أو الموظفين العظام فى مراكزهم أكثر من ثلاث سنوات ؛ حتى لايغريهم بعـــد المسافة بتحقيق مكاسب شخصية والاستفادة من صعوبة مراقبة حكومة لشبونه لهم .

وكان من أول أعمال البوكيرك حين وصل إلى الهند أن نقل مقر منصبه من كوشين إلى جوا الواقعة على ساحل ملبار والمطلة على بحر العرب ودل هذا الاجراء على اعتزام البوكيرك توجيه عملياته العسكرية نحو البحر الأحمر والخليج العربى كما أصبحت جوا منذ عام ١٥١٠ المركز الرئيسى للممتلكات البرتغالية فى آسيا .

وليس من شك فى أن طموحات البوكيرك هى التى مهدت الطريق لإنشاء امبراطورية برتغالية فى الشرق وكانت اهتماماته تتجه إلى إقامة التحصينات

---

(١) Dodwell, H.H. and others, The Cambridge Shorter History of India pp. 385—389--Delhi.

والقلاع العسكرية فى كل مكان يوجد للبرتغاليين فيه مركز تجارى ولم يكن ذلك لغرض حماية التجارة البرتغالية فحسب وإنما كان الهدف هو أن يتمكن البرتغاليون من تدعيم نفوذهم فى تلك المناطق واخضاع حكامها وشعوبها لسيطرتهم[١]. ولما كانت هرمز هى السوق الرئيسية لمنطقة الخليج فقد صمم البوكيرك على إعادة السيطرة عليها واعتقد أنه لو نجح فى احتلالها فإن ذلك سيخوله سلطة مطلقة على تجارة الخليج العربى[٢]. ولذلك بادر فى عام ١٥١٣ بارسال حملة بقيادة القائد البرتغالى بيرو الذى شدد حصاره على الجزيرة[٣]، ولم يتردد أثناء عمليات الحصار وخلال المفاوضات فى طعن الشيخ عطاء مستشار أمير هرمز ولم يجد الأمير سيف الدين مفرا من الاستسلام حيث فرض عليه البرتغاليون شروطا قاسية كان من بينها قبول حماية البرتغاليين فى مقابل الابقاء على الحكم الوطنى فى الجزيرة بالاضافة إلى دفع غرامة عسكرية وجزية سنوية كبيرة لحكومة البرتغال إلى جانب منح البرتغاليين مزايا فى المعاملات التجارية كان من أهمها إعفاء البضائع البرتغالية من الضرائب، كماتعهد الأمير سيف الدين بتقديم الخامات والعمال اللازمين لاستكمال بناء القلعة العسكرية التى وضع البوكيرك أساسها خلال حصاره لهرمز قبل ذلك بعدة سنوات[٤]. وفى هرمز استهدف البرتغاليون القضاء على التجار الوطنيين من عرب وفرس وغيرهم حيث كانوا يعتقلون البعض منهم بحجة خطرهم ومعاداتهم للنظام البرتغالى ويفتشون متاجر البعض الآخر وينهبونها ويستولون على مافيها من ذهب ومجوهرات وبضائع متذرعين فى ذلك بأوهى الأسباب كما منع البرتغاليون الصلاة فى المسجد الجامع فى هرمز واعتبروا عدم التعاون مع البرتغاليين جرما يعاقب مرتكبه بالموت[٥]. وعلى

---

(١) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٦٤—٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٦ .

(٣) محمد بن عبد الله السالمى وناجى عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ص ١٧٩ — ١٨١ دمشق ١٩٦٣ .

(٤) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ١ ص ٧ .

(٥) Travels of Teixeira pp. 265—266 London 1902.

الرغم من أن الشاه اسماعيل الصفوى احتج على الاعتداء البرتغالى على هرمز إلا أنه لم يقم بدور إيجابى ضد البرتغاليين إذ كان منشغلا بصراعه ضد العثمانيين وكانت هزيمته فى جالديران ١٥١٤ سببا فى مهادنته للبرتغاليين خاصة بعد التفوق الذى أحرزوه فى هرمز على أمل الاستعانة بهم ضد العثمانيين ، واستغل البرتغاليون من ناحيتهم الصراع الصفوى العثمانى لكى ينفذوا إلى صداقة الصفويين وبصدد ذلك أرسل البوكيرك مبعوثا من قبله يدعى روى جويز إلى الشاه اسماعيل ومعه رسالة من البوكيرك يبدى فيها تقديره للشاه بسبب احترامه للمسيحيين فى بلاده ويعرض عليه الأسطول والأسلحة والجنـــد لاستخدامها ضد قلاع الترك فى الهند ، وأنه إذا أراد الانقضاض على بلاد العرب أو مهاجمة مكة فسيجده بجانبه أمام جدة أو فى عدن أو البحرين أو القطيف أو البصرة أو على امتداد الساحل الفارسى وسينفذ له كل مايريد كما أوصى البوكيرك مبعوثه بابراز عظمة البرتغال وما حققته من انتصارات فى إفريقيا والهند وأمره بالتعرف على أوضاع المسيحيين فى فارس وأن يعرض على الشاه مشروعا للتحالف العسكرى بينه وبين البرتغاليين تكون من ثمرته أن تأخذ فارس مصر وتأخذ البرتغال فلسطين . ولم يكن لذلك المشروع الخيالى أى أثر ايجابى بطبيعة الحال غير أنه لما كان أهالى هرمز يتوقعون أن يضحى ببلادهم فى حالة نجاح مهمة المبعوث البرتغالى فقد دبروا حيلة لسمه والتخلص منه وانقطعت أخبار جويز منذ ذلك الوقت[1] . وفى عام ١٥١٤ لاحظ البوكيرك أن ملك هرمز أصبح صنيعة فى يد الشاه وانه من المحتمل أن يطرد البرتغاليين من هرمز ولذلك قام البوكيرك بزيارة عسكرية إلى هرمز وفى خلالها تم التوصل إلى اتفاق بين الفرس والبرتغاليين سمح بموجبه لملك هرمز بالاستمرار فى ممارسة سلطاته باسم ملك البرتغال وعين ابن أخيه بيرو قائداً على قلعة هرمز ورحل البوكيرك إلى الهند على ظهر السفينة فلورا دى روزا وكانت حالته الصحية متدهورة حتى أنه مات فى جوا فى فبراير ١٥١٥ [2] ، عقب وصوله اليها مباشرة . ومـمـا تجدر

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٧ .

(٢) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٧٥ وكذلك ج . ج لوريمر دليل الخليج جـ ١ ص ٨

الاشارة اليه أن نجاح البرتغاليين فى تثبيت نفوذهم فى هرمز أكد للصفويين أن البرتغاليين قد أصبحوا يشكلون قوة بحرية لاقبل لهم للتصدى لها وبدأوا يعملون منذ ذلك الوقت على كسب صداقتهم للانتقام من العثمانيين ففى عام ١٥١٥ وصل مبعوث من الشاه إسماعيل الصفوى إلى قاعدة البرتغاليين فى هرمز وكان يحمل عدة مطالب من بينها أن تقدم البرتغال سفنها لفارس كى تمكنها من احتلال القطيف والبحرين وأن يساعد البرتغاليون الشاه فى قمع ثورة قامت ضده فى مكران وأن تكون جوا — مركز البرتغاليين فى الهند — مفتوحة للتجارة الفارسية[1]، ورحب البرتغاليون بطبيعة الحال بتلك الإتفاقية التى ضمنوا بها تقاعس فارس عن نشاطها العسكرى فى الخليج العربى .

وعلى أثر وفاة البوكيرك تم تعيين سواريز Soarez خلفاً له فى منصب نائب الملك فى الهند واتبع الحاكم الجديد سياسة كانت تختلف تماما عن سياسة سلفه وكان لتلك السياسة أثر كبير فى تطور الأحداث السياسية والاقتصادية فى منطقة الخليج ذلك أن سواريز كان يهدف إلى انعاش التجارة البرتغالية سلميا دون اللجوء إلى التنكيل أو البطش ومن ثم بادر إلى تعيين ضباط برتغاليين لتحصيل الضرائب من المراكز التى أقامها البرتغاليون فى هرمز وغيرها ، وفى عهد سواريز تغيرت معالم السياسة البرتغالية فى الشرق إذ كان البرتغاليون قبل ذلك الوقت يعتمدون على قوتهم العسكرية وليس على ثروتهم أما بعد ذلك فقد انغمسوا فى التجارة بل وتحول القادة العسكريون إلى تجار[2] ، إذ هدفت السياسة البرتغالية الجديدة إلى اطلاق المجال للنشاطات التجارية التقليدية فى الخليج ولكن بشرط أن يتم ذلك تحت اشراف البرتغاليين وفائدتهم وتمكن البرتغاليون بفضل ذلك التحول من تحقيق العديد من المكاسب والاستفادة من الأنماط التجارية التقليدية وقد بدأت بالفعل كميات كبيرة من البضائع تتدفق إلى الخليج العربى والبحر الأحمر ولعل ذلك ينفى

---

(١) صالح أوزبران : البرتغاليون والأتراك العثمانيون فى الخليج العربى ص ١٩ — ٢٠ البصرة ١٩٧٩ .

(٢) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٧٨ .

ما تردد ذكره بين كثير من الباحثين من أن وصول البرتغاليين إلى الهند بعد اكتشافهم اطريق رأس الرجاء الصالح قد قضى تماما على الطرق البحرية التقليـــدية التي كانت تمر بها تجارة الشرق في طريقها إلى أوربا . ومع ذلك فإن تلك السياسة المرنة التي اتبعها لوبو سواريز وأعاد بها النشاط التجاري إلى حد كبير لموانى الخليج لم تخفف الأضرار التي كان يعانى منها التجار العرب والمســلمين . وكانت هذه الأضرار تتمثل في عبء الضرائب التي كانت تفرض عليهم وبذلك لم ينظر عرب الخليج إلى السياسة الجديدة على أنها كانت تستهدف تخفيف السيطرة الاحتكارية وإنما نظروا إليها باعتبارها زيادة في التحكم والسيطرة البرتغالية .ولم تلبث أن استعرت الكراهية في نفوس عرب الخليج بسبب التعسف في فرض الضرائب بالإضافة إلى التسلط العسكرى البرتغالى الذى لم يقتصر على هرمز وإنما امتد إلى غيرها من موانى الخليج وخاصة حينما اتجه البرتغاليون بحكم حمايتهم لهرمز وتصرفهم في شئونها إلى السيطرة من خلالها على البحرين والاحســاء والقطيف وغيرها من المناطق التي كانت تابعة لمملكة هرمز فباسم ملك هرمز خاض البرتغاليون صراعا ضد بني جبر في البحرين والاحساء والقطيف وفيما يرجح أن ملوك هرمز اضطروا إلى هذا الصراع بعد أن الزمهم البرتغاليون بدفع جزية سنوية كبيرة لم يكن في طاقتهم دفعها إلا بالسيطرة على البحرين والمناطق الأخرى التي كانت تابعة لهم واستقل بها بنو جبر وتشير المصادر البرتغالية[2] لتلك الفترة التي نتحدث عنها إلى أن ملك هرمز طورانشاه الذى خلف سيف الدين أظهر للبرتغاليين عجزه الكامل عن دفع المبالغ التي الزموه بها وعلل ذلك بأن حاكم البحرين مقرن بن زامل من بنى جبر لم يكن يدفع له بانتظام المبالغ المالية التي كانت مقررة عليه سنويا من موارد البحرين واكثر من ذلك أنه بدأ ينتهج سياسة هدف بها إلى الانفصال عن مملكة هرمز منتهزا فرصة خضوعها للسيطرة البرتغالية .

---

(١) Steven (John), cf, Manuel de Feria e Sousa, The Portuguese Asia vol. II pp. 256—258.

(٢) على عبد الرحمن أبا حسين : بحث سبق ذكره .

ومن ثم توحدت مصالح البرتغاليين مع مصلحة طورانشاه في قيام تحالف بينهما ، وكان ذلك التحالف يستهدف استعادة ممتلكات هرمز . وتعرضت البحرين بالفعل لهجوم برتغالي — هرمزى مشترك في عام ١٥٢٠ أثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل حيث كان قد سافر في ذلك العام إلى مكة لتأدية فريضة الحج وتولى المقاومة الشيخ حميد وهو قريب له كان قد أنابه عنه في الحكم قبل سفره . وعندما عاد السلطان مقرن قام بتجميع قواته وتعزيز استحكاماته في البحرين والقطيف في الوقت الذى عاود فيه البرتغاليون والهرمزيون هجومهم في يوليه ١٥٢١ وكانت القوات التى أعدها ملك هرمز تتكون من ثلاثة آلاف مقاتل من المرتزقة العرب والفرس تحملهم مائتى سفينة ويقودهم وزير ملك هرمز الرئيس شرف الدين أما القوة البرتغالية فكانت تتكون من أربعمائة مقاتل تحملهم بضع سفن كبيرة الحجم مزودة بالمدافع الكبيرة بقيادة أنطونيو دى كوريا الذى يعرف في المصادر البرتغالية ببطل البحرين . واستطاعت القوات الهرمزية والبرتغالية المشتركة دخول البحرين حيث نزلوا على مقربة من المنامة في الجزيرة الرئيسية ورغم البسالة التى قام بها السلطان مقرن في محاولته رد ذلك الهجوم الكاسح إلا أنه لم يلبث أن وقع أسيرا في أيدى البرتغاليين الذين بادروا باعدامه ولاشك أن ذلك أدى إلى انهيار معنويات قواته التى انسحبت إلى القطيف وكان مقرن بن زامل أول حاكم في شرق العالم الاسلامى يلقى حتفه في معركة ضد المستعمرين البرتغاليين . ومما تجدر الاشارة اليه أننا نجد اشارات إلى تلك الأحداث رواها المؤرخ المصرى ابن إياس ولكن مما يسترعى الانتباه أنه وصف السلطان مقرن بالتخاذل وأنه بعد وقوعه في أسر البرتغاليين أخذ يتوسل اليهم بالمال للابقاء على حياته[1]. وعلى العكس من ذلك نجد المصادر البرتغالية تصف السلطان مقرن بالشجاعة والصمود بل أننا نجد في تلك المصادر ما يناقض رواية ابن إياس حول مصير ذلك السلطان فبينما يفهم من رواية ابن إياس أن السلطان مقرن قد وقع حيا في أيدى البرتغاليين أثناء حروبه معهم ، وأنه عرض عليهم أموالا كثيرة ليطلقوا

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٥ ص ٤٣١ .

سراحه إلا أنهم رفضوا ذلك وقتلوه ، نجد المصادر البرتغالية وكتابها كانوا قريبين من أرض المعركة يؤكدون أن السلطان مقرن مات متأثرا بجراحه وأن قائد قوات هرمز هو الذى أمر بعض ضباطه بانتزاع جثته حيث قاموا بقطع رأسه وحملوها إلى هرمز[١] . ومع ذلك فإذا صحت رواية ابن إياس فمن المحتمل أن تكون قد دارت مفاوضات بين السلطان مقرن والبرتغاليين قبل الهجوم أو فى خلاله أبدى فيها استعداده بأن يدفع لملك هرمز ما فى ذمته من ديون إلا أن اشتداد المعارك التى راح ضحيتها كانت تؤكد أن هذا العرض كان مصيره الفشل . وهكذا انتهى الأمر بنجاح البرتغاليين وملك هرمز فى انتزاع البحرين ، وتم تعيين حاكم من هرمز على البحرين يستند على حامية برتغالية وفضلا عن ذلك فقد بادر البرتغاليون ببناء قلعة ضخمة فى الجزيرة الكبرى لاتزال أطلالها قائمة حتى يومنا هذا[٢] . وعلى الرغم من النجاح الذى أحرزه البرتغاليون والهرمزيون فى السيطرة على البحرين إلا أنهم لم يمكنوا من التقدم إلى القطيف بسبب عنف المقاومة العربية وخوفا من أن يزج بهم عرب القطيف إلى داخل الجزيرة العربية .

ولم يكن مصرع السلطان مقرن وخضوع البحرين حدثا عابرا وانما أحدث صدى كبيراً ورنة حزن وأسى فى أنحاء الخليج العربى بل إن ابن إياس نفسه الذى اتهم السلطان مقرن بالتخاذل على نحو ما أشرنا إلى ذلك لم يتردد فى أن يعبر عن حزنه ويعلق على استشهاده بأنه كان من أشد الحوادث فى الإسلام وأعظمها . وقد يكون من المفيد بصدد ذلك أن ننقل جزءاً من النص الذى أورده ابن إياس فى حوادث عام ٩٢٨ هـ/١٥٢١م حيث جاء فيه « وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عرب بنى جبر متملك جزيرة البحرين إلى بلاد هرمز الأعلى وكان أميرا جليل القدر معظما مبجلا فى سعة من المال مالكى المذهب سيد عربان المشرق على الأطلاق وكان قد أتى إلى مكة وحج فى العام الماضى

---

(١) Commentaries, Op, cit. vol. IV pp. 165 ، 192—174.

(٢) لا تزال أطلال القلعة البرتغالية قائمة حتى اليوم على الساحل الشمالى للجزيرة الكبرى فى البحرين وتعرف حاليا باسم قلعة العجاج شاهدة على الاحتلال البرتغالى للبحرين . انظر ج ، ج لوريمر جـ ٣ ص ٢٦٧ .

وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة ، قيل إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار فلما حج ورجع إلى بلاده لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم بأن يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن عنه ماله شيئا وملكوا قلعتها التى هناك واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده وكان ذلك من أشد الحوادث فى الإسلام وأعظمها وقد تزايد شر الفرنج على شواطىء البحر الأحمر وسواحل المحيط الهندى والأمر لله تعالى »[1] .

ومما تجدر الاشارة إليه أنه على الرغم من التحالف الذى حدث بين البرتغاليين ومملكة هرمز إلا أنه لم ينقض وقت يذكر حتى تبين للملك طورانشاه سطوة البرتغاليين واستغلالهم لهرمز وأنهم لم يهدفوا من ذلك التحالف إلا التمهيد لسيطرتهم العسكرية والتجارية على المنطقة وتأكد له ذلك حينما بادر البرتغاليون بتعزيز استحكاماتهم العسكرية وطلبوا منه اطلاق يدهم فى التجارة والملاحة فى جميع المناطق الخاضعة لسيادته فى الخليج العربى ومن ثم أخذ طورانشاه يترقب فرصة تسنح له ولعماله سواء من كان منهم فى عمان أو البحرين أو غيرها من مقاطعات الخليج الأخرى بهدف التحرر من السيطرة البرتغالية وسرعان ما جاءته تلك الفرصة حين وصلته الأنباء بأن البرتغاليين يواجهون صعابا فى الهند وأصبحوا مضطرين إلى سحب جزء كبير من قواتهم فى الخليج لمواجهة مشاكلهم هناك ولذلك بادر طورانشاه باصدار أوامره السرية إلى كل الرؤساء التابعين له فى عمان والبحرين والقطيف لاعلان الثورة ضد البرتغاليين ، وتمكن عرب الخليج من أن يقضوا على عدد كبير من البحارة والجنود البرتغاليين وخاصة فى البحرين حيث انتقم سكانها شر انتقام من البرتغاليين لمقتل أميرهم مقرن .

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٥ ص ٤٣١ .

وقعت هذه الثورة فى ٣٠ نوفبر ١٥٢١ ويرجع أرنولد ويلسن سببها إلى تعيين بعض المسئولين البرتغاليين كمشرفين على الجمارك فى هرمز وأنهم بسبب معاملتهم الصلفة تسببوا فى قيام تلك الثورة حين أخذ سكان الخليج يضيقون بالحكم البرتغالى بما اتصف به من قسوة وتعسف فى جمع الأموال دون ضوابط[1]. هذا بالاضافة إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن ملوك هرمز لم يلبث أن تبينوا بأنفسهم مدى استبداد البرتغاليين وأن اتجاههم للتحالف معهم لم يكن إلا مجرد حجة تذرعوا بها لفرض سيطرتهم على شعوب الخليج باسمهم[2].

ومما تجدر الاشارة إليه أن كثيراً من المصادر الأجنبية قد تعرضت لتلك الثورة ولعل أبرز ما نعرفه عنها جاء فى دراسة ميلز Miles الذى ذكر أنه فى عام ١٥٢١ حدثت ثورة منظمة شملت الساحل العربى وجزيرة البحرين بسبب عدم رضاء ملك هرمز عن التدخل البرتغالى المباشر فى تنظيم دخل مملكته ونتيجة لتدخل البرتغاليين المستمر فى أعمال الجمارك، وذكر أن ملك هرمز ووزراءه هم الذين خططوا لتلك الثورة حيث أرسلوا الكتب إلى عمالهم التابعين لهم على الساحل العربى للخليج لأحداث الثورة فى جميع هذه الأماكن فى وقت واحد[3]، ولذلك فإن من الأمور التى تبعث على الاهتمام أكثر مما تثير الدهشة أن يتوصل عرب الخليج فى ذلك الوقت المبكر إلى خطة محكمة لتوقيت الثورة ومهاجمة الحصون البرتغالية دفعة واحدة وهو الأمر الذى أدى إلى إيقاع خسائر فادحة بالبرتغاليين بل كادت هذه الثورة تقضى على الوجود البرتغالى برمته خاصة حين ثار سكان البحرين وقتلوا قائد الحامية البرتغالية وعدداً كبيراً من جنودها. ومع ذلك فإنه على الرغم من التقدم السريع الذى أحرزه الثوار إلا أن هذه الثورة فشلت فى تحقيق هدفها

---

(١) ويلسن، أرنولد: مرجع سبق ذكره ص ٧٩—٨٠.

(٢) عباس إقبال: مطالعاتى درباب بحرين وسواحل وجزاير خليج فارس ص ٦٢ — ٦٥ القاهرة ١٩٥٦.

(٣) Miles (Samul), Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II P. 150 ff. London 1919.

وربما يعزى ذلك فى الدرجة الأولى إلى الخلافات التى كانت لاتزال قائمة بين شيوخ الجبور ومملكة هرمز ؛ ومن ثم وجد البرتغاليون فى تلك الخلافات فرصة سانحة لاستغلالها وخاصة حينما تعهد الشيخ حسين بن سعيد من شيوخ بنى جبر ، وكان يسيطر على معظم المناطق العمانية ، للقائد البرتغالى دون لوبز Lopes بمهاجمة صحار التى كانت خاضعة فى ذلك الوقت لمملكة هرمز من البر فى الوقت الذى يقوم فيه البرتغاليون بمهاجمتها من البحر ووعد البرتغاليون الشيخ حسين بأن يسندوا إليه الحكم فى صحار بشرط اعترافه بالسيادة البرتغالية ، ونتيجة للإمدادات التى وصلت للبرتغاليين من مسقط فقد طورانشاه الأمل فى نجاح الثورة وبالتالى بدأ يتخذ إجراءات انتقامية ضد البرتغاليين فى هرمز كما أشعل النيران فى المدينة حيث ظلت مشتعلة بها عدة أيام .

ومما يجدر الإشارة إليه بصدد ذلك أن كثيراً من الكتاب الإيرانيين يركزون على هذا الموقف المتخاذل الذى وقفه فرع الجبور فى عمان واعتبروه بمثابة خيانة قام بها العرب [1] وناقضوا أنفسهم فى تغاضيهم عن تحالف الشاه إسماعيل الصفوى مع البرتغاليين وفى موقف ملوك هرمز الذين أتاحوا الفرصة للبرتغاليين لتثبيت أقدامهم فى الخليج على نحو ماأشرنا إليه وفى اعتقادنا أن الأمر لم يكن خيانة قام بها بنو جبر فى عمان وهم الذين أبدوا صلابة وشجاعة منقطعة النظير فى مقاومتهم للبرتغاليين عند بدء تسلطهم على المنطقة وإنما كان سبب الموقف الذى اتخذه بنو جبر فى عمان يرجع أساساً إلى أن طبيعتهم البدوية طغت على نفوسهم واستبدت بهم الرغبة للانتقام من ملك هرمز الذى سبق له أن تعاون مع البرتغاليين مما كان سبباً فى قتل زعيمهم الكبير مقرن بن زامل ؛ ولعل مايؤكد ذلك تمكنهم من قتل الملك طورانشاه الذى كان قد التجأ إلى جزيرة قشم هربا من البرتغاليين بعد فشل ثورته حيث أرسل الشيخ حسين بن سعيد زعيم بنى جبر فى عمان بعض أتباعه ليثأروا منه وبذلك نجح بنو جبر وإن كان ذلك على حساب القضية العامة ، فى تصفية

---

(١) عباس إقبال — مرجع سبق ذكره ص ٦٣ — ٦٥ .

حسابهم مع عدوهم اللدود طورانشاه الذى حل محله فى مملكه هرمز الأمير محمد شاه ولم يكن قد تعدى الثالثة عشرة من عمره[1] .

انهيار الحكم الوطنى فى هرمز :

كان من الطبيعى أن يؤدى فشل ثورة هرمز إلى وضع نهاية للحكم الوطنى فى هرمز إذ أنه فى أعقاب فشل تلك الثورة أخذ البرتغاليون يحولون حمايتهم المقنعة إلى تسلط عسكرى سافر كما أخذوا يخضعون المملكة والمناطق التابعة لها إلى شتى أساليب الضغط والإرهاق حتى أن سكانها أخذوا يفرون بأنفسهم إلى جزر وموانى الخليج الأخرى . ومع ذلك فإن البرتغاليين لم يتمكنوا بأسلوبهم التعسفى أن يديروا الحركة التجارية فى الخليج ، وبدأ الركود الاقتصادى يتضح فى مملكة هرمز؛ وانتهت البقية الباقية من عمرانها الحضارى وازدهارها الذى عاشته من قبل ، واعتمد البرتغاليون فى سيطرتهم على هرمز التى استمرت حتى عام ١٦٢٢ على معاهدة ميناب ١٥٢٣ ، وهى المعاهدة التى عقدها دورات ميز Meize نائب الملك فى الهند مع أمير هرمز الجديد محمد شاه الذى خلف طورانشاه فى الحكم فى يولية ١٥٢٣ واستندت تلك المعاهدة على المعاهدة السابقة التى عقدها البوكيرك مع سيف الدين ؛ وبمقتضى معاهدة ميناب تعهد الأمير محمد شاه بتسليم هرمز للبرتغاليين متى طلب ذلك ملك البرتغال وشددت بنود المعاهدة من قبضة البرتغاليين على هرمز وإذا كان البرتغاليون قد اعترفوا لمحمد شاه بالحكم إلا أنه كان واضحا فقدانه لسلطاته تماما بخضوعه للادارة البرتغالية مما كان يعنى فى حقيقة الأمر سقوط الحكم الوطنى فى هرمز ، ويتضح لنا ذلك من شروط المعاهدة التى نصت على زيادة قيمة الجزية التى يدفعها ملوك هرمز سنويا إلى البرتغاليين حيث وصلت إلى ٦٠,٠٠٠ زيرافين ، كما أقرت معاهدة ميناب العديد من التنظيمات التى كان يهدف البرتغاليون من ورائها إلى تعزيز مكانتهم فى هرمز والسيطرة على الحركة التجارية فى الخليج وكان من أهمها تبعية تجار هرمز للادارة البرتغالية فى مقابل

---

(١) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ٧٩ — ٨٠ .

أن يضمن البرتغاليون لهم حرية الملاحة والتجارة فى المحيط الهندى باستثناء القيود التى كان يفرضها البرتغاليون على تجارة البحر الأحمر وسواحل شرق إفريقيا، كما تضمنت المعاهدة إلى جانب ذلك بعض القواعد المنظمة لتجارة الأسلحة . ونتيجة للاجراءات القهرية التى فرضها البرتغاليون فيما يتعلق بالإشراف على الحركة التجارية وتحصيل الرسوم الجمركية أصبح البرتغاليون هم الملاك الفعليون ولم يعد لحكام هرمز أى أثر فى توجيه الأمور .

استمرار حركات المقاومة ضد البرتغاليين فى مسقط والبحرين :

وعلى الرغم من التعاظم الذى وصلت إليه السيطرة البرتغالية فى أعقاب معاهدة ميناب ١٥٢٣ إلا أن عرب الخليج لم يستسلموا تماما للبرتغاليين إذ تمدنا المصادر بمعلومات كثيرة عن حركات المقاومة التى قامت ضد البرتغاليين فى كل من مسقط والبحرين ففى عام ١٥٢٦ أعلن سكان مسقط وقلهات عداءهم للبرتغاليين نتيجة كثرة عمليات الابتزاز فى تحصيل الضرائب التى كان يقوم بها قائد الحامية البرتغاليـــة فى مسقط ديوجودى ميلو [١] Diagode Mello وعلى أثر اتجاه البرتغاليين فى عام ١٥٢٩ إلى التخلص من الوزير شرف الدين الذى كان يسير أمور هرمز بأسلوب معاد للمصالح البرتغالية أعلن سكان البحرين احتجاجهم ضد البرتغاليين وامتنعوا عن دفع الجزية المقررة عليهم وفشل قائد الحامية البرتغالية فى البحرين فى قمع تلك الحركة نتيجة انتشار الأمراض ونقص البارود مما أجبر البرتغاليين على سرعة الانسحاب إلى قاعدتهم الرئيسية فى هرمز [٢]، ولـــكن لم يلبث أن عاود البرتغاليون فرض سيطرتهم على البحرين بفضل الامدادات التى جاءتهم من جوا وبادر البرتغاليون نتيجة لتلك الحركة التى قام بها سكان البحرين إلى

(١) Whiteway, The Rise of the Portuguese in Indian Ocean; pp. 222—223 London 1967.

(٢) أوزبران — مرجع سبق ذكره ص ٢٥/٢٧ .

خلع حاكمها من أسرة الجبور وولوا بدلا منه حاكما فارسيا سنيا ولعل البرتغاليين قد اختاروا حاكم البحرين على هذا النحو لأنهم كانوا يهدفون بذلك أن يختلف فى جنسه عن سكان البحرين ومعظمهم من العرب كما يختلف بحكم مذهبه مع عدد كبير من سكانها الشيعة وبذلك يضمن البرتغاليون عدم انضمام حاكم البحرين إلى أية حركة تقوم ضدهم فضلا عن ضمان عدم ولائه للأسرة الصفوية الحاكمة فى فارس بحكم كونها أسرة شيعية [1] ومع ذلك فما يستلفت النظر أنه على الرغم من أن السيطرة البرتغالية استمرت قائمة على البحرين خلال الفترة من ١٥٢٩ حتى عام ١٦٠٢ إلا أن الحكم البرتغالى لم يكن مستقرا حيث توالت حركات المقاومة التى قام بها سكان البحرين ضد الوجود البرتغالى وما اتسم به من تعسف فى فرض الضرائب حتى أن السنوات الفعلية التى مارس فيها البرتغاليون سيطرتهم على البحرين لم تتعد أكثر من أربعين عاما من تلك الفترة . وتذكر بعض المصادر أن السبب المباشر فى طرد البرتغاليين من البحرين فى عام ١٦٠٢ هو مسلك حاكمها المعين من قبل البرتغاليين الذى قام بقتل أحد تجار اللؤلؤ الأثرياء فى البحرين طمعا فى ثروته ولـكن تمكن شقيق القتيل من الانتقام لمقتل أخيه ونجح فى الاستيلاء على قلعة البحرين وأعلن نفسه حاكما على الجزيرة باسم الأمير ركن الدين مسعود ، ولما كان هذا التصرف قد أثار عليه حاكم هرمز الذى كان يطالب بالبحرين ويعتبرها تابعة له فقد طلب الأمير ركن الدين المساعدة من حاكم شيراز الذى سارع بارسال قوة عسكرية نجحت فى الاستيلاء على البحرين باسم الشاه عباس الكبير وفشل كل من حاكم هرمز والبرتغاليين فى استعادة البحرين فى الوقت الذى واصل فيه الشاه عباس مخططاته ضـد البرتغاليين فنجح فى السيطرة على بوشهر وأقدم على حصار القاعـدة البرتغالية فى هرمز بتعاونه مع الانجليز فى عام ١٦٢٢ وبدأت سلطة البرتغاليين تتداعى حتى وصـلت إلى الانهيار الفعلى خلال النصف الثانى من القرن

---

(١) أحمد محمود صبحى : البحرين ودعوى إيران ص ٦٦ — ٦٧ .

السابع عشر وعلى الرغم من أن الوجود البرتغالى ظل قائما حتى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر إلا أنه خلال تلك السنوات ظل البرتغاليون معزولين عن الأهالى ولم يكن أمامهم سوى الاعتصام فى قلاعهم وحصونهم الضخمة موصدين على أنفسهم أبوابها (١) .

نخلص من ذلك أنه على الرغم مما عرف عن البرتغاليين من تسلط عسكرى متفوق إلا أن ذلك لم يقف حائلا دون مواجهتهم بالكثير من حركات المقاومة التى تعرضوا لها من عرب الخليج وربما نجد تعليلا فى تعدد تلك الحركات فى الرغبة فى التخلص من نفوذهم وكسر احتكارهم التجارى تحقيقا للمصالح الاقتصادية للتجار العرب فى الخليج كما لا يمكننا فى نفس الوقت استبعاد الدافع الدينى الذى كان ظاهراً فى كثير من تلك الحركات وخاصة حينما بدأ الأتراك العثمانيون يظهرون فى مياه الخليج باعتبارهم ذوى زعامة دينية إسلامية . ورغم أن التقدم العثمانى جاء متأخرا بعض الشىء كما لم تكن لدى العثمانيين المقدرة البحرية للقضاء على البرتغاليين إلا أن أهمية التقدم العثمانى أنه أعطى لسكان الخليج دفعة قوية وحماساً دينياً للتحرر من السيطرة البرتغالية .

الصراع العثمانى البرتغالى :

كان متوقعاً عقب الفتح العثمانى لمصر فى ١٥١٧ ، أن يبدأ العثمانيون صراعهم ضد البرتغاليين فى البحر الأحمر والمحيط الهندى وخاصة بعد أن أمر السلطان سليم الأول أثناء وجوده بمصر ببناء ترسانة بحرية كبيرة فى ميناء السويس ولكن دلت الأحداث التى تعاقبت حتى وفاته فى عام ١٥٢٠ على أن هذا الصراع لم يدخل مرحلة التنفيذ الفورى إذ وجه السلطان سليم اهتمامه عقب عودته إلى الآستانة إلى تعزيز الأسطول العثمانى فى البحر الأبيض المتوسط وسار على منواله السلطان سليمان القانونى الذى جعل الأولوية فى

---

(١) هولى (دونالد) : عمان ونهضتها الحديثة ، مرجع سبق ذكر ص ٢١ .

برنامجه العسكرى للجبهة الأوربية ولا يمكن أن يكون ذلك استخفافاً من جانب هذا السلطان بقوة البرتغاليين وإنما يرجع إلى تقديره للموقف العسكرى والسياسى العام فى دولته . على أن مركز البرتغاليين لم يلبث أن تعرض لهزة عنيفة منذ أن فتح العثمانيون العراق فى عام ١٥٣٤ حيث كان من أبرز نتائج هذا الفتح أن امتد النفوذ العثمانى إلى سواحل الخليج فى المنطقة الشمالية حيث دخل أمراء البصرة والبحرين والقطيف فى طاعة العثمانيين ، كما حاول السلطان سليمان أن يسيطر على المناطق الجنوبية من الخليج وأعد من أجل ذلك حملة بحرية للاستيلاء على جزيرة هرمز والحاق إدارتها بالبصرة[1] . وقبل أن نعرض للعمليات البحرية العثمانية ضد الوجود البرتغالى فى الخليج العربى قد يكون من المناسب أن نشير فى هذا المجال إلى أنه كانت هناك مجموعة من العوامل كان لها أثر بعيد فى عدم تحقيق العثمانيين نتائج ايجابية فى صراعهم ضد البرتغاليين وترتبط هذه العوامل ، فى تقديرنا ، بفشل العثمانيين فى ايجاد مواجهة اسلامية كبيرة بسبب الخلافات التى كانت قائمة بينهم وبين الدولة الصفوية فى فارس ومن ناحية أخرى فشل العثمانيون بسبب بعض التصرفات الشاذة التى صدرت عن بعض قباطنتهم فى تجميع القوى الاسلامية المحلية المنتشرة على سواحل الخليج والجزيرة العربية وشرق إفريقيا وبدلا من أن تتكتل تلك القوى تحت زعامة العثمانيين دب الشك وعدم الثقة بين الفريقين وبالتالى لم يحدث تكتل بين القوى المحلية رغم ارتباط مصالحها واتساع ساحة المواجهة العثمانية البرتغالية التى شملت بالاضافة إلى الخليج والبحر الأحمر الجزء الغربى من المحيط الهندى . ولعل مما يستلفت النظر أنه على الرغم من الضعف الواضح فى القوة البحرية العثمانية إذا ما قورنت بالقوة البحرية البرتغالية إلا أن المواجهة العثمانية للبرتغاليين استمرت أكثر من ثلاثين عاما وعلى وجه التحديد بين عامى ١٥٥٠ و ١٥٨٣ وإن كانت متقطعة بسبب افتقار العثمانيين إلى القواعد العسكرية البحريه التى تمكنهم من الاستمرار فى

---

(١) عبد العزيز الشناوى : المراحل الأولى للوجود البرتغالى فى شرق الجزيرة العربية — انظر أعمال ندوة دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ج ٢ ص ٦٨٢–٦٨٧ الدوحة ١٩٧٦ .

ذلك الصراع . وعلى أية حال فقد تميزت السنوات المشار إليها بمجموعة هامة من التطورات السياسية والعسكرية التى شهدتها منطقة الخليج وذلك منذ أن نزل العثمانيون إلى ساحة الصراع فى أعقاب الانتصارات التى أحرزوها ضد الدولة الصفوية ونجاح السلطان سليمان القانونى ، كما سبق أن أشرنا، فى دخول بغداد ١٥٣٤ ومد نفوذه إلى البصرة فى عام ١٥٤٦ التى تحولت إلى قاعدة بحرية للعثمانيين للانطلاق منها صوب الأسطول البرتغالى الذى كان متمركزاً فى كثير من القواعد البحرية فى الخليج العربى والمحيط الهندى [1] . وهناك دارت الكثير من المعارك البحرية بين الطرفين كانت أعنف من معارك خير الدين بربروسا الشهيرة فى الحوض الجنوبى من البحر الأبيض المتوسط ، كما عمد البرتغاليون فى كثير من الأحيان إلى مهادنة العثمانيين لكى يتمكنوا من تركيز نفوذهم والتصدى لردود الفعل العربية التى لم يخمد أوارها بين سكان الخليج . ويمكننا تأريخ العمليات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين فى عام ١٥٥٠ حين أرسل العثمانيون عمارة بحرية بقيادة سليمان باشا الخادم لمقاتلة البرتغاليين فى البحر الأحمر والخليج العربى والمحيط الهندى ، وكان سليمان باشا رجلا خرفا طاعنا فى السن استطاع أن يثير المسلمين فى عدن حين تقدم اليها بحملته وبدلا من أن يكون عامل توحيد للقوى الإسلامية المحلية أصبح بسياسته الشاذة عاملا من عوامل الفرقة خاصة بعد أن عمد إلى قتل أمير عدن من أسرة بنى طاهر حين دعاه بطريقة غادرة إلى وليمة على ظهر سفينته وقد تركت هذه الفعلة الشنعاء تأثيرها على الأمراء المحليين الذين لم يرحبوا بتقدم العثمانيين إلى سواحلهم . وفى منطقة الخليج العربى استخدم العثمانيون قاعدة البصرة لتوجيه حملاتهم البحرية ضد البرتغاليين رغم أن البصرة كما هو معروف ميناء نهرى أكثر من كونها ميناء بحرى، ومع ذلك فقد استخدمها العثمانيون للخروج بأسطولهم إلى مياه الخليج ووجد العثمانيون تجاوبا كبيرا

---

(١) Haje Khalefah, The History of the Maritime Wars of the Turks pp. 68—72 London 1831.

من عرب الخليج للاحتماء بزعامتهم الاسلامية ، حتى أن سكان القطيف والاحساء بادروا باعلان أنفسهم رعايا عثمانيين وأكدوا رفض خضوعهم لمملكة هرمز التى كانت تعانى فى ذلك الوقت من وطأة الاحتلال البرتغالى وكان قد سبق لسكان البحرين أن أعلنوا خضوعهم للعثمانيين على أثرفتحهم للعراق فى عام ١٥٣٤ . وقد اعتبر العثمانيون المناطق التى أعلنت ولاءها لهم إيالة عثمانية أطلقوا عليها اسم إيالة الاحساء وعينوا عليها بيلربى أوأميرا أول وكان البيلربى يتشكل طبقا للتقسيمات الادارية العثمانية من عدة سناجق حيث اعتبرت القطيف ضمن مجموعة سناجق إيالة الاحساء التى امتدت حدودها حتى وصلت جنوبا إلى شبه جزيرة قطر[١]. وليس من شك فى أن السيادة العثمانية التى أعلنت على الاحساء والقطيف قد أفزعت البرتغاليين خاصة بعد أن وقع الحصن البرتغالى فى القطيف تحت السيطرة العثمانية فى عام ١٥٤٧ وكان البرتغاليون يعتمدون على ذلك الحصن فى السيطرة على المناطق الساحلية من شرق الجزيرة العربية ولذلك وجه البرتغاليون حملة كبيرة لاستعادة القطيف أسندت قيادتها إلى أنطاودى نورونها De Nnoronha وكانت هذه الحملة تتكون من الف ومائتى مقاتل وسبع سفن كبيرة الحجم هذا بالاضافة إلى قوات من هرمز صاحبت تلك الحملة وقدر عددها بأكثر من ثلاثة آلاف مقاتل وعلى الرغم من أن العثمانيين فى القطيف لم يتعد عددهم أكثر من أربعمائة مقاتل إلا أنهم دافعوا عن أنفسهم ببسالة منقطعة النظير وإن كانوا قد اضطروا فى نهاية الأمر إلى الاستسلام للبرتغاليين بعد أن عمد هؤلاء إلى فرض حصار على القلعة استمر ثمانيه أيام ولم يكتف دى نورونها بمحاصرة القطيف وإنما واصل الزحف بقواته إلى البصرة باعتبارها قاعدة العثمانيين البحرية فى الخليج ولكنه لم يستطع أن ينفذ خطته فى السيطرة عليها وذلك بسبب وصول أنباء تلك الحملة إلى بيلربك البصرة الذى سارع بتنفيذ خطة ذكية لتفادى الهجوم المرتقب بحيث جعل القائد البرتغالى

---

(١) أوزبران : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ ومابعدها .

يعتقد بأن العثمانيين قد جمعوا حشودا كبيرة من القبائل العربية فى البصرة ولما كان دى نورونها يخشى الاصطدام بتلك الحشود فقد عدل عن خطة الهجوم مفضلا التراجع إلى القطيف وهناك علم بأنه قد خدع إذ لم يثبت وجود أية استعدادات بحرية فى البصرة لتلافى الهجوم البرتغالى[١] .

أكدت معركة القطيف أنه لاقبل للعثمانيين التصدى للبرتغاليين فى معارك بحرية نظامية وأن التفوق البحرى البرتغالى لايمكن مواجهته إلا بعمليات بحرية غير نظامية وذلك بسبب عدم التكافؤ فى القوة البحرية بين الطرفين وقد أنيط بهذه العمليات غير النظامية أو الفدائية إلى مجموعة بارزة من القباطنة العثمانيين الذين خلد الكثير منهم أسماءهم ليس فى الأعمال البحرية فحسب وإنما فى المجال العلمى حيث اشتهر من بينهم من اهتموا بفنون البحر والملاحة من أمثال على بك جلبى ، وبيرى بك الذى كان جغرافيا مشهورا وفنانا فى رسم الخرائط . وقد تعددت ميادين العمليات العثمانية ضد البرتغاليين فى الخليج العربى والبحر الأحمر وكان واضحا من ضراوة تلك العمليات أن العثمانيين كانوا يعملون بحماس لانتزاع السيادة البحرية من البرتغاليين.[٢] وكان من أبرز القباطنة الذين تصدوا للنفوذ البرتغالى فى الخليج بيرى بك رئيس Pirri Reis الذى أبحر من السويس. التى أصبحت من أقوى القواعد العثمانية البحرية وكانت تصحبه خمس وعشرون سفينة كبيرة الحجم وقد نجح بيرى بك فى مهاجمة القلعة البرتغالية فى مسقط حيث أعلن قائدها جوا دى ليزبوا Jao de lisboa استسلامه للعثمانيين بشرط أن يسمحوا له ولمن معه من أفراد الحامية البرتغالية بالانتقال إلى هرمز بسلام ولكن بيرى بك بادر بعد سيطرته على قلعة مسقط بتجريد الحامية من سلاحها وعرض قائد الحامية وكبار ضباطها إلى معاملة سيئة . وفى اكتوبر ١٥٥٢ صدر أمر من الأستانه إلى بيلربى البصرة فيه توضيح للتعليمات التى تعطى إلى بيرى بك

(١) صالح أوزبران : مرجع سبق ذكره ص ٤١ / ٤٢ .

(٢) Danvers. F, C, The Portuguese in India vol. I P. 497 London 1894.

وفيما كان يتحتّم عليه بعد حملته الناجحة على مسقط أن يتجه إلى البصرة للاستعانة ببعض قواتها لكى يقوم بالهجوم على هرمز والبحرين غير أن بيرى بك وقد أغراه سهولة الانتصار فى مسقط توجه مباشرة إلى هرمز حيث أطلق المدافع على قلعة البرتغاليين وحاصرها ستة عشر يوما ولكن البرتغاليين تمكنوا من الدفاع عن أنفسهم واضطر بيرى بك إلى الانسحاب إلى جزيرة قشم ومنها أبحر إلى البصرة بعد أن استولى على غنائم كثيرة منها حيث كان الأثرياء من التجار يقطنون تلك الجزيرة ، وفى البصرة لم يلبث أن دب الخلاف بينه وبين البيلربى ولذلك غادر المدينة حاملا معه جميع الغنائم التى حصل عليها كما ضمنها الأسرى البرتغاليين . وقدرت بعض المصادر قيمة غنائمه بأكثر من مليون ريال من الذهب[1] ؛ فى الوقت الذى أرسل فيه بيلربى البصرة تقريرا إلى السلطان العثمانى وفيما يبدو أن هذا التقرير لم يكن فى صالح بيرى بك إذ أنه على أثر وصوله إلى السويس استدعى من قبل السلطان العثمانى للرد على التهم المتعلقة بقلة كفاءته وعدم نجاحه فى عملياته فى الخليج وفى الآستانة صدر ضده حكم بالاعدام وقطعت رأسه بالفعل فى عام ١٥٥٣[2] . والجدير بالذكر أن كثيرا من المصادر التى تناولناها لم تستطع أن تعلل السبب الحقيقى لإعدام بيرى بك فمنها من أشار إلى أن السبب الحقيقى لم يتضح تماما ومنها من أكد ، كما فعل فاريا سوسا ، أنه تجاوز التعليمات الصادرة إليه وهو الأمر الأكثر احتمالا كما سبق أن أشرنا إذ أن السلطان سليمان القانونى قد أمر بيرى بك فى أن لايجد فى أخذ هرمز قبل أن يذهب أولا إلى البصرة لكى يأخذ جنودا آخرين غير أن بيرى بك نتيجة لما وجده من ضعف البرتغاليين فى مسقط اعتقد بأن الحالة فى هرمز ستكون متشابهة وقدر أن بإمكانه بالأسلحة والذخائر التى استولى عليها من قلعة البرتغاليين فى مسقط أن يخضع البرتغاليين فى هرمز ولكنه فشل على نحو ما رأينا بسبب صمود القلعة البرتغالية الحصينة فى هرمز .

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٣ ص ١١١ .

(٢) صالح أوزبران : مرجع سبق ذكره : انظر رسالة نورنها إلى نائب الملك فى جوا ٣٠ كتوبر ١٥٥٢ ص ٧٦ / ٨٠ .

وخلف بيرى بك فى قيادة العمارة العثمانية فى الخليج العربى الرئيس مراد الذى قام بجهود يائسة لاستدراج الأسطول البرتغالى خارج القواعد والحصون البرتغالية فى الخليج كما فشل فى ارجاع السفن العثمانية التى كانت راسية فى ميناء البصرة إلى السويس .وخلفه فى عام ١٥٥٤ سيدى على رئيس الجغرافى العثمانى المشهور الذى عهد إليه بمواصلة تلك المهمة فأبحر من البصرة فى يولية ١٥٥٤ بخمس عشرة سفينة وذلك بعد أن وصلته الأنباء بأن البرتغاليين متجهون لاستعادة مسقط بقيادة فيرناندودى نورونها Fernando de Noronha وبالقرب من ميناء خورفكان تقابل الأسطول البرتغالى مع الأسطول العثمانى حيث دارت معركة حامية الوطيس يمكن اعتبارها من أهم المعارك العثمانية البرتغالية فى الخليج العربى . وقد وصف سيدى على فى كتابه مرآة الزمان هذه المعركة بأنها كانت من أعنف المعارك البحرية التى خاضها بل كانت أكبر من المعارك التى خاضها خير الدين بربروسا فى البحر الأبيض المتوسط وكان سيدى على قد عمل معه فترة من الوقت. وعلى الرغم من أن سيدى على سجل فى هذه المعركة انتصاره على البرتغاليين إلا أن الأسطول البرتغالى بعد تراجعه لم يلبث أن أعيد إعداده وتجهيزه ، وتمكن فيرناندو من دخول المعركة للمرة الثانية ضد العثمانيين وفى هذه الجولة تكبد الأسطول العثمانى خسائر فادحة[1] . وعلى أثر فشل على بك فى مهمته قام مصطفى باشا بيلربى الإحساء فى عام ١٥٥٩ بمحاصرة المنامة بعدد كبير من انكشارية بغداد وحين وصلت أخبار هذا الحصار إلى هرمز بادر البرتغاليون بإرسال قطع من أسطولهم للتصدى للعثمانيين ، وبسبب نقص مؤن العثمانيين وذخيرتهم قرروا إنهاء هذا الصراع وسلموا أسلحتهم للبرتغاليين واكتفى السلطان سليمان بإصدار فرمان بمنح حاكم البحرين الرئيس مراد لقب سنجق بك على الرغم من النفوذ البرتغالى الذى كان واضحاً فى الجزيرة . ورغم توقف الحملات العثمانية على

---

(١) Vambery A., Travels of the Turkish Admiral Sidi Aly Reis in India Afghanistan, Central Asia and Persia during the years 1553–1555 pp. 9—12. London 1899.

البحرين وانحسار النفوذ العثمانى منها إلا أنها ظلت مع ذلك تشكل منطقةعازلة بين الأتراك العثمانيين فى الاحساء والقطيف والبصرة وبين البرتغاليين فى هرمز والمناطق التابعة لهم فى مسقط والساحل الجنوبى للخليج . وفيما يبدو أن البرتغاليين حاولوا مهادنة العثمانيين ويتضح لنا ذلك حين أوفد نائب الملك فى الهند رسولا إلى الآستانة فى عام ١٥٦٢ لعرض مشروع للسلام بين الفريقين وهو مشروع لم يقدر له التنفيذ بسبب إصرار السلطان العثمانى على كسر نظام الاحتكار البرتغالى وتأمين الطرق البرية و البحرية وحمايتها لصالح الرعايا والتجار التابعين للامبراطورية العثمانية . وعلى الرغم من أن عمليات العثمانيين قد توقفت فى الخليج بسبب انغماسهم فى الصراع ضد الفرس وخاصة حين أقدم الشاه طهماسب ١٥٢٤ / ١٥٧٦ على التقدم إلى الأراضى العثمانية إلا أنه لم تكد تتوقف تلك العمليات فى عام ١٥٧٥ حتى جدد السلطان العثمانى أوامره بفتح البحرين وأصدر فرمانا إلى بيلربى بغداد باستطلاع الموقف بعد أن كتب بيلربى الاحساء إلى الدولة العثمانية بأن فتح البحرين سيضمن لها ٤٠,٠٠٠ فلورى سنويا . ولكن لم يلبث هـذا المشروع أن توقف بعد أن تبين للدولة العثمانية أن هذا الدخل ليس وشيك الظهور وأنه قد يقل عن النفقات والمصروفات المحلية[١] ولم تحاول الدولة العثمانية تجديد نشاطها فى الخليج إلا فى عام ١٥٨١ حين قدرت أهمية الاستفادة من فرصة ضم البرتغال إلى التاج الأسبانى على عهد الملك فيليب الثانى فى عام ١٥٨٠ حيث عهدت إلى على بك الذى ظهر فى مياه الخليج للمرة الثانية بحصار قلعة البرتغاليين فى مسقط وعلى الرغم من الانتصار الذى حققه فى بداية الأمر إلا أن وصول الإمدادات السريعة من هرمز أجبرت العثمانيين على الانسحاب[٢]. ولم يكن لتلك المغامرة أية فائدة تذكر بالنسبة للعثمانيين بل

---

(١) صالح أوزبران : مرجع سبق ذكره ص ٨١ انظر فرمان صادر إلى بيلربى بغداد نقلا عن مهمة دفترلى M DXXVII.

(٢) Steven, John. Manuel de Faria e Sousa, The Portuguse Asia vol. II Part II pp. 370---372.

على العكس من ذلك نبهت البرتغاليين إلى ضرورة تعزيز قواتهم في مسقط إذ اعتبر البرتغاليون سيطرة العثمانيين على مسقط بمثابة عار لحق بسلاحهم البحرى ولعل ذلك مما دعا الحكومة الإسبانية التى كانت تشرف على المستعمرات البرتغالية فى ذلك الحين إلى إصدار تعليماتها بزيادة التحصينات العسكرية وبناء قلعتين كبيرتين لا تزالان قائمتين حتى الآن تحيطان بخليج مسقط وتكسبه جوا من الغموض والرهبة . وقد عرفت هاتان القلعتان باسم قلعة كابيتان وسان جوا ويعرفان فى الوقت الحاضر بقلعتى الميرانى والجلالى وهما تسميتان فارسيتان أطلقهما الفرس على هاتين القلعتين خلال احتلالهم لمسقط على عهد الإمبراطور نادر شاه بين عامى ١٧٣٨ و ١٧٤١ . ولم تكن التركة التى خلفها البرتغاليون فى مسقط مقتصرة على المبانى العسكرية وإنما جاء البرتغاليون بالروح المتحمسة المعروفة لدى مبشريهم فى بناء ثلاث كنائس فى مسقط ولاتزال الكنيسة الصغرى أو المعبد الصغير الذى بناه البرتغاليون باقياً حتى الآن فى قلعة الميرانى من بين الكنيستين الأخريين اللتين تهدمتا بفعل الزمان[١] .

بقى أن نشير فى هذا المجال إلى أن جهود على بك لم تقتصر على مسقط وإنما تقدم منها إلى سواحل شرق إفريقيا حيث كان البرتغاليون منذ بدء زحفهم على بحار الشرق قد استولوا على معظم موانئها واتخذوا من القواعد التى أنشأوها هناك والتى كان من أشهرها قلعة موزمبيق وقلعة المسيح فى ممبسة محطات تمد سفنهم الذاهبة إلى الهند والآتية منها بالمؤن والعتاد. وقد حاول على بك فى عام ١٥٨٥ أن يعتمد على تأييد السكان المسلمين فى شرق إفريقيا وذلك بإثارتهم ضد البرتغاليين والعمل على ضمهم إلى الدولة العثمانية وأخذ يطمئنهم بأن ثمة أسطولا عثمانيا كبيرا فى الطريق إليهم [٢] . ورغم نجاح على بك فى إعلان السيادة العثمانية على كثير من مقاطعات الشرق الأفريقى كممبسة

---

(١) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٣١ / ٣٢ .

(٢) Eliot, Charles, East Afica Protectorate P. 16 London 1905.

ولامو ومقديشيو وبات إلا أن الأسطول العثمانى الكبير الذى وعد به لم يصل وتقدم بدلا منه أسطول برتغالى بقيادة كوتنهو Cutinho تمكن من قمع الثورات الناشبة ونجح فى القبض على على بك وأسره ويقال إنه أرسله إلى لشبونة حيث أجبر على اعتناق المسيحية ومات هناك [١] .

ولم يفكر العثمانيون فى إعادة الكرة من جديد وعلى العكس من ذلك سنلاحظ تبدل السياسة العثمانية إزاء البرتغاليين حين استنجدت فارس بالانجليز للاطاحة بالنفوذ البرتغالى من هرمز فى عام ١٦٢٢ ولذلك حين استولى الشاه عباس الكبير على بغداد فى عام ١٦٢٣ استعان حاكم البصرة العثمانى بالبرتغاليين خوفا من أن يصل الفرس إلى مقاطعته وبالفعل ظهرت خمس سفن برتغالية فى شط العرب لكى تساهم فى الدفاع عن البصرة ضد الفرس ! وهكذا خرجت الدولة العثمانية عن سياستها التقليدية التى كانت تجعل منها حامية للعالم الاسلامى من الغزو الايبيرى سواء فى المغرب أو المشرق وبخروج العثمانيين من ساحة الصراع فى الخليج العربى انفسح المجال أمام قوة عربية إسلامية ناشئة هى قوة اليعاربة فى عمان لكى تنهض بالتعاون مع القبائل العربية فى الخليج لتحرير شواطئها من الاستعمار البرتغالى وهو الدور الكبير الذى قدر لعرب الخليج أن يحرزوا قصب السبق فيه مستفيدين فى ذلك من الظروف الداخلية والخارجية التى كانت تمر بها الامبراطورية البرتغالية مما جعلهم يقفون منها موقف التحدى ويشكلون عاملا كبيرا من عوامل انهيارها فى بحار الشرق . ومن ناحية أخرى فان سقوط دولة النباهنة فى عمان وقيام دولة اليعاربة كان يعنى الاطاحة بالأنظمة القديمة فى الخليج وقيام تنظيمات جديدة أخذت على عاتقها مقاومة البرتغاليين وامتدت تلك التنظيمات فشملت سواحل الخليج العربى فى شكل تجمعات سياسية وأحلاف قبلية كانت تمثل القيادات الجديدة لحقبة ما بعد الاستعمار البرتغالى .

---

(١) Vambery A., op. cit. P. 3.

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى الخليج العربى فى أعقاب انهيار السيطرة البرتغالية

عوامل ضعف الامبراطورية فى الشرق — التقارب الإنجليزى الفارسى على عهد الشاه عباس الكبير — اتفاقية ميناب — سقوط هرمز ١٦٢٢ — ظهور اليعاربة فى عمان وكفاحهم ضد البرتغاليين — سقوط القواعد البرتغالية فى مسقط ١٦٤٩ — امتداد العمليات العمانية ضد البرتغاليين فى سواحل الهند وشرق إفريقيا — بدء العلاقات الإنجليزية العمانية — المفاوضات الفارسية الفرنسية بشأن مسقط — التفوق البحرى الفارسى فى الخليج العربى على عهد نادرشاه .

* * *

الفصل الثانى

الأوضاع السياسية فى الخليج العربى فى أعقاب

انهيار السيطرة البرتغالية

على الرغم من أن الامبراطورية البرتغالية فى الشرق كانت تشكل قوة بحرية عظمى بحكم الامتداد الكبير الذى كانت تمتد إليه من سواحل البرتغال إلى كاليكوت على سواحل الهند الغربية إلا أنه كان واضحاً أن عوامل الضعف والانهيار كانت تفعل فعلها فى جسم هذه الامبراطورية الساحلية الكبيرة . وقدر لدولتين عربيتين هما دولة اليعاربة فى عمان ودولة الأشراف السعديين فى مراكش أن تسهم كل منهما فى إضعافها . ولعل المؤرخ البريطانى روبيرت لاندن « Landen » كان ثاقب النظر حين ربط بين انهيار النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى وبين الضربة القاصمة التى لحقت بهم فى وادى المخازن فى أغسطس ١٥٧٨(١) . وقد ظهر الانهيار واضحاً فى أعقاب ضم البرتغال إلى التاج الإسبانى (١٥٨٠ — ١٦٤٠) ومع ذلك فقد كان وراء انهيار الامبراطورية البرتغالية أسباب أخرى عديدة لعل أهمها العنف والخلق السىء الذى كان طابع معاملات البرتغاليين مع جيرانهم أهالى الشرق (٢) هذا إلى

---

(١) عبد الهادى التازى : الصلات التاريخية بين المغرب وعمان من حصاد ندوة الدراسات العمانية جـ ٣ ص ١٣١ — مسقط نوفمبر ١٩٨٠ .

(٢) زين الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين نشر دانيد لوبز لشبونة ١٨٩٨ ص ٧٢ وما بعدها .

جانب مشاعر الحسد والشقاق التي كانت سائدة فيما بينهم ، والأهم من ذلك أن البرتغاليين لم يؤسسوا شركات تجارية كما فعل منافسوهم الإنجليز والهولنديون وإنما كانت تجارتهم فى الشرق تعد احتكاراً ملكياً اشتهر بسوء الإدارة والتنظيم وأصبحت قواعدهم العسكرية التى كانوا يستندون عليها مهددة بسبب فقدان النظام ونقص الكفاءة ، وكان صعود نجم الشركات الهولندية والإنجليزية فى بحار الشرق يمثل انتصاراً لنظام فردى على نظام احتكارى تمارسه الدولة . وقد لاحظ الرحالة بيترو دى فالى فى عام ١٦٢٥ هبوط مستوى النظام فى السفن البرتغالية وكثرة حركات التمرد التى كان يقوم بها البحارة البرتغاليون ضد قادتهم الكبار الذين تناسوا كل شيء حتى بلادهم وشرفهم ، وذكر أن البرتغاليين قد يمكنهم استعادة ما ضاع منهم إذا عرفوا كيف يحافظون على مكاسبهم وهذا هو المهم فقد يكسبنا الحظ أشياء ولكن الفطنة والحصافة هى التى تجعلنا نحافظ على ماكسبناه . ولم يسع دى فالى رغم ميوله الكاثوليكية الواضحة إلا أن يقارن ما رآه على السفن البرتغالية بالأوضاع التى كانت تسود السفن الإنجليزية ، كذلك انتقد فاريا سوسا « Sousa » البرتغاليين فى عبارات لاذعة (١) .

وقد أدى إحكام البرتغاليين سيطرتهم على المنافذ العربية التى كانت تمر منها تجارة الشرق والأساليب العنيفة التى طبقوها ضد القوى الإسلامية حرمانها من ازدهارها الملاحى والتجارى السابق ولذلك أخذت تلك القوى تتحين الفرصة للإيقاع بهم . وكما سبق أن أشرنا منذ قليل أن أكبر ضربة تعرضت لها الإمبراطورية البرتغالية هى خضوع البرتغال للتاج الإسبانى ما يقرب من ستين عاماً فى خلالها أصبحت إسبانيا هى الممثلة لمصالح البرتغال وظهر أن الحكومة الإسبانية كانت حكومة مركزية وغير رشيدة . ولما كانت إسبانيا منغمسة فى صراعات داخل القارة الأوربية فقد سارعت الدول المعادية لإسبانيا بالانقضاض على الإمبراطورية البرتغالية باعتبارها قد أصبحت تشكل

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ١ ص ٦٢/ ٦٣ .

جزءاً من الممتلكات الإسبانية ، ولما عادت البرتغال إلى إمبراطوريتها بعد انفصالها عن التاج الإسبانى لم تجد منها سوى أشلاء ممزقة ، ومن ناحية أخرى فإن التنافس دفع بالدول الأوربية إلى تأسيس شركات تجارية خاصة بها ، وأخذ الإنجليز على عاتقهم زعامة حرية البحار وإطلاق المجال للتجارة الحرة للتخلص من السياسة الاحتكارية البرتغالية ، وظهر واضحاً عدم مقدرة البرتغال وهى دولة صغيرة محدودة المساحة والسكان الاستمرار فى حماية إمبراطورية ساحلية ضخمة امتدت عشرات الآلاف من الأميال وخاصة بعد أن بدأت انجلترا توجه ضرباتها المتوالية إليها منذ عام ١٥٨٨ ففى ذلك العام نجحت انجلترا فى تحقيق أمنها القومى بانتصارها الساحق على الأرمادا الإسبانية وبموجب مرسوم ملكى أصدرته الملكة اليزابيث فى ديسمبر سنة ١٦٠٠ تأسست شركة الهند الشرقية الانجليزية أو شركة تجار لندن الذين يتجرون مع الهند الشرقية كما كانت تعرف فى ذلك الوقت . وقد ظهرت آثار انهيار الإمبراطورية البرتغالية على مركزهم فى الخليج الذى بدأ يتداعى منذ السنوات الأولى من القرن السابع عشر ، ففى عام ١٦٠٢ نجحت قوات الشاه عباس الكبير فى طرد البرتغاليين من البحرين ، كما سقطت جمبرون وتبعتها جلفار (رأس الخيمة) فى عام ١٦١٥(١) وأخذ مركز البرتغاليين الحصين فى هرمز يتعرض لهجمات فارسية متكررة ، وعلى الرغم من أن البرتغاليين نجحوا فى التصدى لبعض هذه الهجمات فأعادوا تعزيز قوتهم فى بندر عباس ووجهوا هجوماً ضارياً على صحار(٢) إلا أنه أصبح واضحاً أن مركز البرتغاليين فى الخليج أخذ يتعرض إلى الإنهيار السريع وخاصة حين تلاقت مصلحة الشاه عباس مع مصالح التجار الإنجليز فى الإطاحة بالنفوذ البرتغالى حيث اشتركت بعض السفن الإنجليزية مع قوات الشاه فى عملية هجوم ناجحة على قاعدة البرتغاليين

(١) صالح محمد العابد : موقف بريطانيا من النشاط الفرنسى فى الخليج العربى ١٧٩٨ — ١٨١٠ ص ٢٣ بغداد ١٩٧٩ .

(٢) Boxer, C. New light on the Relationship of Oman and Portuguese 1613–1633.

من أعمال ندوة الدراسات العمانية نوفمبر ١٩٨٠ .

الحصينة فى هرمز وانتهى الأمر بسقوطها فى عام ١٦٢٢ . وقد يكون من المفيد قبل أن نعرض لذلك الهجوم الناجح أن نشير إلى التقارب الذى حدث بين الإنجليز والشاه عباس الكبير والذى مهدت له بعثات شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى البلاط الفارسى حيث أخذ ممثلو الشركة يعملون على استحواذ اهتمام الشاه ، ولا شك أن الهزيمة الشنيعة التى لحقت بالبرتغاليين على أيدى الأسطول الإنجليزى فى سورات عام ١٦١٥ كانت لها أثر كبير فى تردى سمعتهم البحرية فى الخليج العربى ، وفى العام التالى أصدر الشاه عباس مرسوماً يتضمن تعليمات صريحة بحسن استقبال الإنجليز الذين يفدون إلى فارس ، ووقع اختيار شركة الهند الشرقية الانجليزية على ميناء جاسك الذى يبعد قرابة تسعين ميلا من هرمز ليكون مركزاً لوكالتها فى الخليج وكان هذا الميناء يقع فى مأمن طبيعى ولا خطر عليه من البرتغاليين ومع ذلك فما كاد الإنجليز يستقرون فى ذلك الميناء حتى بدأ التراشق بينهم وبين البرتغاليين فى ديسمبر سنة ١٦٢٠ فيما عرف بمعركة الجاسك التى أحرز الإنجليز فيها نصراً كبيراً نجحوا به فى تأمين مركزهم فى ذلك الميناء(١) .

وأخذ الشاه عباس بعد ذلك يتطلع إلى طرد البرتغاليين من قاعدتهم الحصينة فى هرمز إذ كان وجودهم هناك من شأنه تهديد هيبة بلاده ورخائها ولما كان يفتقر إلى القوة البحرية التى تعينه فى الصراع المرتقب بينه وبين البرتغاليين فقد وجه أنظاره إلى الوفود الإنجليزية التى تفد إليه من بلاط جيمس الأول تعرض عليه الصداقة والمساعدة ضد العثمانيين . وفى عام ١٦٢١ وجد الظروف مواتية لاستعادة هرمز فأصدر أوامره إلى إمام قولى خان حاكم إقليم فارستان بأن يقود حملة لاسترداد الجزيرة من البرتغاليين وتصادف فى ذلك الوقت وصول أسطول إنجليزى إلى ميناء جاسك قادماً من سورات فبادر الحاكم الفارسى بطلب المساعدة العسكرية من قائد ذلك الأسطول ، ولوح للإنجليز بإغراءات كثيرة وألمح فى الوقت نفسه إلى أنهم إذا رفضوا

---

(١) Sykes, Sir Percy : A History of Persia vol. II P. 190 London 1951.

المساعدة فى ذلك الهجوم فإن الشاه عباس سوف يعمل على سحب الامتيازات الكثيرة الممنوحة لهم ، كما ستصادر شحنات الحرير التى كان يتوقع وصولها من أصفهان لحسابهم ، وهكذا وجد الإنجليز أنفسهم فى مأزق حرج . حقيقة أن مجلس إدارة الشركة كان لا يمانع فى مهاجمة السفن البرتغالية والاستيلاء عليها بعد انتشار عمليات القرصنة من جانب البرتغاليين ، ولكن فكرة تأييد الفرس المسلمين ضد البرتغاليين المسيحيين لم تكن تروق لبعض المسئولين الإنجليز فى الشركة(١) . ومن ناحية أخرى كانت الشركة تخشى معاقبة الملك جيمس الأول ملك انجلترا إذا ما قامت بالحرب ضد إسبانيا باعتبارها المشرفة فى ذلك الوقت على ممتلكات البرتغاليين فى الشرق وكانت العلاقات هادئة بين انجلترا وإسبانيا فى ذلك الحين . يضاف إلى ذلك أن شركة الهند الشرقية كانت تعمل على تخفيض النفقات العسكرية إلى أقل حد ممكن وكان الاعتقاد بأن هرمز محصنة تحصيناً قوياً وتحتاج إلى قوات ضخمة ونفقات عسكرية هائلة للتغلب عليها ، ونظراً لعلاقة الحكومة الإنجليزية السلمية بأسبانيا فإن الشركة سوف تضطر إلى دفع رشوة كبيرة للمسئولين الإنجليز حينما يتعرض ذلك السلم للنقض من قبلها إذا ما قررت التعاون مع الفرس فى الاستيلاء على هرمز . ويلاحظ هنا تأثير الثورة البروتستانتية التى كانت دافعاً للإنجليز لمساعدة الفرس ضد دولة كاثوليكية مع عدم استبعادنا بطبيعة الحال أهمية الدوافع الاقتصادية المتمثلة فى حرص الشركة على مصالحها وامتيازاتها وعدم إعطاء الفرصة لتفوق البرتغاليين عليها ، ولذلك انتهى الأمر بموافقة الشركة على مساعدة الحكومة الفارسية فى استرداد هرمز بشرط الموافقة على شروطها التى ضمنت فى اتفاقية وقعت بين حاكم إقليم فارستان وممثل شركة الهند الشرقية فى الجاسك وعرفت هذه الاتفاقية باسم اتفاقية ميناب — يناير ١٦٢٢ ، وكانت تشتمل على بنود عديدة كان من أبرزها أن يساهم الفرس على الأقل بنصف تكاليف العمليات العسكرية وأن تقتسم الغنائم بالتساوى بين الإنجليز والفرس وأن يؤول الحصن البرتغالى الموجود فى هرمز

---

(١) ويلسن ، أرنولد : الخليج العربى ص ١٠٨ / ١٠٩ .

بكل ما فيه إلى الإنجليز ، كما نصت الاتفاقية على أن يقتسم الطرفان العوائد الجمركية فى هرمز بالتساوى فيما بينهما وأن تعفى التجارة الإنجليزية من العوائد الجمركية فى هرمز وجمبرون والموانى الفارسية الأخرى فى الخليج وأخيراً تضمنت الاتفاقية نصوصاً خاصة بمعاملة الأسرى حيث نصت على أن يختص الإنجليز بالأسرى المسيحيين ويختص الفرس بالأسرى المسلمين .. ونصوصاً أخرى تتعلق بمساعدة الإنجليز لفارس فى بناء أسطول بحرى لها فى الخليج .

ولما عرضت هذه الاتفاقية على الشاه عباس للمصادقة عليها أدخل عليها بعض التعديلات التى كان من أهمها أن يحتل الفرس والإنجليز قاعدة هرمز معاً وأن تعفى البضائع الفارسية من الجمارك فى الموانى الإنجليزية شأنها فى ذلك شأن البضائع الإنجليزية فى الموانى الفارسية(١) .

وبناء على اتفاقية ميناب قدم الانجليز معاونتهم لفارس فى السيطرة على هرمز رغم المصاعب التى وجدها الإنجليز فى إقناع بحارتهم بالمشاركة فى هذه العملية حيث اعترض الكثيرون بأنهم ليسوا معينين للقيام بعمليات عسكرية من ذلك النوع ولم يتم التغلب على هذه المعارضة إلا بوعود خاصة بتقديم مكافآت سخية لهم ، وبدأت القوات الإنجليزية الفارسية بالتعاون مع العرب النازلين فى إقليم لارستان بمهاجمة حصن البرتغاليين فى قشم والذى كان مقاماً لتأمين موارد المياه فى هرمز وعلى أثر سقوط قشم لم تجد القوات المشتركة صعوبة فى الهجوم الذى شنته على هرمز إذ لم يمض وقت طويل على الحصار حتى قام البرتغاليون بالاتصال بالإنجليز يطلبون تسليم أنفسهم إليهم لأنه ليس من اللائق لهم أن يسلموا أنفسهم للفرس أو المسلمين ! كما طلبوا أن يتم نقلهم إلى مسقط ، وفى ٢٣ أبريل سنة ١٦٢٢ سلم البرتغاليون أنفسهم للإنجليز وتم إنزال العلم البرتغالى من قلعة البوكيرك بعد أن ظل يرفرف عليها أكثر

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ١ ص ٣٧ .

من مائة عام(١) . ولكن الإنجليز رفضوا العبور مع القوات الفارسية من هرمز إلى الشاطىء الغربي للخليج للاستيلاء على مسقط وصحار وخورفكان باعتبار هذه الأماكن تابعة لهرمز واضطر الفرس أن يقوموا بمفردهم بذلك العمل ولكن البرتغاليين تمكنوا من طردهم من تلك الأماكن ، ووضح أن البرتغاليين بعد سقوط معقلهم فى هرمز أخذوا يركزون وجودهم على الساحل الغربى للخليج فى مسقط وصحار ورأس الخيمة وخاصة بعد أن تعاون الأسطولان الإنجليزى والهولندى فى تدمير ما تبقى من القواعد البرتغالية على الساحل الشرقى للخليج(٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الخلافات سرعان ما ظهرت بين الإنجليز والفرس عقب سقوط هرمز وكان السبب فى ذلك أن غنائم هرمز لم يتم تقسيمها تقسيما متساويا كما كانت تنص بذلك اتفاقية ميناب إذ رفض الفرس اقتسام المعدات الحربية مع الإنجليز بحجة وجوب الاحتفاظ بها فى القلعة كما عارضوا إبقاء أى جندى إنجليزى فيها ورغم قلة الأسلاب التى حصل عليها الإنجليز إلا أن شركة الهند قد اضطرت مع ذلك إلى دفع هدية نقدية إرضاءاً للملك جيمس الأول بلغت عشرة آلاف من الجنيهات ومبلغ مماثل لدوق بكنجهام لكى يصدر الملك عفواً عن جميع الذين اشتركوا فى تلك العملية . والجدير بالذكر أن الإنجليز حاولوا أن يحلوا بدلا من البرتغاليين فى السيطرة على هرمز ، وقد ذكر الرحالة الفرنسى البارون تافرنيه بصدد ذلك أن حب السيطرة أصبح يداعب خيال الإنجليز ويشغل تفكيرهم بعد مساعدتهم البحرية للشاه عباس فى الاستيلاء على هرمز ولذلك استقر رأيهم على إيفاد بعثة سياسية برئاسة السير أندركت ليقوم بدور السفارة بينهم وبين البلاط الصفوى وليتفاوض بشأن منح الإنجليز حق التصرف فى جزيرة هرمز

---

(١) Low, Charles, History of the Indian Navy 1613–1863 vol. I pp, 38–45, London 1877.

(٢) محمد عبد الله السالمى : مصدر سبق ذكره ص ١٨٧ — ١٩١ .

فإذا لم يوفق فى مسعاه فعليه أن يحصل على موافقة فارس بإعفاء البضائع الإنجليزية من دفع الرسوم الجمركية فى موانيها(١) وقد أورد تافرنيه فى كتاب رحلاته قصة نشاط السفير أندركت وخصوصياته فى أسلوب لا يخلو من طرافة ، ويمكن اعتبار ما كتبه نموذجاً يستحق الدراسة للوضع فى البلاط الصفوى وأسلوب الشاه الدبلوماسى تجاه الدول الأجنبية . ورغم الجهود التى بذلها أندركت فى سفارته إلا أنه فشل فى إقناع الشاه عباس بتقسيم الغنائم التى أخذت من البرتغاليين أو إطلاق يد الإنجليز فى جزيرة هرمز ، إذ أنه رغم الوعود الطيبة التى قدمها الشاه واستقباله الطيب له إلا أن أندركت لم يحصل على شيء بسبب عداء الصدر الأعظم محمد بك على للفرنجة وعدم استجابته لوفادته . وبعد أن أمضى أندركت بعض الوقت فى مدينة أشرف مرض ومات هناك بسبب قسوة المناخ(٢) .

ولعل مما يستلفت النظر أن الفرس على الرغم من معارضتهم الإنجليز فى السيطرة على هرمز إلا أنهم لم يتحمسوا لكى يحلوا محل البرتغاليين فيها حيث أصدر الشاه عباس أوامره بتدمير المدينة عن آخرها ، وبذلك يحدد عام ١٦٢٢ انتهاء دور هرمز فى التاريخ وانتهاء مجدها التجارى الذى ظلت تتمتع به عدة قرون . وحتى فى ظل السيطرة البرتغالية كانت هرمز تقوم بدور كبير فى المجال التجارى حتى كانت تجارتها تساوى تجارة لندن وأمستردام مجتمعتين كما حرص البرتغاليون بعد استقرارهم فى هرمز أن يشيدوا بها المبانى العظيمة التى كانت كل أبوابها ونوافذها مطلية بالذهب ، بل ولم يستبعد البعض أن يستغل البرتغاليون الذهب والفضة فى إنشاء المبانى ونوافذها بدلا من الحديد والحجارة فيما لو أطالوا إقامتهم بتلك الجزيرة وذلك بسبب الأرباح الهائلة التى كانوا يحصلون عليها عن طريق التجارة من السواحل الفارسية والهند

---

(١) Foster, W. England Quest for Eastern Trade P. 79. ff. London 1933,

(٢) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ، ص ٦٩ .

وأوربا .. وهكذا أصبحت هرمز مثلا حياً على الخراب بعد أن كانت مثلا أعلى على الازدهار بعد أن نفذ فيها حكم الشاه بأن لا يترك حجر فوق حجر حيث نقلت السفن أحجار ومنازل هرمز لتعمير جمبرون التى أطلق عليها منذ ذلك الوقت بندر عباس(١) ولم يعد فى هرمز سوى أطلال قلعتها البرتغالية القديمة(٢) . وقد ذكر السير توماس هربرت الذى زار هرمز فى عام ١٦٢٧ وكان شاهد عيان على تدهورها أن المدينة جردت من كل جمالها وازدهارها بعد أن عمد الفرس إلى اقتلاع الأحجار ونقلها إلى جمبرون التى لا تبعد عنها بأكثر من ثلاثة فراسخ وأصبحت هرمز مكاناً متواضعاً لا يستحق أن يمتلكه أحد بعد أن كانت الدولة الوحيدة المزدهرة فى الشرق إن كان يتعين علينا أن نصدق ذلك ! .. وهكذا قدر لجمبرون (بندر عباس) أن تلعب دوراً بارزاً فى تاريخ الخليج بعد أن خلفت عظمة هرمز ، ولما كان الشاه عباس قد سمح لشركة الهند الشرقية الإنجليزية بتشييد مبنيين فى المدينة الجديدة ، فقد وجد الانجليز فى بندر عباس ما يتيح لهم نقل تجارتهم إلى فارس بطريقة أسهل من جاسك ولذلك بادروا بنقل وكالتهم إليها ، وظلت بندر عباس على امتداد قرن ونصف قرن مركز الثقل الرئيسى لشركة الهند الشرقية الإنجليزية على سواحل الخليج ومنها أخذ الإنجليز يسيطرون على تجارة الخليج وامتد ذلك إلى مراقبتهم لأوضاعه السياسية مستفيدين فى ذلك من التقارب الذى حدث بينهم وبين الفرس(٣) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن كثيراً من المصادر تحدد سقوط قلعة البرتغاليين فى هرمز على أيدى الفرس والإنجليز باعتبارها نقطة النهاية للسيطرة البرتغالية على الخليج العربى إلا أن حقيقة الأمر تبدو فى تحول

---

(١) Wilson, A. The Persian Gulf P. 124 see also Low, C. R., History of the Indian Navy vol. I P. 43 London 1877.

(٢) Philips, Wendell, Oman in history P. 91 London 1967,

(٣) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٧ .

البرتغاليين بتحصيناتهم إلى السواحل الغربية للخليج وبدأت القلاع البرتغالية في مسقط تدعم تدعيما كافياً باعتبارها القلاع الرئيسية التي أصبحت للبرتغاليين بعد سقوط قاعدتهم الحصينة في هرمز ، وقد يكون حقيقة أن الشاه عباس حاول تتبع البرتغاليين على السواحل الغربية للخليج العربي في مسقط وصحار وخورفكان ، إلا أن الجهود الفارسية باءت بالفشل بعد أن تمكن أندرادى قائد القلاع البرتغالية في مسقط وكان اسمه مرهوباً في المنطقة أن يعيد للبرتغاليين ما فقدوه من قلاع في تلك المناطق . وهكذا عوض البرتغاليون خسارتهم في هرمز حين اتخذوا من مسقط على الجانب الآخر من الخليج مسرحاً لعملياتهم حيث شيدوا بها حاميات بالغة المناعة، ولكي تكون مركزا لنشاطهم في الخليج سواء من حيث التجارة والدفاع . وبما أن حاميات مسقط لم تكن حاميات ملاحية كهرمز فقد كانت معرضة للضرب من داخلية عمان .. ولعل أبرز ما نلاحظه بصدد ذلك حين قام الإمام اليعربي ناصر بن مرشد بعد أن بويع بالإمامة الإباضية في عمان سنة ١٦٢٢ بجهود موفقة للقضاء على السيطرة البرتغالية، كما تمكن خلفاؤه من بعده من القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وشرق إفريقيا وأن يظهروا إلى الوجود أكبر دولة بحرية شراعية ظهرت في تاريخ العرب الحديث(١) .

وهكذا تزامن سقوط هرمز مع قيام أسرة جديدة تولت أعباء الحكم في عمان ونأت بنفسها عن أية تبعية فارسية أو برتغالية وهي أسرة اليعاربة التي استمرت قائمة بالحكم منذ ذلك الوقت حتى سقوطها في عام ١٧٤١ حيث خلفتها أسرة جديدة وهي أسرة البوسعيد التي لا تزال تحكم في سلطنة عمان حتى وقتنا الحاضر(٢) .

وقدر للإمام ناصر بن مرشد مؤسس أسرة اليعاربة أن يخوض صراعاً

---

(١) السالمي : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ٢ ص ٢ .

(٢) جمال زكريا قاسم : دولة بو سعيد في عمان وشرق إفريقيا — انظر المقدمة القاهرة ١٩٦٧ .

، ويراً ضد الفرس والبرتغاليين. وقد بدأ صراعه ضد الفرس حين اغتنم فرصة سقوط حصن البرتغاليين فى هرمز فقام بالقضاء على ما كان لمملكة هرمز من سيادة على صحار ، كما نجح فى تخليص جلفار (رأس الخيمة)(١) وكان تحصنها قوة فارسية نجح الإمام فى حصارها وإجبارها على التسليم ووقف موقفاً منيعاً أمام الفرس الذين حاولوا أن يرثوا البرتغاليين أو مملكة هرمز فى سيطرتهم على المواقع العمانية الأخرى(٢) .

ولم يلبث الإمام ناصر بن مرشد بعد ذلك أن واصل كفاحه ضد البرتغاليين حتى أرغمهم على التخلى عن المواقع التى كانوا يسيطرون عليها فى الساحل العمانى بحيث لم يعد لدى البرتغاليين عند وفاته فى عام ١٦٤٩ غير التحصينات المشرفة على مدينتى مسقط ومطرح . وقد اصطبغ الصراع العمانى البرتغالى بالنزعة الدينية المتحمسة والجهاد الدينى من جانب العمانيين عبر عنها بعض الشعراء وأورد ابن قيصر مقتطفات من قصائدهم فى سيرته عن الإمام ناصر بن مرشد(٣) .

---

(١) Badger, Percy, History of the Imams and Seyyids of Oman, Introduction and Analysis pp. XXIV London 1871.

(٢) عبد الله خلفان بن قيصر : سيرة الامام ناصر بن مرشد تحقيق عبد المجيد حسيب القيسى ص ٤١ — نشر وزاره التراث القومى والثقافة — سلطنة عمان ١٩٧٧ .

(٣) عبد الله بن خلفان بن قيصر : سيرة الامام ناصر بن مرشد ص ٧ ، ٩٧ ومن أمثلة ذلك ما جاء فى إحدى القصائد :

إمام الورى قم فى الطغاة مجاهداً ... فإنك منصور السرايا على العدى
فلا زلت للاسلام شمساً منيرة ... ولا زلت للظلام حتفاً مؤكدا

أو ما ورد فى قصيدة أخرى :

لقد سار الامام على النصارى ... بعسكد فى جحافله نهارا
بجيش عم أقطار الفيافى ... به الآساق قد كسيت غبارا
فهدم سورها وحمى بروجا ... مشيدة بها وحمى ديارا
وأيقنت النصارى مذ آتاها ... بطمس حيث لم يجدوا فرارا

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصراع العمانى البرتغالى على عهد الإمام ناصر بن مرشد بلغ أوجه فى عام ١٦٤٠ إذ بينما كان جنود الحامية البرتغالية يحتفلون باستقلال البرتغال عن إسبانيا حتى فاجأتهم قوة عمانية كبيرة ، وعلى الرغم من أن قوات الإمام ردت على أعقابها متكبدة خسائر فادحة إلا أن ذلك الوضع كان فاتحة لسلسلة من الهجمات العمانية الخطيرة ضد المعاقل البرتغالية فى عمان . ففى عام ١٦٤٣ استولى الإمام ناصر على صحار التى كان قد استولى عليها البرتغاليون فى أعقاب سقوط قلعتهم فى هرمز عام ١٦٢٢(١) ووجد الإمام ألا يعاود الهجوم على مسقط إلا بعد أن يحقق السيطرة على المناطق الداخلية فى ضنك وعبرى والجوف . وفيما يبدو لنا أنه كان فى حاجة إلى تهدئة الموقف بينه وبين البرتغاليين حتى يتفرغ لاستكمال عملية التوحيد الداخلى . وعندما توفى فى عام ١٦٤٩ بويع بالإمامة من بعده إلى ابن عمه سلطان بن سيف الذى استهل عهده بإرسال قوة عمانية ضخمة بقيادة سعيد بن خليفة لحصار مسقط واضطر البرتغاليون بسبب قسوة الحصار وانتشار الطاعون بين أفراد الحامية البرتغالية(٢) إلى قبول الهدنة التى فرض فيها العمانيون شروطاً قاسية . وكان أبرز ما جاء فيها أن يهدم البرتغاليون القلاع التى يملكونها فى كل من مطرح وقريات ودبا وصور وتسويتها بالأرض وفى مقابل ذلك يهدم الإمام قلعة كان قد أمر ببنائها فى مدينة مطرح ومعنى ذلك أن تبقى مطرح ميناء حراً لا يخضع لأى من الجانبين كما تعهد العمانيون بتدمير كافة التحصينات التى أقاموها خلال فترة حصارهم للبرتغاليين ، وألا يكون للبرتغاليين حق إقامة تحصينات أخرى على أنقاض الحصون البرتغالية(٣) على أن أهم ما يستلفت النظر ما نصت عليه الهدنة على اعتراف

---

(١) Farroughy, Abbas, Bahrein Islands (1950–1951) A contribution to the study of Power Politics in the Persian Gulf P. 64 New York 1951,

(٢) Kelly, J., Britain and the Persian Gulf P. 15 ff London 1968.

(٣) The Imperial Gazetteer of India CF. The Indian Empire vol. II P. 455 ff. Oxford 1908.

البرتغاليين بحرية التجارة فى مسقط والمحيط الهندى وأن تمر السفن العمانية فى البحر دون تفتيش وإن كان يتعين عليها أن تتزود بقراطيس أو تصريحات من المراكز البرتغالية فى الهند عند عودتها . وهذه القراطيس تعتبر بمثابة جوازات للمرور تسمح للعمانيين بالإبحار بحرية مع أى نوع من البضائع وإلى أى من الموانى ، ولا تجبى ضرائب منهم ، وأن تكون هناك صداقة بين ملك البرتغال وإمام عمان ، أصدقاؤه أصدقاءه وأعوانه أعوانه وألا يعتدى العمانيون على البرتغاليين ولا البرتغاليرن على العمانيين وأن تكون التجارة حرة وبدون عوائق بين الطرفين (١).

وعلى أثر سقوط مسقط فى عام ١٦٤٩ استقر المقام بالبرتغاليين فى ميناء كنج الصغير الذى يقع على الساحل الشرقى فى الخليج إلى أن دمر العمانيون معقل البرتغاليين فيه خلال اشتداد صراعهم معهم فى نهاية القرن السابع عشر عام ١٦٩٥(٢) . ومما لا شك فيه أن سقوط قلاع البرتغاليين الحصينة فى مسقط كانت بمثابة مذلة كبيرة ألحقت بالبرتغاليين ومن المعروف أن البرتغاليين كانوا يعتقدون بأن حصونهم لا تقهر كما كانوا يطلقون عليها . حتى أن ملك البرتغال اعتبر شروط الصلح التى وافق عليها قائد الحامية البرتغالية فى مسقط دى نورونها « Dom Juliao de Noronha » بمثابة إهانة شخصية لـه والملك أمر بإلقاء القبض عليه واستدعائه إلى لشبونه وإجراء تحقيق شامل معه ولكن قائد الحامية البرتغالية بادر بالفرار إلى كوشين . وبسقوط هرمز فى عام ١٦٢٢ ومسقط فى عام ١٦٤٩ ضاع من القاب ملك البرتغال لقبان هامان وهما « سيد الفتح والتجارة والملاحة فى الجزيرة العربية وفارس » وذلك من

---

(١) Boxer C.F. some aspects of the struggle between the Omanis and the Portuguese 1650–1730 P. 27.

من أعمال ندوة مراكز دراسات الخليج العربى أبوظبى نوفمبر ١٩٧٩ .

(٢) Miles, S. The Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II pp. 196–197.

بين الألقاب العديدة التى كان ملوك البرتغال قد أطلقوها على أنفسهم منذ حركة الكشوف البحرية البرتغالية الكبرى(١) .

وقد استمرت العمليات العمانية ضد البرتغاليين حتى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر وشملت جميع المراكز البرتغالية المتبقية لهم فى الخليج كما تعقب العمانيون البرتغاليين فى مراكزهم فى سواحل الهند وفى خلال هذه الفترة أخذت إمامة عمان تتحول إلى أكبر قوة بحرية محلية فى بحار الشرق مما مكنها من طرد البرتغاليين من قواعدهم فى شرق إفريقيا حيث سقطت كل من كلوة وزنجبار وممبسة ، وكادت تسقط موزمبيق ذاتها وبدأ اليعاربة يرسون أساس حكم عمانى فى شرق إفريقيا وهو الأساس الذى سيرتكز عليه فيما بعد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ — ١٨٥٦) لكى يبرز إلى الوجود أول دولة آسيوية إفريقية ظهرت فى التاريخ الحديث .

وقد حفظت لنا بعض المصادر التاريخية عدة رسائل تبودلت بين الإمام سيف بن سلطان وبين البرتغاليين كانت تتضمن الكثير من التحدى السافر والتعصب الدينى البالغ ، ورغم التهديدات العنيفة التى وجهها البرتغاليون إلى الإمام سيف إلا أنه كان على استعداد كبير للمواجهة معهم وقد يكون من المفيد أن نشير فى هذا المجال إلى بعض المقتطفات التى نقلناها من تلك الرسائل التى يذكر البرتغاليون فى إحداها :

« إننا جنود الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لا يمتثل لأمرنا ، قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال .. » .

وجاء فى رد الإمام سيف :

« ما جاء بكتابكم من أن الرحمة قد انتزعت من قلوبكم فهذا من أقبح

---

(١) Boxer, C.R., op. cit. P. 29

عيونكم وقولكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال فدعنى أقول لكم إن الجزار لا يبالى بكثرة الغنم والماعز وإن الله مع الصابرين .. » .

ومما يذكر أن القبطان الفرنسي شارل جيان « Guillain » نقل هـذه الرسائل وأوردها مترجمة إلى الفرنسية فى حين نجد أصولها العربية فى كتاب السالمى الذى يبدو أنه نقلها كما فعل جيان عن بعض المخطوطات العمانية القديمة(١) .

وعلى الرغم من الدور الكبير الذى قام به اليعاربة للتخلص من السيطرة البرتغالية إلا أن نجاحهم كان يرتبط إلى حد كبير بتقديرهم أهمية الاستفادة من المنافسة الدولية فى بحار الشرق ، ولعل ذلك كان دافعاً بهم إلى إيجاد علاقات مع بعض القوى الأوربية التى ظهرت فى الخليج العربى .

وطبقاً لما تذكره بعض المصادر أن علاقة اليعاربة بالإنجليز بدأت منذ تأسيس دولتهم أى على عهد الإمام ناصر بن مرشد وإن كانت تلك العلاقات لم تتصف بالاستمرارية على عهد أسرة اليعاربة على عكس ما حدث على عهد أسرة البوسعيد . وقد بدأت العلاقات بين اليعاربة والإنجليز فى عام ١٦٤٥ حين حاول الإمام ناصر بن مرشد أن يحكم الخناق على البرتغاليين اقتصادياً ولذلك طلب من شركة الهند الشرقية الإنجليزية من مركزها فى سورات إرسال مبعوث من قبلها للتفاوض من أجل إقامة علاقات تجارية وعلى الفور وفد فيليب وايلد « Wylad » إلى ميناء صحار حيث نجح فى التوصل إلى اتفاقية كانت تنص على أن يتمتع الإنجليز بحرية التجارة فى

---

(١) السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ٢ ص ١٠٨ – ١٠٩ القاهرة ١٩٦١ وكذلك :

Guillain, Charles, Expose critique des diverses notions acquises sur l'Afrique Orientale CF. Documents Sur l'Historire, la Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale II P.Tome 518 SQ.

مسقط وحرية حمل السلاح وممارسة شعائرهم الدينية ، كما نصت الاتفاقية إلى جانب ذلك على تنظيم القواعد الخاصة فى حالة وقوع منازعات بين الرعايا الإنجليز وبين رعايا الإمام . وعلى الرغم من أن هذه الاتفاقية وقعت فى فبراير عام ١٦٤٦ إلا أن الإنجليز لم يجدوا أى حافز لوضعها موضع التنفيذ ولعل ذلك يرجع إلى الانكماش الواضح فى التجارة الإنجليزية فى منطقة الخليج العربى على أثر تصاعد المصالح الهولندية ومع ذلك فإن أهمية هذه الاتفاقية ترجع إلى كونها الحلقة الأولى فى سلسلة معاهدات الصداقة والتجارة التى وقعت بين شركة الهند الشرقية الانجليزية وعمان(١) . .

وقد ظهر التقارب الانجليزى العمانى واضحاً على عهد الإمام سلطان بن سيف (١٦٤٩ — ١٦٧٩) حين رست إحدى السفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى ميناء مسقط فى عام ١٦٥٨ وبادر الإمام إلى استضافة قائدها وكانت الدلائل تشير إلى احتمال التوصل إلى اتفاقية أخرى بين شركة الهند الشرقية الانجليزية وإمام عمان لإقامة وكالة تجارية فى مسقط ، ولما كان ممثلو الشركة فى سورات أكثر حماساً لإقامة هذه الوكالة فقد بادروا بإيفاد الكولونيل رينسفورد « Rainsford » فى عام ١٦٥٩ إلى مسقط للحصول على موافقة الإمام على إقامتها وأثمرت المفاوضات عن توقيع اتفاقية بين الإمام وبين ممثل الشركة ، كانت تنص على أن يمنح الإمام الإنجليز إحدى القلاع فى مسقط وأن يكون لهم حق إقامة حامية بها بشرط ألا يزيد عدد أفرادها عن مائة جندى وأن يتقاسم الإنجليز مع الإمام الإيرادات الجمركية(٢) على أن هذه الاتفاقية لم توضع موضع التنفيذ أيضاً ولعل ذلك كان بتحريض الهولنديين الذين أخذوا يبرزون كمنافسين أقوياء للانجليز فى احتكار تجارة المنطقة أو أن يكون الإمام قد تقاعس عن تنفيذها بسبب الاتجاه الدينى للإمامة وهو عدم السماح لأية قوة أجنبية بالاستقرار فى أراضيها وهو تقليد سيتبعه

---

(١) Skeet, John, Muscat and Oman, The End of an Era P. 65 London 1974.

(٢) Ibid, P, 38.

الأئمة المتعاقبون على عمان . على أن التحالف الإنجليزى الهولندى لم يلبث أن ترك أثراً واضحاً فى عمان من حيث ترجيح كفة الإنجليز فى تعاملهم التجارى مع عمان ، ولعل ما يؤكد لنا ذلك الزيارات المتكررة التى كانت تقوم بها سفن شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى الموانى العمانية حتى وصل الأمر إلى التفكير فى إعادة مشروع إنشاء الوكالة التجارية فى مسقط(١) .

وتكاد تجمع كثير من المصادر التى تناولتها على أنه فى ظل العلاقات الودية التى وجدت بين اليعاربة من ناحية ، وبين الإنجليز والهولنديين من ناحية أخرى اشتد الصراع العمانى البرتغالى فى الخليج العربى بل وانتقل مسرح الصراع إلى المحيط الهندى فى سواحل الهند وسواحل شرق إفريقيا ، ففى عام ١٦٩٤ نشط الإمام سيف بن سلطان فى محاربة البرتغاليين فى الهند حيث هاجم قاعدتهم فى باسين ، كما هاجمت مجموعات بحرية عمانية أخرى ساحل كجرات وميناء بومباى وكانت أكبر العمليات العسكرية معركة جزيرة سالست حيث نزلت القوات العمانية واشتبكت فى صراع عنيف مع الحامية البرتغالية الموجودة فيها(٢) . أما فى سواحل شرق إفريقيا فقد كان أكبر انتصار أحرزه العمانيون هو نجاحهم فى اسقاط قلعة المسيح فى ممبسه ١٦٩٨ وتبع ذلك سيطرتهم على بمبا وكلوة وزنجبار حتى تم لهم طرد البرتغاليين من جميع قواعدهم الواقعة شمالى موزمبيق ، وأصبحت هذه المناطق من التوابع العمانية(٣) . ولا شك أن هذا التقدم الكبير فى القوة العمانية دفع البرتغاليين إلى تعليل سبب نجاح اليعاربة فى صراعهم معهم إلى تلقيهم إمدادات وأسلحة من الإنجليز فى الهند ، بل ومضى البرتغاليون إلى أبعد من ذلك فى

---

(١) Skeet, I, op, cit. P. 38.

(٢) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٩٨ .

(٣) يذكر جيان أن العمانيين حاولوا اسقاط موزمبيق بعد نجاحهم فى اسقاط حصن ممبسة ولكنهم سرعان ماتراجعوا بعد أن عمد البرتغاليون إلى إرهابهم عن طريق تفجير لغم كبير وضعوه هناك انظر :

Guillain. op. cit. Tome II P. 320 ff.

ادعائهم أن السفن العمانية كانت ترفع العلم الإنجليزى ويقودها ضباط إنجليز .

ولعل السؤال الذى نطرحه هنا . . هل شارك الإنجليز فعلا فى الصراع العمانى البرتغالى ؟ . .

وعلى الرغم من أن بوكسر « Boxer » وهو أحد الباحثين الثقاة فى الصراع البرتغالى العمانى فى المحيط الهندى يجيب على هذا السؤال بتأكيده أنه كان هناك تعاطف انجليزى مع العمانيين ضد البرتغاليين يرجع أسبابه إلى الصراعات المذهبية بين الإنجليز الانجليكان وبين البرتغاليين الكاثوليك بالإضافة إلى سياسة الاحتكار التى كان يفرضها البرتغاليون إلا أنه لا يعتقد أن الإنجليز قدموا مساعدات كبيرة للعمانيين وإن كان يقرر فى نفس الوقت أن بعض البحارة الإنجليز عملوا فى الأسطول العمانى ولكنهم لم يكونوا بالكثرة التى تستلفت النظر ، كما أنهم كانوا يقومون بهذه المهمة كأجراء لدى العمانيين وليسوا بصفة رسمية بل نكاد نصل إلى عكس هذه الفكرة تماماً حينما نعلم أن الإنجليز كانوا قلقين من تصاعد القوة العمانية ويفهم ذلك من المعاهدة التى وقعت بين انجلترا والبرتغال فى عام ١٦٦١ وهى المعاهدة التى توجت بزواج الملك شارل الثانى من كاترين أوف برجنزا حيث نصت إحدى موادها على أن يقدم الإنجليز مسقط إلى البرتغال إذا ما قدر لهم فى أى وقت السيطرة عليها(١) . ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره بوكسر أن العلاقات أخذت تسوء بين اليعاربة والانجليز إذ كان اليعاربة يهاجمون السفن الانجليزية ويجبرون بحارتها على مشاركتهم فى بعض عملياتهم العسكرية ضد البرتغاليين أى أنه لم يكن هناك تحالف بين الفريقين بل على العكس من ذلك نجد فى تقارير الوكالة التابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى بندر عباس أن الأسطول العمانى يعوق تجارة الشركة فى الخليج كما كتب حاكم مدراس إلى رئاسة الشركة أن العمانيين يعوقون التجارة فى ساحل كروماندل(٢) ولا شك أن التفوق

---

(١) Boxer, C.R., op. cit. P. 29

(٢) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره ص ١٠٣ و ١١١ .

البحرى العمانى قد أفزع الإنجليز . وقد عبر المستر برانجون « Brangwin » وكيل شركة الهند الشرقية الإنجليزية فى بندر عباس عن تلك المخاوف بقوله. فى ديسمبر عام ١٦٩٤ إن العمانيين سيصبحون كارثة على الهند مثلما كان الجزائريون كارثة على أوربا(١) . وعلى الرغم من أن التفوق البحرى لليعاربة كان كافياً لكى يحرك الإنجليز للتصـــدى لذلك النفوذ الذى بلغته عمان إلا أن الإنجليز لم يقدموا على ذلك ولعل انشغال الإنجليز فى تثبيت نفوذهم فى الهند وتورطهم فى حرب الوراثة الإسبانية هو الذى منعهم من الإقدام على ذلك ، كما أن القوة البحرية الكبيرة التى بلغتها عمان فى نهاية القرن السابع عشر جعلت مجرد تفكير الإنجليز فى التصدى لها بمثابة مجازفة لم تكن شركة الهند الشرقية الانجليزية مستعدة لتحملها(٢) .

والأمر الذى لا شك فيه أن صراع اليعاربة ضد البرتغاليين مكنهم من الحصول على مكاسب هائلة وتمكن أئمة اليعاربة من الحصول على ثروات ضخمة وكانوا يعدون أكبر ملاك السفن فى الجزء الغربى من المحيط الهندى. وقد تحدثت كثير من المصادر عن قوة الأسطول العمانى وسيطرته على تجارة. المحيط الهندى وركزت بصفة خاصة على سفينة الإمام سيف بن سلطان المسماة بالفلك والتى كانت مسلحة بأكثر من ثمانين مدفعاً(٣) .

وفى تقديرنا أن الذى أعان اليعاربة على ذلك التفوق البحرى أن سياسة الدول الأوربية فى الفترة التى تلت انهيار السيطرة البرتغالية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجارى كما كانت عليهاسياسة البرتغاليين وإنما انصرفت. تلك الدول إلى تأسيس الشركات التجارية وإقامة المستعمرات واستغلال الأهالى وتكوين الامبراطوريات ، أما فى التجارة فقد أفسحت المجال للعناصر

---

(١) Wilson. A' The Persian Gulf P. 194.
See also Lockhart L. The Fall of Savafi Dynasty P. 68.

(٢) Lockhart, op. cit P. 68.

(٣) ·Coupland, R. East Africa and It's Invaders P. 69 London 1939.

المحلية التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل فيها من جديد إلى أن تنبهت تلك القوى إلى ما يمكن لهذه العناصر المحلية أن تشكله من خطورة عليها فحرصت بعد ذلك على تصفيتها بهدف تأمين مواصلاتها الاستعمارية إلى الهند ، وترتب على ذلك دخولها فى علاقات مع تلك القوى المحلية ولم تكن هذه العلاقات فى صالحها بطبيعة الحال(١) .

وكان مما مكن أئمة اليعاربة من تكوين أسطولهم أنهم استطاعوا بفضل صداقتهم لبعض أمراء الهنـــد أن يضمنوا جلب الأخشاب اللازمة لبناء السفن وهناك عدة اتفاقيات عقدها اليعاربة مع حاكم مقاطعة بجو فى الهند منذ عام ١٧٠٧ ولعل ذلك مما سيدفع جون مالكولم « Malcolm » ، فى أوائل القرن التاسع عشر إلى الاعتقاد بأن أحسن الوسائل للقضاء على القوة البحرية العمانية هو قطع الصلة بين عمان وأمراء الهند(٢) .

ويمكننا أن نتعرف على المدى الذى وصلت إليه القوة البحرية العمانية على عهـــد اليعاربة من قراءتنا لما كتبه هاميلتون « Hamilton » الذى تحدث عن قوة عرب عمان وذكر أن أسطولهم كان يشتمل على مئات من السفن الكبيرة ذات الحمولات المختلفة من المدافع الثقيلة(٣) ، وأكد الرحالة « فريزر » أن الاحتراز يتطلب عدم استفزازهم إذ أننا لن نجنى من وراء ذلك ســوى ضربات تكال علينا(٤) . كما كتب الرحالة بروس « Bruce » فى عام ١٦٩٥ مؤكداً أن عرب عمان سوف يحرزون القيادة والنفوذ فى الخليج العربى ، وكذلك تحدث كولومب « Colomb » عن التفوق الملاحى الذى

---

(١) عبد الفتاح ابراهيم : على طريق الهند ص ٣٠ / ٣١ بغداد ١٩٣٥ .

(٢) Morrier, James, A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinpole 1809 P. 375 London 1912 see also Bombay Govt., Selection from the Records of Bombay Govt. vol. XXIV P. 169 Bombay 1856.

(٣) Guillain, op. cit. Tome II P. 528

(٤) Wilson, A, The Persian Gulf P. 192 — 193.

بلغه اليعاربة فى عمان . على أن هناك مصادر كثيرة وصفت الحروب البحرية التى كان يقوم بها اليعاربة ضد البرتغاليين وغيرهم من القوى الأوربية الأخرى التى حلت محلهم فى السيطرة والنفوذ فى بحار الشرق بأنها كانت نوعا من القرصنة ، ولعل هذه المصادر قد تجاهلت ما ارتكبه البرتغاليون فى بحار الشرق من أعمال شاذة غير إنسانية وربما يرجع تعليل ذلك الأمر إلى عدم اعتراف القوى الأوربية بالتنظيمات السياسية العربية فى الخليج العربى ورفض إطلاق لفظ الدولة عليها، ومن ثم لم تفرق هذه المصادر بين العمليات البحرية التى كان يقوم بها اليعاربة تحقيقاً لسيادتهم وبين ما كان يمارس من قرصنة فردية ومع عدم التسليم بما جاء فى تلك المصادر فإنه مما يدعو للدهشة أن تكون القرصنة عملا قوميا إذا ما ارتبطت بالأوربيين أما إذا ارتبطت بالعرب أو المسلمين فإنها تعد عملا من أعمال السلب والنهب !! .

ويكفى أن نشير بصدد ذلك إلى ما كانت تفعله انجلترا حين عهدت إلى مغامرين بحريين من أمثال كافندش « Cavendish » ، وفرنسيس دريك « Drake » ، وغيرهما كثيرين لممارسة عمليات القرصنة ضد إسبانيا ، وكان أولئك القراصنة يكرمون من قبل الملكة اليزابيث الأولى ويمنحون الألقاب التعظيمية باعتبارهم يقومون بأعمال قومية مجيدة . وكما حفلت سواحل الأطلنطى بعمليات القرصنة شهدت بحار الهند الكثير من تلك العمليات أيضاً ولم تكن القرصنة الأوربية هى التى تخشاها الدول الأوربية وإنما كانت العمليات البحرية العمانية هى التى تخيفها فى حقيقة الأمر ولعل ذلك ما دفع الدول الأوربية إلى التكتل فيما بينها رغم ما كان يقوم بينها من منافسات لإضعاف القوة البحرية العمانية ، وبالفعل وقعت تلك الدول عدة إتفاقيات فيما بينها لعل أهمها إتفاقية ١٧٠٠ بين كل من انجلترا وفرنسا وهولندا قسمت بموجبها المناطق البحرية التى ينبغى على كل منها أن تحافظ فيها على سلامة الملاحة فاختص الفرنسيون بالخليج العربى بينما اختص الإنجليز ببحار الهند الجنوبية واختص الهولنديون بسواحل البحر الأحمر الجنوبية وكانت هذه الاتفاقية قد وضعت أساساً لمقاومة القرصنة الأوربية والعربية فى تلك المياه (١) .

---

(١) Wilson, A, op. cit. P, 195.

ولعل مماتجدر الاشارة إليه أن دولة اليعاربة فى عمان لم تكن الدولة الوحيدة التى استفادت من انهيار السيطرة البرتغالية لتحقق لنفسها التفوق البحرى فى الخليج العربى وانما حاولت فارس أن تحقق لنفسها ذلك التفوق أيضاً ولم تبد سلطات شركة الهند الشرقية الانجليزية فى سورات والتى كانت مسئولة بحكم ارتباطها بتجارة الخليج عن السياسة البريطانية فى المنطقة منذ بداية القرن السابع عشر أية معارضة للتغلغل الفارسى فى الخليج العربى جنوبا وغربا مما مكن فارس من تأكيد سيطرتها على تلك السواحل خلفا للسيطرة البرتغالية وكان مما ساعد فارس على ذلك أيضا عـــدة عوامل من بينها أنه لم تقم فى منطقة الخليج العربى خلال فترة السيطرة الاستعمارية البرتغالية أية تنظيمات عربية قوية ، والأهم من ذلك أن السياسة الانجليزية كانت تؤيد فارس فى تغلغلها فى الخليج لأن شركة الهند الشرقية الإنجليزية كانت تمارس نشاطا اقتصاديا وتجاريا فى فارس وخاصة فى مقاطعاتها الجنوبية وبالتالى كان الانجليز حريصين على تأكيد السيادة الفارسية على السواحل الشرقية للخليج لما سوف يترتب على ذلك من تحقيق مزيد من المكاســب الاقتصادية والامتيازات التجارية بالنسبة لهم هذا بالاضافة إلى أن التقارب الانجليزى الفارسى على عهد الشاه عباس الكبير قد ساعد الانجليز إلى حد كبير على منافسة الهولنديين الذين حاولوا أن يدلوا بدلوهم فى المنافسات التجارية والاستعمارية التى احتدمت فى منطقة الخليج العربى والتى ظهرت واضحة منذ بداية النصف الثانى من القرن السابع عشر[1] . على أنه مما يسترعى الانتباه أنه بينما كانت فارس تتطلع إلى وراثة النفوذ الاستعمارى البرتغالى فى الخليج إلا أنها وجدت نفسها فى وضع المواجهة مع دولة اليعاربة فى عمان وعلى العكس من ذلك أخذ اليعاربة يغتنمون فرصة الاضطرابات الداخلية التى كانت تتعرض لهـــا

---

(١) Foster, W. op. cit. P. 79 see also Saldanha, East India Companies Connexion with the Persian Gulf 1600–1800, Selection from Bombay State Papers cf Report on the Commerce of Arabia and Persia 1790.

فارس لكى يؤكدوا لأنفسهم السيطرة والتفوق على مياه الخليج [١] .
ولذلك لم تسلم فارس من تعرض العمانيين لمصالحها وبلغ مقدار الضرر الذى تعرضت له التجارة الفارسية بل والسيادة الفارسية على سواحلها المطلة على الخليج العربى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أن حاولت الاستعانة بإحدى القوى الأوربية لتقضى على منافسة عمان لها وفيما تقرره الكثير من المصادر أن الحكومة الفارسية تقدمت فى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر إلى شركة الهند الشرقية الانجليزية لكى تعاونها فى الهجوم على مسقط فى مقابل منح الانجليز فى مسقط نفس الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها من قبل الفرس فى ميناء بندر عباس[٢] . ولكن شركة الهند لم تتحمس فى ذلك الوقت للعروض الفارسية إذ لم يكن لديها الرغبة فى التدخل عسكريا فى شئون الخليج لما كان يستلزم منها الأمر مواصلة إرسال السفن والجنود التى كانت أحوج ما تكون إليهم فى تنظيم وتوطيد نفوذها فى ممتلكاتها فى شبه القارة الهندية ، وإن كانت قد حرصت فى نفس الوقت على أن تقف حائلا دون استفادة الهولنديين من ذلك الموقف لما يؤدى إليه ذلك من تفوقهم على الإنجليز فى فارس والخليج العربى[٣] . ومن ناحية أخرى فقد استلفتت تجارة مسقط فى المحيط الهندى وفى سواحل شرق إفريقيا اهتمام شركة الهند الشرقية الإنجليزية حتى أن ممثلى الشركة فى البصرة وبغداد كتبوا إلى رئاسة الشركة يؤكدون أن مسقط تعد من أبرز القوى المحلية فى الخليج وأن سفنها أصبحت تسيطر على تجارته وحث كل من هارفورد جونز وصمويل

---

(١) Miles, Samuel, The Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II P. 150 London 1919.

(٢) Curzon, G. Persia and the Persian Question vol. II P, 438 London 1902.

(٣) Bombay Government, Selection from the Records, vol. XXIV P. 168.

ما نيستى حكومة الشركة على أهمية تأسيس وكالة لها فى مسقط [١] : وإنه كانت الشركة لم تقم بأى إجراء مكتفية حتى أوائل القرن التاسع عشر بمن كانت تعينهم من العناصر الوطنية لإدارة شئون الشركة فى مسقط [٢] .

والجدير بالذكر أن فارس لم تدع سبيلا إلا وسلكته من أجل اضعاف القوة البحرية العمانية بل كانت رغبتها فى ذلك من أهم الأسباب التى دفعت بها إلى احتلال بعض المقاطعات العمانية وحدث ذلك على عهد نادر شاه كما سنشير إلى ذلك فيما بعـــد وقد يكون من المفيد قبل أن نصل إلى ظروف هذا الاحتلال التى استطاعت به فارس أن تحرز سيطرة مؤقته على عمان أن نسجل هنا استمرار المحاولات الفارسية للحصول على دعم أوربى لها إذ أنه على أثر فشل فارس فى الحصول على مساعدات بحرية من شركة الهند الشرقية الانجليزية قررت الالتجاء إلى فرنسا وكان ذلك على عهد لويس الرابع عشر حيث تم توقيع معاهدة بين فارس وفرنسا فى عام ١٧٠٨ كانت تحتوى على بعض النصوص السرية التى تقضى بأن يقوم الفرنسيون بارسال أسطول لمساعدة فارس فى احتلال مسقط [٣] . وعلى الرغم من توقيع تلك المعاهدة إلا أن فرنسا ترددت كثيراً فى تقديم تلك المساعدة وتركز الكثير من المصادر على الجهود الكبيرة التى بذلها الشاد لكى يحث فرنسا على تنفيذ المعاهدة من ذلك ما يذكره ماســـون Masson فى كتابه عن التجارة الفرنسية فى الليفانت أنه فى عام ١٧١٤ أرسل شاه الفرس مبعوثا إلى لويس الرابع عشر لكى يطلعه على الصعوبات التى تتعرض لها فارس ولكى يعقد

---

(١) I.O. P. & S 120 / C. 227 Report of Commerce of Arabia and Persia by Samuel Manisty and Harford Jones 1790.

(٢) Landen, R, Oman Since 1856 P, 145

(٣) Farroughy, Abbas, op. cit. pp. 65–66

محالفة مع فرنسابقصد القضاء على قوة عمان البحرية[1]. ويضيف فلاسون Flasson بأن المفاوضات الفرنسية الفارسية انتهت بموافقة الحكومة الفارسية على تعهد فارس بأن تمنح مسقط بكافة تحصيناتها إلى الحكومة الفرنسية كما التزمت فارس بأن تبذل أقصى ما فى وسعها لطرد الدول الأخرى المنافسة لفرنسا فى سيطرتها على طريق الهند [2]. وفى أغسطس ١٧١٥ تم التوصل إلى اتفاقية بين البلدين كانت أهم ما تنص عليه اعفاء الفرنسيين من دفع رسوم الاستيراد والتصدير وعدم تحديد حجم تجارتهم ومنحهم نفس الامتيازات التى تمنح مستقبلا للدول الأوربية الأخرى بيد أن هذه الاتفاقية لم توضع موضع التنفيذ إذ رفضت حكومة الشاه المصادقة عليها بسبب عدم الإشارة إلى قيام تحالف بين فرنسا وفارس وعلقت فارس المصادقة على تلك الاتفاقية إلى حين وصول السفن الفرنسية إلى الموانى الفارسية وحينما وصلت بعض السفن الفرنسية إلى ميناء بندر عباس فى عام ١٧٢١ تم التصديق على المعاهدة التى طال انتظارها بيد أن الانتصار الذى حققته الديبلوماسية الفرنسية كان انتصار قصير الأجل إذ سرعان ما تطور الموقف بشكل حال دون تمكن فرنسا من انتزاع أية فائدة من تلك المعاهدة [3]، ولعل فرنسا اتجهت بعد ذلك اتجاها معاكساً حين عملت على تطوير علاقتها بمسقط وزيادة حجم تجارتها مع عمان عن طريق مستعمرتها فى جزيرة موريس وكان السبب فى ذلك يرجع فى الدرجة الأولى الفوضى التى اجتاحت فارس وأدت إلى غزو الأفغان لها فى عام

---

(١) Masson, Histoire de Commerce Francais dans le levant P. 525 Paris 1911.

(٢) Flasson, Histoire de la Diplomatique Francais Livre II see also D'Avril, le Golfe Persique, Route de l'Inde et de la Chine Extrait de la Revue des Questions Diplomatiques et Coloniales Paris 1905.

(٣) Lockhart, L., op. cit. P. 472.

١٧٢٢ (١) ، ولما كان الغزو الأفغانى لفارس ، قد أسفر عن انهيار واضح لمركزها فى مياه الخليج فقد حاول نادر شاه بعد تحرير بلاده من الاحتلال الأفغانى وعقب وصوله الى السلطة والغائه الأسرة الصفوية الحاكمة تقوية مركز فارس فى الخليج العربى ومن ثم عمد الى تأسيس أسطول فارسى لم يكن لفارس عهد به من قبل(٢) .

وقد بدأ نادر شاه يوجه اهتمامه بانشاء ذلك الأسطول منذ عام ١٧٣٤ حين أرسل لطيف خان إلى ميناء بندر عباس وحمله بضعة رسائل الى ممثلى شركة الهند الشرقية الإنجليزية والهولندية يخبرهم فيها بأمر تعيينه للطيف خان قائدا للأسطول الفارسى وطلب فى تلك الرسائل من ممثلى الشركتين مساعدته فى شراء بعض السفن ، وفى نفس ذلك العام أصدر نادر شاه تعليماته إلى لطيف خان بتوسيع ميناء بوشهر بهدف استخدامه قاعدة للأسطول الفارسى المتوقع انشاؤه(٣). والجدير بالذكر أن لطيف خان قد ألح على ممثلى الشركتين الانجليزية والهولندية بأن استجابتهم لرغبة الشاه هى الضمان الوحيد للابقاء على امتيازاتهم مما اضطر الشركتان الانجليزية والهولندية إلى تقديم بعض السفن اللازمة لتأسيس الأسطول الفارسى(٤) .

وقد حفلت الوثائق الهولندية بأنباء المساعدات التى قدمت لنادر شاه من قبل شركة الهند الشرقية الهولندية — وعن توقيع تعاقد بين تقى خان حاكم اقليم فارستان وممثل شركة الهند الشرقية الهولندية فى بندر عباس كان ينص على أن تضع الشركة أسطولها تحت تصرف فارس على أن تكون الحكومة الفارسية مسئولة عن أى دمار تتعرض له سفن الأسطول وأن يعمل الأسطول الهولندى فى تعقب السفن العربية فى مقابل أن يجد

---

(١) Masson, op. cit. P. 544.

(٢) Lockhart L. The Navy of Nadir Shah cf Proceedings of the Iranian Society vol I Part I London 1936.

(٣) India office : Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Gombroon diary Feb. 3, 1734 — 5 July 1734.

(٤) I.O. Factory Records, Gombroon diary November 11, 1734 cf. Persia and the Persian Gulf — letters from Bussora, Gombroon etc — Gombroon Diary June 18, 1734.

الهولنديون تأييداً من قبل فارس فى العمليات العسكرية التى يقومون بها ضد القوى المناوئة لهم فى الخليج العربى[١].

وهكذا يرجع إلى الفترة التى حكم فيها نادر شاه نجاح فارس فى تكوين أسطول بحرى خاص بها ومع ذلك فقد كان واضحا أن ذلك الأسطول مقضى عليه بالفشل إذ أثبت الفرس أنه لم يكن لهم خبرات فى فنون الملاحة حتى أن نادر شاه اضطر إلى الاستعانة بالملاحين العرب لقيادة بعض قطع أسطوله . كما أدى تقاعس انجلترا وهولندا عن استمرار تزويده بحاجته من السفن إلى محاولته تصنيع السفن فى ميناء بوشهر وذلك بنقل الأخشاب إلى ذلك الميناء من غابات مازندران ولا يخفى ما تكبده فى سبيل ذلك من نفقات باهظة وخاصة فى الجهد البشرى حيث كانت تنقل قطع الأخشاب على ظهور الرجال ومع ذلك فان تلك الجهود كما لاحظ نيبور **Neibuhr** لم تؤد إلى نتيجة إيجابية من حيث استمرارية القوة البحرية الفارسية التى ارتبطت بحياة نادر شاه[٢]. كما كان الانتعاش البحرى الفارسى مرتبطا أيضاً بتردى أسرة اليعاربة فى مشكلاتها الداخليه وصراعاتها الأسرية مما أدى إلى انهيار تفوقها البحرى وهو الأمر الذى سيدفع بنادر شاه إلى احتلال عمان وتأسيس سيادة فارسية شاملة عليها[٣]. وهذه المحاولة لها أهميتها الخاصة وذلك لأن عمان كانت أهم قوة محلية فى الخليج العربى ومن ثم كان القضاء على قوتها واحتلال مقاطعاتها يعد نجاحاً كبيراً لنادر شاه إذ أن ذلك كان يخلصه من أكبر منافس له فى زعامة الخليج بيد أن ذلك الدور الذى قام به فى تاريخ بلاده كان مرتبطاً بحياته إذ إنهارت القوى البحرية الفارسية فى أعقاب اغتياله فى عام ١٧٤٧ وعادت القوى العربية البحرية تستأنف نشاطها من جديد .

---

(١) CF. contract between Memet Tackie chan and the Dutch Cambay 27. XI, 1740 VOC 2546 — Papers Received from the Colonies of Holland in Gombroon 1742, vol. 34. Abu Dhabi Doc. Centre

(٢) Sykes. P., History of Persia vol. II P. 366 London 1915.

(٣) F.R. Letters from Bussora, Gombroon etc June 18, 1735.

الفصل الثالث

الأوضاع الداخلية فى عُمـــان

الصراعات الداخلية بين النباهنة والإباضيين وبنى جبر ظهور أسرة اليعاربة ومحاولة بناء الجبهة الداخلية — التنافس حول الإمامة ونشأة الكتلتين الهناوية والغافرية — التدخل الفارسى فى عمان — سقوط اليعاربة وقيام البوسـعيد — ازدواجية السلطة بين الإمامة والسلطنة — استمرار تدهور العلاقات العمانية الفارسية — تقليص الحـكم العمانى من السواحل الشرقية للخليج العربى .

* * *

الفصل الثالث

الأوضاع الداخلية فى عمان

لعل الجهود التى بذلها العمانيون من أجل تخليص بلادهم من سيطرة البرتغاليين. كانت العامل القوى الذى أبرز أسرة اليعاربة التى لم تكن شيئاً يذكر قبل مجىء البرتغاليين إلى سواحل الخليج العربى ولكنها أصبحت قوة فعالة يحسب لها حساب كبير فى داخل البلاد وخارجها منذ النصف الأول من القرن السابع عشر . وليس من شك فى أن نجاح تلك الأسرة فى طرد البرتغاليين من عمان هو الذى جعل لها مكاناً ملموساً فى التاريخ العمانى كما سيكون الاحتلال الفارسى لعمان سبباً فى صعود نجم أسرة أخرى هى أسرة البوسعيد. التى خلفت أسرة اليعاربة فى الحكم .

والحقيقة أن اليعاربة لم يصلوا إلى الدرجة التى تمكنهم من مواجهة البرتغاليين إلا بفضل الجهود التى بذلوها فى مجال القوة البحرية والتنظيم الداخلى . ولعل أفضل فترات حكم اليعاربة انتعاشا قد ارتبطت فى أذهان الناس ومن الناحية التاريخية بمرحلة من النهضة التى لم تكن تعرفها البلاد من قبل . ولم تكن أسرة اليعاربة لتحظى بذلك النجاح إلا بفضل إنشائها لأول أسطول بحرى تجارى وعسكرى إلى جانب عناية الأئمة بالزراعة وبناء الحصون العسكرية والقلاع الشهيرة التى لا تزال أطلالها قائمة فى المدن التاريخية القديمة بعمان حتى وقتنا الحاضر ، هذا فضلا عن نجاحهم فى توحيد البلاد وإشاعة الحكم المركزى القوى بعد ان عانت الأقاليم العمانية من

الانقسامات العديدة فى ظل زعمائها القبليين (١) .

والامامة الأباضية التى قامت عليها أسرة اليعاربة نظام دينى يقوم على البيعة بالانتخاب وليس بالوراثة وإن كان من الملاحظ أن الإمامة ظلت قائمة فى تلك الأسرة حتى سقوطها فى عام ١٧٤١ ويرجع المؤرخون نظام الإمامة الإباضية إلى عهد الدولة الأموية حين خرج عبد الله بن إباض على عبد الملك بن مروان وعندما قمعت ثورته لجأ إلى عمان حيث أقام بها ذلك النظام الدينى واستمرت الامامة قائمة فى عمان منذ النصف الأول من القرن الثانى الهجرى وإن كانت تتخللها فترات من الشغور أو الانقطاع كما حدث على عهد القرامطة أو حينما تولى ملوك بنى نبهان السلطة فى عمان فى السنوات الأولى من القرن الثانى عشر الميلادى أو على وجه التحديد فى عام ١١١٢ (٢). وفى خلال عهد النباهنة الذى استمر ما يقرب من خمسة قرون كانت الإمامة الإباضية تنبعث بين آونة وأخرى وقد ذكرت المصادر العمانية المحلية بصـــدد ذلك « وكان بنو نبهان ملوكاً عظاماً بعمان ولكن حينما اشتد فسادهم وصار منهم أهل عمان فى امتهان اجتمع أكابر أهل عمان لإزالة الجور والطغيان ونظر المسلمون فى الدماء التى سفكوها والأموال التى أخذوها واغتصبوها بغير حق فعقدوا الإمامة لأبى الحســن بن عامر الأزدى ثم للإمام عمر بن خطاب الخروصى وهو الذى حاز أموال بنى نبهان » (٣)، على أن الخروصى لم يستقر طويلا فى الإمامة إذ خرج عليه سليمان بن مظفر النبهانى وهو الذى قضى عليه محمد بن إسماعيل ، وكان ذلك سبباً فى احترام المسلمين له ومبايعته بالإمامة التى

(١) عبد الله خلفان بن قيصر : سيرة الامام ناصر بن مرشد تحقيق عبد المجيد حسيب القيسى ص ١٠ وما بعدها نشر وزارة التراث القومى والثقافة — سلطنة عمان ١٩٧٧ .

(٢) ج . ج لوريمر — دليل الخليج جـ ٢ ص ٦٢٩ / ٦٣١ .

(٣) سرحان بن سعيد الأزكوى : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة — تحقيق عبد المجيد القيسى — نشر وزارة الثقافة والتراث القومى سلطنة عمان ص ٧٥ - ٧٨ وكذلك ابن رزيق — الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى عبد الله ص ٢٥٧ — نشر وزارة التراث القومى بسلطنة عمان ١٩٧٧ .

استمر بها ثلاثين عاماً [١] ، وعلى وجه التحديد بين عامى ١٥٠٠ و ١٥٣٠ ويفهم من ذلك أنه كان معاصراً للغزو البرتغالى لعمان فى مراحله الأولى وعلى الرغم من أن العمانيين نصبوه إماما لما رأوا من قوته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا أنهم تبرأوا منه لجبايته الزكاة بالجبر ، كذلك تبرأ الاباضيون من ابنه بركات الذى بويع بالإمامة بعد وفاة أبيه . ورغم انبعاث الإمامة الأباضية فى عمان إلا أن الأباضيين لم يتمكنوا من التخلص من نفوذ النباهنة الذى استمر قوياً فى موطنهم الأصلى باقليم الحجر . وإلى جانب النباهنة والإمامة الأباضية كانت هناك سلطة أخرى تمارس الحكم فى بعض المقاطعات العمانية وهى سلطة بنى جبر أو بنى هلال كما كانوا يعرفون بذلك الاسم حيث يرجعون بنسبهم إلى هلال بن زامل الجبرى وكانوا ينقسمون كما أشرنا فى الفصل السابق إلى كتلتين رئيسيتين الأولى مقرها الاحساء ويمتد نفوذها على عمان الشمالية فى منطقتى الظاهرة والظفرة ثم كتلة عمان الداخلية التى كان يتزعمها محمد بن جفير الجبرى الذى تمكن من السيطرة على بهلى التى أصبحت المقر الرسمى للإمامة الإباضية عقب نجاح الإمام بركات بن اسماعيل من انتزاعها من النباهنة واتخاذها مقرا الحكمة .

ومما تجدر الإشارة إليه إن بنى هلال قد استغلوا الصراع الذى كان قائما بين الأباضيين والنبهانيين لكى يسيطروا على بعض المقاطعات العمانية وليكونوا عاملا هاما فى السياسة العمانية بيد أن كثرة الصراعات بين بنى هلال والنباهنة من ناحية وبين الإباضيين والنباهنة من ناحية ثانية أفسح المجال لظهور زعامة جديدة فى عمان . والحقيقة أن الامام بركات بن إسماعيل قد توفى والبلاد فى حالة من الفوضى إلى أن برز فى الرستاق ناصر بن مرشد من أسرة اليعاربة وبمبايعته بالإمامة فى عام ١٦٢٢ بدأ عهد اليعاربة فى عمان الذين اتخذوا من مدينة الرستاق قاعدة لهم وواكب ظهورهم أو على الأحرى مهد لظهورهم ضعف سيطرة البرتغاليين فى الخليج العربى

---

(١) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٨ .

بعد أن تهاوت معاقلهم فى البحرين وهرمز أمام ضربات الصفويين والإنجليز[١] .

والأمر الذى لا شك فيه أن انتخاب الإمام ناصر بن مرشد بن مالك أبى العرب لإمامة عمان فى عام ١٦٢٤ كان يعد بداية عهد جديد فى التاريخ العمانى ولعل أبرز ما قام به من جهود هو عمله على توحيد البلاد ومنازلة البرتغاليين ووضع أسس دولة اليعاربة التى حكمت ما يقرب من مائة وعشرين عاما وتميز عهدها على العموم بأنه كان عهد أمن داخلى ورخاء ازدادت فيه الثروة وازدهر التعليم . كما تميز عهدها أيضا بازدياد هائل ومفاجيء فى القوة البحرية[٢]. وإن كانت قد أصيبت فى أواخر عهدها بفترة من القلق والاضطراب أدت إلى إضعاف مركزها نتيجة التنافس حول الإمامة وظهور فرق متنازعة من الهناوية (عرب الجنوب) والغافرية (عرب الشمال) التى ظلت فى نزاع مستمر لمدة طويلة وازدادت حدة الانفصال بين هاتين الطائفتين بظهور الوهابيين على مشارف عمان منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادى[٣].

بدأت دولة اليعاربة بالإمام ناصر بن مرشد الذى كان يعيش فى مدينة الرستاق فى فترة من النزاع والشقاق أتعبت علماء البلاد فاجتمع سبعون منهم فى عام ١٦٢٤ وطلبوا منه بالحاح أن يقبل تولى الإمامة وليكون القائد الأعلى للبلاد وقد قبل الإمام ناصر طلبهم هذا بعد تردد ووجه همه عقب توليه السلطة إلى بناء الوحدة الداخليه والرد على العدوان الخارجى المتمثل فى وجود البرتغاليين . وبدأ بقمع المعارضين له من جماعة الأمبوسعيديين

---

(١) عبد اللطيف الحميدان : نفوذ الجبور فى شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية ١٥٢٥ — ١٧٨١ مجلة كلية الآداب جامعة البصرة العدد ١٧/١٩٨١ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ٦٣٧ .

(٣) محمود على الداود : محاضرات فى التطور السياسى لقضية عمان ص ١٨ — ١٩ معهد الدراسات العربية العالية — القاهرة ١٩٦٤ .

وهى الأسرة التى يحتمل كما يقول بادجر أن تكون هى التى عارضت سلطة اليعاربة فى بداية حكمهم ثم كانت هى نفسها التى خلفتهم فى السيادة على البلاد[١]، وإلى جانب تصدى الإمام ناصر للأمبوسعيديين كان عليه أن يواجه بنى الهلالى الذين نجحوا خلال فترة الاضطرابات التى مرت بها البلاد فى الاستيلاء على الظاهرة والبريمى . وتؤكد المصادر العمانية أنه بعد وصول الإمام ناصر إلى الحكم أخذت حصون بنى الهلالى أو الجبور فى مختلف المناطق العمانية تتهاوى الواحدة بعد الأخرى وأن قوات الإمام ناصر كانت هى المنتصرة دائما ولكن التمحيص فى تلك النصوص يظهر لنا أن الحرب كانت سجالا وأن النصر كان يتأرجح بين الطرفين وربما يرجع ذلك إلى أن الجبور قاموا بمناصرة الهناوية وبدأوا يدخلون فى التركيبة الطائفية فى عمان ولما كان الإمام ناصر قد نجح إلى حد كبير فى اخضاع كتلة الجبور فى عمان الداخلية فإن ذلك أغراه إلى إخضاع كتله الجبور فى الاحساء استمرارا لعملية التوحيد التى قام بها والتى تعدت فيما يبدو إقليم عمان ومن الواضح بصدد ذلك أن الإمام ناصر كان يريد أن يعامل كتلة الجبور بفرعيها فى عمان والاحساء على أنها تابعة له ولكن الصراع بين الإمام ناصر وبين جبور الاحساء تميز بالعنف والقسوة وخاصة أن كتله الجبور فى الاحساء كان لها أنصار عديدون فى عمان الشمالية فى الظاهرة والظفرة وكانت تساعدها قبائل كثيرة ومن بينها قبيلة بنى ياس كما حاول البرتغاليون استغلال تفكك الأوضاع لصالحهم فاستمالوا شيخ الجبور فى عمان ضد ناصر بن مرشد[٢]، غير أن الإمام ناصر تمكن من ضرب الجبور وحسر نشاطهم. وعلى أثر قتل شيخهم ناصر الجبرى ألقى ناصر بن مرشد بكل ثقله لمحاربة البرتغاليين

---

(١) Badger, Percy, History of the Imams and Seyyids of Oman by Salil Bin Razik — Introduction and Analysis P. 54 London 1871.

(٢) ناصر عبد اللطيف الحميدان : نفوذ الجبور فى شرق الجزيرة العربية العدد ١٧ من مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ١٩٨١ .

فسيطر على صور وقريات وطرد البرتغاليين من دبا ووقعت بينه وبينهم معارك شديدة فى صحار وأوفد رسله إلى مسقط لمفاوضة البرتغاليين حينما طلبوا الصلح وفى ذلك يقول سرحان بن سعيد إنه « حارب النصارى المسئولين على مسقط ومطرح ونصر الله جيش الإمام فهدموا من مسقط بروجا باذخة ومبانى شامخة وقتلوا من المشركين خلقا كثيرا ثم أن النصارى طلبوا الصلح ومن الشروط أن يعطى أولئك النصارى الجزية للإمام كل سنة وألا يؤذوا مسلما إذا وفد على مسقط فأذعنوا لذلك[١] » . وهكذا استطاع الإمام ناصر فى سنوات حكمه التى امتدت حتى عام ١٦٤٩ أن يحقق للبلاد تماسكها ويؤمنها إلى حد كبير من الأخطار الخارجية التى كانت تتعرض لها وكانت الجهود التى بذلها باعثة على الأمل الكبير فى تحقيق الوحدة العمانية التى افتقرت اليها البلاد منذ أمد بعيد[٢] . وبذلك يمكن اعتبار أسرة اليعاربة هى الأسرة التى خلفت النباهنة فى الحكم بعد أن أصبح ناصر بن مرشد هو الحاكم الوحيد الذى يتمتع بثقة العمانيين ويحظى باحترامهم وقد وصفه ابن رزيق بأنه كان رجلا نزيها مستقيما وكان مثلا للعدالة مجسدة فى انسان[٣] . بيد أن الوضع المفكك لم يلبث أن عاد إلى البلاد بعد وفاته فى عام ١٦٤٩ وكان ذلك نتيجة للتنازع الأسرى الذى سار مع ركب دولة اليعاربة منذ وصولها إلى السلطة حتى أدى بها إلى الانهيار فى نهاية الأمر ومما يستلفت النظر أنه على الرغم من أن أسرة اليعاربة قد استطاعت بنجاح كبير معالجة مشكلاتها الخارجية ضد الفرس والبرتغاليين إلا أنها وقفت عاجزة تماما أمام مشكلاتها الداخلية[٤] . وسوف تتفاقم تلك المشكلات فى أواخر عهد اليعاربة حتى تجر على البلاد احتلال فارسى . ومع ذلك فقد استطاع سلطان بن سيف الذى بويع بالإمامة بعد وفاة ابن عمه ناصر بن مرشد أن

---

(١) سرحان بن سعيد الأزكوى : مصدر سبق ذكره ص ١٠٤/١٠٦ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج العربى ج ٢ ص ٦٣٣ .

(٣) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ص ٢٩١/٢٩٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٨٤/٢٨٦ .

يواصل جهوده من أجل توحيد البلاد غير أن أثره كان واضحا فى استئنافه الجهاد ضد البرتغاليين وإليه ينسب بناء القلعة المستديرة الكبيرة فى نزوى والتى استغرق بناؤها اثنى عشر عاما[1].

وقد لخص لنا ابن رزيق الأوضاع فى عهده بقوله « إن عمان اعتمرت فى أيام دولته وازدهرت واستراحت فى عصره رعيته ورخصت الأسعار وصلحت الأسفار وكان متواضعا رؤوفا بالرعية وكان يخرج إلى الطريق بغير عسكر » كما تحدث المؤرخ السالمى عن جهاده ضد البرتغاليين بقوله « إنه قام ببناء مراكب عظيمة فى البحر وعظم جيشه وقوى سلطانه واستولى على الجزيرة الخضراء وكلوة وبات وغيرها من بلدان الشرق الأفريقى والهند كما غزا أرض فارس وأدب كل من تسول له نفسه بالعدوان » وإلى سلطان بن سيف ينسب نجاحه فى طرد البرتغاليين من مسقط حيث ذكر ابن رزيق بصدد ذلك بأنه « نصب الحرب لمن بقى من النصارى فى مسقط وسار إليهم بنفسه حتى نصره الله عليهم وكانت الحرب سجالا ليس فى قدرة البرتغاليين أن يخرجوا الامام من مطرح ولا قدرة للامام أن يدخل مسقط على النصارى حتى جرى من البرتغاليين والهنود من الشقاق فانحاز أحد الهنود إلى سلطان بن سيف وتم اخراجهم من مسقط[2] » وقد أضاف المؤرخ العمانى سرحان بن سعيد أنه « لم يزل يجاهدهم فى بر وبحر حتى استفتح كثيراً من بلدانهم وضرب كثيراً من مراكبهم وغنم كثيراً من أموالهم ويقال إنه بنى القلعة التى بنزوى من غنيمة الديو »[3] ومما يستلفت النظر أنه على الرغم من الإشارات الكثيرة التى وردت فى كتب المؤرخين العمانيين عن الصراع الذى كان قائما بين البرتغاليين واليعاربة إلا أنهم لم يتحدثوا بالتفصيل عن ذلك الصراع بالقدر الذى اعتادوا فيه أن يكتبوا عن معاركهم القبلية المحلية

(١) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ص ٢٩١ — ٢٩٢ .
(٢) المصدر السابق ص ص ٢٨٤ — ٢٨٦ .
(٣) سرحان بن سعيد : كشف الغمة ورقة ٦٩/٧٠ .

غير أنه مما لا شك فيه إن إجلاء البرتغال عن السواحل العمانية على يد الإمام سلطان بن سيف كان يعد عملا رائعا ونقطة تحول فى تاريخ المنطقة وعند وفاة الإمام سلطان بن سيف فى عام ١٦٦٨ خلفه بلعرب الذى قام ببناء قلعة جبرين ثم نقل عاصمته إليها من نزوى وأنشأ فيها معهدا علميا خرج عدداً كبيراً من علماء الشريعة إلا أن عهده لم يدم فى إشراقه وإنما تشوهت صورته بسبب الخلافات الخطيرة التى نشبت بينه وبين أخيه سيف بن سلطان وقد جلبت هذه الانقسامات ويلات كثيرة على البـــلاد حتى أطلق الناس على بلعرب بلاء العرب بدلا من أبى العرب وعلى أخيه سيف المصيبة[1]. غير أن سيفا لم يلبث أن تمكن من فرض سيطرته على القلاع الرئيسية ممـــا أعطاه قوة كافية ضمنت له البيعة بالإمامة فى حياة أخيه بلعرب وانتهى الأمر بأن وجد بلعرب نفسه محاصرا فى قلعته بجبرين من قبل أخيه سيف ولما وجد أن وضعه أصبح ميئوسا منه دعا الله أن يقبضه إليه وتقول الروايات أن الله سبحانه وتعالى استجاب لدعائه ودفن فى قلعته فى جبرين . وعلى الرغم من أن سيفا لم يكن محقا فى دوافعه أو فى الطرق التى استخدمها للوصول إلى الإمامة إلا أن أحدا لم يعترض على بيعته وخاصة بعد وفاة أخيه وقد أثبت أنه حاكم شديد المراس أكد مركزه بكفاحه ضد البرتغاليين واشتهر بقوته البحرية الضخمة واشتهرت من سفنه الفلك والملك والرحمانى وكعبراس والناصرى[2] . وعندما توفى فى عام ١٧١١ خلفه ابنه سلطان بن سيف الذى واصل الحرب ضد البرتغاليين كما تابع محاربة الفرس واخراجهم من البحرين وقشم ولارك وتوفى فى عام ١٧١٨ ودفن بمدينة حزم وبوفاته انتهت الوحدة التى عرفتها عمان إذ أعقبت وفاته سنوات من الحروب الأهلية استمرت أكثر من ثمانية عشر عاما وقعت فى خلالها مجموعة كبيرة من الاضطرابات والثورات وأدت إلى انقسام العمانيين وقيام كتلتين كبيرتين هما الهناوية والغافرية وقد فسر كثير من الباحثين من أمثال ميلز ولوريمر قيام هذين

---

(١) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ص ٢٩٣ .

(٢) سرحان بن سعيد : مصدر سبق ذكره ص ١١٣ .

التكلتين بأنها كانا صورة من صور التعصب التقليدى بين عرب الشمال وعرب الجنوب فالكتلة الهناوية على حد قولهم هى كتلة القبائل العدنانية بينما الكتلة الغافرية هى كتلة القبائل اليمنية ومن المعروف أن الصراع كان قديما بين عرب الشمال والجنوب وكان عرب الجنوب يرون أحقيتهم بالسلطة على اعتبار أنهم كانوا أول الوافدين إلى عمان[1] . وقد أضيف إلى هذا الصراع التقليدى طابع مذهبى إذ كان بنوغافر فى أغلبهم من الفئات السنية ولذا كانت تشايعهم معظم القبائل التى كانت تسكن منطقة الظاهرة أما بنو هناة وأنصارهم فكان أغلبهم من أصحاب المذهب الإباضى الذى عم الجزء الأكبر من أهل الباطنه فى عمان[2] .

وقد تبدو هذه التفسيرات مقبولة إذا أخذنا بفكرة العصبيات المذهبية أو القبلية ولكنها لاتستقيم إذا أخذنا بتطور الوضع السياسى فى عمان الذى لم يعد فى ذلك الوقت مجرد تعصب تقليدى بين القبائل والطوائف وإنما تشابكت المصالح السياسية والاقتصادية وكان لها أثر كبير فى تحطيم الكثير من النزعات القبلية والمذهبية . وقد أورد بعض الباحثين كشفا بأسماء القبائل وأنسابها والتى تنتمى إلى كل من التكتلين الهناوى والغافرى واتضح من ذلك أن التكتل الغافرى كان يضم إليه قبائل يمنية تكاد تتساوى فى أعدادها مع القبائل العدنانية وكذلك ينطبق هذا الوضع فى التكتل الهناوى الذى كان يضم بدوره قبائل عدنانية تكاد تتساوى مع القبائل اليمنية ومن ثم فإن واكنسون Wilkinson لاحظ أن ظهور الكتلة الهناوية والكتلة الغافرية بالاتجاهات القبلية المختلطة فيها يعد تطورا ضخما فى الحياة السياسية العمانية إذ أن هذين التكتلين أعادا تشكيل تحالفات القبائل وولائها من العصبيات القبلية أو المذهبية إلى تحالف وولاء سياسى واقتصادى جديد ، وركز بصدد ذلك على الأفلاج أو أساليب الرى

---

(١) Thomas, Bertram, Alarms and Excursions in Oman P. 155 London 1931.

(٢) فالح حنظل ، المفصل فى تاريخ الامارات العربية ج ١ ص ١٢٥ لجنة التراث والتاريخ أبو ظبى .

المستخدمة فى عمان باعتبارها قد شكلت مصالح اقتصادية لمجموعة من القبائل التى تعتمد حياتها على الأفلاج ومن ثم تشكلت وحدة سياسية إقليمية من مجموعة هذه القبائل وأسهم العامل الاقتصادى بدور كبير فى تشكيل اتجاهاتها من حيث ولائها لاحدى التكتلين الهناوى أو الغافرى بصرف النظر عن العصبية القبلية التقليدية[1].. أما ما يثار حول اقتران الحزب الهناوى باليمنية والحزب الغافرى بالعدنانية فإنما يرجع إلى ما يمس الزعامة فيهما حيث أطلق الناس اسم الغافرية على أتباع الزعيم محمد بن ناصر نسبة إلى أصله العدنانى بينما أطلق على منافسيهم الهناوية نسبة إلى زعيم حركة المقاومة ضد محمد ابن ناصر واسمه خلف بن مبارك الهناوى الذى ينتسب إلى القبائل اليمنية[2] وقد ظهر الصراع السياسى والاقتصـادى بين الهناوية والغافرية بصورته الجديدة خلال نشوب الحروب الأهلية التى بدأت فى عمان على أثر وفاة الإمام سلطان بن سيف إذ أنه بعد أن تكرس الحكم الوراثى لأئمة اليعاربة طيلة هذه الفترة الطويلة من بداية حكمهم رأى عامة الناس أن يخلفه ابنه سيف الذى كان لا يزال صبيا صغيرا لم يبلغ مبلغ الرجال ولـكن الخاصة من أهل الحل والعقد فى عمان لم يرحبوا بذلك وفيما يرجح أن ذلك كان معارضة منهم للحكم الوراثى الذى سار عليـه أئمة اليعاربة وهذا الموقف الذى وقفه أولئك العلماء من المواقف الهامة التى ينبغى تسجيلها إذ كانت دوافعهم الأصيلة هى رفض الاتجاه الوراثى لمخالفته نظام الإمامة وإن تذرعوا بحجة شرعية أخرى وهى رفض البيعـة لسيف بسبب صغر سـنه إذ كان لا يتعدى الثامنة عشرة من عمره . وإذا كان لا يجوز له أن يؤم الناس فى الصلاة فكيف يمكنه أن يؤمهم

---

(١) CF. Wilkinson, J.C. The Organization of the Falaj irrigation in Oman, Oxford 1971.

وعن التحليل التفصيلى للهناوية والغافرية راجع محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ — ١٨١٨ ص ٦٤/٦٧ — القاهرة (بدون تاريخ) .

(٢) السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان ج ٢ ص ١١٧ .

فى شئون الحياة ؟ ومن ثم كانوا أميل إلى مبايعة مهنا بن سلطان الذى وجدوا فيه شخصاً حائزاً على كل الشروط التى يجب توافرها فى الإمام على عكس سيف الذى لايجوز له أن يتصرف فى أملاكه الخاصة وبالتالى لا ينبغى له أن يتولى الإشراف على ممتلكات الإمامة وبالتالى فقد عدوا انتخابه خروجا على المألوف والشرع . وإن كان مما يستلفت الانتباه أن العلماء لم يخرجوا عن البيعة فى نطاق أسرة اليعاربة إذ كان مهنا ابن سلطان ينتمى الى تلك الأسرة . ولما كان موقف العلماء يتعارض مع موقف العـــامة فإنهم لم يجرءوا على مبايعة مهنا علنا وطبقا لما يذكره السالمى أنهم قاموا بخدعة كبيرة حين جاءوا بالصبى سيف وأوقفوه أمام جمهور المسلمين ونادوا أمامكم سيف وهو إعلان يمكن تفسيره أمامكم أو إمامكم بالفتح أو الكسر وبهذه الطريقة أمكن تفادى موقف المعارضة من العامة حتى هدأت العاصفة وشعر العلماء أن لديهم القوة التى تمكنهم من اعلان موقفهم صراحة فعمدوا الى ادخال مهنا الى قلعة الرستاق ونادوا به إماماً واستلم زمام الأمور فى عام ١٧١٩ وعلى الرغم من أنه بذل جهودا صادقة لما فيه خير البلاد الا أن ذلك لم يمنع من قيام المعارضة ضد حكمه . ومع ذلك فقد أثر عنه أنه كان إداريا من الطراز الأول بدأ باصلاح ميناء مسقط وعمل على إنعاش الأوضاع الاقتصادية وكان سبيله إلى ذلك تخفيض الضرائب التى كانت تفرض على البضائع [١] . على أنه لم يكد يمضى عام واحد على توليه الحكم حتى تمكن أحد المناوئين له وهو يعرب بن بلعرب بفضل تأييد العامة فى اجبار مهنا بن سلطان على التنازل عن الإمامة وقتله فى عام ١٧٢٠ . وعلى اثر ذلك انتقل يعرب الى مدينة نزوى مستصحباً معه الإمام الصبى سيف بن سلطان وأصبح هو الشخصية المسيطرة على عمان مع ملاحظة أنه لم يطالب بالإمامة لنفسه لأنها كانت من حق سيف الذى أجمع العامة على اختياره إماماً وإنما اكتفى بالوصاية عليه بحضور مجمع من الرؤساء . على أنه كان

---

(١) Huart, Histoire des Arabes Tome II P. 65 Paris 1913.

من الطبيعى أن يعمل على الاستحواذ على السلطة متجاهلا أمر الوصاية على الصبى مما كان دافعاً لخلعه من قبل بلعرب بن ناصر الذى عقد الإمامة لسيف للمرة الثانية فى عام ١٧٢٣ وتولى أمر الوصاية عليه بنفسه ولكن الوصى المخلوع يعرب بن بلعرب عقد اتفاقاً مع محمد بن ناصر الغافرى الذى عاد إلى عمان بعد أن ترك ولاية البحرين ، وكانت البحرين قد خضعت لليعاربة على عهد سلطان بن سيف حيث تولى زعامة الكتلة الغافرية فى عمان وكان ذلك الاتفاق يهدف إلى التخلص من بلعرب ابن ناصر ويذكر السالمى أنه بعد عودة محمد بن ناصر الغافرى من البحرين وفد إلى الرستاق ليقدم تهانئه لبلعرب بن ناصر وسيف ابن سلطان على أنه لم يجد الترحيب الكافى من الوصى مما دفعه إلى الاتفاق مع يعرب بن بلعرب[١] . ولكن السبب الحقيقى يكمن فى اعتقادنا إلى أن الشيخ الغافرى كان يرى أن بلعرب بن ناصر سيمارس السلطة الفعلية من وراء وصايته لسيف لصالح بنى هناة ومما يؤكد ذلك أنه كتب ليعرب بن بلعرب يحثه على رفع راية المعارضة ووعده بتأييد قبائل بنى ياس وبنى قتب والنعيم التى تقطن واحة البوريمى[٢] .

وعندما وصلت قواتهم بالفعل اتجه محمد بن ناصر الغافرى إلى نزوى حيث قبض على زمام الأمور فى عمان ولم تلبث الظروف أن ساعدته بموت حليفه يعرب بن بلعرب وبدأ يتصدى لتحالف الكتلة الهناوية التى كان يتزعمها الشيخ محمد بن خلف الهناوى الملقب بالقزم واشتد القتال بين الغافرية والهناوية حتى أحدثت اضطرابا كبيرا فى الأوضاع الداخلية الأمر الذى دفع محمد بن ناصر الغافرى إلى جمع علماء البلاد ورؤساء القبائل فى مدينة نزوى ليعلن لهم تنازله عن الحكم ولكنهم ألحوا عليه أن يبقى قابضاً على زمام الأمور خوفاً من انتقام القبائل الهناوية وما يؤدى إليه ذلك من انهيار نفوذ

---

(١) السالمى : مصدر سبق ذكره ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) **Kelly, J. Britain and the Persian Gulf 1795–1870 P. 16 London 1968.**

الغافرية[١]. ورغبة من الرؤساء فى تأكيد إخلاصهم وصدق نواياهم عقدوا البيعة له بالإمامة فى عام ١٧٢٤ حيث استمر قائما على شئونها حتى عام ١٧٢٧ حين حرص فى ذلك العام على إظهار حسن نواياه فأعلن تنازله للإمام سيف وذلك بعد أن بلغ السن التى تؤهله لتولى شئون الإمامة وبهذه الطريقة نودى بسيف إماما للمرة الثالثة وكانت بيعته فى ظل تأييد الغافريين له ، واستمرت الحروب الأهلية قائمة فى عمان حتى راح ضحيتها الزعيمان الغافرى والهناوى معاً وذلك خلال المعارك العنيفة التى دارت فى صحار فى عام ١٧٢٨ والتى لم يوقفها موت الزعيمين وإنما استمرت المعارك قائمة بين المعسكرين المتخاصمين[٢]. على أنه عقب مقتل زعيم الهناوية انفض الغافريون عن تأييد الإمام سيف وأعلنوا بلعرب بن حمير إماماً على البلاد على حين استبدل الإمام سيف التأييد لإمامته بالكتلة الهناوية التى بايعته بالإمامة وهكذا أصبح الامام سيف إماماً للمرة الرابعة فى تاريخ اليعاربة فى الوقت الذى أصبح فيه أيضاً إمامان يتنازعان حكم البلاد وهما الإمام بلعرب بن حمير الذى كان يستند على تأييد الكتلة الغافرية ويجد نفوذه فى الظاهرة والشرقية ونزوى والمقاطعات الوسطى من عمان ؛ والإمام سيف الذى كان يستند على تأييد الكتلة الهناوية ويجد نفوذه فى المناطق التى يسيطر عليها الهناويون فى الرستاق والباطنة وجبرين ، ومع ذلك فإن التأييد الهناوى لم يستمر طويلا للإمام سيف إذ سرعان مافقد ذلك التأييد بعد أن أثبت عدم قدرته على الوقوف ضد الغافرية وعدم قدرته على إدارة شئون الحكم وفضلا عن ذلك فقد عرض نفسه لعداء الفئات الاباضية وذلك بانغماسه فى الفسق والفجور والتدخين مما أدى إلى خروج الكثيرين عليه بعد أن وجدوا فى إمامته خروجاً صريحا على التقاليد الإباضية الصحيحة[٣]، ولعل ذلك كان دافعاً له إلى تأييد مركزه باللجوء إلى تكوين جيش من العناصر المرتزقة ولعل استعانة الإمام سيف

---

(١) Badger, G. op. cit. P. XXXII.

(٢) Kelly, J., op. cit P. 17.

(٣) السالمى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ١١٧ وبعدها .

بالطوائف المرتزقة وخاصة من البلوش [١] كانت هى المرة الأولى التى سجلها التاريخ العمانى لجلب تلك العناصر التى ظلت تشكل القوة الرئيسية المقاتلة فى عمان حتى عهد قريب . وبصدد ذلك تؤكد بعض المصادر أن الامام سيف قرر فى عام ١٧٣٥ أن يطلب العون من شيخ قبائل البلوش القاطنة فى منطقة مكران ووافق شيخ البلوش وقاد بنفسه جيشاً نزل به مسقط وتقدم بمعاونة قوات الامام إلى توام فى البريمى فى الوقت الذى شن فيه بلعرب هجوماً مضاداً أدى إلى مقتل شيخ البلوش وهلاك عدد كبير من أفراد جيشه مما أرغم سيف على التراجع إلى مسقط وإزاء تلك الهزيمة قرر سيف طلب النجدة من فارس حيث كتب إلى نادر شاه الافشارى ١٧٢٧ — ١٧٤٧ طالبا العون منه وكان نادر شاه قد وصل إلى السلطة فى ذلك الوقت كما كان قد فرغ من إلحاق الهزيمة بالجيش والأسطول العثمانى فى البصرة وقام باحتلال البحرين التى فتحت أمامه طموحاً واسعاً للسيطرة على الخليج [٢] .

ومن ثم أسرع بانتهاز تلك الفرصة حيث وجد فى الدعوة الموجهة إليه من إمام عمان ستارا يستطيع من ورائه السيطرة على مسقط بل والساحل العمانى بأسره [٣] . وتلبية لتلك الدعوة بادر نادر شاه بإرسال حملة بحرية كبيرة إلى مسقط بقيادة لطيف خان رافعة العلم الفارسى الأبيض ذو السيف الأحمر وكان ذلك فى مارس ١٧٢٧ وكانت تتألف من خمسة آلاف جندى وما يناهز ألفا وخمسمائة فارس وبعد أن استطاعت إخضاع جلفار (رأس الخيمة) وخورفكان [٤] تقدمت بعد ذلك للسيطرة على البلاد مستغلة فى ذلك فرصة نكبة اليعاربة وما أصابهم من ثورات وحروب أهلية طاحنة [٥] . إذ ما كادت القوات الفارسية بالتعاون مع قوات سيف

---

(١) دونالد هولى : عمان ونهضتها الحديثة ص ٤٠/٤١ .

(٢) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ١٦٤ .

(٣) Lockhart, L., Nadir Shah — A critical Study based only upon Contemporary sources P. 182 London 1938.

(٤) Factory Records, CF. Gombroon Diary July 21. 1737.

(٥) Badger, G., op. cit. P. 142.

تتخلص من مقاومة بلعرب بن حمير حتى أعلن القائد الفارسي لطيف خان نفسه حاكما عسكرياً مطلقاً فى عمان ولم يترك شيئاً من السلطة لسيف بن سلطان الذى كان مشغولا بمقاتلة بقايا الجيوش الموالية لبلعرب بن حمير وبعد أن وصلت الأمور إلى هذه الحال اجتمع حول بلعرب فى قاعدته بهلى جمع كبير من العمانيين المعارضين للتدخل الفارسي فى شئون عمان وكان من هؤلاء كثير من رجال الدين الذين كتبوا إلى سيف بن ساطان ينددون باعتماده على الفرس فى تثبيت سلطانه[1] وخشي سيف من هذه المعارضة فكتب إلى نادر شاه يطلب العون مجددا وبادر نادر شاه بإرسال قوة أخرى بقيادة نقى خان الذى تمكن من دحر الإمام بلعرب بن حمير وتمكن من السيطرة على بهلى ونزوى على أنه لم يلبث أن دب الخلاف بين الإمام سيف وتقى خان وأصبح واضحاً أن السياسة التى اتبعها سيف لتوطيد مركزه الداخلى عن طريق المساعدات الأجنبية لم تكن سياسة ناجحة إذ أدى تصرفه هذا إلى استياء العمانيين وأتى بعكس ما كان يأمله فى السيطرة على البلاد وانعكس الخلاف بين الإمام سيف وتقى خان على سوء وضع الفرس وظهر ذلك حين فشل تقى خان فى السيطرة على صحار وحلت كارثة بالحاميات الفارسية فى بهلى وأزكى حين أبادها العمانيرن عن آخرها فى الوقت الذى ثار فيه الملاحون العرب فى الأسطول الفارسي مما اضطر تقى خان إلى التراجع بمن معه إلى جلفار (رأس الخيمة) ومن هناك وصلته نجدات فارسية تمكن بواسطتها من احتلال الظاهرة . وفيما يبدو أن سيفا قد أصبح نادما على دعوة الفرس إذ أدرك مدى أطماعهم ولعل ذلك ما دفعه إلى الذهاب إلى وادى بنى غافر ليجتمع مع بلعرب بن حمير وفى ذلك الاجتماع وافق الغافريون على أن يتنازل بلعرب عن الإمامة ويتحد العمانيون من هنا ويين وغافريين تحت زعامة سيف بن سلطان من أجل مواجهة الموقف مع الفرس الذى وصل إلى أقصى درجة من السوء[2] .

---

(١) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ١٦٨ .

(٢) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٢ .

وحاول سيف أن يقوم بدور بطولى فى محاولة التكفير عن الأخطاء التى ارتكبها ويظهر بمظهر المحرر والمخلص لبلاده من احتلال أجنبى كان قد أوقعها فيه بسوء تصرفه حيث بادر بطرد القوات الفارسية وتتبعها فى مياه الخليج بل أعلن عن عزمه على نقل المعركة إلى داخل الاراضى الفارسية ذاتها وناشد جميع القبائل العربية فى الخليج تزويده بالمقاتلين وتمكن بالفعل من الوصول إلى البحرين وبندر عباس(١). ولعل هذا النجاح الذى أحرزه الإمام سيف كان يواكب تأزم الامور فى فارس حين دبت الثورات فى مقاطعاتها مما دفع نادر شاه إلى سرعة سحب قواته من الخليج ليعالج مشاكله الداخلية(٢). وتبع انسحاب القوات الفارسية من عمان أن أصبح سيف هو سيد الموقف ولـكنه لم يلبث أن عاد إلى حياته الخاصة التى أغضبت الإباضيين فثاروا عليه وأعلنوا خلعه عاقدين البيعة لسلطان بن مرشد الذى قام بالسيطرة على مسقط ومهاجمة سيف فى قاعدته فى بركا مما اضطره للفرار إلى جلفار (رأس الخيمة) حيث نزل هناك فى معسكر الفرس وفيما يبدو أن سيفا لم يستفد من الكوارث السابقة التى جرها على بلاده حيث عاود اتصاله بتقى خان ومن داخل المعسكر الفارسى شكل سيف وفدا من مرافقيه حملهم رسالة إلى نادر شاه يطلب فيها العون لتثبيته فى الحكم واعدا إياه بأن يعترف بالسيادة الفارسية على جميع المقاطعات العمانية وتمكن الوفد العمانى من مقابلة نادر شاه فى مدينة أصفهان وأصدر الشاه أوامره إلى تقى خان باعداد حملة جديدة لغزو عمان وغادرت السفن الفارسية ميناء بوشهر لتصل إلى جلفار وكان ذلك فى عام ١٧٤٢(٣). وحين نجح الفرس فى فرض الحصار على صحار تقدم الإمام الجديد سلطان بن مرشد لمواجهة الحصار الفارسى الذى استمر قرابة سبعة أشهر كلف الفرس والعمانيين الـكثير من الجهود والارواح(٤)

---

(١) محمود على الدواه : مرجع سبق ذكره ص ٢١ .

(٢) Lockhart, op. cit. P. 184.

(٣) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ١٧٦ .

(٤) السالمى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ١٤٧ .

وأدى طول الحصار إلى أن يستعين الإمام سلطان بن مرشد بوالى صحار أحمد بن سعيد لكي يستمر فى أعمال المقاومة التى أبدى فيها نجاحا كبيرا [١]

وهكذا أعد المسرح فى عمان لظهور رجل قوى استطاع أن يلعب دورا كبيرا فى تخليص بلاده من الاحتلال الفارسى وهو الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدى الأزدى الذى يعد المؤسس الأول لدولة البوسعيد وقد تم له ذلك حين اتيحت له الفرصة للسيطرة على الموقف حيث لقى تأييدا كبيراً من زعماء القبائل الشمالية ولا شك أن ذلك التأييد الذى حازه والى صحار كان مدعاة لشكوك الامام سيف الذى ساورته الظنون فى أنه يدبر لخلعه عن الإمامة ولذلك أصدر أوامره وكان لا يزال مسيطرا على مسقط بالقبض على أحمد بن سعيد بعد أن دعاه للمثول بين يديه فى مسقط ولكن الأخير أدرك ما يدبره له سيف فآثر التراجع وهو فى طريقه إلى مسقط[٢]. ولم يلبث سيف أن أفصح عن عدائه لأحمد بن سعيد فسير أسطوله إلى صحار وانتهت المناورة التى قام بها سيف على صحار باعلان أحمد بن سعيد ولاءه للإمام سيف ووافق على أن يبعث أحد أبنائه إلى مسقط ليكون رهينة لديه غير أن سيفا لم يلبث بعد ذلك أن أعلن انسحابه من مسرح النزاع بعد أن تنبه إلى ماجره على بلاده من ويلات وتذكر الروايات العمانية أنه آثر التراجع عن تحالفه مع الفرس الذين لم يسلموا له قلاع مسقط ومطرح وانزوى فى الرستاق وظل بها حتى وافاه الأجل فى الوقت الذى استمر الفرس فى حصارهم لصحار ويذكر السالمى أن الصراع العمانى ضد الفرس كان ميئوسا منه « وخاصة أن جيش العرب كان عند جيش العجم كالشعرة البيضاء فى الثور

(١) يقع ميناء صحار على شاطىء الباطنة على مسافة مائة ميل إلى الشمال الغربى من مسقط .

(٢) يحدثنا ابن رزيق بصدد ذلك أن مؤامرة سيف كادت أن تنجح لولا ما لقيه والى صحار من تحذيرات جده (جد المؤلف) وقد عمل أحمد بن سعيد بعد وصوله إلى الإمامة على رد ذلك الجميل إليه معينه فى أحد المناصب الهامة وترك وصية لخلفائه من بعده يوصيه به وبأبنائه خيراً .

CF. Badger, op. cit. P. XXXIII.

الأسود وأصيب الإمام سلطان بن مرشد بجراحات كثيرة فلما أثخنته الجراح دخل الحصن عند أحمد بن سعيد والى صحار ومات فيه[١] . وتهيأت الظروف عقب وفاة الإمامين سيف وسلطان لوالى صحار أحمد بن سعيد للوصول إلى الإمامه إذ أنه أصبح وهو لا يزال واليا على صحار الشخصية المتنفذة على البلاد ومع أنه قام بدور كبير فى عمليات المقاومة ضد الفرس إلا أن نفاد الذخيرة اضطرته إلى التسليم ومع أن ذلك التسليم يبدو من الأمور المنطقية إلا أن السالمى يرى أن الفرس هم الذين طلبوا الصلح وتأمين رحيلهم من صحار بعد أن أعياهم أمرها واستحال عليهم احتلالها وكان من شروط ذلك الصلح أن يرفع الفرس الحصار عن صحار على أن تبقى القوات الفارسية فى مسقط ويتعهد أحمد بن سعيد بدفع جزية سنوية لهم ويكون كل من ميناء صحار ومدينة بركا تحت سلطته .

ومما يستلفت النظر أن بعض المصادر الفارسية [٢] تنفى حدوث ذلك الصلح أوتلك الهدنة وتؤكد أن أحمد بن سعيد أبدى تعاونا مع الفرس الأمر الذى أكسبه ثقة تقى خان فأبقاه حاكما على صحار فى حين انسحب بمعظم قواته فى عام ١٧٤٣ لكى يشعل ثورة فى إقليم فارستان ضد نادر شاه الذى كان متورطاً فى ذلك الوقت فى صراع مع الدولة العثمانية وبرحيل تقى خان انحسر الوجود الفارسى فى مدينتى مسقط ومطرح حيث استقرت بعض الحاميات الفارسية فى الموقعين الدفاعيين الكبيرين وهما قلعتا الميرانى والجلالى ولذلك ما كاد تقى خان يغادر البلاد حتى بدأ أحمد بن سعيد يعد خطته لإخراج من تبقى من القوات الفارسية . أما إذا صح ما جاء فى المصادر الفارسية من حدوث تعاون بين أحمد بن سعيد وتقى خان ففى اعتقادنا أن ذلك لم يكن إلا تظاهرا منه خاصة وأنه كان يتميز بقدر كبير من الحنكة والدهاء ومن ناحية أخرى فان مهادنة أحمد بن سعيد للفرس قد أتاحت له فسحة من الوقت للعمل على حل كثير من المشكلات الداخلية

---

(١) السالمى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ٤٧ .

(٢) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ٢١١ .

رتوطيد مركزه فى المقاطعات الداخلية وضمان تأييد العمانيين له كما عمل على أن يعيد للبلاد وحدتها وتماسكها بما عرف عنه من مقدرة وكفاءة ترقى به إلى مصاف مؤسسى الدول ولم يلبث بعد ذلك أن تعمد إهمال دفع الجزية المتفق عليها بحجة افتقاره إلى وسيلة لإرسالها ومن ثم بقى جنود الحامية الفارسية فى مسقط دون رواتب وامعاناً فى إطباق الحصار على الحاميات الفارسية قرر إعفاء التجارة القادمة الى بركا من الضرائب الجمركية مما أغرى السفن التجارية على التوقف فى ميناء بركا بدلا من مسقط مما زاد فى وضع الحامية الفارسية سوءا لنفاد ذخيرتها وانقطاع مؤنها ورواتبها وتذكر بعض الروايات التاريخية أن قائد حامية مسقط قام بالاتصال بالشاه وأخبره بحرج الموقف فى عمان وأنه لا فائدة ترجى من وجود القوات الفارسية فيها واستعان من أجل ذلك بأحد أقرباء سيف حليف الفرس السابق ويدعى ماجد بن سلطان وبعث به إلى تبريز حيث تقابل مع الشاه ليجدد عهد سيف بالولاء ووافق الشاه على أن يعهد له بالحكم تحت السيادة الفارسية[1] وطبقا لمـــا يذكره السالمى أن الظروف شاءت أن تقذف الرياح بالسفينة التى كان عليها ماجد بن سلطان وهو فى طريق عودته إلى صحار فأسرع أحمد بن سعيد بالقبض عليه وانتزع منه فرمان الشاه الذى كان يقضى بتسليمه معاقل مسقط ومطرح حيث أرسل أحمد بن سعيد أحد أعوانه إلى قائد الحامية الفارسية فى مسقط الذى أسلم إليه حصونها على اعتبار أنه موفد من قبل ماجد بن سلطان ويحدد السالمى تلك الخديعة التى استولى بها أحمد بن سعيد على حصون مسقط وقلاعها باعتبارها بداية لعهد البوسعيد ونهاية لحكم اليعاربة[2].

على أن أحمد بن سعيد لم يكتف بالإستيلاء على قلاع مسقط وإنما

---

(١) لالبع حنظل : مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(٢) السالمى : مصدر سبق ذكره ج ٢ ص ١٤٨ – ١٥١ ويذكر لوكهارت أنه لم يعد للفرس بعد انسحابهم سوى جلفار .

CF. Lockhart, op. cit. P. 219.

قرر أن يبيد الحامية الفارسية عن بكرة أبيها والتى كان عليها وهى فى طريق انسحابها أن تمر بميناء بركا لتركب البحر من هناك وعند وصولها دعا ضباط الحامية إلى وليمة أقامها لهم وفى خلالها دقت الطبول فى القلعة ونادى المنادى من كانت لهم ظلامة عند الفرس فليقتص منهم الآن وكان هــذا النداء إيذانا بمجزرة جماعية لم ينج فيها سوى عدد قليل من أفراد الحامية الفارسية واستطاع أحمد بن سعيد أن ينتقم بذلك لآلاف العمانيين الذين راحوا ضحية الاحتلال الفارسى لعمان[١]. وليس من شك فى أن الدور الكبير الذى قام به أحمد بن سعيد هو الذى مكنه من أخذ البيعة بالإمامة إذ يعتبر السالمى العام الهجرى الموافق لعام ١٧٤٥ هو العام الذى وصل فيه أحمد بن سعيد الى الإمامة فى عمان على حين يعتبر ابن رزيق بداية صراعه مع الفرس فى عام ١٧٤١ هو العام الذى وصل فيه إلى الإمامة وواضح هنا أنه لا خلاف جوهرى بين الروايتين إذ كان أحمد بن سعيد هو الشخصية المسيــطرة على عمان منذ أن بدأ صراعه مع الفرس وهو ما يتفق مع رواية ابن رزيق وإن كان السالمى يحدد تخليص البلاد العمانية من الفرس ونجاح أحمد بن سعيد فى التخلص من بلعرب بن حمير الذى كان مؤازرا من قبل الغافرية فى عام ١٧٤٥ هو العام الذى بويع فيه الإمام أحمد ابن سعيد[٢]. والأمر الذى لاشك فيه أن نجاح الإمام أحمد بن سعيد فى القضاء على بلعرب بن حمير مكنه من السيطرة على الكتلة الغافرية وبسط نفوذه على مقاطعاتهم مما مكنه من أن يعيد لعمان وحدتها وهيأ لها أن تلعب دوراً هاماً فى تاريخ الخليج العربى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى[٣] .

---

(١) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٣/٤٤ .

(٢) إلى جانب الخلاف حول تاريخ بيعة الإمام أحمد بن سعيد بالإمامة فإن هناك أيضاً خلافا حول تاريخ وفاته فى عام ١٧٧٧ أو ١٧٨٣ وإن كنا نرجح العام الأخير استنادا على التاريخ الذى حققه ميلز Miles والمسجل على مقبرة الإمام أحمد بن سعيد بمدينة الرستاق .

(٣) محمود على الداود : مرجع سبق ذكره ص ٢١ — ٢٢ .

وإذا كان الإمام أحمد بن سعيد قد برز فى تاريخ عمان الحديث كمؤسس لأسرة البوسعيد منذ صراعه مع الفرس إلا أن المعلومات الخاصة بحياته قبل سطوع نجمه معلومات قليلة وإن كان من المعروف أنه لاينتمى إلى أسرة عريقة وإنما كان ينحدر من عامة الشعب ومن أسرة كان يشتغل معظم أفرادها بالتجارة التى اشتغل بها أيضاً[١] بيد أنه تميز بجرأة نادرة وشجاعة فائقة لفتت إليه الأنظار مما مكنه من الوصول إلى ولاية صحار كوال من قبل اليعاربة ولا شك أن الدور الذى قام به فى تثبيت دعائم الحكم لأسرته قد استغرق منه الكثير من الجهد وإن كان قد أعانه على ذلك طيلة فترة حكمه التى استمرت بين عامى ١٧٤١ و ١٧٨٣ ولعل أبرز المشاكل التى واجهته فى مستهل عهده ثورات اليعاربة ضده بسبب فقدانهم الحكم وقد ألمحنا بصـــدد ذلك إلى بلعرب بن حمير الذى التفت حوله قبائل النعيم وبنى قتب كذلك واجه الإمام أحمد ابن سعيد حركة معارضة ضخمة تزعمها الغافريون فى منطقة الظاهرة بقيادة ناصر بن محمد الغافرى وقد نجح الامام أحمد سعيد باستخدام أسلوب القوة حينا والخديعة واللين حينا آخر فى التخلص من هذه الحركات كما عمد إلى أسلوب المصاهرة بهدف التقارب مع القبائل المناوئة له ومن ذلك زواجه من أرملة سيف بن سلطان[٢] ومصاهرته لشيوخ بنى الهلالى الذى كان قد نجح فى توثيق علاقته بهم منذ أن كان والياً على صحار حتى أن ابن رزيق يذكر بصـــدد ذلك بأنه عندما بويع بالإمامة قصدته شيوخ الجبور فرفع منزلتهم وأحسن إليهم[٣] . كما عنى إلى جانب ذلك بتوثيق علاقات الجوار بينه وبين القبائل العربية القاطنة

---

(١) السالمى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ١٦١ .

(٢) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن ١٨ ص ١٦ / ٢١ بغداد ١٩٦٦ .

(٣) ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٣٣٠ .

فى جنوب فارس وامتد بعلاقاته إلى القبائل القاطنة فى عربستان فدخل فى حلف مع قبائل بنى كعب عند شط العرب ونهر القارون وفى حلف آخر مع قبائل بنى معن القاطنة بالقرب من بندر عباس مما أدى إلى فشل محاولات كريم خان الزندى فى السيطرة على تلك المناطق : كذلك قدم المساعدة لشاه علم امبراطور المغول فى الهند حيث قام أسطوله بمساعدته ضد القراصنة الذين كانوا يعترضون تجارة الأرز بين مانجالور فى سواحل الهند الغربية ومسقط وتوثقت الصلات حين أرسل حاكم المغول مبعوث إلى مسقط فى عام ١٧٦٦ لعقد معاهدة مع الإمام أحمد بن سعيد كانت تنص على استمرار علاقات الصداقة بين الطرفين وإنشاء دار فى مسقط لمبعوث الحاكم المغولى أصبح يعرف ببيت نواب[1]. وفى تعامله مع القوى الأوروبية كان الإمام أحمد بن سعيد يتبادل الهدايا ويوقع الإتفاقيات مع شركة الهند الشرقية البريطانية كذلك احتفظ بعلاقات طيبة مع فرنسا حيث كانت المصالح التجارية تربطه بوكيل الشركة الفرنسية فى بغداد وحاكم جزيرة فرنسا . وتتفق الكثير من المصادر على وصف عهد الإمام أحمد بالازدهار التجارى رغم الاضطرابات والثورات التى واجهها حيث قدرت موارده من الرسوم الجمركية وحدها بما يزيد عن مليون روبية هندية[2]. وعلى عهد الإمام أحمد بن سعيد كانت رحلة كارستن نيبور Neibuhr الذى زار مسقط فى عام ١٧٦٥ وأكد على حرية الأديان والتسامح الدينى وأن الأجانب يتاجرون بحرية واطمئنان .

وعلى الرغم مما كان يتميز به الإمام أحمد بن سعيد من الشجاعة والصرامة إلا أنه ارتكب خطأ جسيما نتيجة سياسة التجزئة واللامركزية التى اتبعها فى حكمه للبلاد حيث كان يميل إلى تعيين أبنائه حكاماً على المدن والمقاطعات الهامة فى عمان مسبغا عليهم ألقاب السادة والأمراء ولا شك أن هذا النظام اللامركزى

---

(١) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٤ .

(٢) الداود : مرجع سبق ذكره ص ٢٢/٢٣ . .

كان عاملا كبيرا فى تجزئة البلاد وهو أسلوب فى الحكم توارثه عن أسرة اليعاربة[1]. وقد شهد الإمام أحمد بنفسه فى أخريات عمره الآثار السيئة التى نجمت عن هذا الأسلوب حيث كان يضطر فى كثير من الأحيان للتدخل بهدف إحلال السلام بين أبنائه أحياناً أو الدفاع عن نفسه ضد تكتل كانوا يقومون به ضده أحياناً أخرى وخاصة حين تحالف بعض أبنائه مع بنى جبر . وكان الأخيرون رغم مساعدتهم للإمام أحمد فى بداية تأسيس سلطته على نحو ما أشرنا إلا أنهم كانوا سببا فى الفوضى التى حدثت نتيجة الصراع بين أحمد ابن سعيد وأبنائه الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أخوالا لهم بحكم مصاهرتهم لهم وعندما قام الامام أحمد بتشديد الحصار على المتمردين من أبنائه فى حصون مسقط استنجد جبر بن محمد الجبرى بصقر بن رحمة شيخ القواسم ، وتمكن الشيخان من إعداد قوة زحفا بها على الرستاق فى عام ١٧٨١ مما اضطر الإمام أحمد أن يرفع الحصار عن حصون مسقط والتصالح مع أبنائه [2] . وفى عام ١٧٨٣ مات الإمام أحمد ودفن بعاصمته الرستاق وبويع بالإمامة من بعده إلى ابنه سعيد بدلا من هلال الذى كان مرشحاً للإمامة باعتباره الإبن الأكبر إلا أنه كان يعانى مرضا فى عينيه دعاه إلى الذهاب إلى بومباى للعلاج حيث مات هناك . ومما يستلفت النظر أنه على الرغم من أن النظام الإباضى ينص على البيعة بالإمامة إلا أن أسرة البوسعيد شأنها فى ذلك شأن أسرة اليعاربة توارثت الإمامة التى كانت تتم بالبيعة مراعاة للتقاليد الدينية كما توارثت أسرة البوسعيد عن أسرة اليعاربة أيضا أسلوبها فى الحكم حيث كان يعهد حفاظا على وحدة العائلة للكثير من أفرادها بالولاية على المقاطعات الخاضعة للدولة ولا شك أن هذا الأسلوب من الحكم دفع بعض الباحثين إلى التأكيد بأن اختيار الإمام المنتخب من الأسرة كان يتوقف على نقاط ضعفه وليس على

---

(١) Kelly J., Britain and the Persian Gulf pp. 19–20.

(٢) عبد اللطيف الحميدان : نفوذ الجبور فى شرق الجزيرة العربية العدد ١٧ من مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ١٩٨١ .

نقاط قوته حتى يتاح لأعضاء الأسرة نصيب فى الحكم[١]، الذى أخذ يتطور إلى حدوث ثنائية فى الحكم ونعنى بذلك حكما دينيا فى الداخل وحكما زمنيا فى الساحل ووضح ذلك على عهد الإمام سعيد بن الإمام حين مهد اضطراب الأمور لإبنه حمدبن سعيد الاستحواذ على سلطة والده بيد أنه لم يفكر فى أخذ البيعة لنفسه بالامامة إذ أنه لو فعل ذلك لتعين عليه أن يخلع والده ومن ثم اكتفى بلقب السـيد وهو لقب تعظيمى فيما يبدو بدأ استخدامه منذ تولى الإمام أحمد بن سعيد كأسلوب لتميز الأسرة الحاكمة عن رعاياها[٢]. وهكذا يعد عهد السيد حمد بن سعيد بداية للانفصام بين السلطة الزمنية والروحية والذى تطور فيما بعد إلى حدوث الانفصال بين الإمامة والسلطنة فعلى حين انعزل الإمام سعيد بن الامام فى عاصمته الدينية فى الرستاق استقر إبنه حمد بن سعيد فى مسقط حيث بدأت القوى الأوربية تخطب وده وتتعامل معه كما لو كان هو صاحب السلطة الشرعية فى البلاد وكانت القوى الأوربية يعنيها بطبيعة الحال التعامل مع حكام الساحل وليس مع الإمام الذى عاش فترة طويلة على هامش الحياة[٣].

وعقب وفاة السيد حمد بن سعيد فى عام ١٧٩٣ آل الحكم فى مقاطعات الساحل إلى السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٣ — ١٨٠٤ وتميز عهده بتدعيم الوضع السياسى فى مسقط ورغم ذلك فإن وفاته فى عام ١٨٠٤ عرضت مسقط لهزات داخلية حين برزالتنافس بين بدر بن سيف الذى تولى الوصاية على سعيد بن سلطان الذى خلف والده فى الحكم وكان لايزال حدثا صغيرا وبين الشيخ محمد بن ناصر الجبرى الذى كان يعتبر نفسه نتيجة مصاهرة سلطان بن أحمد لبنى جبر أنه الوصى الشرعى على أبنائه من بعده وحين نجح السيد سعيد بن سلطان فى عام ١٨٠٦ فى الوصول إلى الحكم فى مسقط

---

(١) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره، ص ٣١ .

(٢) Kelly J., op. cit. P. 20.

(٣) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٧ .

بدأ عهده بضرب المتنازعين على الوصاية عليه فى آن واحد إذ أن اختيار سعيد بن سلطان لقلعة الشيخ الجبرى وقتله بدربن سيف فيها ثم الصاق تهمة القتل لشيخها أتاحت له فرصة القائه فى السجن وانتزاع سمائل منه فى عام ١٨٠٧ ولاشك أن هذه الضربة التى وجهها السيد سعيد بن سلطان لبنى جبر فى بداية عهده بالسلطة جعلتهم يتحولون إلى طلب العون من السعوديين وإن كانوا قد عادوا إلى موالاة السيد سعيد على أثر تحطيم الدولة السعودية فى عام ١٨١٨ ، كما أن السيد سعيد من جانبه حاول الاستعانة بنفوذهم من أجل السيطرة على البحرين بحكم علاقة الجبور القديمة بها وعلى الرغم من أن بنى جبر كان مقدرا لهم فى ظل روابطهم بالسيد سعيد أن يكتسبوا نفوذاً كبيراً فى عمان إلا أنه حال دون ذلك اعتناقهم للدعوة السلفية (الوهابية) وأدى ذلك إلى تقليل شعبيتهم بين إباضية عمان حتى أن السالمى يذكر أنه بعد أن ضعفت سلطة السيد سعيد بن سلطان « كان هناك خوف شديد فى أن يتولى السلطة فى عمان الجائر الظالم محمد بن ناصر الجبرى فلايؤمن منه إذا تمكن من عمان أن يدعو الناس إلى مذهب الجور والعدوان » . والأمر الذى لاشك فيه أن انهيار شعبية الجبور فى عمان كانت هى السبب فى انهيار نفوذهم السياسى وأصبح شأنهم فى عمان شأن غيرهم من القبائل التى ليس لها تأثير فى الحياة السياسية العامة[1] .

استمرار تدهور العلاقات العمانية الفارسية .

استطاعت عمان بعد تخلصها من الاحتلال الفارسى أن تصل إلى السيادة على كثير من السواحل والجزر والموانى الواقعة على الساحل الشرقى للخليج ولعل النجاح الذى أحرزته عمان كما أحرزته كثير من القوى العربية المجاورة لها كان يرتبط باغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ إذ استطاع الامام أحمد ابن سعيد بفضل توثيق صلاته مع كثير من القبائل العربية التى تسكن على

---

(١) عبد اللطيف الحميدان : مرجع سبق ذكره العدد ١٧ مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ١٩٨١ .

الساحل الشرقى من الخليج وخاصة قبائل بنى كعب وبنى معن أن يحتفظ بالسيادة العربية على ذلك الساحل . واضعاف محاولات كريم خان الزندى (١٧٥٦ — ١٧٧٧) فى استعادة السيادة الفارسية[1] . وكان ذلك مما جره إلى نزاع مباشر مع كريم خان الزندى بعد أن توطدت سلطته فى شيراز وتمكن أن يعيد الاستقرار لفارس بعد فترة من الفوضى دامت ما يقرب من عشر سنوات بعد اغتيال نادر شاه . وظهر النزاع بين كريم خان وأحمد بن سعيد الذى تزعم تحالف القبائل العربية فى الخليج فى بداية الأمر بسبب حوادث محلية ثم تطور الأمر إلى مطالبة كريم خان الزندى باستعادة السيادة الفارسية على عمان استنادا إلى خضوعها لفارس على عهد نادر شاه خلال الفترة من ١٧٣٨ إلى ١٧٤٤ ولذلك طلب من الإمام أحمد بن سعيد دفع الجزية السنوية المتأخرة على عمان وكان من الطبيعى أن يرفض الامام أحمد دفع أية جزية لفارس وجاء فى الرد الذى بعث به إلى كريم خان فى عام ١٧٦٩ بأن الجزية التى كانت تدفعها عمان إلى فارس على عهد نادرشاه لم يكن الدافع إليها أحقية فارس لها بقدر ما كانت سياسة انتهجها هو حينما كان واليا على صحار لكى يتخلص من متاعب نادر شاه ولكن الأمر يختلف هنا قدر الاختلاف بين رجلين فالأول — ويعنى نادر شاه — كان فاتح فارس كلها أما الثانى ويعنى كريم خان ... لايعدو أن يكون وكيلا على إقليمين أو ثلاثة من أقاليمها[2] . وكان من الطبيعى أن يترتب على ذلك التحدى أو تلك الاهانة التى وجهها أحمد بن سعيد إلى كريم خان توتر العلاقات بينهما وظهر ذلك واضحا حين أراد كريم خان أن يتعرض إلى عمان وأرسل قوات كبيرة عبرت جزيرة لنجه ، وعندما علم أحمد بن سعيد بادر بحصار الفرس

---

(١) ج . ج . لوريمر : مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ١٧٨/١٧٩ .

(٢) Bombay Govt, Selection from the Records, vol. XXIV CF. Historical Sketch of the Rise and progress of the Govt. of Muscat. P. 170 Bombay 1856.

بها حتى طلبوا الأمان وانسحبوا إلى ديارهم[1]، في الوقت الذى قام فيه الإمام أحمد بن سعيد في عام ١٧٧٠ بغارة على ميناء بوشهر مطالبا بترضية كافيه تعويضا لاستيلاء الفرس على بعض السفن العمانية التي كانت راسية في بعض الموانى الفارسية . كما تزعم الامام أحمد بن سعيد حلفا ضم اليه شيخ القواسم وشيخ هرمز وأصاب جزءاً من السواحل الشرقية ببعض الأضرار ولم يلبث كريم خان وقد شغلته المنازعات الداخلية في فارس أن فوض الشيخ نصر آل مذكور حاكم بوشهر في التعامل مع عمان إما في عقد الصلح أو مواصلة الحرب بيد أن الصراع العمانى الفارسى ظهر واضحا في عام ١٧٧٥ ، حين اتجه كريم خان إلى السيطرة على البصرة خلال صراعه مع الدولة العثمانية وكان كريم خان قد مهد لحصار البصرة بضرب القوى العربية المتحالفة مع عمان وخاصة قبائل بنى كعب حيث دمر مدينة الدورق عاصمة الإقليم الذى تشغله تلك القبائل في منطقة شط العرب . وعلى أثر نجاح كريم خان في فرض الحصار على البصرة في عام ١٧٧٦ استنجد سكانها بالإمام أحمد بن سعيد الذى بادر بارسال حملة بقيادة بعض من أبنائه وحينما وصلت إلى هناك وجدت أن الفرس قد صنعوا سلسلة من الحديد لكى يقطعوا على العمانيين الدخول[2] . واستطاعت السفن العمانية التي بلغت اثنتى عشر سفينة بقواتها التي تزيد على عشرة آلاف مقاتل أن تطهر منطقة شط العرب من التغلغل الفارسى كما تمكنت السفينة رحمانى أن تحطم السلسلة الحديدية التي وضعها الفرس لعرقلة الملاحة وبذلك استطاع الأسطول العثمانى السيطرة على شط العرب وفتح الملاحة فيه في عام ١٧٧٩[3]. وقد أشاد السلطان العثمانى مصطفى الثالث بهذه المساعدة التي قدمها العمانيون للدولة العثمانية حتى أنه أصدر فرمانا يقضى بدفع مساعدة مالية سنوية إلى إمام عمان ومما يذكر أن هذه المساعدة استمرت نافذة حتى بداية عهد السيد سعيد بن سلطان[4] . والجدير بالذكر

---

(١) سرحان بن سعيد . مصدر سبق ذكره ص ١٥٨

(٢) نفسه ص ١٥٩ .

(٣) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربى في منطقة شط العرب ، دراسة وثائقية ص ٥٧ — ٥٨ البصرة ١٩٧٤ .

(٤) Bombay Govt. op. cit. The Rise and Progress of the Govt. of Muscat. P. 172.

أن كريم خان كان يتحين الظروف الملائمة للسيطرة على مسقط فعلى أثر حصاره للبصرة طلب إعداد خطة للزحف إلى مسقط ولكن هذه الخطة لم تنفذ بسبب اضطراره لفك الحصار فى عام ١٧٧٩ بسبب الظروف التى أشرنا اليها بالاضافة إلى أن فارس نفسها أخذت تتراجع عن مكان الصدارة والقوة بين بلدان الخليج خاصة بعد اغتيال كريم خان الزندى فى نفس ذلك العام حتى أصبحت من أكثر البلدان ضعفاً وأسوأها نظاماً نتيجة الصراعات التى قامت بين ورثة كريم خان للوصول إلى السلطة فى فارس ومما يؤكد ذلك أنه فى خلال ثمانية عشر عاماً من وفاة كريم خان تولى الحكم سبعة من أفراد أسرته الزندية فقدوا نفوذهم الخارجى والداخلى حيث خرجت أقاليم كثيرة من نفوذهم واستمر الوضع المفكك قائماً حتى قيام أسرة قاجار بمسئوليات الحكم فى فارس فى عام ١٧٩٧ [١] .

والأمر الذى لاشك فيه أن فترة التدهور والانحلال التى عاشتها فارس خلال الفترة من ١٧٧٩ إلى ١٧٩٧ أفسحت المجال لعمان لتأكيد نفوذها على السواحل الشرقية للخليج العربى بل وإلى قيام حكم عربى عمانى على أجزاء كبيرة من هذا الساحل بما فى ذلك جزره وموانئه[٢]. كما انفسح المجال أيضاً للقوى العربية الأخرى بما فى ذلك القواسم وبنى كعب للبروز إلى القوة إلى جانب نجاح أحد فروع العتوب وهم آل خليفة فى السيطرة على الزبارة والوثوب منها إلى حكم البحرين بعد تخليصها من السيادة الفارسية حيث تم تأسيس حكم عربى مستقر منذ عام ١٧٨٣ وسوف نتعرض إلى ذلك فى حينه ولكننا نشير هنا إلى أن أبرز ماحققته عمان هو نجاحها فى السيطرة على ميناء عباس بملحقاته جوادور وشهبار وكان ذلك على عهد السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٣ — ١٨٠٤ التى كانت حروبه وفتوحاته فى السواحل الجنوبية الشرقية للخليج على عهد فتح على شاه

---

(١) ج . ج : لوريمر : مصدر سبق ذكره ج ١ ص ٢٣٢ ومابعدها .

(٢) Curzon, G. Persia and the Persian Question vol. II P. 423 London 1890.

من أهم الأعمال التى قام بها فعلى أثر وصوله إلى الحكم فى عام ١٧٩٣ قام بإرسال حملة إلى سواحل مكران نجحت فى الاستيلاء على جوادور وعين فيها حاكما من قبله كما نجح فى السيطرة على شهبار وفى العام التالى تمكن سلطان بن أحمد من السيطرة على قشم وهنجام وقاد بنفسه حملة على بنى معن ، وهى قبائل عربية كانت تحكم هذه المناطق بفرمان من الشاه وتمكن من الاستيلاء على هاتين الجزيرتين وسيطر بذلك على مدخل الخليج وترتب على ذلك تحول الضرائب التى كانت إيجارا لميناء بندر عباس وما جاوره بما فى ذلك ميناء ميناب وجزر هرمز وقشم وهنجام من شيوخ بنى معن إلى حاكم مسقط ولم يكن هذا الإيجار السنوى يزيد على ستة آلاف تومان فارسى قبلت حكومة مسقط دفعها إلى فارس بمثابة إيجار سنوى لهذه المناطق التى أصبحت تحت إدارتها ولم يكن هذا الإيجار إلا بمثابة ترضية لفارس إذ كانت مسقط فى حقيقة الأمر تتصرف فى هذه المناطق تصرف صاحب الأمر[1].

ويمكننا أن نؤكد ذلك استنادا إلى الاتفاقية التى وقعها سلطان بن أحمد مع شركة الهند الشرقية البريطانية فى عام ١٧٩٨ إذ نصت المادة السابعة من تلك الاتفاقية على أن يسمح سلطان مسقط للانجليز بإنشاء قاعدة فى بندر عباس وإبقاء حامية عسكرية بها ومن الثابت أن سلطان بن أحمد منح تلك الامتيازات للإنجليز دون أن يرجع فى ذلك إلى الحكومة الفارسية مما يؤكد أن مسقط كانت تتصرف فى هذه المناطق تصرف المالك المستقل . على أنه ينبغى أن نلاحظ أن التفوق العمانى لم يلبث أن تعرض للضعف حين بدأ الإنجليز يحرصون أثناء تغلغلهم فى الخليج العربى منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر على موازنة القوى العربية بالقوى الفارسية تحقيقاً لمصالحهم الإستعمارية وسوف يتضح لنا ذلك من موقف الإنجليز من الإدارة العمانية على السواحل الشرقية للخليج العربى فحينما حاولت فارس عقب اغتيال سلطان بن أحمد فى عام ١٨٠٤ تجريد سلطنة مسقط من توابعها فى السواحل

---

(١) Sykes, History of Persia vol. II. P. 456 London 1951,

الشرقية وذلك بتحريضها شيوخ بنى معن فى استعادة بندر عباس وميناب قام بدر بن سيف الذى كان وصيا على السيد سعيد بن سلطان بمواجهة الموقف الفارسى ولكنه وجد عدم استجابة من الانجليز على الرغم من أنه انتهز فرصة قيامهم بحملة د١٨٠ لضرب القواسم لكى يشترك فى هـــذه الحملة التى كان يقودها الكابتن سيتون Seton (١) ونجح فى توجيهها بعد تحطيمها لرأس الخيمة إلى الساحل الشرقى للخليج فاستعاد بندر عباس من شيوخ بنى معن ونجح فى تخليص ميناب من الحصار الذى كان قد فرضه الفرس على ذلك الميناء حتى أن الكابتن سيتون كتب تقريرا إلى حكومته يؤكد فيه أن السيد بدر بن سيف كان يرى استعادة توابع عمان فى الساحل الشرقى من الخليج عملا أكثر أهمية من مكافحة القرصنة ومقدما عليها وأنه لو لم يكن هو نفسه موجودا لقام بدر بأعمال عدائية أكثر عنفا .

وعلى الرغم من أن السيد بدر بن سيف عرض على حكومة بومباى إنشاء قاعدة عسكرية لها فى بندر عباس إلا أن حكومة بومباى رأت عدم تنفيذ ذلك بالنظر إلى ضرورة الحصول على موافقة الحكومة الفارسية وفيما يبدو لنا أن ذلك يتناقض تناقضا كبيرا مع موقفها حين ألحت على سلطان بن أحمد فى عام ١٧٩٨ عند توقيع الاتفاقية معه على أن يسمح لها بانشاء تلك القاعدة . ولعل ذلك الموقف الذى وقفته حكومة بومباى كان يرتبط بزوال الخطر الفرنسى الذى كان يتهددها عند عقد الاتفاقية السابقة وذلك برحيل الفرنسيين من مصر فى عام ١٨٠١ واتجاهها إلى

---

(١) Bombay Govt. op. cit. vol. XXIV CF. Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs P. 299 See also Goldsmid, F., Telegraph and Travel A Narrative of the formation and development of Telegraphic communication between England and India under the orders of her Majety's Govt. with incident notices of the Countries Traversed by the Lines pp. 235–236 London 1874,

تحقيق التوازن بين القوى العربية والفارسية فى الخليج وهى السياسة التى انتهجتها خلال القرن التاسع عشر. وتنفيذا لتلك السياسة أخذت تقف إلى جانب فارس خلال المنازعات التى قامت بينها وبين سلطنة مسقط بشأن حقوق السيادة على بندر عباس وتوابعه وكانت فارس تتحين الظروف التى تسمح لها لكى تجرد سلطنة مسقط من سيطرتها على هذه المناطق وعلى الرغم من أن سلاطنة مسقط نجحوا فى الاحتفاظ بتبعية تلك المناطق لسيادتهم حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلا أنهم اضطروا فى كثير من الأوقات إلى رفع قيمة الإيجار السنوى الذى كان يدفع إلى الحكومة الفارسية . ولا شك أن موقف بريطانيا كان عاملا قوياً فى تقليص الحكم العمانى من السواحل الشرقية للخليج ويظهر ذلك حين اتجه السيد سعيد بن سلطان فى عام ١٨٢٦ للسيطرة على بوشهر وكاد ينجح فى حملته هذه لولا تدخل المقيم البريطانى فى الخليج الذى أقنعه بعدم تدمير الميناء مراعاة للصداقة القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية بسبب وجود المقيمية البريطانية فى بوشهر .

ومما هو جدير بالذكر أن فارس انتهزت فرصة غياب السيد سعيد المستمر عن مسقط بعد نقله الحكم إلى زنجبار فى عام ١٨٣٢ لكى تعيد سيطرتها على السواحل الشرقية للخليج ولم تظهر بريطانيا تحمسا لمساعدة السيد سعيد فى الاحتفاظ بنفوذه فى تلك المناطق باستثناء مقاطعة جوادور التى أصرت بريطانيا على استبقاء تبعيتها لسلطنة مسقط وكان ذلك لمصلحتها فى مد الخطوط البرقية التى كانت تمر بها[١] . بقى أن نسجل هنا إعجاب كثير من الرحالة الذين زاروا الجزر والموانى الواقعة على السواحل الشرقية للخليج والتى كانت تخضع لإدارة مسقط ومن أبرز أولئك الرحالة وليام بالجراف Palgrave الذى وصف الإدارة العربية بأنها إدارة ناجحة وتفوق

---

(١) Goldsmid, op. cit. P. 236–278 See also Sykes, op. cit. vol. II. P. 423–425.

بدرجة كبيرة الإدارة الفارسية السيئة بما اتصفت به من مظالم وإجحاف ومما تجدر الإشارة إليه أن بالجراف قام برحلاته بين عامى ١٨٦٢ و ١٨٦٣ أى عقب الفترة التى شهدت إنهيار سيادة مسقط على تلك الموانى ولذلك كانت المعلومات التى استقاها تشير إلى الإنكماش الذى حدث فى تلك الموانى بالمقارنة إلى فترة الازدهار التى كانت عليها والتى بفضلها استطاعت أن تجتـــذب إليها كثير من التجار من مختلف العناصر وكان ذلك بفضل سياسة التسامح الدينى والحرية الاقتصادية التى اتبعها سلاطنة مسقط فى إدارتهم وبفضل الحكام العرب الذين عينوا عليها من قبلهم مما أدى إلى انتعاش التجارة مع الهند حيث ألغيت الضرائب واعتبر كل من ميناء بندر عباس وميناء لنجة ميناء حراً وكان ذلك على عهد السيد سعيد بن سلطان[1] .

وأخيراً قد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى نجاح السيد سعيد فى السيطرة على ظفار فى عام ١٨٢٩ ورغم كون ظفار من الأقاليم العمانية إلا أن ذلك الإقليم كاد يكون مغلقاً على نفسه بحيث أصبح تاريخه غير متماسك مع تاريخ عمان . حقيقة أن هذا الإقليم خضع للسيطرة البرتغالية مثل غيره من أقاليم عمان الأخرى ثم استولى عليه اليعاربة والبوسعيد إلا أن بعد الإقليم أتاح الفرصة لبعض الأسر أو المغامرين بالإستقلال به ولعل اغتيال السيد محمد بن عقيل العجايبى الذى كان يحكم الإقليم ويتخذ من صـــلاله مركزا لحكمه فى عام ١٨٢٩ هو الذى شجع السيد سعيد على إرسال حملة نجحت فى ضمه إلى السلطنة وعين السيد سعيد أحد إخوة القتيل واليا على ظفار ولم تلبث القوات العمانية أن انسحبت للحاجة

---

(١) Palgrave, W.G. Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia vol. II P. 288 SQ See also Personal Narrative P. 392 Lond on 1879.

إليها فى شرق إفريقيا وأصبحت الشخصية المسيطرة هى شخصية عبد الله لورليد وهو أمريكى الأصل كان محمد بن عقيل قد أسره من إحدى السفن الأمريكية واستطاع أن يصل إلى حكم ظفار فى عام ١٨٣٦ وخلفته طائفة أخرى من المغامرين وأصبح الاقليم يعيش بعيداً عن السيطرة العمانية حتى نجح السيد تركى بن سعيد فى إعادة ضمه إلى السلطنة وكان ذلك فى عام ١٨٧٩[١] .

---

(١) ج . ج . لوريمر : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ٨٩٧ – ٨٩٨ .

الفصل الرابع

المنافسات التجارية والسياسية في الخليج العربي

تأسيس الشركات التجارية — التنافس الانجليزى الهولندى — استيلاء الهولنديين على جزيرة خرج — ميرمهنا وصراعه ضد الهولنديين — التنافس الانجليزى الفرنسى خلال حرب السنوات السبع وحرب الاستقلال الأمريكية — نشأة المقيمية البريطانية فى بوشهر — استيلاء فرنسا على جزيرتى موريس والبوربون — العلاقات الفرنسية بمسقط — اتفاقية ١٧٩٨ بين مسقط وشركة الهند البريطانية — تأثير الحملة الفرنسية على مصر على علاقة بريطانيا بالخليج العربى — مراسلات بونابرت مع سلطان مسقط — بعثة جون مالكولم إلى فارس واتفاقية ١٨٠٠ مع سلطان مسقط — السياسة النابليونية فى الشرق — بعثة كافينياك — حياد مسقط — سقوط جزيرة موريس ١٨١٠ .

* * *



الفصل الرابع

المنافسات التجارية والسياسية فى الخليج العربى

تعرضت الامبراطورية البرتغالية فى الشرق منذ أواخر القرن السادس عشر إلى ضربات متتالية وجهت إليها من قبل القوى الأوربية المنافسة لها وخاصة من الإنجليز والهولنديين والفرنسيين الذين بدأوا فى تأسيس شركات تجارية لهم وأعلنوا رفضهم لسياسة الاحتكار البرتغالى التى كان البرتغاليون يفرضونها على تجارة الشرق . ومما يستلفت الانتباه أن القوى المنافسة للبرتغاليين رغم أنها تعاونت فيما بينها لضرب السيطرة البرتغالية إلا أنها لم تلبث أن اتجهت بعد ذلك إلى التناحر فيما بينها ولعل من الأمثلة الواضحة على ذلك تعاون الانجليز مع الهولنديين فى تصفية الإمبراطورية البرتغالية ثم اتجاه انجلترا بعد ذلك إلى التخلص من حلفائها الهولنديين أولا ثم من منافسة فرنسا لها ثانيا حتى نجحت فى تحقيق سيطرتها على الهند وعلى الجزء الغربى من المحيط الهندى . ويعد سقوط جزيرة فرنسا فى أيدى الإنجليز فى عام ١٨١٠ نقطة البدء فى استئثار بريطانيا بنفوذها فى بحار الشرق بصفة عامة ومنطقة الخليج العربى بصفة خاصة ومما هو جدير بالذكر أن المؤرخين الأوربيين يطلقون على الفترة الممتدة من بداية القرن السابع عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر — وتشمل فترة المنافسة بين الشركات الأوربية التى تأسست فى الشرق — فترة التوسع الأوربى الأول — وذلك تمييزا لها عن الفترة الثانية من التوسع الأوربى التى امتدت من النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى نشوب الحرب العالمية الأولى وانتهت بتفوق الامبريالية البريطانية .

وتبدأ مرحلة التنافس التجارى والسياسى التى تعنينا فى دراستنا هـــذه

حينما بدأ الهولنديون بعد تخلصهم من الحكم الإسبانى فى عام ١٥٩٥ فى توجيه نشاطهم صوب تجارة الشرق وتميزوا بحماس شديد فى محاولتهم تعويض الفترة التى حرموا فيها من المشاركة فى تلك التجارة خلال خضوعهم للحكم الإسبانى إذ وضعت إسبانيا العقبات فى طريقهم بهدف حرمانهم من المستعمرات البرتغالية فى الشرق والتى كانت إسبانيا تشرف عليها منذ اخضاعها البرتغال للتاج الإسبانى خلال الفترة من ١٥٨٠ إلى ١٦٤٠[١] . وثمة حقيقة تاريخية يمكن الاستناد عليها لتحليل أسباب حدة التنافس بين القوى الأوربية فى بحار الشرق وهذه الحقيقة ترتبط ارتباطا كبيرا بانتشار المذهب البروتستانتى فى أوربا إذ أن هذا الانتشار الذى صحب حركة الاصلاح الدينى كان له أثر بعيد فى التاريخ الآسيوى حيث أن اتباع المذهب الجديد من الانجليز والهولنديين لم يتقيدوا بما سبق أن سنه البابا بمقتضى معاهدة ترود يسيلاس الشهيرة فى يوليه ١٤٩٤ التى حددت ممتلكات الدولتين الكاثوليكيتين إسبانيا والبرتغال إذ أخذ الإنجليز والهولنديون ينادون بإبطال كل حق للبرتغال فى احتكار تجارة الشرق وكان الهولنديون أول من تحركوا فى هذا المجال حيث خرجت أساطيلهم الأولى ميممة وجهها صوب الهند فى عام ١٥٩٥ وسار الانجليز فى أعقابهم[٢] . وربما يرجع إلى الرحالة الهولندى جان هوتن **Hotein** الفضل الأول فى جذب اهتمام الهولنديين إلى منطقة الخليج العربى وكان ذلك حين قدم تقريرا عن رحلاته فى الشرق وفيه تحدث عن أهمية الخليج العربى فى تجارة الهند مما دفع هولندا إلى الحصول على مواقع لها فى بعض جزره وموانئه كما شجعت الحكومة الهولندية بعض التجار الهولنديين على تأسيس شركة الهند الهولندية الشرقية التى اتخذت من باتافيا فى جزر الهند الشرقية مركزا لها وكانت هى الشركة الأوربية الثانية التى ظهرت فى الشرق فى عام

---

(١) محمود على الداود : تاريخ العلاقات الهولندية فى الخليج العربى ص ٣ - ٥ مجلة كلية الآداب جامعة بغداد - العدد الثالث - كانون الثانى ١٩٦٤ .

(٢) عبد العزيز عبد الغنى : حكومة الهند البريطانية والإدارة فى الخليج العربى - دراسة وثائقية ص ١٣ الرياض ١٩٨٣ .

١٦٠٢ إذ سبقتها قبل فترة قليلة وعلى وجه التحديد قبل سنتين شركة الهند الشرقية الانجليزية التى أسسها جماعة من تجار لندن بمقتضى مرسوم ملكى حصلوا عليه من الملكة اليزابيث[1] . وعلى أثر تأسيس هاتين الشركتين أخذت المنافسات تحتدم بين البرتغاليين من ناحية وبين الهولنديين والانجليز من ناحية أخرى وهذه المنافسات بدأها الانجليز ضد البرتغاليين مرتكزين فى ذلك على محالفتهم للهولنديين وصداقتهم للشاه عباس الكبير (١٥٨٧ — ١٦٢٩) حيث تمكنوا فى عام ١٦٢٢ من إسقاط حصن البرتغاليين الحصين فى جزيرة هرمز . على أنه ما كادت تترنح سيطرة البرتغاليين فى الخليج العربى حتى بدأ الحليفان — الانجليز والهولنديون — يعملان على تصفية نفوذ كل منهما الآخر حتى تتاح الفرصة للجانب المنتصر الاستئثار بالتجارة فى فارس والخليج العربى . وقبل أن نعرض لهذه المرحلة تجدر الإشارة هنا أن تحالف الهولنديين مع الانجليز قد أتاح لهم السيطرة على بعض المواقع فى الخليج العربى كان من أهمها جزيرة خرج التى تقع فى مواجهة ميناء بوشهر التى اتخذوا منها مقراً لقوات حماية مصالحهم التجارية فى الخليج وفى عام ١٦٢٣ قاموا بنقل وكالتهم التجارية التى كانت قائمة فى هرمز إلى ميناء بندر عباس وهو الميناء الجديد الذى أمر الشاه عباس ببنائه على أثر تدمير هرمز فى عام ١٦٢٢[2] . ولا شك أن كلا من القاعدة الهولندية فى خرج والوكالة التجارية التى تمكنوا من إنشائها فى بندر عباس قد ساعدتهم على تثبيت نفوذهم فى الخليج العربى خاصة بعد أن أخذ النفوذ البرتغالى ينحسر تدريجيا بعد الضربة التى تعرض لها البرتغاليون فى كل من هرمز ومسقط .

---

(١) عن الجهود التى بذلها الانجليز للوصول إلى أسواق الشرق وتأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية راجع Foster , W. England's Quest in Eastern Trade P. 79 SQ London 1933.

(٢) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ٦٩ .

وقد عمل الهولنديون على إبراز وجودهم فى الخليج العربى والمحيط الهندى إذ أدركوا وهم المتمرسون فى البحر والتجارة بسبب طبيعة بلادهم الأهمية الحيوية لهاتين المنطقتين للتجارة العالمية ، وأدى التفوق البحرى الهولندى إلى الصراع بينهم وبين الانجليز حلفائهم السابقين . وقد عنيت كثير من المصادر بتحليل أسباب التفوق البحرى الهولندى فى بحار الشرق ولعل من أبرز الأسباب التى ذكرت بصدد ذلك أن الهولنديين كانوا يعتمدون على أسطول بحرى قوى والأهم من ذلك أنهم تمكنوا من الحصول على اعتمادات مالية ضخمة من الحكومة الهولندية لصالح الشركة التجارية التى أنشأوها فى باتافيا حيث كان أعضاء الشركة مرتبطين ارتباطا وثيقا بالحكومة الهولندية ويملكون التأثير عليها على عكس شركة الهند الشرقية الإنجليزية التى كان نشاطها مقصورا على مكاسبها التجارية فحسب .

وقد بدأ الصدام المباشر بين الانجليز والهولنديين حينما رفض الهولنديون دفع الجمارك للإنجليز فى ميناء بندر عباس وكان الإنجليز يستحوذون على نصف عوائد ذلك الميناء بمقتضى الامتياز الذى تحصلوا عليه من الشاه عباس الكبير نظير مساعدتهم له فى طرد البرتغاليين من هرمز كما حاول الهولنديون التحالف مع البرتغاليين وكان ذلك عقب اعلان أوليفركرومويل Cromwell الحرب على هولنـــدا بسبب منافستها البحرية لإنجلترا بيد أن التحالف الهولندى البرتغالى لم يقدر له الوصول إلى مرحلة التنفيذ(١) .
وعلى أية حال فقد استطاع الهولنديون أن يزعزعوا النفوذ الانجليزى فى فارس حين تمكنوا عقب وفاة الشاه عباس فى عام ١٦٢٩ من أن يحصلوا من خليفته الشاه صفى على امتيازات تجارية كانت تفوق بكثير الامتيازات التى سبق أن منحت للإنجليز ، وكما يعلق أرنولد ويلسن Wilson أنه فى

---

(١) Wilson, A. The Persian Gulf P. 164 See also Bruce, John : Annals of the Honourable East India Company, vol I pp498–499 London 1810 .

بلاد مثل فارس تصبح جميع الاتفاقيات والمعاهدات والامتيازات التى يمنحها الحاكم ملغاة مالم يثبتها خلفه وبما أن ذلك استغرق كثيرا من الوقت منذ وفاة الشاه عباس فقد عانت التجارة الانجليزية من وضعها السيء إذ انتهى الاحتكار الانجليزى لتجارة الحرير وأخذ مركز الهولنديين يتفوق عليهم تفوقا ملحوظا وعانت التجارة الإنجليزية من تعثر شديد فى فارس والخليج بسبب الامتيازات الواسعة التى منحت للهولنديين وأخذت الوكالة التجارية الهولندية تنشط نشاطا كبيرا فى بندر عباس حتى تمكن الهولنديون من الاستئثار بتجارة الخليج خلال الشطر الأعظم من القرن السابع عشر[١] . وعلى الرغم من كساد أعمال شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى درجة كانت تستدعى إغلاق الوكالات التجارية التابعة لها فى فارس إلا أن الانجليز أبقوا على هـــذه الوكالات رغم افلاسها خوفا من أن يقتلعهم الهولنديون نهائيا وخاصة أن الهولنديين بذلوا نشاطا كبيرا لتدعيم نفوذهم فى المقاطعات الفارسية بمختلف الوسائل بما فى ذلك أساليب الرشوة وبيع بضائعهم بأقل من تكلفتها الأساسية كما دفعوا أثمانا مرتفعة لشراء الحرير الفارسى بأكثر مما كانت تطيقة قدرات الانجليز . وأخذ الهولنديون بعد ذلك يمارسون ضغطا على الشاه لمنحهم مزيدا من الامتيازات التجارية ولما فشلوا فى ضغوطهم الاقتصادية بدأوا يمارسون ضغوطا عسكرية فهاجموا جزيرة قشم مما اضطر الشاه إلى الإذعان لمطالبهم حيث تمكن الكوماندور بلوك الذىقاد أسطولا هولنديا كبيرا وصل به إلى بندرعباس فى عام ١٦٤٥ من أن يحصل من الشاه على امتياز يعطى الهولنديين حق احتكارتصديرالحرير من أى ميناء يتبع فارس مع اعفائهم من العوائد الجمركية وكان ذلك الامتياز بمثابة ضربه قاصمة وجهت للوكالات الانجليزية فى فارس وترك ذلك أثره على الخليج حيث اضطرت شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى نقل ممتلكاتها ووكالتها التجارية من بندر عباس إلى البصرة ضمانا لسلامتها من ناحية ولتعاظم النفوذ الهولندى من ناحية أخرى[٢] . ولم يتوقف الهولنديون مع

---

(١) Bruce, J. op. cit. vol I pp. 498–500.

(٢) ج . ج لوريمر د مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ٦٥ .

ذلك فى تتبع النفوذ الانجليزى فى كل مكان ينتقلون إليه حتى أنهم أرسلوا أسطولا من ثمانى سفن كبيرة الحجم نجحوا بواسطته فى تحطيم الوكالة الانجليزية التى كانت قد انتقلت إلى البصرة وأصبح واضحا أنهم أصبحوا قادرين على انتزاع مزيد من الامتيازات من الحكومة الفارسية التى أصبحت تخشى من بأسهم ولاشك أيضاً أن طرد البرتغاليين من مسقط على أيدى اليعاربة فى عام ١٦٤٩ كان من أبرز العوامل التى زادت من ميل الكفه لصالح الهولنديين . ولعل تفوق النفوذ التجارى لهولندا كان مما دفع الانجليز لإصدار قانون الملاحه والتجارة فى عام ١٦٥١ وكان هذا القانون يهدف أساساً إلى القضاء على تجارة هولندا البحرية وفى العام التالى ١٦٥٢ أعلن كروميل الحرب ضد هولندا . ومع ذلك فعلى الرغم من الاجراءات التى اتخذتها انجلترا إلا أنها لم تؤد إلى اضعاف النفوذ الهولندى ففى عام ١٦٥٤ نشبت معركة بين الأسطولين الهولندى والانجليزى على مقربة من بندر عباس حيث نجح الهولنديون فى الاستيلاء على بعض السفن الانجليزية وإغراق بعضها الآخر وأصبح الخليج فى يد الهولنديين بشكل مطلق إلى درجة توقف النشاط الانجليزى التجارى توقفاً تاماً [١] .

وهكذا أصبح الهولنديون متفوقين منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر تفوقاً تاماً على المستوى العسكرى والتجارى وبدأوا يعملون على تقوية نفوذهم فى الخليج ، ففى عام ١٦٧٠ استأجرت شركة الهند الشرقية الهولندية إحدى الأبنية فى مسقط واتخذت منها مكتباً لتسهيل أمور البريد الخاص بها وفى عام ١٦٧٢ نجح الهولنديون فى توطيد مركزهم فى كل من البصرة وبندر عباس [٢] ، وفشل الانجليز رغم محاولتهم التحالف مع اليعاربة فى عمان فى اقصاء الهولنديين عن تلك الأماكن التى أصبحت تحت نفوذهم [٣] .

---

(١) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ١٣٥ .

(٢) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٣٣ .

(٣) عبد العزيز عبد الغنى : مرجع سبق ذكره ص ٧٨ .

وأصبح النفوذ الهولندى يتجه إلى التصاعد فى عام ١٦٧٧ كما يفهم مما ذكره جون فرير Fryer عند زيارته للخليج فى ذلك العام[1]. ولكن مما يسترعى الانتباه ذلك التدهور المفاجىء الذى تعرض له النفوذ الهولندى فى الخليج العربى والمحيط الهندى ولعل أبرز عوامل ذلك التدهور ترجع فى أساسها إلى الحروب المتتابعة التى خاضتها هولندا ضد انجلترا خلال الفترة بين عامى ١٦٥٢ و ١٦٧٤ إذ نتج عن تلك الحروب استنزاف شديد لقوة الهولنديين البحرية والعسكرية وازداد الأمر سوءا بالصراع الذى نشب بين هولندا وفرنسا فى عام١٦٧٤ على عهدلويس الرابع عشر١٦٤٣—١٧١٥ وكان ذلك سببا دفع بالإنجليز والهولنديين إلى تسوية خلافاتهم السابقةوتوحيد جهودهم ضد العدو المشترك ولكن الانجليز تمكنوا فى ظل تحالفهم مع الهولنديين أن ينتزعوا منهم مراكزهم واحدا بعد آخر وفوق ذلك أسفرت الثورة العظمى التى حدثت فى انجلترا فى عام ١٦٨٨ عن اقصاء جيمس الثانى عن العرش وارتقاء ابنته مارى وزوجها وليم أوف أورانج العرش كملكين مشتركين وأصبحت المصالح الهولندية فى ظل ذلك الاتحاد تابعة للمصالح الانجليزية واستمر ذلك الوضع قائما حتى عام ١٦٩٧ .

ومما يستلفت الانتباه أنه على الرغم من احتدام المنافسة بين القوى البحرية الثلاث انجلترا — هولندا — فرنسا خلال السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر إلا أن ذلك التنافس لم يحل بينهم وبين توحيدمصالحهم والدفاع عنها ضد الأخطار التى كانت تهددها ، ومن المناسب الإشارة بصدد ذلك إلى الكابتن كيلهام Cilham والكابتن كيد Ked وهما نموذجان للمغامرين المشهورين فى تاريخ القرصنة البحرية فى بحار الشرق استطاعا أن يرأسا طائفة من القراصنة الأوربيين وأن يحيلا الجزء الغربى من المحيط الهندى وسواحل الخليج العربى والبحر الأحمر إلى ميادين صاخبة من السلب والنهب

---

(١) Fryer, John : A New Account of East India and Persia Being Nine Years Travels 1672 — 1681 vol II pp. 163 — 164 London 1912.

وأن يسببا ازعاجا للدول البحرية ولعل ظهور هذين المغامرين وأمثالهما دفع بانجلترا وفرنسا وهولندا رغم المنافسات الشديدة التى كانت قائمة فيما بينها إلى عقد الاتفاقيات الخاصة بقمع القرصنة البحرية حماية لمصالحها التجارية ولعل من أبرزها اتفاقية ١٧٠٠ التى تعهدت هولندا بموجبها بالمحافظة على سلامة الملاحة فى البحر الأحمر وميناء عدن وتعهدت انجلترا بالمحافظة على سلامة الملاحة فى المحيط الهندى وفرنسا بتأمين مضيق هرمز باعتباره مدخلا جنوبيا للخليج العربى [1]. ويستلفت النظر فى هذه الاتفاقية تدهور النفوذ الهولندى فى الخليج العربى بحيث ترك لفرنسا وليس لهولندا مسئولية الملاحة فيه كما يستلفت النظر أيضا أن تجارة الانجليز فى الخليج لم تبلغ الدرجة التى تجعلهم يتشبثون بحماية الملاحة فى مياهه.

والحقيقة أن القرن الثامن عشر شهد انهيارا فى النفوذ الهولندى فى الخليج العربى مقارنا بالنفوذين الفرنسى والانجليزى ولعل ذلك كان يرتبط بالضعف العام الذى انتاب هولندا كدولة فى مستهل ذلك القرن وأخذت التجارة الهولندية تتعرض لضربات شديدة فى فارس وخاصة بعد أن أظهر الشاه حسين — وهو آخر من احتفظ بهيبته من الأسرة الصفوية — ميلا واضحا للإنجليز فزار وكالتهم فى أصفهان فى عام ١٦٩٩ بينما رفض زيارة الوكالة الهولندية فى بندر عباس كما أخذت علاقة فارس بالهولنديين تزداد سوءا بدليل إقدام الهولنديين فى عام ١٧٣٠ على إغلاق وكالتهم فى بندر عباس وفضلوا نقلها إلى البصرة وإن كانوا قد عادوا من جديد لمحاولة كسب نفوذ فى فارس عن طريق تقديم مساعدات بحرية لنادر شاه الافشارى الذى وصل إلى الحكم فى عام ١٧٣٨ حيث أمده الهولنديون بمساعدة بحرية فى الحملة التى قام بها إلى الساحل العمانى ومسقط فى عام ١٧٣٨ كما قدموا له مساعدتهم لقمع ثورة الملاحين العرب فى الأسطول الفارسى فى عام ١٧٤٠، وكان الملاحون العرب

---

(١) Wilson, A., op. cit. P. 195.

تمكنوا من السيطرة على معظم قطع الأسطول ، كما وصلت سيطرتهم إلى مداخل ومخارج الخليج من مسقط حتى شط العرب [١] ، ومن أجل ذلك تقدمت بعض السفن الهولندية ومن بينها السفينة ميدرنك Middenrak بإحباط تلك الثورة والتصدى لبعض السفن العربية فى الخليج [٢] ، وتمكن الهولنديون بفضل المساعدات التى قدموها إلى نادر شاه من إنعاش تجارتهم حتى أنهم بادروا فى عام ١٧٤٧ إلى فتح وكالة تجارية فى بوشهر وكان ذلك بدعوة رسمية من حاكم الميناء كما أعادوا فتح وكالتهم فى بندر عباس فى عام ١٧٥٢ وإن لم تستمر هاتين الوكالتين طويلا بسبب ما أقدم عليـــه الشيخ نصر حاكم إقليم فارستان من مطالبة الهولنديين بضرائب باهظة هذا فضلا عن تعرض الهولنديين لمنافسات شديدة من قبل الوكالة الانجليزية فى البصرة وهكذا وجد الهولنديون أنفسهم محاطين بالأعداء سواء من قبل السلطات المحلية التى تقع وكالاتهم التجارية فى دائرة نفوذها أو من قبل الشركات الأوربية الأخرى ، ولذلك قرروا إغلاق وكالاتهم سواء تلك الوكالات التى كانت قائمة فى الموانى الفارسية أو الموانى العثمانية وأخذوا يركزون جهـــودهم على إحدى الجزر المحصنة التى تقع فى مدخل الخليج العربى من ناحيته الشمالية وهى جزيرة خرج الذين نجحوا فى الاستيلاء عليها فى عام ١٧٥٣ ، ويرتبط ذلك بجهود البارون كينغهاوزن الذى كان ممثلا لشركة الهند الشرقية الهولندية .

وعلى أثر طرده من البصرة بأمر من السلطات العثمانية بسبب علاقاته السيئة بتجارها بدأ يعد لرحيله من هناك إلى باتافيا حيث المقر الرئيسى

---

(١) Letter from the Political Council in Gombroon to the Batavia CF. Report on an incident when the Persian fleet was thrown off anchor by a gale in front of Gombroon Voc 2546.

(٢) Encounter between some Arabs vessels and the Middernak — voc. 2546 — Papers Received from the Colonies in Holland in 1742 vol, 34 Abu Dahbi Doc. Center.

لشركة الهند الشرقية الهولندية وخلال مروره فى الخليج العربى جذبت جزيرة خرج انتباهه [١] . إذ أن موقع تلك الجزيرة الصغيرة عند مدخل الخليج وعلى مقربة من البصرة يمكن أن يتخذها الهولنديون مركزاً للتحكم فى تجارة الخليج ونقطة وثوب على البحرين أو البصرة أو غيرها من المواقع الأخرى على الشاطىء الغربى للخليج [٢] .واستطاع كينفهاوزن بعد إقناع المسئولين فى باتافيا أن يعد أسطولا كبيراً تمكن بواسطته من الاستيلاء على تلك الجزيرة فى عام ١٧٥٣ وكان واضحا أنه لا يهدف فقط إلى مجرد تأسيس مقر تجارى لشركته وإنما كان يهدف إلى إنشاء مستوطنة هولندية تجارية بها ولذلك عمل على إنشاء قلعة كبيرة لحمايتها وأحل بها حامية عسكرية من الزنوج للتغلب على طبيعتها الجرداء وقسوة مناخها ولعل ذلك مما أثار قلق ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية فى البصرة فى أن تتعرض جزيرة البحرين أو غيرها من جزر الخليج الأخرى إلى نفس المصير الذى تعرضت له جزيرة خرج وقد أوردت تقارير الوكالات الانجليزية فى الخليج أن الهولنديين كانوا يعملون على طرد السكان العرب من الجزيرة وإحلال من هم أكثر ولاء لهم ومن ذلك محاولة كينفهاوزن إغراء مسيحيى البصرة على الإقامة بها ووعده الفقراء منهم بمساعدات ماليه تمكنهم من الاستقرار كما عمد إلى استجلاب بعض الأسر الهولندية بغرض تحويلها إلى مستوطنة هولندية ، وكان من الطبيعى أن يناصب الانجليز الهولنديين العداء إذ كان للوجود الهولندى فى جزيرة خرج أضراره البالغة على تجارتهم فى البصرة التى لاتبعد عنها أكثر من خمسة عشر ميلا وكانت الوكالة البريطانية قد انتقلت إلى البصرة فى عام ١٧٥٩ على أثر تدمير الوكالة البريطانية فى بندر عباس على أيدى الفرنسيين كما سنتعرض لذلك فيما بعد .

ومع ذلك فإن الضربة القوية التى تلقاها الهولنديون فى جزيرة خرج لم

---

(١) I.O. Factory Records Persian Gulf CF. letters from Basra and Gombroon vol. 15, 1753.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٣ ص ٢١٧١ .

تأت من قبل القوى الأوربية المنافسة لهم وإنما تلقوا تلك الضربة من سكان العرب الذين يقطنون تلك الجزيرة والذين عرفوا بامتلاكهم السفن وتفوقهم فى شئون الملاحة فى الخليج . حقيقة أن الشيخ نصر حاكم بوشهر كان قد قبل التنازل عن جزيرة خرج التى تقع فى دائرة نفوذه إلى الهولنديين مقابل جزية سنوية يدفعونها له إلا أن الهولنديين ما كادوا يسيطرون عليها حتى أهملوا دفع الجزية السنوية وأخذوا يمن استجلبوهم من عناصر سكانية أخرى يمارسون الغوص على اللؤلؤ وغير ذلك من الأعمال التى قطعت على العرب موارد رزقهم وكان ذلك دافعا لقيام مقاومة عربية ضد الوجود الهولندى فى تلك الجزيرة [1] تصدر لزعامتها الشيخ مهنا بن نصر أو كما اشتهر بلقب مير مهنا وتميز بضرباته الصارمة التى أخذ يوجهها ضد الانجليز فى بندريق وضد الهولنديين فى جزيرة خرج ومما يذكر أن الإنجليز كانوا قد نجحوا فى تأسيس مستعمرة لهم فى بندر ريق الواقعة على مقربة من جزيرة خرج فى عام ١٧٥٥ بهدف الحفاظ على مصالحهم التجارية فى الخليج والوقوف ضد الهولنديين فى حالة قيامهم بأى توسع آخر فى جزر وموانى الخليج الأخرى . ولا شك أن ازدياد العمليات التى كان يقوم بها مير مهنا أدت إلى خروج الانجليز من بندر ريق وإجلاء الهولنديين من جزيرة خرج بعد ذلك بعدة سنوات وعلى وجه التحديد فى عام ١٧٦٥ حيث عاد إليها سكانها الأصليون وأصبح مير مهنا بعد هذا الانتصار الكبير الذى أحرزه يسيطر على الملاحة فى الخليج بعد أن اتخذ من قلعة الهولنديين فى خرج مقرا لعملياته البحرية ضد الفرس والعثمانيين والانجليز والهولنديين جميعاً . ولعل مما تجدر الاشارة إليه أن كثيرا من المصادر تتخذ من سقوط قلعة الهولنديين فى جزيرة خرج على يد مير مهنا فى عام ١٧٦٥ نهاية للنفوذ الهولندى فى الخليج العربى . ومما يستلفت النظر أيضا أن

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : مقاومة إمارات شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربى التغلغل الاستعمارى الأوربى ١٥٠٠ — ١٨٢٠ من أعمال الندوة الخاصة بالتجارب الوحدوية العربية المعاصرة — تجربة دولة الامارات العربية المتحدة — مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت مارس ١٩٨١ .

العمليات التى كان يقوم بها مير مهنا دفعت القوى المناهضة له إلى توحيد جهودها للتخلص من نشاطه وخاصة أنه أثار قلق العثمانيين والفرس بمطالبه على عربستان كما أثار قلق الانجليز فى سيطرته على الملاحة فى الخليج مما دفعهم إلى توقيع اتفاقية مع كريم خان الزندى فى عام ١٧٦٧ كانت تنص على مساعدة الانجليز لفارس فى التخلص من نفوذه مقابل استيلاء الإنجليز على جزيرة خرج ورغم التحالف الذى كان بين الإنجليز والفرس إلا أن مير مهنا تمكن من إفشال هجوم إنجليزى فارسى مشترك قاموا به ضده[1]. وإن كان سوء الحظ لم يلبث أن واكبه حينما دب الشقاق بينه وبين أفراد أسرته وقام أتباعه بالخروج عليه مما اضطره للفرار إلى البصرة فما كان من السلطات العثمانية هناك إلا أن قبضت عليه ودقت عنقه بأمر من باشا بغداد كما بادرت فارس بالاستيلاء على جزيرة خرج وهكذا انتهت حياة ذلك المغامر البحرى الذى روع الهولنديين وكان سببا فى زوال نفوذهم من منطقة الخليج العربى[2] كما أشرنا الى ذلك منذ قليل ذلك أنه بعد إخراج الهولنديين من جزيرة خرج لم يعد لهم أى نفوذ سياسى أو تجارى أو عسكرى بعد أن أخلوا وكالاتهم التجارية فى البصرة وبندر عباس .

والأمر الذى لا شك فيه أن انهيار النفوذ الهولندى فى الخليج فى عام ١٧٦٥ وانتهاء حرب السنوات السبع قبل ذلك بعامين وعلى وجه التحديد فى عام ١٧٦٣ مكن بريطانيا من معاودة تثبيت نفوذها فى الخليج وساعدها على ذلك أن فارس أخذت تتخلص من الاضطرابات والفوضى التى كانت تجتاحها والتى كانت تؤثر على التجارة الانجليزية وذلك على أثر نجاح كريم خان الزندى فى تدعيم سلطته مما مكن الإنجليز فى عام ١٧٦٣ من إقامة مقيمية تابعة لهم فى ميناء بوشهر وبإنشاء تلك المقيمية يمكن أن نصل إلى مرحلة جديدة من مراحل تطور النفوذ البريطانى فى الخليج والتى يمكن أن نطلق عليها مرحلة بوشهر التى استمرت قاعدة للنفوذ البريطانى السياسى

---

(١) Factory Records, CF. letters from Bussora, Gombroon vol. 16 30/11/1768.

(٢) Ibid 4/2/1769.

فى الخليج العربى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية أو على وجه التحديد فى عام ١٩٤٦ حين انتقلت منها إلى البحرين . ويرتبط إنشاء المقيمية البريطانية فى بوشهر بالنشاط السياسى الذى قام به المستر اندرو برايس الذى أوفدته حكومة بومباى إلى بوشهر وتمكن بعد وصوله أن يعقد اتفاقية مع الشيخ سعدون حاكم الميناء وافق الأخير بمقتضاها على منح الإنجليز قطعة أرض أخرى لانشاء حديقة ومقبرة خاصة بهم وأذن للإنجليز باستخدام أعلامهم الخاصة وإعفائهم من الجمارك على أن أهم ما نصت عليه الاتفاقية ألا يكون لأية شركة أخرى الحق فى إنشاء وكالة إنجليزية أو أى مركز لها فى بوشهر كما نصت الشروط المكملة لتلك الاتفاقية على حق الإنجليز فى الاحتفاظ بحامية عسكرية لحماية دار إقامتهم[1] . ومما يذكر أن كريم خان الزندى صادق على تلك الاتفاقية التى اتخذت نموذجاً للتنازلات الأخرى التى منحها الإنجليز فى المقاطعات الفارسية الأخرى أو بمعنى آخر أصبحت إتفاقية برايس مع الشيخ سعدون أساسا لجميع المعاهدات والامتيازات التى استحوذ عليها الانجليز فى فارس والتى كانت تشبه من وجوه كثيرة الامتيازات التى كان يتمتع بها الأوربيون فى الولايات العثمانية وإن تميزت بمنحها المزيد من الامتيازات التجارية للانجليز وتأكد ذلك بفرمان أصدره كريم خان الزندى الذى نص على منح الانجليز الحق فى إقامة مقيميات تابعة لهم فى جميع الأراضى الفارسية انطلاقا من تقديره وصداقته للأمة الإنجليزية[2] .

ومما تجدر الاشارة إليه أنه منذ عام ١٧٦٣ أصبح ميناء بوشهر المركز الرئيسى الأول للتمثيل الانجليزى فى منطقة الخليج العربى وكان هذا التمثيل يتخذ فى البداية طابعا تجاريا ثم تطور بعد ذلك لكى يتخذ طابعا سياسيا ثم أصبحت له سلطة عسكرية على إمارات الخليج العربى .

---

(١) ج . ج لوريمر ، دليل الخليج ص ٤ ص ٢٦٣١ .

(٢) ويلسن : مرجع سبق ذكره ص ١٤٩ — ١٥١ .

وكان تأسيس المقيمية البريطانية فى بوشهر يواكب من الناحية التاريخية نهاية حرب السنوات السبع فى عام ١٧٦٣ ومن المعروف أن هذه الحرب أنهت حقبة من التنافس الاستعمارى بين بريطانيا وفرنسا وانتهت هذه الحقبة بتفوق الانجليز على منافسيهم الفرنسيين. وكانت فرنسا قد دخلت ميدان التوسع فى بحار الشرق منذ عام ١٦٦٤ حين أسست شركة الهند الشرقية الفرنسية[١] بمبادرة من وزير ماليتها كولبير Colbert [٢]. ولكن الشركة الفرنسية لم تحظ حتى نهاية القرن السابع عشر بأكثر من ممارسة تجارية بسيطة مع فارس ولم يقدر للفرنسيين أن يلعبوا دورا بارزا فى أحداث الخليج العربى خلال تلك الفترة بسبب النشاط الانجليزى والهولندى الذى كان متصاعدا فى ذلك الوقت هذا بالاضافة إلى أن فرنسا قد انغمست فى مشكلات القارة الأوربية والحروب الكثيرة التى خاضتها من أجل ذلك على عهد لويس الرابع عشر مما ترك آثارا سيئة على تجارة فرنسا فى الشرق وأصبحت المصالح التجارية الفرنسية فى فارس من الضآلة بحيث تركت فى أيدى البعثات التبشيرية من طوائف الجزويت والكابوشيين[٣]. ومع ذلك فرغم ضآلة الدور الفرنسى فى بحار الشرق بصفة عامة والخليج العربى بصفة خاصة إلا أننا نلاحظ عدة محاولات قام بها الفرنسيون فى أوائل القرن الثامن عشر لإنشاء قاعدة بحرية لهم فى ميناء مسقط وظهرت تلك المحاولات خلال النشاط السياسى الذى كان يقوم به الممثلون الفرنسيون فى البلاط الفارسى والذى كان يهدف إلى قيام تحالف فرنسى فارسى من أجل تمكين الفرنسيين من الاستيلاء على مسقط وهو أمر كان يطمح إليه الفرس قمعا للنشاط البحرى العمانى وما كان يسببه من إرهاق لفارس[٤]. وعلى الرغم من فشل مشروعات التحالف الفرنسى الفارسى إلا أن فرنسا استطاعت

---

(١) Compagnie des Indes Orientale

(٢) محمد صالح العابد : موقف انجلترا من النشاط الفرنسى فى الخليج العربى ص ٣٦ .

(٣) Lockhart, L. The fall of the Safavi Dynasty. P. 432.

(٤) محمد صالح العابد : مرجع سبق ذكره ص ٦٥ .

أن تحقق لنفسها مكسبا استعماريا كبيرا وذلك باستيلائها على جزيرة صغيرة تقع فى الجزء الغربى من المحيط الهندى عرفت باسم جزيرة موريس أو جزيرة فرنسا Isle de France وكان ذلك فى يوليه عام ١٧١٥[١] . وقامت شركة الهند الشرقية الفرنسية بإرسال وكلاء من قبلها للإقامة بها وأصبحت تلك الجزيرة قاعدة للنشاط الفرنسى فى الجزء الغربى من المحيط الهندى بما فى ذلك منطقة الخليج العربى[٢] . وبرز من حكامها الفرنسيين لابوردنيه La Bourdonnaise الذى نجح فى خلال حكمه لتلك الجزيرة أن يضم إليها إحدى الجزر المجاورة لها والتى أطلق عليها الفرنسيون اسم جزيرة بوربون Burbon فى عام ١٧٣٥ كما نجح فى تشييد ميناء بورت لوى فى جزيرة فرنسا وجعل منه عاصمة لكل من جزيرتى البوربون وموريس . ويرجع إلى لابوردنيه الفضل فى تحصين جزيرة فرنسا وإدخال الزراعات بها وخاصة زراعة القطن وقصب السكر والنيلة . والأمر الذى لاشك فيه أن لا بوردنيه كان يعد أكفأ حكام تلك الجزيرة إذ قام بالاضافة إلى ما أشرنا إليه من أعمال ببناء أسطول قوى قصد من ورائه التصدى للسيطرة البحرية البريطانية فى الجزء الغربى من المحيط الهندى وعلى الرغم من أنه لم يقدر لبوردنيه النجاح رغم النفقات الكبيرة التى أرهق بها الحكومة الفرنسية وهو ما أدى إلى القبض عليه وإجباره على قضاء بقية حياته فى الباستيل إلا أنه يمكننا أن نقرر أنه فى أثناء الصراع الذى قام بين انجلترا وفرنسا منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر كانت جزيرة فرنسا تشكل حجر عثرة بالنسبة للمصالح البريطانية فى الهند ومسقط ولعل ذلك مما دفع بريطانيا إلى احتلال تلك الجزيرة فى عام ١٨١٠ وكان ذلك الاحتلال بمثابة الضربة القاضية التى وجهتها بريطانيا للنشاط

---

(١) Skeet, Ian. op. cit. pp. 40—41.

(٢) اكتشف البرتغاليون جزيرة فرنسا فى عام ١٥٠٥ ثم احتلها الهولنديون عام ١٥٩٨ واطلقوا عليها اسم جزيرة موريشيوس نسبة إلى أحد حكامهم ثم خلفهم الفرنسيون فى عام ١٧٣٥
Coupland, R. East Africa P. 37.

الفرنسى فى بحار الشرق ويمكن أن تتضح لنا تلك الحقيقة حين نعلم أن فرنسا كانت تتخذ من جزيرة فرنسا قاعدة للاتصال بمن تستطيع أن تتصل به من الحكام الوطنيين فى بحار الشرق وفضلا عن ذلك فقد أوجدت علاقات تجارية وثيقة بينها وبين مسقط عن طريق الحكام الفرنسيين لتلك الجزيرة[١]، وبسبب المصالح التجارية المشتركة بين موريس ومسقط ظلت العلاقات بين حكام مسقط وحكام جزيرة موريس يسودها الصداقة والود. حيث كان الطرفان يتبادلان الهدايا بين الحين والآخر[٢]. كما كانت جزيرة فرنسا تصدر إلى مسقط ما تحتاجه من قصب السكر الذى اشتهرت الجزيرة بزراعته وتستورد بدلا منه الحبوب والتمر .

وعلى الرغم من العلاقات التجارية النشيطة بين جزيرة فرنسا ومسقط إلا أن العلاقات الفرنسية مع مسقط كانت تسير على نطاق ضيق إذ لم تكن هناك وكالات تجارية فرنسية بسبب عدم مقدرة الفرنسيين على منافسة الوكالات التجارية البريطانية فى بندر عباس وبوشهر والبصرة[٣] . ولعل الإمام أحمد بن سعيد ١٧٤٧ — ١٧٨٣ كان أول من أدرك أهمية الصداقة الفرنسية مع بلاده فدخل فى علاقات تجارية ودية وثيقة مع مالارتيك حاكم جزيرة فرنسا وتبادل معه الكثير من الهدايا[٤] . ومع ذلك فقد حرص حكام مسقط على التزام موقف الحياد بالنسبة للتنافس الانجليزى الفرنسى ولكن كان من الصعب بطبيعة الحال الابقاء على ذلك الموقف إذ

---

(١) Gaffarel, Paul. les Colonies Francaise P. 24 Paris 1888. See also Coupland, R. East Africa and it's Invaders pp. 74—75.

(٢) Coupland, R. op. cit. P. 93.

(٣) Ruete. R.S., Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa 1791—1856 P. 93 -94 London 1929.

(٤) Ibid P. 93.

أن الموقع الجغرافى والاستراتيجى لميناء مسقط كان يحتم أن يكون هدفا جيدا للتنافس الانجليزى الفرنسى وخاصة حينما اشتدت مراحل الصراع بين الانجليز والفرنسيين فى بحار الهند خلال حرب السنوات السبع وحروب الاستقلال الأمريكية ١٧٧٦ — ١٧٨٣ ، وحروب نابليون وسياسته فى الشرق بين عامى ١٧٩٩ و ١٨١٠ ويمكن أن نعرضها على الوجه التالى :

أولا : التنافس الإنجليزى الفرنسى خلال حرب السنوات السبع وفى أعقابها

لعل ما يثير الانتباه أنه على الرغم من أن أمراء العرب فى سواحل الخليج العربى والجزيرة العربية كانوا على استعداد لصداقة فرنسا بسبب تطلع الانجليز إلى بلادهم إلا أن السياسة الفرنسية لم تتخذ هدفاً محدداً فى علاقاتها مع أولئك الأمراء إذ كان طابع السياسة الفرنسية حتى منتصف القرن الثامن عشر يتسم بالتردد وعدم الثبات على أنه لم يلبث بعد ذلك الوقت أن بدأ اتجاه فرنسا يتجه إلى توثيق العلاقة مع الأمراء العرب الذين يحتلون مراكز حساسة على الطرق البحريه الموصلة إلى الهند وخاصة بعد أن كثرت التقارير التى كان يبعث بها حكام جزيرة فرنسا إلى حكومتهم يوضحون فيها أهمية إقامة علاقات تجاريه وسياسيه مع بعض أولئك الأمراء كما أقدم كثير من حكام جزيرتى فرنسا والبوربون على إيجاد علاقة مودة وصداقة معهم(١) .

ولعل أول اتصال اتخذ صبغة سياسية بين فرنسا ومسقط حدث فى عام ١٧٥٩ على عهد الإمام أحمد بن سعيد حين هاجم الكونت

---

(١) Auzoux A. France et Mascate aux XVIII et XIX Siecles (Extrait de la Revue d'Etude Diplomatique) Paris 1910. P. 4.

داستان Comte D'Estaing بعض السفن الإنجليزيه التى كانت راسيه فى ميناء مسقط وظهر واضحا أن الفرنسيين قد احرزوا انتصاراً على الانجليز وخاصه حين تابع داستان نشاطه ووصل بسفنه إلى ميناء بندر عباس حيث أطلق الفرنسيون مدافعهم على الوكاله البريطانيه القائمة هناك وتمكنوا من إصابة إحدى السفن الانجليزيه التى كانت فى طريقها إلى بومباى بأضرار كبيرة ووضح أن الفرنسيين كانوا يهدفون بعملياتهم البحريه هذه استطلاع المؤسسات الإنجليزية فى الخليج العربى[١]. ولذلك حفلت وثائق شركه الهند الشرقية البريطانيه بتفصيلات كثيرة عن هذه الحوادث والتى يتضح منها استسلام الإنجليز للفرنسيين كما تشير إلى ذلك الرساله التى بعث بها الوكيل البريطانى فى بندر عباس فى اكتوبر ١٧٥٩ إلى حاكم بومباى يؤكد فيها استيلاء الفرنسيين على وكالة الشركة وتخريبها وأنه اضطر إلى توقيع معاهدة استسلام مع الفرنسيين قبل فيها تسليم الوكالة بما فيها من بضائع وأموال إليهم مقابل أن يعامل الفرنسيون الإنجليز معاملة أسرى الحرب[٢].

ويهمنا من الانتصار الذى حققه الفرنسيون على الانجليز فى حادثة وكالة بندر عباس أن حاكم مسقط بادر إلى تأكيد صلاته بالفرنسيين احتماءً بهم من النفوذ الانجليزى أو خوفاً من نفوذهم الذى كان يتقدم باطراد ولذلك أرسل ابنه هلالا إلى ميناء بندر عباس لمقابلة داستان حيث قدم له رسالة من أبيه أكد فيها صداقته للفرنسيين وأنه على استعداد أن يضع ميناء مسقط تحت تصرفهم[٣]. ويبدو أن فرنسا استجابت لهذه الصداقة حيث أخذت السفن الفرنسية تكثر من ترددها على ميناء مسقط

---

(١) Guillain, Ch. Documents sur l'Histoire, la Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale Tome I P. 202 Paris 1856.

(٢) CF. F.R. Gombroon Diaries 1753—1773. G. 29.

(٣) Auzoux, op. c.t. P. 67.

للتزود بما تحتاجه من مئون[٢] . وقد بقيت العلاقات قائمة بين مسقط والفرنسيين على الرغم من أن النتائج النهائية لحرب السنوات السبع لم تكن في صالحهم إذ عادت بريطانيا إلى تأكيد مركزها المتفوق. واضطرت فرنسا على أن تتنازل لها بمقتضى صلح باريس ١٧٦٣ عن جميع مراكزها في شبه القارة الهندية باستثناء بوندشيري كما بادرت بريطانيا بفتح خط مواصلات عن طريق الخليج العربي لسرعة نقل الأنباء من الهند إلى انجلترا ورغم أن هذه النتائج لم تكن كما هو واضح في صالح الفرنسيين إلا أنهم أخذوا يبذلون العديد من المحاولات للابقاء على نفوذهم في مسقط . ففي عام ١٧٦٨ اقترح كل من قنصل حلب بوردريه Perdriaux وغرفة التجارة بمرسيليا على الحكومة الفرنسيه اتخاذ الإجراءات الكفيلة لإنعاش تجارة فرنسا مع الهند عن طريق حلب وبغداد والبصرة. وأن ذلك بطبيعة الحال يتطلب اهتمام الحكومة الفرنسية بمسقط التي تتحكم في طريق الهند[٣] . وقد اتيحت الفرصة لفرنسا لتقوية نفوذها خلال حرب الاستقلال الأمريكية .

ثانيا : التنافس الانجليزى الفرنسى خــــلال حرب الاستقلال الامريكية .

حين اتخذت فرنسا موقفا رسميا إلى جانب الثوار الأمريكيين استتبع ذلك إعلانها الحرب على بريطانيا في عام ١٧٧٨ واضطرت حكومة مسقط إلى أن تأخذ موقفاً حيادياً نظراً لارتباط مصالحها التجارية مع كل من القوتين المتصارعتين سواء في الهند أو في جزيرة فرنسا إلا أن العلاقات بين فرنسا ومسقط لم تلبث أن تعرضت لبعض الأزمات وكان ذلك في عام ١٧٨١ على

---

(١) Guillain. op. cit. Tome I p. 204—205.

(٢) Kajare (Firouz) le Sultanat d'Oman et la Question de Maecate Etude d'Histoire Diplomatique et de Droit Internationle P. 47 Paris 1914.

أثر استيلاء إحدى السفن الفرنسية على سفينة الإمام أحمد بن سعيد «الصالح» وكانت محملة بالبضائع التي جلبتها من الهند حيث نجح الفرنسيون في اقتيادها من محار إلى البصرة وعلى الرغم من أن مسقط ردت على ذلك بمهاجمة بعض السفن الفرنسية إلا أنه لم تكن هناك رغبة من الإمام ولا من كبار التجار العمانيين الذين تربطهم مصالح تجارية مع جزيرة فرنسا بتصعيد ذلك النزاع واكتفى الإمام أحمد بن سعيد بالاحتجاج لدى حاكم جزيرة فرنسا والقنصل الفرنسي في بغداد ، وطالب بتوقيع الجزاء الصارم على قائد السفينة الفرنسية التي قامت بالاعتداء على الصالح [1]. ويقرر جيان أن الحكومة الفرنسية بادرت بتقديم اعتذار إلى الامام وقدمت له سفينة أخرى تعويضا عن سفينته وعلى الرغم من أن الامام لم يقدر له أن يتسلم تلك السفينة حيث استولى عليها الانجليز قبل أن تصل إلى مسقط [2] إلا أن العلاقات الحسنة لم تلبث أن عادت بين الطرفين حيث كتب الامام إلى القنصل الفرنسي في بغداد في عام ١٧٨٢ يؤكد الصلات الوثيقة القائمة بين مسقط والفرنسيين وأن هذه الصلات أقوى من أية دولة أخرى [3] . وكما هو واضح لدينا أن مسقط لم تستطع أن تحافظ على حيادها في الصراع الذي كان دائرا بين الانجليز والفرنسيين خلال حرب الاستقلال الأمريكية ، على أنه في أعقاب تلك الحرب أخذت العلاقات بين فرنسا ومسقط تتوطد بشكل واضح وتأكدت تلك العلاقات خلال بعثة الكونت روزيلي إلى مسقط في عام ١٧٨٥ ، وكان مكلفاً من قبل حكومته للقيام بعملية مسح هيدروغرافي في مناطق الخليج وعند وصوله إلى مسقط أعرب له السيد حمد بن سعيد ١٧٨٣/ ١٧٩٨ حاكم مسقط عن

---

(١) Guillain C. Relation du Voyage d'Exploration à la Cote Orientale d'Afrique execute pendant les annees 1847/1848 Tome I P. 206.

(٢) صالح محمد العابد : موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في مسقط ص ٦٩ .

(٣) Ruete, S.R. Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa P. 45.

استعداده لكى ينشىء الفرنسيون وكالة لهم فى ميناء مسقط خاصة بعد أن ازدادت الاتصالات التجارية بين مسقط وجزيرة فرنسا ، وعرض أن يقدم مقرا لتلك الوكالة دون مقابل ، وأكد لروزيللى « إن بلادى هى بلادكم وصداقتنا باقية كما كانت بل إنها أقوى مما كانت عليه فى أى وقت مضى » وعلى الرغم من أن الاتصالات التى أجريت مع روزيلى لم تسفر عن شيء إيجابى إلا أنه كان واضحا أن روزيلى لقى استقبالا حافلا فى مسقط حتى أنه كتب إلى حكومته يقول « إن أهالى مسقط فيما يظهر لى يحبون الفرنسيين ويكرهون الانجليز بسبب تسلطهم وكبريائهم[1]. كما أوصى روزيلى فى التقرير الذى قدمه إلى حكومته بضرورة دخول فرنسا فى علاقات أوثق مع سلطنة مسقط[2] . ومما يسترعى الانتباه بصدد ذلك أنه رغم ترحيب حاكم مسقط بأن يقيم الفرنسيون مركزا تجاريا لهم فى بلاده ، إلا أنه رفض فى نفس العام ١٧٨٥ عرضا آخر كان قد تقدم به الانجليز لتأسيس وكالة لهم فى مسقط[5] ومن ثم ظلت المصالح البريطانية فى مسقط تدار حتى عام ١٧٩٨ بواسطة وكيل وطنى Native Broker ومع ذلك فلم تتح الظروف لفرنسا لكى تحرز تقدما فى علاقتها بمسقط[3] إذ أنه بينما كانت تتجه فى عام ١٧٨٨ إلى إنشاء قنصلية فرنسية فى مسقط لم تلبث أن شغلت عن ذلك بسبب تأزم أوضاعها الداخلية نتيجة نشوب الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، وبذلك أهملت فرنسا إنشاء وكالة أو قنصلية لها فى مسقط رغم العروض المتكررة التى قدمها السيد حمد بن سعيد إلى القنصل الفرنسى فى بغداد لكى يبعث بمندوب من قبله يجيد التحدث باللغة العربية ليكون بمثابة وكيل تجارى بين البلدين[4] ، كما كتب إليه مرة أخرى يحثه على تعيين ذلك الوكيل مؤكدا له بأنه سيلقى فى مسقط

---

(١) وثائق الحكومة السعودية : التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ١ ص ١٠٨ القاهرة ١٩٥٧ .

(٢) Kajare (Firouz), op. cit. P. 75.

(٣) Wilson, Arnold . op. cit. P. 231

(٤) Kajare (Firouz). op. cit. P. 75--76.

كل رعاية وعناية . وفى عام ١٧٩٠ كتب السيد حمد بن سعيد إلى القنصل الفرنسى فى بغداد مؤكدا على المزايا التى سوف يقدمها للفرنسيين فى بلاده بقوله « لست تجهل الأوامر التى نصدرها إلى رعايانا بالطريقة التى يعاملون بها مواطنيكم الذين ينزلون فى بلادنا فميزناهم عن جميع الشعوب الأوربية الأخرى »[١] . وماكادت فرنسا تفرغ من ثورتها وتعلن الجمهورية حتى بذلت محاولة أخرى فى عام ١٧٩٥ لإيجاد قنصلية لها فى مسقط ، ففى مارس من ذلك العام أصدرت لجنة الأمن العام مرسوما يقضى بتأسيس قنصلية فرنسية فى مسقط وتم تعيين المسيو بوشامب Beauchamb ليكون أول قنصل فرنسى فى مسقط وجاء فى التعليمات الخاصة بإنشاء تلك القنصلية « إنها أنشئت للتعرف على حركات الانجليز فى الهند ودراسة الأوضاع الداخلية فى بلاد العرب وفارس وكذلك دراسه الطريقة التى يمكن أن يستخدمها توسع فرنسى فى الشرق[٢] » . على أنه لم يقدر لبوشامب أن يتسلم منصبه ولعل ذلك يرجع إلى أن فرنسا كانت تعتقد خطأ بتبعية مسقط للدولة العثمانية ولذلك طلبت من بوشامب أن يذهب إلى الآستانة قبل ذهابه إلى مسقط ليستأذن الباب العالى فى فتح قنصلية لها هناك وماكاد بوشامب يصل إلى الآستانة حتى كانت أنباء الحملة الفرنسية على مصر قد وصلت إلى العاصمة الفرنسية فتم القبض عليه وألقى به فى السجن[٣] .

ومما يسترعى الانتباه أن بعثة بوشامب كانت واحدة من تلك البعثات العديدة كانت فرنسا تبعث بها إلى بلدان الشرق وكانت تهدف من ورائها إلى الكشف عن أى مجال يمكن لها أن تنسج فيه خيوط العمل لمصالحها فى تلك البلدان بهدف تضييق الخناق على الانجليز فى مستعمرتهم الهندية الكبرى ولعل من

---

(١) Guillain. op, cit. Tome I P, 207.
انظر أيضاً وثائق الحكومة السعودية — مصدر سبق ذكره ج ١ ص ١٠٩ .

(٢) صلاح العقاد : الاستعمار فى الخليج (الفارسى) ص ٣٣ — القاهرة ١٩٥٦ .

(٣) صالح محمد العابد — مصدر سبق ذكره ص ٧٢ .

أبرز هذه البعثات بعثة أوليفيروبروجيير Oliviere et Brugiere التي بقيت قرابة خمس سنوات بين استانبول والقاهرة وطهران وكان من أهم توصياتها الاحتلال الفرنسي لمصر [1] .

وعلى الرغم من أن النجاح لم يحالف فرنسا فيما كانت تسعى إليه من محاولات لتوطيد نفوذها في الشرق إلا أنه كان واضحا أنها استطاعت المحافظة على وضعيتها الخاصة في مسقط وذلك حتى السنوات القليلة التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية على مصر حتى أن السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٣ — ١٨٠٤ كان يسترشد في الشئون السياسية بمشورة طبيبه الفرنسي [2]. ولعل استخدام سلطان مسقط للفرنسيين في خدمته كان مثار قلق جوناثان دنكان حاكم بومباى حتى أنه أوفد في نهاية عام ١٧٩٦ أحد مبعوثيه إلى مسقط ليتأكد عما إذا كان هناك فرنسيون يعملون بالفعل في خدمة السلطان ولكي يطلب منه توضيح موقفه الذي أصبح مشكوكا في حياده وكان رد سلطان بن أحمد على جانب كبير من الأهمية كما كان مؤشرا لبدء علاقات من الصداقة مع الانجليز إذ زود مبعوث حكومة بومباى برسالة إلى دنكان جاء فيها « إنه منذ الزمن القديم فإن أواصر الصداقة والمودة ظلت قائمة بين حكومتينا وإنه بعون الله ما دام هناك نفس يتردد فإن جنة الحب والتفاهم سوف تبقى يانعة الثمار يرويها ماء المحبة والاخلاص ولهذه الأسباب فإن أصدقاء الشركة الموقرة هم أصدقائي وأعداؤها هم أعدائي » ويذكر جون كلي — أحد الباحثين في تاريخ الخليج العربي — أن دنكان بهر بفصاحة خطاب السلطان ولذلك قرر ألا يثير موضوع علاقة سلطان مسقط بالفرنسيين مرة أخرى حتى وصل بونابرت إلى مصر في عام ١٧٩٨ . [3] .

---

(١) وثائق الحكومة السعودية : مصدر سبق ذكره ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ انظر أيضا ج . ج لوريمر دليل الخليج ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) وثائق الحكومة السعودية : نفسه ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) جون كلي : بريطانيا والخليج ١٧٩٥ — ١٨٧٠ ترجمة محمد أمين عبد الله ج ١ ١٠١ / ١٠٢ وزارة الثقافة والتراث القومي — سلطنة عمان .

ثالثا : مقاومة بريطانيا للسياسة النابليونية فى الشرق :

حاول بونابرت بعد وصوله إلى مصر فى عام ١٧٩٨ استمالة الأمراء العرب الذين يقطنون على سواحل الخليج والجزيرة العربية على أنه مما هو جدير بالذكر أن هذه السياسة التى انتهجها بونابرت لم يكن هو السابق إليها وإنما كانت امتداد اللمحاولات السابق إشارتنا إليها والتى قام بها كل من روسو وروزيلى وبوشامب وأوليفير وهى محاولات كانت تهدف فى الدرجة الأولى إلى ضرب النفوذ البريطانى عن طريق صداقة فرنسا للأمراء العرب فى الخليج والجزيرة العربية وقد تتعدى تلك الصداقة إلى حكام الدول المحيطة بتلك المناطق. ولفتت تلك المحاولات نظر بريطانيا التى تدين بالشىء الكثير إلى الجنرال ولسلى الذى بدأ يتخذ خطوات إيجابية لتأمين سيادة بريطانيا فى الهند والطرق الموصلة إليها وذلك منذ أن بدأ تسلمه لزمام الأمور كحاكم عام للهند فى ابريل ١٧٩٨ . وكان النشاط الفرنسى فى مسقط من أهم الدوافع التى دفعته للعمل على عرقلة خطط بونابرت والتى كان يرمى من ورائها الوصول إلى الهند عن طريق مصادقته للأمراء العرب فى سواحل الخليج والجزيرة العربية وسواحل الهند وقد حامت الشبهات حين قام حاكم جزيرة فرنسا بزيارة إلى مسقط فى ذلك العام [٢] . وكان ذلك مما دفع ولسلى إلى اصدار تعليماته إلى ميرزا مهدى على خان وهو موظف فارسى كان يعمل فى شركة الهند الشرقية البريطانية لكى يعقد اتفاقية مع السيد سلطان بن أحمد سلطان مسقط وقد فوضه ولسلى بعقد هذه الاتفاقية بعد أن أصدر مرسوما بتعيينه مقيما سياسيا فى بوشهر من قبل حكومة الهند [٣] . وفى سبتمبر ١٧٩٨ أصدر ولسلى تعليماته إلى ميرزا مهدى لكى يتوجه إلى مسقط وهو فى طريقه لاستلام منصبه الجديد فى بوشهر وكان من أهم التعليمات التى زود بها أن يتأكد من السلطان شخصيا عما إذا كان على استعداد لابعاد الفرنسيين والهولنديين من

---

(١) Bombay Government, Selection from the Records VOL XXIV P. 23.

(٢) Wilson Arnold, The Persian Gulf P, 232.

بلاده وأن يستطلع رأيه فى امكانية قيام شركة الهند الشرقية البريطانية بانشاء وكالة لها فى مسقط كما كلف أيضا بأن يضع تقريرا مفصلا عن مقدار الثقة التى يمكن أن توليها حكومة الهند لوكيل الشركة الوطنى فى مسقط الذى لم يكن فوق مستوى الشبهات، على أن أهم ما كلف به ميرزا مهدى على خان هو أن يقدم وعداً للسلطان بأنه فيما لو تعهد لحكومة بومباى بطرد الفرنسيين من خدمته فسوف تبعث له حكومه بومباى بجراح يكون تحت تصرفه بدلا من جراحه الفرنسى [1] . وكانت هـذه التعليمات هى الأساس التى بنى عليها ميرزاً مهدى على خان الاتفاقية أو القولنامة التى عقدها مع سلطان بن أحمد والتى وقعت فى ١٢ أكتوبر ١٧٩٨ ، ويعتبر توقيع تلك الاتفاقية من قبل سلطان مسقط نجاحاً كبيراً لمهمة ميرزاً مهدى [2]. ولا شك أن نجاح الأخير فى مهمته يرجع فى الدرجة الأولى أن وصوله إلى مسقط تصادف مع الاحتلال الفرنسى لمصر ، وكما هو معروف أن الحملة الفرنسية على مصر ولدت موجات عنيفة من الاستياء ضد الفرنسيين فى العالم الإسلامى ولا شك أن الدعاية البريطانية ضـد الحمله الفرنسية كانت مسئولة إلى حد كبير عن إثارة استياء المسلمين حين أدخلت فى روعهم أن فرنسا تعمل على إذلال المسلمين والسيطرة على بلادهم تحقيقاً لمآربها .

وقد يكون من الأهمية أن نقف على أهم بنود اتفاقية ١٧٩٨ التى تتكون من سبعة مواد اختصت المادتان الأوليتان منها بالتأكيد عل ارساء علاقات الود والصداقة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وحكومة مسقط فى حين اختصت المواد الأخرى بوضع قيود من شأنها عرقلة النفوذ الفرنسى فى مسقط

---

(١) Ruete, R. S, Op. cit P. 112.

(٢) بعد نجاح مهمة ميرزا مهدى على خان فى مسقط ذهب إلى فارس واستطاع أن يقنع الشاه بضرورة طرد الفرنسيين من بلاده بعد أن أكد له أنهم يعملون على قلب الحكومات والأديان ووعد الشاه أن يساعده الانجليز ضد الفرنسيين انظر :

Sykes, P., op. cit. P. 397 vol. II see also Adamiyat F. Bahrein Islands P. 42 New York 1955.

إذ تعهد السلطان بأن يطرد الفرنسيين والهولنديين من خدمته[١]، ويمنع الفرنسيين من تأسيس أو إقامة أية مراكز لهم فى بلاده أو الممتلكات التابعة له، وكذلك يمنع السفن الفرنسية من دخول موانيه بينما يسمح بذلك للسفن الإنجليزية كما تعهد بمقتضى المادة الخامسة من الاتفاقية بأن يقف إلى جانب السفن الانجليزية إذا ما نشب صراع بينها وبين السفن الفرنسية فى مياهه أما فى خارج تلك المياه فليس هناك ما يلزمه بالوقوف إلى جانب السفن الانجليزية. ولعل أهم ما نصت عليه الاتفاقية هو اطلاقها المجال للانجليز لإنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس وكان ذلك الميناء تابعا لسلطنة مسقط حيث أقرت لهم الاتفاقية أن يقوموا بإعدادها وتحصينها وابقاء حامية عسكرية بها تتألف من سبعمائة أو ثمانمائة جندى. ولعل ما يستلفت النظر أن السلطان رفض رفضا قاطعا السماح باقامة مركز بريطانى فى مسقط بحجة أن ذلك سوف يورطه فى حرب مع الفرنسيين والهولنديين وعلى الرغم من أنه قد وافق فى البداية على تعيين معتمد سياسى بريطانى فى مسقط إلا أنه عاد فسحب تلك الموافقة[٢]. كذلك تراجع السلطان عن تنفيذ النص الذى كان يقضى بتأسيس وكالة بريطانية للانجليز فى بندر عباس رغم أنه كان يشكل بندا رئيسيا من بنود اتفاقية ١٧٩٨ . ومع ذلك فإنه يتضح من نصوص هذه الاتفاقية أنها استهدفت مجموعة من الأهداف السياسية من بينها عرقلة النشاط الفرنسى ووضع أسس للمصالح البريطانية فى مسقط وتوثيق العلاقات الانجليزية معها بسبب أهميتها للمواصلات البريطانية إلى الهند. كما كانت الاتفاقية فى نفس الوقت بمثابة رد من جانب بريطانيا على النشاط الفرنسى المتزايد فى سلطنة مسقط، ولذلك فإنها أفسحت المجال أمام بريطانيا فى النواحى السياسية والتجارية والعسكرية ليس فى سلطنة مسقط فحسب وإنما فى منطقة الخليج العربى برمتها حيث أن الموقع الجغرافى لمسقط

---

(١) من الملاحظ أن هولندا كانت تابعة لفرنسا فى ذلك الوقت .

(٢) ولسن أرنولد : مرجع سبق ذكره ص ١٦٩ .

كان يسمح لبريطانيا بالارتكاز عليها لمواصـلة نشاطها فى الخليج العربى [١] .

على أنه مما تجدر الاشارة إليه أنه على الرغم من أن هذه الاتفاقية كانت تعد بمثابة ضربه صريحة وجهت للمصالح الفرنسية فى بحار الشرق إلا أنها أنها لم تثن بونابرت عن تحقيق الأهداف التى كان يسعى إلى تحقيقها وخاصة أن فكرة مهاجمة الهند كانت هى أساس حملته على مصر ولذلك حاول بونابرت أن يستميل إليه سلطان مسقط ويذكره بالصداقة الفرنسية التقليدية ويستدل من مراسلات نابليون أنه كتب رسالة من القاهرة فى يناير ١٧٩٩ إلى سلطان مسقط جاء فيها « أكتب إليكم هـذه الرسالة لأخبركم بالذى لا شك أنه قد نمى إلى علمكم وهو وصول الجيش الفرنسى إلى مصر وبمـا أنكم كنتم صديقاً مخلصاً فى مختلف الظروف والأحوال فإننى أود أن تكونوا مقتنعين تماما بأننى أود توفير الحماية اللازمة لأغراض التجارة وأرجو منكم كذلك أن تنقلوا نص هذا الخطاب إلى تيبو صاحب فى أول فرصة يمكنكم أن تتصلوا به فى الهند » ويستدل من الفقرة الأخيرة من الرسالة أن بونابرت كان يحاول استغلال فرصة العلاقات التجارية بين مسقط وسلطنة ميسور إذ كان عرب مسقط يقومون بالوساطة التجارية بين جزيرة فرنسا والهنـد وكان تيبو صاحب سلطان ميسور يعد واحدا من أبرز الحكام المسلمين الذى كان يعتمد عليه الفرنسيون بهدف تحطيم السيطرة الانجليزية فى الهند[٢] . وكان تيبو صاحب قد بادر بارسال مبعوث من قبله إلى بورت لوى عاصمة جزيرة فرنسا أثناء وجود بونابرت فى مصر بهدف عقد تحالف مع الفرنسيين ضد الانجليز[٣] ، وكان بونابرت يأمل فى أن يتولى تجار مسقط تسليم رسالة

Aitchison., C. A Collection of Treatics, Engagements (١) and Sands relating to India and Neighbouring Countrics vol. XII pp. 207—208 Calcutta 1909.

CF Correspondence de Napoleon Tome III P. 361. (٢) عن الوثائق السعودية جـ ١ ص ١١٢ .

Dennis, Alfred, Eastern Problem at the close of 18th (٣) century P. 209 Cambridge 1901.

See also Coupland, op, cit. P. 88.

إلى تيبو صاحب خلال عملياتهم التجارية مع سلطنة ميسور .

وقد جاء فى رسالة بونابرت إلى تيبو صاحب « الآن وقد بلغك نبأ وصولى إلى سواحل البحر الأحمر على رأس جيش جرار لايغلب أود به تخليصك من قبضة الانجليز وأود أن أعرف الوضع الذى أنت عليه كما أرجو أن تبعث إلى السويس برجال ذوى اقتدار للمداولة معهم[1] » على أن وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية كانوا منتبهين إلى كل التحركات التى كان يقوم بها بونابرت فى مصر والملك بادروا بمصادرة رسائل بونابرت فى ميناء مخا قبل وصولها إلى أصحابها وأرسلت تلك الخطابات إلى بومباى مماجدد الشكوك حول انتهاك سلطنة مسقط للاتفاقية التى وقعتها مع الانجليز خاصة. وأن سلطان مسقط كان لايزال يستخدم الفرنسيين فى بلادة وبالإضافة إلى ذلك فقد ثبت لدى الانجليز أن سلطان مسقط كان يتبادل الرسائل مع تيبو صاحب سلطان ميسور الذى كان قائماً بالثورة ضد الانجليز كما كشف الانجليز تحركا فرنسيا فى البنغال ،وتأكد للإنجليز أن الفرنسيين كانوا يساندون حاكم أفغانستان مع عددا من الشخصيات الهامة فى مسقط من بينهم خلفان بن محمد والى مسقط وكان الفرنسيون يستهدفون من وراء هذه التحركات الإطاحة بالحكم البريطانى فى الهند[2] . على أن تلك التحركات لم تحقق نجاحاً يذكر ففى عام ١٧٩٩ تم اخضاع الانجليز لسلطنة ميسور وتم لهم القبض على تيبو صاحب واعدامه[4] ، كما حطم الانجليز الأسطول الفرنسى فى أبوقير وأصبحت الحملة الفرنسية حبيسة فى مصر ولم يكتف الانجليز بذلك بل أخذ نفوذهم يتجه إلى سواحل عدن وجنوب الجزيرة العربية

---

(١) Correspondance de Napoleon Tome III P. 361.
من الوثائق السعودية جـ ١ ص ١١٢ .

(٢) The Imperial Gazetteer of India — The Indian Empire vol. I P. 490 Oxford 490.

حيث وقعت بريطانيا فى عام ١٨٠٣ معاهدة مع سلطان لحج كانت تشكل الحلقه الأولى فى سلسلة المعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع مشيخات الجنوب العربى [1] . كذلك اهتمت حكومه بومباى باعطاء فاعلية أكثر لاتفاقية ١٧٩٨ التى سبق أن أبرمتها مع سلطنة مسقط وخاصة بعد أن اتضح لها أن الفرنسيين لم يأبهوا بها وحاولوا أن ينفذوا من خلال شروطها التى أصبحت غير سارية المفعول . ويتضح من سجلات حكومه بومباى لعام ١٧٩٩ ، ومن الرسائل المتبادله بين دنكان وسلطان بن أحمد أن حكومة بومباى كانت توجه اللوم الشديد لسلطان مسقط وأن الأخير كان يدافع عن مسلكه غير الودى تجاه الانجليز ويفهم من هذه المراسلات أن سلطان مسقط كان على استعداد للإذعان للإنجليز وكان دنكان قد اتهم السلطان بعدم تسليمه أموال تيبو صاحب المودعة فى مسقط وتعمده تهريبها بالإضافه إلى سوء مسلكه تجاه الأدميرال بلانكت Blanket الذى مر على زنجبار فى طريقه إلى البحر الأحمر ، وكانت زنجبار فى ذلك الوقت من ملحقات سلطنة مسقط والأهم من ذلك استمراره فى علاقاته التجاريه مع جزيرة موريس وشراء السفن الانجليزية التى كان قد استولى عليها الفرنسيون وتغاضيه عن اتخاذ الفرنسيين ميناء مسقط قاعدة لعملياتهم البحرية ضد الانجليز [2] .

وعلى الرغم من أن سلطان بن أحمد حاول تسوية هذه المشكلات بينه وبين الانجليز وذلك بخلعه حاكم زنجبار وإحلال آخر بدلا منه إلا أنه فى نفس الوقت أبدى ترددا فى قطع العلاقات التجارية بينه وبين جزيرة موريس ورأى فى ذلك أمر يصعب تنفيذه لأنه سيلحق الضرر بأتباعه ولذلك وجدت حكومة بومباى أنه من الأنسب أن تلجأ إلى الضغط السياسى على سلطان مسقط وذلك بتأكيد اتفاقية ١٧٩٨ بما فيها من شروط ، وكان الدافع إلى ذلك ما ترامى إلى حكومة بومباى من إرسال بونابرت أحد أقاربه الى جزيرة فرنسا فى عام ١٨٠٠ للتعرف على

---

(١) Hoskins, British Routes to India P. 65 London 1900.

(٢) Auzoux, op. cit. P. 27.

مدى صلة الانجليز بالأمراء العرب والمسلمين . وقد وقع اختيار حكومة بومباى على جون مالكولم ليقوم بهذه المهمه وذلك ضمن مهمته الكبيرة التى قصد بها فارس فى الدرجه الأولى[1] .

بعثة جون مالكولم

كان الهدف من هذه البعثة عقد معاهدة سياسية وتجارية مع فتح على خان شاه فارس إذ ظل الحاكم فى الهند اللورد مورنجتون Mornington يبدى شكوكه فى احتمال محاولة الفرنسيين غزو الهند عن طريق فارس ولذلك عهد إلى جون مالكولم بمهمة عقد هذه المعاهدة وكان جون مالكولم من الضباط البارزين فى حكومة بومباى وقدر له أن يلعب دورا كبيرا فى العلاقات الإنجليزيه الفارسية فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر[2] وعرف فيما بعد بالسير جون مالكولم حين وصل الى منصب حاكم بومباى . وفى طريقـــه إلى فارس عرج مالكولم على مسقط حيث التقى بسلطانها فى موقع بين جزيرة هنجام وقشم وفى هذا اللقاء أوضح مالكولم لسلطان بن أحمد تطور الأحداث فى الهند وأن الإنجليز أصبحت لهم الكلمه هناك خاصة بعد إخمادهم لثورة ميسور وقتلهم تيبو صاحب كما أوضح جون مالكولم للسلطان خطورة تماديه فى علاقاته مع الفرنسيين فى الوقت الذى أصبح فيه الانجليز سادة الموقف وأنهم يسيطرون على جميع الموانى التى تمر بها تجارة السلطنة ولما كانت مسقط تعتمد اعتماداً كبيراً على التجارة الخارجية فماذا يفعل سلطان مسقط على حد تساؤل مالكولم إذا ما منعت بريطانيا سفن مسقط من الدخول إلى تلك الموانى أو ماذا يكون مصير تجارتها فى حالة إغلاق موانى الهند أمامها ؟ . وأكد مالكولم أنه لا يمكن الاجابة على كل هذه التساؤلات إلا بالاعتراف

---

(١) عبد الفتاح ابراهيم : على طريق الهند ص ٤٦ بغداد ١٩٣٥ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليـــج جـ١ ص ٢٧٠ .

بأن رخاء مسقط يعتمد على رضاء الإنجليز وصداقتهم[1]. وبالإضافة إلى ذلك فإن جون مالكولم عمد إلى إثارة شكوك السلطان ضد الفرنسيين مستغلا العاطفة الدينية حين ذكر له أن فرنسا أمة خارجة على القانون تحدت جميع المعاهدات واستولت على مصر وأخذت تفرض نفوذها على الطرق المؤديه إلى الحرمين الشريفين ولولا أن الله قيض لبريطانيا النصر لاستولت فرنسا على المدن الإسلامية المقدسة وأزالت العقيدة الاسلامية من الوجود ! ولا شك أن الظروف قد ساعدت مالكولم إذ أن الحملة الفرنسية كانت تواجه مصيرها السيء فى مصر بعد أن دمر الأسطول الفرنسي فى أبو قير. أما عن هولندا فقد خرجت من ميدان الصراع واكتفت بتركيز نفوذها فى باتافيا فى جزر الهند الشرقيه . وقد اقترح جون مالكولم على سلطان بن احمد التوقيع على اتفاقيه جديدة تنص على تأكيد البنود التى سبق أن نصت عليها اتفاقية ١٧٩٨[2] .

وقد أكد مالكولم فى رسالة بعث بها إلى مورنجتون أنه على الرغم من أنه لم تكن لديه تعليمات خاصة بعقد إتفاقية جديدة إلا أنه رأى أنه بهذا العمل يمكن أن يلتقى مع رغبات وأهداف حكومة بومباى خاصة وأنه علم بأن سلطان مسقط كان ولا يزال فى خدمته خمسة أو سته من الموظفين الفرنسيين وأنه سيصرفهم جميعاً من خدمته حال عودته إلى مسقط وإن كان هذا الإجراء قد يوقعه فى ضيق شديد إذا لم تزوده حكومة بومباى بثمانية أو عشرة رجال من مدفعية بومباى . على أن أهم نتيجة توصل إليها مالكولم هى أنه أخذ موافقه صريحه من السلطان على استقبال وكيل بريطانى فى مسقط تم عن طريقه جميع

---

(١) Kaye—John. The Life and Correspondence of Sir John Malcolm vol. I P. 103.

(٢) Bombay Government, op. cit. CF. Historical Sketsh of the Rise and Progress of The Govt. of Muscat 1693–1819.

الاتصالات بين مسقط وحكومة الهند . وهكذا حل وكيل من حكومة بومباى محل وكيل الشركه الوطنى وسارع مالكولم بتعيين أحد مرافقيه ليشغل هذا المنصب الجديد وهو الليفتاننت أرشيبالد بوجل Bogle وكان من الجراحين العاملين فى حكومه بومباى ومما يذكر أنه سبق لدنكان أن اقترح فى عام ١٧٩٨ على سلطان مسقط أن يطرد طبيبه الفرنسى على أن يزوده بطبيب إنجليزى ولكن السلطان اعتذر لدنكان عن عدم إمكانيه تنفيذ اقتراحه فى ذلك الوقت ويعلق جون كاى على اختيار طبيب للقيام بوكاله بريطانيا فى مسقط بقوله « إن هناك بابان جانبيان فى الشرق يمكن أن تطرقهما الدبلوماسيه الانجليزيه أولها التجارة وثانيهما الطب ونحن مدينون بامبراطوريتنا الهنديه لهما بالتأكيد »[١] .

ومما يسترعى الانتباه فى هذه الاتفاقيه أنها كانت أولى الاتفاقيات التى لم تحدد صراحه وقتاً لانتهائها وسوف تتبع بريطانيا فيما بعد هذا النمط من المعاهدات فى علاقاتها بالإمارات العربيه فى الخليج العربى وهى المعاهدات التى يمكن أن نطلق عليها اسم المعاهدات الأبديه Eternity Treaties حيث ورد فى نص اتفاقيه ١٨٠٠ أن تستمر علاقات الصداقة قائمة بين مسقط وبريطانيا إلى أن تتوقف دورة الشمس والقمر فى الفلك ![٢] وعلى الرغم من الفترة القصيرة التى بقى فيها بوجل فى مسقط ، إذ أنه توفى فى أواخر عام ١٨٠٠ بسبب قسوة المناخ ، إلا أنه خلال الأشهر القليلة التى قضاها استطاع أن يحدث تحولا كبيراً فى سياسة سلطان بن احمد تجاه الفرنسيين وقد ذكر بوجل فى رسالة بعث بها إلى حكومة بو مباى فى ٢٩ فبراير ١٨٠٠ إنه فى خلال

---

(١) Kaye (John), op. cit. vol. I P, 106.

(٢) Curzon. G. Persia and the Persian Question vol. II P. 436 London 1892.

تردده اليومى على السلطان سره أن يسمع منه تكرار رضائه عن إقامة علاقات ودية مع الانجليز وأكد بوجل فى رسالته أن علاقة السلطان أصبحت وثيقة بالانجليز ، وازدادت كراهيته للفرنسيين بنفس الدرجه وذلك بسبب المعاملة السيئة التى كان يلقاها من الفرنسيين فى استيلائهم على السفن التابعة له بالإضافة إلى الغطرسة والكبرياء التى كان يجدها فى بعض من كانوا فى خدمته من الفرنسيين .

وفى الوقت الذى كان فيه بوجل فى مسقط كان جون ما لكولم يبذل مساعيه لإيجاد روابط تجارية وسياسية فى فارس بهدف الوقوف بصلابة ضد خطط بونابرت فى الشرق إذ كان من أبرز أهداف بعثة مالكولم القضاء على أية خطط يمكن أن تتخذها فرنسا إزاء فارس فضلا عن اتخاذ الخطوات الفعالة لإنقاذ الهند من الخطر الذى يمكن أن يتهددها إذا ماتعرضت لغزو أفغانى من الشمال ، ومما هو جدير بالذكر أن حكومة الهند أنفقت أموالا طائلة لانجاح تلك البعثة وكما يذكر واطسون Watson أن مالكولم قدم هدايا كثيرة من الجواهر واللالىء إلى البلاط الفارسى[1] . كما يعتبر كثير من الباحثين أن هذه البعثة تعد بداية لظهور المسألة الفارسية فى التاريخ الحديث[2] .

وصلت بعثة مالكولم إلى فارس فى نوفمبر ١٨٠٠ بعد انتهاء مهمتها فى مسقط وحاول مالكولم أن يحصل من الشاه على مركز فى الساحل الشرقى للخليج ليكون بمثابة قاعدة عسكرية لحماية المصالح التجارية للانجليز . ومن المعروف أن مالكولم أثناء عمله بحكومة بومباى كان قد وضع تقريرا عن الخليج العربى فى عام ١٧٩٩ أبرز فيه أهميته التجارية والسياسية والاقتصادية .

---

(١) Watson, Robert, History of Persia from the begining of the 19th century to the year 1858 P. 127 London 1866.

(٢) Dennis, op. cit. P. 212. See also Sykes, op. cit. P. 109

وعلى الرغم من أن مالكولم فشل فى الحصول على فرمان من الشاه يسمح للإنجليز باقامة هذه القاعدة إلا أنه نجح فى توقيع اتفاقيتين مع الشاه إحداهما تجارية والأخرى سياسية ، وقد نصت الاتفاقية الأولى على منح الانجليز امتياز انشاء وكالات تجارية فى المقاطعات الفارسية فى حين نصت الاتفاقية السياسية التى وقعت فى يناير ١٨٠١ على قيام تحالف فارسى بريطانى ضد أية قوة تهدد الهند وفضلا عن ذلك فقد نجح مالكولم فى استصدار فرمان من الشاه يأمر فيه حكام المقاطعات والجزر والموانى الفارسية بطرد الفرنسيين وعدم السماح لهم بالتوغل فى المناطق التابعة لفارس[١]. وعلى الرغم مما كان متوقعاً أن يسود النفوذ الإنجليزى فى فارس والخليج العربى فى أعقاب بعثة مالكولم إلا أنه مما يستلفت النظر أن العشر سنوات التالية لبعثة مالكولم تميزت باضطراب موقف الانجليز ولعل ذلك يرجع فى الدرجة الأولى إلى محاولة فرنسا بعث نشاطها فى الشرق وترتبط هذه السنوات العشر بالجهود التى قام بها نابليون بونابرت بعد ظهوره على مسرح السياسة الفرنسية وكان على بريطانيا أن تواصل جهودها الديبلوماسية لكى تواجه هذا النشاط ومن ثم استمرت مسقط وفارس رغم الجهود البريطانية السابق إشارتنا إليها ، تشكلان البؤرتين الرئيسيتين للتنافس الانجليزى الفرنسى خلال العشرة سنوات الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى[٢] .

ومما يستلفت النظر أن سلطنة مسقط رغم ارتباطها باتفاقيتى ١٧٩٨ و ١٨٠٠ مع بريطانيا إلا أنها ظلت قلقة فى علاقتها بين انجلترا وفرنسا وكانت سياسة حكامها تتغير على حسب قوة إحدى الدولتين أو ضعفها[٣] ، ومن ناحية أخرى كانت مسقط تتطلع فى ذلك الوقت إلى مساعدات خارجية كى تواجه المشكلات

---

(١) Adamyiat, F., op. cit. P. 47.

(٢) Watson. R. G. op. cit. P. 127.

(٣) راجع الفصل الخامس والسادس من كتابنا دولة بو سعيد فى عمان وشرق افريقيا اللذين اعتمدنا عليهما فى دراسة موقف سلطنة مسقط من التنافس الانجليزى الفرنسى مع ما رأينا إدخاله من اضافات أخرى .

الداخلية التى كانت تتعرض لها وخاصة إبان الغزوات الوهابية التى كانت تتعرض لها ولما كان الانجليز حريصين فى ذلك الوقت على عدم التدخل فى المشكلات الداخلية فضلا عن إحجامهم عن تقديم أية مساعدة لسلطان مسقط فى محاولته السيطرة على جزر البحرين؛ فقد كان هذا من شأنه أن يعود بالسلطان إلى استئناف علاقاته التقليدية مع الفرنسيين الذين رحبوا بمساعدته وقدموا له العون فى هجوم قام به على جزر البحرين فى عام ١٨٠١ [١]، كما استقبل سلطان بن أحمد فى أواخر عام ١٨٠١ أحد مبعوثى الحكومة الفرنسية دى ساتوفيل وأبقاه فى عاصمته قرابة خمسة عشر شهرا رغم القيود التى تضمنتها اتفاقيتى ١٧٩٨ و ١٨٠٠ ؛ وقد روى ساتوفيل بنفسه المعاملة الحسنة التى لقيها من السلطان بقوله « عوملت أثناء إقامتى بمسقط معاملة ممتازة ودفعت عنى جميع نفقاتى » [٢] ولعل ذلك النشاط الذى قام به الفرنسيون فى مسقط كان دافعاً لمهدى على خان المقيم البريطانى فى بوشهر لزيارة مسقط حيث أوضح للسلطان خطورة قيام علاقة بينه وبين الفرنسيين وأنه يجب أن ينظر إلى صداقة الانجليز باعتبارها الروح التى تتنفس بها مسقط وتعيش وأن يهرب من الصداقة الفرنسية كما يهرب من الوباء ! [٣] . وفيما يبدو أن مهدى على خان كان يائسا من تحول سلطان مسقط إلى الانجليز الأمر الذى جعله يقترح على الحاكم البريطانى العام فى الهند بأن تقوم حكومة بومباى بمهاجمة مسقط وضمها إلى الممتلكات الفارسية على أن يقوم الانجليز بعد ذلك باستئجارها من الشاه على أن ذلك الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ فى الوقت الذى لم يقدر فيه النجاح أيضا لحملة عسكرية قام بها ولسلى فى عام ١٨٠١ لانتزاع جزيرة فرنسا وضمها إلى الممتلكات البريطانية فى الهند [٤] .

---

(١) Coupland, R. op. cit. P. I02.

(٢) وثائق الحكومة السعودية — مصدر سبق ذكره ج ١ ص ١١٥ .

(٣) نفسه ج ١ ص ١١٦ .

(٤) Coupland, op. cit. P. 99.

ولعل مما يسترعى الانتباه أن اخفاق بونابرت العسكرى فى مصر لم يثنه عن موالاة السعى لتحقيق أهدافه وقد سبق الإشارة إلى أن فرنسا عملت على استرجاع صداقتها لمسقط إذ قدم ما جالون حاكم جزيرة فرنسا فى عام ١٨٠١ مساعدات عسكرية لسلطان بن أحمد لضم جزر البحرين إلى حكمه [١] وكتب سلطان بن أحمد إلى ماجالون يعرب عن اغتباطه بهذه المساعدات بقوله « إنه من المتعذر علينا أن نعرب لكم عن اغتباطنا بوصول القوات التى كان من فضلكم إرسالها إلينا وقد استقبلناها بذراعين مفتوحين وسنحرص دائما على أن نعتبرهم اخوة وأصدقاء لنا ونحن وخلفاؤنا مدينون لكم بها إلى أبعد حد مستطاع » [٢] ؛ ويتضح من هذه الرسالة أن سلطنة مسقط أخذت تسرف فى علاقاتها بالفرنسيين ووصل الأمر إلى أن أرسل سلطان بن أحمد مبعوثا من قبله إلى جزيرة فرنسا فى عام ١٨٠٣ تقابل مع ماجالون وأعرب له عن استياء سلطان مسقط من الانجليز وأنه يطالب بوضع مسقط تحت حماية الجمهورية الفرنسية، وأرسل سلطان بن أحمد مع مبعوثه بعض الهدايا ومنها مجموعة من الجياد العربية الأصيلة لكى يبعث بها ماجالون إلى بونابرت [٣] ؛ وقد بادر ماجالون على أثر تلك الزيارة بالكتابة إلى وزير الحربية الفرنسى يؤكد له أن حاكم مسقط يسعى إلى الظفر بصداقة الجمهورية وحمايتها وأن لديه أسبابا كثيرة للشكوى من مضايقات الانجليز ؛ وفى رسالة أخرى أكد ماجالون أن حاكم مسقط أعرب له عن استعداده لاستقبال وكيل من قبل الحكومة الفرنسية وأنه سيعتبر أعداء الجمهورية أعداء له [٤] . ومما لاشك فيه أن فرنسا فى هذه الفترة كانت تركز على أهمية مسقط حتى أن تاليران وزير الخارجية الفرنسية أكد فى أحد تقاريره إلى بونابرت فى عام ١٨٠٣ على هذه الأهمية بقوله إن الإمام الذى يحكمها يمتد سلطانه إلى بعض المناطق الواقعة على ساحل موزمبيق وإنه مستقل من جميع الوجوه .

---

(١) Coupland, op. cit. P. 102.

(٢) وثائق الحكومة السعودية : مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ١١٦ .

(٣) Coupland, R. op. cit. P. 102.

(٤) Ibid. P. 103.

ويمكن تعليل الاتصالات التي دارت بين مسقط وفرنسا بأنها كانت من نتائج النشاط المتزايد الذي كان يقوم به الفرنسيون لاستعادة مكانتهم في الشرق والذي ظهر في إرسالهم البعثات المختلفة إلى مسقط مما ترك الفرصة أمام سلاطنتها لاستئناف علاقتهم بالفرنسيين؛ وبذلك لم يعد لاتفاقيتي ١٧٩٨ و ١٨٠٠ أي أثر في عزل مسقط عن فرنسا وإنما عادت علاقات الصداقة بينهما ووصلت تلك العلاقات أوجها بين عامي ١٨٠١ و ١٨٠٣ وكان ذلك بفضل تاليران الذي أوفد بعثة إلى مسقط برئاسة دي كافينياك ومما هو جدير بالملاحظة أن إرسال تلك البعثة كان يرتبط بعقد صلح إميان Amiens بين انجلترا وفرنسا في عام ١٨٠٢؛ إذ أنه نتيجة لذلك الصلح خفت الرقابة البريطانية على موانئ المحيط الهندي ولذلك قررت فرنسا في يونيه ١٨٠٢ تعيين كافينياك ممثلا وقنصلا لفرنسا في مسقط وفي اكتوبر ١٨٠٣ وصل كافينياك من جزيرة موريس إلى مسقط وكان واضحا على أنه يعتزم الاقامة الكاملة[1] . ولكنه ماكاد يصل إلى مقر عمله في مسقط حتى اشتعلت الحرب من جديد بين انجلترا وفرنسا وحينما بلغ ذلك السلطان تراجع عن استقبال كافينياك واتخذ السلطان هذا الموقف رغم تهديدات قائد السفينة اطلنطا التي حملت كافينياك من جزيرة موريس إلى مسقط ولكن ديكان الحاكم العام لجزيرة موريس سرعان ما تراجع عن تصعيد هذه الأزمة مؤكدا أن ما تتحمله فرنسا من متاعب لحفظ احترام وهيبة ممثل لها في مسقط لايساوى تأسيس قنصلية لها هناك[2]. وفيما يبدو أن كافينياك حين عاد إلى جزيرة موريس كان هو السبب في وصول ديكان إلى هذا القرار حين أكد له أن مسقط بلد فقير لاتشكل أية أهمية سياسية أو اقتصادية ولا فرق بين سلطانها وبين سائر شيوخ القبائل العربية . والفائدة الوحيدة التي يمكن أن تحصـــل عليها فرنسا من وراء إقامة تمثيل بها هي تسهيل خدمات البريد بين المحيط الهندي وأوربا وحتى هذه الخطوة لافائدة منها طالما كان الانجليز

---

(١) هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٦ / ٤٧ .

(٢) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ص ١٠١ / ١٠٢ .

يضعون الملاحة فى الخليج تحت رقابتهم ولذلك فإن كل ما تستحقه مسقط لايتعدى تعيين وكيل تجارى بها من أقل الدرجات .

وليس من شك فى أن سلطان مسقط كان واقعيا فى رفضه استقبال كافينياك وذلك لتقديره قوة الانجليز [١] . وعلى الرغم من أن كافينياك لقى استقبالا حاراً من تجار مسقط إلا أن محمد بن خلفان حاكم ميناء مسقط اعتذر لكافينياك بأنه لا يملك سلطة استقبال مفوض خارجى وإن كان قد وعده بأن يخبر السلطان لدى عودته إلى مسقط حيث كان فى ذلك الوقت خارج مسقط بسبب غزو وهابى تعرضت له أطراف بلاده . ولعل السلطان كان يرى أن مصلحته تحتم عليه الاعتماد على بريطانيا بسبب تأزم العلاقات بينه وبين الوهابيين وعتوب البحرين والقواسم وبالتالى لم يكن مستعدا للتضحية بالمساعدات البريطانية المتوقعة لقاء تودده للفرنسيين [٢] . ولعل ذلك مما دفع حاكم ميناء مسقط أن يذكر لكافينياك صراحة بأنه كان يتمنى وصوله فى فترة سلام حتى يستقبله السلطان بارتياح وشوق « غير أن الانجليز ولا شك سوف يغضبون على سيدى لو سمح لك أن تجىء بعد إعلان الحرب فإن لدينا عشرين سفينة كبيرة فى موانئهم فى البنغال وعلى ساحل ملبار وليس ثمة ريب فى أنه سيتم الاستيلاء عليها حالما يتلقون التعليمات » . ويذكر ويلسن أن الانجليز هددوا السلطان بفرض حصار على موانئه [٣] . ورغم ذلك الحوار القاسى الذى دار بين الطرفين إلا أن محمد بن خلفان ألمح لكافينياك أنه على استعداد لكى يتباحث معه فى الشئون التجارية فقط لأن الاتفاقيات التى أبرمها السلطان مع بريطانيا تحتم عليه ألا يقبل تمثيل فرنسى فى بلاده . وهكذا كان مقررا لبعثة كافينياك ألا تجد لها نصيبا من النجاح وانسحبت البعثة على الفور

---

(١) Coupland, R. op. cit. P. 103.

(٢) Guillain, C. op. cit. Tome I pp. 200—209.

(٣) Wilson, A. op. cit. pp. 232—233

بعــد أن تحققت من الاتفاقيات التى عقدتها مسقط مع بريطانيا فى عامى ١٧٩٨ و ١٨٠٠[١] .

وعلى الرغم من أن الظروف الخارجية التى أوضحناها كانت سببا فى فشل بعثة كافينياك إلا أن جيان يحمل الظروف الداخلية فى مسقط مسئولية ذلك الفشل ويذكر بصدد ذلك أن نجاح سلطان بن أحمد فى السيطرة على حكم الساحل وابعاده لخلفان بن محمد وتعيين ابنه محمد بن خلفان فى حكم ميناء مسقط كان هو المسئول عن تدهور علاقة مســقط بفرنسا إذ لم يكن لمحمد بن خلفان ما كان لأبيه من نشاط سياسى ومصالح تجارية مع فرنسا والذى كان يرجع إليه الفضل أيضا فى ازدهار العلاقات التجارية بين مسقط وجزيرة موريشيوس . وفى اعتقادنا أن الأمر لم يكن مجرد تعيين حاكم بدلا من حاكم آخر بقدر ما يرجع الأمر إلى تغير الظروف والأوضاع الخارجية ولعل مما يؤكد لنا ذلك أن سلطان بن أحمد كان قد تمادى أكثر من غيره فى علاقته بالفرنسيين كما سبق أن أشرنا إذ أنه قبل منهم المساعدات العسكرية إبان تطلعه لضم جزر البحرين إلى حكمه ولذلك فإن فشل بعثة كافينياك يرجع سببها إلى حرص سلاطين مسقط الابقاء على كيانهم وذلك بانضمامهم إلى الدولة الأقوى التى يخشون منها على نفوذهم ، وكانت بريطانيا هى الدولة المتفوقة فى المحيط الهندى أثناء قدوم كافينياك إلى مسقط وحين تغير وضع بريطانيا اضطر السيد سعيد بن سلطان الذى وصل إلى الحكم فى عام ١٨٠٦ أن يقف موقفا مترددا بين الانجليز والفرنسيين حين بلغ النزاع بينهما أشده فى ذلك الوقت ، ولما كان السيد سعيد فى حاجة إلى تأييد قوة أجنبية يستعين بها فى إقرار الأوضاع الداخلية فى بلاده وتأمينها من الغزوات التى كانت كثيرا ما تتعرض لها فضلا عن محاولته تحقيق طموحه فى السيطرة على بعض مناطق الخليج العربى فقد أخذ يعمل على الحصول على تأييد إحدى الدولتين المتصارعتين دون أن يثير عليه الدولة الأخرى ولكن

---

(١) Guillain. op. cit. Tome I pp. 207—209.

فرنسا لم تكن مطمئنة إلى السيد سعيد بعد أن توطدت العلاقات بينها وبين عمه بدر بن سيف الذى اغتاله فى عام ١٨٠٦ وتمكن أن يسيطر على الحكم وكان بدر بن سيف قد أرسل إلى ديكان حاكم جزيرة فرنسا فى عام ١٨٠٥ يؤكد له إنه أكثر صداقة للفرنسيين وعبر عن ارتياحه لوصول السفن الفرنسية إلى موانى مسقط للتزود بالمياه والمؤن[١] .

وقد أدت علاقة بدر الوثيقة بالفرنسيين إلى إثارة حكومة بومباى التى أسرعت بايفاد الكابتن سيتون ليخلف بوجل كوكيل سياسى فى مسقط وعلى الرغم من أن سيتون واجه صعوبات شديدة نتيجة علاقة بدر بن سيف القوية بالفرنسيين إلا أنه استطاع أن يضع الحجر الأساسى للنفوذ البريطانى فى مسقط [٢] ويعمل على تأكيد اتفاقيتى ١٧٩٨ و ١٨٠٠ وإن كان لم يمنح سوى دارا صغيرة لسكناه لم يسمح له أن يرفع عليها علم بلاده [٣]. وهكذا عندما وصل السيد سعيد إلى الحكم كانت العلاقات مزدهرة بين مسقط وفرنسا وبالتالى كان من المنتظر أن تبادر فرنسا بمواجهته بالعداء لقتله صديقها بدر بن سيف ولكن سعيد بادر بالكتابة إلى ديكان حاكم جزيرة فرنسا ينبئه بوصوله إلى الحكم وعبر عن رغبته فى أن تظل علاقات الصداقة قائمة بينه وبين فرنسا[٤] . وحين تأزم الموقف بين انجلترا وفرنسا أعلن حياده فى الصراع القائم بين الدولتين ومع ذلك فقد اضطر إلى إرغام إحدى السفن الفرنسية على الخروج من موانى بلاده وهى السفينة الحربية Vigilant وكان ذلك امتثالا لطلب قائد السفينة الانجليزية التى حدثت بينها وبين السفينة الفرنسية بعض المناوشات[٥] . وأدى هذا الموقف إلى توتر

---

(١) Coupland R. op. cit. P. 110.

(٢) Auzoux. A. op. cit. P. 45.

(٣) وثائق الحكومة السعودية : التحكيم لتسرية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية — عرض الحكومة السعودية ج ١ ص ١٢١ .

(٤) Auzoux, A., op. cit. p. 46.

(٥) Guillain, C. op. cit Tome I P. 211.

العلاقة بينه وبين الفرنسيين الأمر الذى دفع السيد سعيد إلى الكتابة إلى دنكان حاكم بومباى يعرض عليه تأكيد الصداقة بين مسقط وبريطانيا ولكن دنكان أهمل الرد عليه وربما كان ذلك بناء على تعليمات بارلو Barlaw حاكم عام الهند الذى أدرك أن السيد السعيد يهدف إلى حماية بريطانيا له ومساعدتها له ضد الوهابيين وهى أمور لم تكن حكومة الهند تريد أن تقدم عليها لما يترتب عليها من إقحامها فى منازعات داخلية مع أمراء الجزيرة العربية وبالاضافة إلى ذلك فإن وضع مسقط تحت الحماية البريطانية سيجعلها هدفا لحملات فرنسية مكثفة وكان من رأى حكومة الهند أن حياد مسقط يحميها من فرنسا ؛ وما دامت اتفاقيتا ١٧٩٨ و ١٨٠٠ قائمتين فإن ذلك سيمنع فرنسا من إقامة تمثيل سياسى فى مسقط . ولعل هذا الموقف الذى وقفته حكومة الهند جعل السيد سعيد يعاود الاتصال بالفرنسيين فكتب إلى ديكان حاكم جزيرة فرنسا يذكره بالصداقة التقليدية بين فرنسا ومسقط وقدم له اعتذاره عن حادث السفينة فيجيلانت وعزى ذلك إلى تحكم الانجليز وتسلطهم وتبع ذلك بأن أرسل أحد أعوانه وهو ماجد بن خلفان إلى بورت لوى عاصمة جزيرة فرنسا لكى يتفاوض مع ديكان فى إبرام معاهدة صداقة وسلام دائم لاينقض بين مسقط والحكومة الفرنسية[1]. ولعل مما يثير الانتباه أنه على الرغم من جرأة هذه الاتصالات إلا أنها لم تحدث أثرا معاكسا لدى الإنجليز ولعل ذلك يرجع إلى أن مجلس إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية كان قد اتخذ قرارا فى عام ١٨٠٧ بضغط المصروفات العسكرية وعدم الاستحواذ على أراض جديدة وعدم التورط فى منازعات مع حكومات أخرى خارج نطاق الهند ولذلك اقتصرت حكومة الهند حينما علمت بتحركات السيد سعيد مع الفرنسيين على ابلاغه بضرورة اتخاذه موقفا محايدا واحترام الاتفاقيات التى عقدتها السلطنة مع حكومة الهند ولكن ذلك لم يمنع السيد سعيد من أن يستقبل فى يونية ١٨٠٧ وكيلا فرنسيا فى مسقط ، بل تمادى أكثر

---

(١) Guillain, ch. op. cit. CF. Relation du Voyage d'Exploration à la cote orientale d'Afrique, Tome I, P. 211 SQ.

من ذلك فى توقيع معاهدة بينه وبين فرنسا فى ١٥ يونيه ١٨٠٧ نصت على عودة علاقات الصداقة بين البلدين وأن تنال كل من الدولتين إزاء الأخرى شروط ومعاملة الدولة الأكثر رعاية [١] وقد أكد ديكان فى تقرير له إلى حكومة باريس أهمية عقد هـذه المعاهدة وخاصة بعد أن دخلت الدانمرك الحرب مع الحلفاء وأصبحت كل الطرق البحرية التى تصل فرنسا بمستعمراتها فى الهند مغلقة ولذلك فإنه يمكن الاستفادة من السفن المسقطية فى القيام بتلك الاتصالات ولكن الصعوبة التى اعترضت ديكان هى كيفية التصديق على هـذه المعاهدة دون أن يكون بها نص يقضى بحرمان السفن المسقطية من الاتصال بالموانى البريطانية فى الهند إذ أن القوانين الفرنسية الخاصة بالحصار القارى Blocus Continental . كانت تحرم على الدول المحايدة وعلى حلفاء فرنسا الاتجار مع العدو بينما كانت المادة السادسة من معاهدة ١٨٠٧ بين فرنسا ومسقط تنص على أنه فى استطاعة السفن المسقطية أن تلقى مراسيها فى موانى الهند البريطانية بشرط أن تتوجه بعد خروجها من الميناء مباشرة إلى إحدى الموانى التابعة لمسقط وليس لها الحق فى الملاحة بين موانى العدو وعلى الرغم من أن المادة الثالثة من معاهدة ١٨٠٧ كانت تحرم التجارة مع الانجليز إلا أنها تستثنى من ذلك تجارة التمور والخيول التى هى من أهم صادرات مسقط كما كانت تعطى للسفن الفرنسية حق تفتيش السفن المسقطية ووسيلة التحقق من هويتها . وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة كانت تعد نصرا كبيرا للسياسة الفرنسية إلا أنه لم يتم المصادقة عليها بسبب مخالفتها للتشريعات التى أصدرها نابليون بين عامى ١٨٠٦ و ١٨٠٧ الخاصة بتطبيق الحصار الاقتصادى على بريطانيا . وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التى بذلها ديكان لكى يقنع حكومته بأنه يجب عليها أن تستثنى تجار الشرق من تطبيق سياسة الحصار الاقتصادى حيث لاتتعادل قوى الدولتين المتصارعتين إلا أن

---

(١) Kajare. Firouz : Le Sultanat d'Oman et la Question de Mascate P. 86.

الحكومة الفرنسية أصرت على إيقاف سريان تلك المعاهدة وبالتالى لم يتم المصادقة عليها[١] .

والأمر الذى لاشك فيه أن السيد سعيد قد أيقن أنه أخطأ فى اختيار فرنسا لتكون حليفة له ، وخاصة بعد أن فرضت حكومة الهند حصاراً بحرياً حول جزيرتى موريس والبوربون فى عام ١٨٠٨ ولذلك عاود الكتابة إلى دنكان حاكم بومباى متخذا خطا بريطانيا واضحا إذ جاء فى الرسالة التى بعث بها إليه فى أغسطس ١٨٠٧ « إنه بعون الله تعالى سأظل طالما بقيت حياً ملتزما وأمينا للصداقة والارتباط الوثيق الذى يربط بيننا وثقتى بالله أن لا يحدث ما يعكر صفو هذه الصداقة . . إن ثرواتى وممتلكاتى اعتبرها ملككم كما أن كل المناطق الواقعة تحت سلطتى اعتبرها خاصه بكم[٢] » وهكذا استطاع جون مالكولم أن يصل مع السيد سعيد إلى نتائج ايجابية أكثر فعالية وذلك حينما وصل إلى مسقط فى عام ١٨٠٨ لكى يتأكد من موقف السيد سعيد من قرار الحكومة الفارسسية تسليم ميناء بندر عباس إلى الفرنسيين وكان ذلك الميناء تحت إدارة حكومة مسقط ولا يمكن تنفيذ هذا القرار من الناحية الفعلية إلا بالتزام مسقط به حيث أكد السيد سعيد لجون مالكولم إن كلا من بندر عباس وهرمز تحت سيطرته وأنه لن يسمح لا للفرنسيين ولا للفرس باستخدامهما كقواعد عسكرية .

وقد أخذت العلاقات البريطانية المسقطية تتخذ صبغة جديدة بعد استسلام ديكان للانجليز وتسليمهم جزيرة فرنسا فى عام ١٨١٠[٣]

---

(١) Ructe. R.S. op. cit. P. 103.

(٢) صالح محمد العابد : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٦ .

(٣) F.O. No. 67. The Persian Gulf P. 41 London 1920.

حيث تميزت تلك العلاقات بتبعية مسقط للنفوذ البريطانى . حقيقة أن فرنسا حاولت بعد استعادتها جزيرة البوربون فى عام ١٨١٤ أن تستأنف علاقتها بمسقط حيث عقدت مع السلطنة معاهدة ١٨١٧ ومعاهدة أخرى فى عام ١٨٤٤ إلا أن هاتين المعاهدتين لم تتعديا كونهما معاهدات تجاريه فى الدرجه الأولى إذ أن مركز الثقل السياسى والعسكرى كان قد تحول إلى بريطانيا فى سلطنة مسقط وتوابعها فى شرق إفريقيا منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى[1] .

---

(١) Kajare (Firouz), op cit. P. 250.

الفصل الخامس

عُمان وشرق إفريقيا

نجاح اليعاربة في فرض السيادة العمانية على شرق إفريقيا — الحركات الانفصالية عقب سقوط اليعاربة — إعادة السيادة العمانية على عهد البو سعيد — محمية أوين — سقوط أسرة المزروعى — تحويل عاصمة الحكم إلى زنجبار — السياسة الداخلية — العلاقات الاقتصادية الخارجية — بريطانيا وتجارة الرقيق في شرق أفريقيا — امتداد السيادة العمانية إلى داخل القارة الأفريقية .

* * *

الفصل الخامس

عمان وشرق إفريقيا (*)

لم يكن لنشاط اليعاربة وجهودهم فى الصراع الذى قام بينهم وبين البرتغاليين أثر كبير فى تخليص مسقط من البرتغاليين فحسب وانما فى اقصاء البرتغاليين عن جزء كبير من سواحل شرق افريقيا حيث نجح اليعاربة فى تأسيس حكم عربى على تلك السواحل ثم امتد بعد ذلك إلى الداخل. على أنه مما تجدر الإشارة اليه أن سيطرة اليعاربة على سواحل شرق افريقيا كانت سيطرة واهية وفى تقديرنا أن ذلك يرجع إلى عوامل كثيرة من بينها أن اليعاربة استنفدوا معظم جهودهم فى صراعهم ضد البرتغاليين . وما كادوا يفرغون من هذا الصراع حتى وجدوا أنفسهم مواجهين بصراعات وحروب أهلية عنيفة مما لم يترك أمامهم فرصة توجيه اهتمامهم لما قاموا به من فتوح. ولذلك كان من الطبيعى أن ينتهز ولاة اليعاربة على مقاطعات الشرق الإفريقى تلك الحالة من الفوضى لتثبيت نفوذهم ولم يلبث أن أعلنوا صراحة استقلالهم عن التبعية العمانية وذلك على أثر سقوط دولة اليعاربة[1] . وقدر لممبسة أن تتزعم الحركات الانفصالية التى قامت فى شرق افريقيا وذلك على أثر نجاح محمد ابن عثمان المزروعى فى تأسيس الأسرة المزروعية فى عام ١٧٣٩ . وكان سقوط اليعاربة فرصة انتهزها المزروعى لكى يعلن استقلاله عن التبعية العمانية وظهر ذلك واضحا حين رفض الاعتراف بولائه للأسرة الجديدة

(*) لمزيد من التفصيلات عن علاقة عمان بشرق إفريقيا يمكن الرجوع إلى كتابنا الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية وكذلك دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا إذ أن هـذا الفصل وإن كان قد اعتمد عليهما إلا أنه لا يتناول إلا بعض جوانبهما .

(١) Guillain, Expose Critique des diverses notions acquises sur l'Afrique Orientale Tome II pp. 542—543.

التى خلفتها وهى أسرة البوسعيد[١]. وكان منطقة فى ذلك أن ممبسة ظلت على ولائها لدولة اليعاربة حتى سقطت ولم تكن تبعيتها لعمان معناها أن تستمر على ولائها حتى بعد سقوط أسرتها الحاكمة فضلا عن أن مؤسس الدولة الحاكمة الجديدة وهو أحمد بن سعيد لاينتمى إلى أصل ملكى وانما لايعدو أن يكون رجلا من عامة الشعب توصل إلى الحكم بجهوده وطموحه الشخصى وبالتالى فليس هناك ما يدعو إلى الاعتراف به وبمعنى آخر أنه إذا كان والى صحار قد استطاع أن يصل إلى زمام الحكم فى بلاده فماذا يمنع المزروعى وهو والى اليعاربة على ممبسه من الاقتداء بما فعله والى اليعاربة على صحار؟ وهكذا وجد الامام أحمد بن سعيد نفسه بعد وصوله إلى الامامة مهددا بهذه الحركة الانفصالية التى قامت فى الشرق الافريقى ؛ ومع ذلك فلم تكن المشاكل التى واجهها سواء فى داخل بلاده أو فى الخليج العربى أوصراعه ضد الفرس أو جهوده لتوطيد دعائم حكمه لتشغله عن توطيد السيطرة العمانيـــة على مقاطعات الشرق الأفريقى وخاصة أنه أعقب قيام الحركة الانفصالية فى ممبسة حركات انفصالية أخرى تزعمها النبهانيون فى جزيرة بات وأصابت من النجاح ما أصابته ثورة ممبسة . وهكذا واجهت دولة بوسعيد فى مستهل عهدها بالحكم تلك الحركات الانفصالية التى ظهرت فى ممتلكاتها الافريقية . وإذا كان الإمام أحمد بن سعيد لقى مقاومة شديدة فى كل من ممبسة وبات فإنه كان أكثر توفيقا ونجاحا فى الممتلكات الإفريقية الأخرى إذ لقى ولاء فعلياً من بعضها أو خضوعا إسميا من بعضها الآخر فزنجبار ظلت على ولائها لعمان كذلك فعلت مركه أماكلوة فقد أعلنت ولاءها للدولة الجديدة وإن كان ذلك ولاء اسمياً [٢] . وعلى الرغم من الجهود التى بذلها الامام أحمد ابن سعيد لمواجهة التحالف الذى كونته ممبسة من المقاطعات الثائرة ضد عمان كمقديشيو وبراوة وبقية المدن التى تليها حتى كوافى إلا أنه لم يكن على

---

(١) Lyne, R. Zanzibar in Contemporary Times P. I0.

(٢) Pearce, Zanzibar. The Island Metropolis of Eastern Africa P. 109.

استعداد لكى يتمادى فى بذل جهود أكثر من ذلك إذ لم يكن حكمه فى عمان قد توطد بعد ومن جهة أخرى فإن المشاكل الكثيرة التى كان عليه أن يواجهها لتوطيد حكمه من حيث القضاء على الحركات الانفصالية داخل عمان نفسها ، فضلا عن العلاقات العدائية التى قامت بينه وبين كريم خان الزندى ، وما أدت إليه من اللجوء إلى القوة العسكرية فى كثير من الأحيان هذا بالاضافة إلى وقوع بلاده فى حلبة الصراع الانجليزى الفرنسى ، كانت كلها أمور تستدعى تفرغه التام لمعالجة تلك المشكلات [١] . ولذلك اضطر الامام أحمد بن سعيد إلى الاكتفاء بهـذه الجهود التى بذلها لتوطيد حكم فى الشرق الافريقى . ومهما تكن محصلة تلك الجهود إلا أنها كانت بمثابة الدعامة الأولى التى ارتكز عليها خلفاؤه من بعده حتى نجح سعيد بن سلطان فى تأسيس إمبراطورية عربية إفريقية كانت الأولى من نوعها فى التاريخ الحديث لآسيا وإفريقيا . على أن أكثر ما اهتم به أحمد بن سعيد كان يتركز فى النواحى التجارية ويبدو أن انتماءه لأسرة من التجار واشـتغاله بالتجارة كان لها أثر كبيرة فى اهتمامه بتلك النواحى ، وقد فتحت مقاطعات شرق إفريقيا بمواردها الكثيرة أو بما تنتجه من غلات وما يكثر فيها من رقيق سبل التجارة على مصراعيها . ويذكر جيان بصدد ذلك أن الإمام أحمد بن سعيد عمل على تشجيع التجارة واستمرارها بين مسقط والممتلكات الافريقية التى اعترفت بسيادته . وكان يرسل فى كل عام بعضاً من سـفنه لتأتى له بالذهب والعاج والرقيق وغير ذلك من موارد تلك الجهات وحتى المقاطعات التى لم تعترف بسيادته كان حريصاً على إقامة علاقات تجارية معها ولذلك لم يلجأ إلى فرض سيطرته بالقوة العسكرية خوفاً من انقطاع الصـلات التجارية بينها وبين عمان [٢] .

---

(١) Guilaln, op. cit. Tome II pp. 543—544. See also Ruete, R. Said Bin Sultan pp. 47—48.

(٢) Pearce, op. cit. P. 117.

وكان للصراع الأسرى الذى وقع فى عمان عقب وفاة الإمام أحمد بن سعيد فى عام ١٧٨٣ أثر كبير فى مقاطعات الشرق الإفريقى التى استخدمت مسرحا لذلك الصراع الذى قام بين الامام سعيد بن الإمام الذى خاف أباه فى الحكم وبين أخيه سيف الذى التجأ إلى الشرق الإفريقى. والثابت أن ما اتجه إليه الإمام سعيد من إرسال قواته إلى مقاطعات الشرق الافريقى لم يكن رغبة منه فى القضاء على المحاولات التى كان يخشى وقوعها من أخيه فحسب وإنما كان يرمى من ورائها إلى أهداف أبعد من ذلك وهى تأكيد السيطرة العمانية على تلك المقاطعات . وإذا كان الإمام سعيد قد نجح فى رد الأقاليم المقاومة له إلى الطاعة إلا أنه لم يتمكن مع ذلك من تأكيد سيطرته الفعلية على تلك النواحى . وإذا عرفنا أن التوابع العمانية فى شرق إفريقيا كانت تفوق بخيراتها ومواردها إقليم عمان فإنه مما يستدعى الدهشة أن ينصرف حكام عمان عنها أو على الأحرى يقنعوا بظل باهت من السيادة عليها . بيد أننا نستطيع أن نجد تفسيرا لذلك وهو حرص حكام البو سعيد الأول إلى توجيه اهتمامهم إلى قلب الامامة فى عمان إذ تمسكوا بعاصمتهم الدينية فى الرستاق .ولذلك فإنهم لم يتجهوا إلى الشرق الأفريقى إلا اتجاها محدودا كان ينحصر فى محاولتهم بسط السيادة العمانية واستدامة العلاقات التجارية معها وبديهى أن النفوذ العمانى نتيجة لتلك الاعتبارات التى أشرنا إليها لم يصل إلى درجة من القوة تجعله يصمد للاضطرابات التى كانت لاتكاد تنقطع فكان انفصال تلك المقاطعات واحدة تلو الأخرى على عهد الإمام أحمد بن سعيد ثم على عهد ابنه سعيد بن الإمام حتى إذا ما تولى سلطان بن أحمد الحكم وظهر اهتمامه بالنواحى السياسية أكثر من النواحى الدينية كان من المنتظر نتيجة لذلك أن يتجه إلى ممارسة سيطرته الفعلية على الشرق الافريقى بيد أن المشكلات التى نتجت عن الطابع الجديد الذى تحولت إليه الدولة لم تترك له المجال للتفرغ للشرق الأفريقى وإنما كان انصرافه واضحا نحو العلاقات الخارجية والسياسية للدولة حتى إذا ما تولى السيد سعيد بن سلطان الحكم ١٨٠٦ — ١٨٥٦ واشتد فى عهده التحول من الناحية الدينية إلى الناحية السياسية أخذ الحاكم

الجديد يختط سياسة إفريقية واضحة المعالم [1] . وعلى الرغم مما ذهب إليه كثير من الباحثين من أن اتجاه السيد سعيد إلى الشرق الأفريقي كان محاولة منه للهروب من المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهه في عمان إلا أننا لانتفق مع هذا الرأي لأن اتخاذ السيد سعيد سياسة افريقية لم تكن لتبعده عن المشاكل العمانية التي كان يفرغ لها جزءاً كبيرا من وقته وجهده وإنما كان اتجاهه إلى الشرق الأفريقي يكمن في حرصه على هذا الجزء الهام من دولته لكثرة موارده وزيادة فرص استغلاله فضلا عن أن الظروف الجديدة التي آلت إليها الدولة في عهده لم تكن تضطره كما اضطرت أسلافه من أئمة الدولة إلى البقاء في إقليم عمان ذى الطابع الديني التقليدي. وظهر ذلك واضحا حين أقدم السيد سعيد على نقل عاصمة حكمه من مسقط إلى زنجبار في عام ١٨٣٢ وإقامته هناك وتفرغه لتكوين امبراطورية عمانية في شرق أفريقيا.

ولا شك في أن الخطوة الكبيرة التي أقدم عليها السيد سعيد في نقل مركز حكمه إلى زنجبار قد سبقتها بطبيعة الحال جهود كبيرة لتأكيد سيطرته على الشرق الإفريقي إذ أنه عند وصوله إلى الحكم في مسقط في عام ١٨٠٦ وجد أن السيادة العمانية على الشرق الإفريقي قد وصلت إلى أقصى درجة من الضعف ، إذ لم يعد لعمان سوى سلطة واهية على بعض مقاطعات الشرق الإفريقي كممبا وموفيا وكلوة [2] . أما بقية المدن والمقاطعات الإفريقية الأخرى فقد نزعت إلى الاستقلال عن التبعية العمانية [3] ، ولم يلبث أن واجه في العام التالي من وصوله إلى الحكم حركة انفصالية تزعمها المزروعيون في ممبسه واستهدفوا بها تخليص المقاطعات الإفريقية من السيطرة العمانية وضمها إلى حكمهم وما كادوا ينجحون في السيطرة على بات وانتزاعها من أيدى النبهانيين حتى أسرعت المقاطعات المناوئة لممبسة إلى طلب حماية السيد سعيد وبذلك سنحت له فرصة التدخل في الشرق.

---

(١) Pearce, op. cit. P. 117.

(٢) Colomb, Slave Catching in Indian Ocean P. 364.

(٣) Coupland, R. East Africa and It's Invaders P. 218.

الإفريقى ولم يكن صراعه الدائب ضد السعوديين أو القواسم ليحول بينه وبين سرعة الاستجابة الى تقديم الحماية لمقاطعات الشرق الإفريقى المناوئة للمزروعيين فى ممبسة حيث أرسل بعض قطع من أسطوله لتحقيق تلك الغاية(١) .

ومع ذلك فان السيد سعيد لم يلبث أن تحقق بنفسه أن نجاحه فى تأكيد السيطرة العمانية على شرق إفريقيا لن يتم إلا إذا بدأ أولا فى التخلص من الأسرة المزروعية فى ممبسة وخاصة حينما وصل إلى حكمها عبدالله بن أحمد المزروعى فى عام ١٨١٤ الذى واصل السياسة التى اتبعها أسلافه من حكام تلك الأسرة فى تخليص مقاطعات شرق إفريقيا من سيادة مسقط عليها وتحكى إحدى الروايات أنه على أثر وصوله إلى حكم ممبسة أرسل إلى السيد سعيد بعض الطلقات النارية والبارود بدلا من الجزية السنوية التى كانت مقررة على ممبسة وما يتبعها من مقاطعات شرق إفريقيا، كما حاول نيل تأييد حكومة الهند له حتى لقد سافر بنفسه إلى بومباى ليحصل على ذلك التأييد وعندما توفى فى عام ١٨٢٠ بدأ السيد السعيد يعد خطة استهدف من ورائها القضاء على الأسرة المزروعية فى ممبسة ، وقدر أهمية الحصار الاقتصادى لإخضاع تلك الولاية ولذلك أصدر قانونا حرم فيه على رعاياه تبادل التجارة مع البلدان التى تحاول الانفصال عن سيطرته وتبع ذلك باتجاهه المسلح لتخليص المقاطعات الإفريقية من سيطرة المزروعيين عليها فنجح فى تخليص لامو وبراوه وبمبا، كما تمكن من السيطرة على جزيرة بات وأعاد الأسرة النبهانية إلى الحكم فيها ومن المؤكد أنه كان يهدف بذلك الى أن تستأنف تلك الأسرة صراعها التقليدى ضد المزروعيين مما يكون من نتيجته إضعاف كل من الأسرتين مما يمهد له سبيل السيطرة عليهما ، ولذلك ما أن أحس آل المزروعى بالخطر العمانى يتهددهم حتى بادروا بطلب الحماية البريطانية ، ففى عام ١٨٢٣ كتب الشيخ سالم المزروعى إلى حكومة الهند يؤكد أن الإمام سعيد بن سلطان يحاول

---

(١) Ibid. P. 219.

الاستيلاء على بلاده ، وأعرب عن استعداده لقبول الحماية البريطانية . وعلى الرغم من ذلك العرض الصريح الذى تقدم به حاكم ممبسة إلى حكومة الهند إلا أن بريطانيا لم تتخذ أية خطوة إيجابية بشأن ذلك ويعزو كوبلان Coupland وهو أحد الباحثين الثقاة فى تاريخ شرق إفريقيا السبب فى تراخى بريطانيا فى انتهاز هذه الفرصة بأنها لم تكن تقدر فى ذلك الوقت أهمية ممبسة ولم تكن تعرف شيئاً عن أهميتها الاقتصادية أو الاستراتيجية إذ كانت بريطانيا واضعة عينها صوب منافذ البحر الأحمر والخليج العربى وكان ذلك كل ما يجذب انتباهها فى ذلك الوقت[١].

وفى اعتمادنا أن بريطانيا بالإضافة إلى ذلك لم تكن تريد أن تقف موقفاً عدائياً من السيد سعيد خاصة فى الوقت الذى تأكدت صلتها به بعد عقدها معه معاهدة ١٨٢٢ وهى معاهدة خاصة بتحديد تجارة الرقيق ولذلك كان من الطبيعى أن تتخلى بريطانيا عن تقديم العون والمساعدة لآل المزروعى حرصا على علاقتها بالسيد سعيد ، ومن ثم كان اتجاه المزروعيين إلى طلب الحماية البريطانية نقطة الخطأ فى سياستهم لأنهم التجأوا إلى الدولة التى كانت على علاقة طيبة بمسقط[٢]. ومع ذلك فإن الفرصة لم تلبث أن سنحت للمزروعيين فى نيل الحماية البريطانية إذ صادف فى عام ١٨٢٤ مرور السفينة براكوتا بقيادة الكابتن فيدال وهى إحدى سفن الأسطول الذى أوفدته بريطانيا بقيادة الكابتن أوين Owen لقمع تجارة الرقيق فى شرق أفريقيا[٣] . وكان أوين يعتقد أن فصل مقاطعات الشرق الأفريقى عن التبعية العمانية قد يساعد مساعدة كبيرة فى قمع تجارة الرقيق فى شرق إفريقيا ، ومن ثم كان يحبذ منح المزروعيين الحماية البريطانية ، هذا فضلا عن أن فرض الحماية البريطانية على ممبسة قد يكون من شأنه الوقوف حائلا دون تطلع الفرنسيين

---

(١) Coupland, R, op. cit. P. 222.

(٢) Pankhurst, Ex. Italian Somaliand P 15.

(٣) Coupland, op. cit. P. 223.

إليها ولذلك حين تلقى أوين تقريراً من الكابتن فيدال عن رغبة حاكم ممبسة رفع العلم البريطانى على قلعة المدينة كان من رأى أوين إجابته فوراً على طلبه[1] . وبادر بالكتابة إلى حكومة الهند يخبرها بأنه سيقدم للمزروعيين الحماية اللازمة . وحتى قبل أن يتلقى أوين رداً من حكومته ذهب بنفسه إلى ممبسة حيث دارت بينه وبين الشيخ سليمان المزروعى مفاوضات انتهت فى ٨ فبراير ١٨٢٤ بدعوة الكابتن أوين رؤساء وشيوخ جميع الموانى والمقاطعات والجزر الواقعة بين نهر البانجانى ومالينده إلى اجتماع على ظهر سفينته وأعلن فى ذلك الإجتماع منح الحماية البريطانية لهم وتعهد أوين فى الاتفاقية التى وقعها مع حاكم ممبسة بأن تعمل حكومة الهند على أن تعيد للمزروعيين جميع المقاطعات التى استولى عليها السيد سعيد منهم وأن تضمن توارث الحكم فى أسرتهم وأن تعين بريطانيا مقيما سياسيا فى ممبسة ، وأن يقتسم دخل الجمارك مناصفة بين الطرفين ويسمح للرعايا البريطانيين بالتجارة فى داخل البلاد وأن يوافق المزروعيون على منع تجارة الرقيق وأن يقدموا عونهم للحكومة البريطانية فى القضاء على هذه التجارة[2] .

وكان من الطبيعى أن يؤدى فرض الحماية البريطانية على ممبسة وعلى غيرها من مقاطعات شرق إفريقيا إلى استياء السيد سعيد الذى احتج لدى حكومة بومباى مؤكدا أن الكابتن أوين ساير ثوار ممبسة فيما ذهبوا اليه ووقف بإسطوله حائلا دون وصول القوات العمانية لقمع الحركات الانفصالية فى شرق إفريقيا وأنه رفع العلم البريطانى على دار إقامته فى زنجبار . وفى مقابلة السيد سعيد للمقيم البريطانى فى الخليج العربى فى ديسمبر ١٨٢٥ أخذ يشكو له تدخل

---

(١) CF. The Journal of Lieutenant Buttler of the Barracuta in Charles Eliot, East Africa Protectorate P. 317.

(٢) Krapff, Travels, Researches and Missionary Labours in East Africa P. 530.

أوين فى الشرق الإفريقى وأن ذلك يعد انتهاكا للصداقة القائمـــة بينه وبين بريطانيا .

ومما تجدر الاشارة إليه أن محمية أوين ١٨٢٤ / ١٨٢٦ لم تكن هى أول تدخل من جانب بريطانيا فى شرق إفريقيا إذ كان لبريطانيا صلات بالشرق الإفريقى منذ نهاية القرن الثامن عشر حين كانت تعمل على وضع العراقيل ضد بونابرت إبان حملته على مصر فى عام ١٧٩٨ . فنى ديسمبر من ذلك العام وصلت إحدى السفن البريطانية إلى زنجبار بقيادة الكابتن بلانكت وكما سبق أن ألمحنا فى الفصل السابق أن مصير تلك السفينة كان تعسا إذ بادر أهالى زنجبار بالقبض على قائدها وبحارتها وأعملوا فيهم الذبح والتقتيل . وكانت هذه المعاملة سببا فى احتجاج حكومة بومباى لدى السيد ساطان بن أحمد ساطان مسقط وخاصة أن تلك الحادثة وقعت مباشرة بعد توقيعه معاهدة ١٧٩٨ وقد بادر سلطان بن أحمد بخلع والى زنجبار وعين والياً آخر بدلا منه مرضاة لحكومة الهند . وفى عام ١٨١٢ حدث تدخل بريطانى آخر فى شرق إفريقيا حينما وصلت إحدى السفن الإنجليزية إلى كلوة وعقد قائدها اتفاقية مع رؤساء الجزيرة كانت تنص على أن تؤيد بريطانيا الحاكم الذى يختارونه بأنفسهم لأنهم كانوا يقاسون كثيرا من ظلم الحكام الذين يعينون من قبل سلطان مسقط ، ولكن مهما يكن من أهمية تلك الاتصالات فإنها لم تصل إلى الدرجة التى وصلت إليها محمية أوين السابق إشارتنا إليها . وعلى الرغم من أن حكومة الهند بادرت بالغاء الحماية فى عام ١٨٢٦ مرضاة للسيد سعيد وحرصا منها على إبقاء علاقات الصداقة والتفاهم معه إلا أنها خشيت أن يلجأ المزروعيون إلى طلب الحماية من فرنسا ولذلك كان المقيم البريطانى فى الخليج العربى لايكف عن تذكير السيد سعيد بألايغالى فى إظهار عدائه للمزروعيين خوفا من إرتمائهم فى أحضان الفرنسيين . هذا فى الوقت الذى لجأ فيه آل المزروعى إلى طلب الحماية البريطانية من لندن وهنالك رسالة بعث بها الشيخ سالم المزروعى إلى الملك جورج الرابع يطلب منه تأكيد الحماية البريطانية على بلاده . ولكنه أجيب بأن صاحب الجلالة

البريطانية لايجد ثمة ما يدعوه إلى الاستجابة لهذا المطلب لما قد يؤدى إليه ذلك من عداء بينه وبين سلطان مسقط الذى جمعت بينهما أواصر المحبة والإخلاص[١] .

وعلى أية حال فإنه ما كادت القوات البريطانية تنسحب من ممبسة فى عام ١٨٢٦ حتى استأنف السيد سعيد صراعه ضد المزروعين وأرسل من أجل ذلك حملة بحرية إلى ممبسة بعد أن رفض المزروعيون الخضوع لسيادته وفيما يبدو أن الحملة البحرية التى أرسلها السيد سعيد كانت أقوى مما قدره المزروعيون فلم يجدوا سبيلا سوى الإذعان والإعتراف بالسيادة العمانية عليهم وذلك بعد أن تمكن السيد سعيد من الإستيلاء على قلاع المدينة وحصونها ووجه الدعوة إلى الشيخ سالم بأن يأتى للتفاوض على ظهر سفينته وانتهت تلك المفاوضات باعتراف المزروعين بالسيادة العمانية على المقاطعات الخاضعة لهم فى شرق إفريقيا وأن يتم اقتسام دخل هذه المقاطعات بالتساوى بين الطرفين، كما نصت الاتفاقية على خضوع قلعةممبسة للسيد سعيد بشرط ألا يتجاوز ما يبقيه من حامية فيها عن خمسين جندياً[٢] . وفيما يبدو أن السيد سعيد لم يكن ينوى احترام تلك الاتفاقية إذ أخذ يعمل على تقوية حصون ممبسة وقلاعها ويضع فيها من الحاميات والجنود أضعاف ما قررته الاتفاقية كما استعان بحاكم جزيرة بمبا ناصر بن سليمان الموالى له والذى كان قد انتزع تلك الجزيرة من ممبسة فى عام ١٨٢٢ ليكون ممثلا له فى ممبسة ولكن المزروعيون بادروا بالقبض عليه واعدامه[٣]، مما دفع السيد سعيد إلى القيام بحملة أخرى على ممبسة فى عام ١٨٢٩ ولكنه لم يصب قدرا من النجاح مما اضطره إلى التراجع إلى مسقط إذ لم يكن الوضع هناك هادئاً حيث كان

---

(١) Coupland R. East Africa and It's Invaders P. 272

(٢) Krapff., op. cit. P. 534.

(٣) سعيد بن على المغيرى : جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار ص ١٢١ – ١٢٤ نشر وزارة الثقافة والتراث القومى – سلطنة عمان .

السعوديون يوالون غزواتهم على المقاطعات العمانية . وليس من شك فى أن السيد سعيد كان يجتاز أعظم فترة حرجة فى حياته وحياة سلطنته لقد كان سلطانا على إقليمين كبيرين ولكن لم تكن له ســلطة فعلية على أحدهما أوكليهما وعلى حدقول كوبلاند كان حلمه فى تأسيس دولة فى شرق إفريقيا بينما ممبسة فى أيدى المزروعيين يشبه تكوين دولة فى عمان بينما مسقط فى أيدى السعوديين [1]. والواقع أن السيد سعيد صعب عليه الاعتماد على أصدقاء يستعين بهم فى القضاء على آل المزروعى وأكثر من ذلك كان مرغما على تخفيف عدائه معهم إذ طلب منه الإنجليز أن يجيب المزروعيين إلى بعض مطالبهم خوفا من أن يتجهوا إلى محالفة الفرنسيين. على أن السيد سعيد وإن كان قد يئس من مساعدة الإنجليز له فقد بادر إلى عرض مشروع للتحالف بينه وبين ملكة مدغشقر بل ذهب إلى أبعد من ذلك حين عرض عليها الزواج وأرسل بالفعل مبعوثا من قبله يحمل إلى الملكة رسالة رقيقة . بيد أن رغبته فى الزواج لم تتحقق إذ كتب وزراء الملكة له يؤكدون أن تقاليد بلادهم لاتسمح بزواج ملكتهم ، ولكن هنالك أميرة صغيرة يستطيع أن يتزوجها إذا أراد ومن ناحية أخرى أعربوا له عن استعدادهم لمساعدته فى قمع ثورة ممبسة وتوطيد حكمه فى شرق إفريقيا ، وإن كان مما يستلفت النظر أن بريطانيا حالت بين السيد سعيد وبين الحصول على قوة عسكرية من مدغشقر التى كانت خاضعة فى ذلك الوقت للنفوذ الفرنسى بل إن جزيرة مدغشقر لم تلبث أن خضعت بالفعل للحماية الفرنسية فى عام ١٨٣٢ ، وكان ذلك سبباً فى عرقلة المساعى التى كان يقوم بها ، ولكن لم تلبث أن ظهرت فى الأفق بادرة جديدة تطلع إليها وهى الاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية التى اتجهت فى عام ١٨٣٣ للدخول فى علاقات إقتصادية مع سلطنة مسقط وزنجبار حيث أبدى السيد سعيد موافقته على أن يمنح الأمريكيين كل مايريدونه من إمتيازات وأن يسمح لهم بتأسيس المراكز التجارية فى زنجبار وفى غيرها من موانى شرق إفريقيا فى مقابل أن تمده الولايات المتحدة الأمريكية بقوات

---

(١) Coupland, East Africa and Its Invaders P. 279

للسيطرة على موزمبيق واستعادة نفوذهم على ممبسة، ولكن الحكومة الأمريكية لم تر من مصلحتها التورط فى تلك المغامرات وطلبت أن تقتصر علاقاتها على الشئون الإقتصادية فحسب [١] .

ولم تلبث الأحداث أن توالت بعد ذلك بسرعة حين تعرضت أسرة المزروعى بعد وفاة حاكمها الشيخ سالم فى عام ١٨٣٥ لعدة منازعات داخلية من أجل الوصول إلى الحكم بين الشيوخ المتنازعين مما أوقع جميع مقاطعات الساحل فى اضطراب كبير وفوضى شاملة [٢] ، قام على أثرها حاكم مقاطعة كلنديني بالثورة على آل المزروعي وطلب من السيد سعيد أن يساعده فى التخلص من حكمهم، وبفضل المساعدات التى قدمت للسيد سعيد من زعماء الساحل تمكن فى عام ١٨٣٧ من الإستيلاء على حصون ممبسة وقلاعها وجعل من نفسه السيد الذى لا منازع له على طول الساحل الشرقى لإفريقيا من رأس جردفون شمالا إلى خليج دلجادو جنوبا . وحرص السيد سعيد وهو فى أوج انتصاره على التخلص نهائياً من آل المزروعى ولذلك فقد كلف ابنه الأكبر خالد الذى كان قائما بالحكم فى زنجبار نيابة عنه لكى يقوم بحركة استهدف بها القبض على جميع أعضاء أسرة المزروعى ؛ وتم لخالد القبض على خمسة وعشرين شيخا أما الآخرون فقد فروا وتشتتوا فى داخلية البلاد [٣] .

كان إخضاع السيد سعيد لممبسة فاتحة المجال لتدعيم نفوذ سلطنة مسقط فى شرق إفريقيا وفيما يبدو أن ضمان تلك السيطرة فى المقاطعات الإفريقية هو الذى دفعه للإقامة بزنجبار التى كان قد نقل إليها حكمه فى خلال سنوات قليلة سابقة إذ أنه فى عام ١٨٣٢ كان السيد سعيد قد حول عاصمة حكمه

---

(١) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص٢٢٧ القاهرة ١٩٦٧ .
See also Coupland, East Africa and It's Invaders P. 281.

(٢) Le Roy, D'Aden a Zanzibar P. 264.

(٣) Pankhurst, op. cit. P. 16.

من مسقط إلى زنجبار . وهناك العديد من الدوافع التى كانت وراء ذلك منها جاذبية زنجبار الطبيعية وأهمية موقعها الجغرافى وما تتميز به من موانى صالحة للتجارة وعمليات التبادل التجارى؛ هذا إلى جانب الدوافع السياسية التى كان من أهمها تفضيله الإقامة فى تلك الجزيرة بعد أن عانى الكثير من المتاعب الداخلية فى مسقط من جانب المنافسين له فى الحكم من أعمامه أو أبناء عمومته أضف إلى ذلك أن السعوديين والقواسم كانوا كثيرا ما ينقضون عهده معهم ويستأنفون الهجوم على المقاطعات التابعة له فى الخليج العربى . وليس من شك فى أن نقل العاصمة إلى زنجبار كان له أثر كبير فى وضع الأسس السياسية والاقتصادية للسلطنة العربية فى أفريقيا .

ويمكننا أن نلاحظ بوضوح الأهداف الإقتصادية التى كان يتجه إليها السيد سعيد فى إفريقيا إذ حرص عند انتقاله إلى زنجبار أن يأخذ معه التجار العرب والهنود من طائفة البانيان الذين كانوا يسهمون بنشاط وافر فى عمليات التجارة فى مسقط . وشجع الهنود على الهجرة إلى زنجبار ما كانوا يعهدونه فى السيد سعيد من تسامح كبير ومعاملة طيبة كانا يتضحان فى تركه الحرية الدينية ومنحهم ما كانوا يتوقون إليه من مكانة فى المجال الاقتصادى (١) . إذ استعان بالأكفاء منهم فى أعمال الإدارة والاقتصاد وعلى الرغم من أن الهنود كانت لهم علاقات قديمة بشرق إفريقيا إلا أن عددهم تزايد فى عهد السيد سعيد حتى بلغ أربعة آلاف نسمة وذلك طبقا لما قدره بيرتون Burton الذى أكد أيضا أن أربعة أخماس التجارة الخارجية كانت فى أيديهم (٢) . كما أنهم امتدوا بمراكزهم التجارية حتى مدغشقر وموزمبيق وجزر القمر وبمضى

---

(١) Mona MCmillan, Introducing East Africa P. 175 London 1965.

(٢) Burton, R, Zanzibar, City, Island and Coast vol. I pp. 315—317.

الزمن كثر عددهم وأخلوا يستولون على الممتلكات من العرب عن طريق الرهن والشراء [1] .

وبالإضافة إلى نشاط الهنود التجارى وفد مع السيد سعيد مئات من عرب عمان فازدهرت التجارة وانتعشت بمقدمهم إلى درجة لم تكن معهودة من قبل [2] ، وبينما كان نشاط الهنود يقتصر على الساحل استطاع التجار العرب التوغل فى المناطق الداخلية التى لم يكن قد ارتادها أحد من قبل واستقر كثيرون منهم فى الداخل وأسسوا المراكز التجارية التى جهدوا فى تقويتها ومن ثم أصبحت تلك المحطات أو المراكز التجارية تشع بعضا من السيطرة والنفوذ للسلطنة العربية الأفريقية فى الداخل حتى لقد اشتهر المثل السواحيلى القائل « إذا دقت الطبول فى زنجبار رقص الناس طربا على البحيرات » وليس من شك فى أن تلك السيطرة الداخلية كانت ترتبط بقوافل التجارة التى أصبحت تصل إلى البحيرات الاستوائية وأعالى الكونغو .

وعلى هذا النهج قامت عدة مستوطنات عربية على خطوط القوافل التجارية . ومما هو جدير بالذكر صعوبة تحديد ممتلكات السلطنة العربية فى شرق إفريقيا لأن النشاط التجارى الذى طبع هذه السلطنة هو الذى حال دون قيام فواصل تحدد مدى اتساع الدولة ، كما أنه لم يكن يحمى سلطة الدولة إلا المصالح الإقتصادية التى كانت تربط بين الساحل والداخل وقياسا على ذلك كانت الأنظمة الإقتصادية التى وضعتها السلطنة العربية فى شرق إفريقيا تتميز بالمرونة من حيث تبسيط أنظمة الضرائب وتخفيفها بحيث كانت لا تزيد عن ٥ ٪ على الواردات التى تأتى إلى الموانى الإفريقية وإعفاء الصادرات

Chappuis, visite a l'Imam de Mascate au Zangubar (١) P. 350. See also Coupland, East Africa and It's Invaders pp. 302—303.

(٢) من القبائل العربية التى وفدت مع السيد سعيد للاقامة معه فى زنجبار انظر المغيرى : مرجع سبق ذكره ص ١٩ .

من الضرائب. كذلك تميز عهد السلطنة العربية فى زنجبار بوضع نظام بسيط للنقد يحل بدلا من العملات المتعددة التى كانت مستخدمة فى زنجبار كالريال النمساوى والأسبانى ، ولم يكد ينتهى عهد السيد سعيد حتى اختفت العملات الأجنبية تقريبا وحل محلها النظام الجديد الذى استحدثه والذى كان يعتمد على الروبية الهندية . كما يرجع للسلطنة العربية فى زنجبار وإلى السيد سعيد نفسه تشجيعه لزراعة قصب السكر والقرنفل وذلك باستغلاله خصوبة بعض المقاطعات الأفريقية وعلى الأخص جزيرتى بمبا وزنجبار حتى أصبحت هاتان الجزيرتان تمدان العالم بالقسط الأعظم من استهلاكه من القرنفل حيث يبلغ إنتاجهما أكثر من $\frac{7}{8}$ الانتاج العالمى[1] .

وقد أدرك السيد سعيد أنه لضمان ازدهار النواحى الإقتصادية فإنه ينبغى عليه أن يعمل على حماية التجارة من المنافسات التى كانت تتعرض لها حقيقة أنه كان يؤمن بالحرية الإقتصادية إلا أنه وجد نفسه مضطرا إلى تطبيق سياسة إحتكارية لضمان مركزه الاقتصادى؛ ولذلك حرم على طول الساحل الممتد من مصب نهر البانجانى إلى كلوة تصدير المطاط والعاج تحت أى علم خلاف علم السلطنة وإن كنا لا نجد احتكارات باستثناء ذلك . كما عرف عن السيد سعيد شغفه الكبير بالتجارة وحبه لمارستها ومن ذلك أنه كان يقوم بالاشتغال بها لحسابه الخاص وكان يستخدم أسطوله فى نقل البضائع وبين آونة وأخرى كانت الموانى البريطانية والفرنسية تستقبل حمولات من البضائع الأفريقية حملتها إليها سفن السلطنة العربية . ولعل شهرة السيد سعيد فى العالم الخارجى كانت ترجع إلى فتح بلاده للدول الأجنبية حتى تحولت زنجبار إلى أعظم ميناء فى

---

(١) نقل العرب زراعة القرنفل من جزيرة مور يس وكان الفرنسيون أول من أدخلوها فى تلك الجزيرة فى عام ١٧٧٠ .

CF. Ruete. op. cit. pp. 73—74 See also Coupland. ExPoitationof East Africa P. 4.

الأطراف الجنوبية الغربية للمحيط الهندى كما أصبحت المستودع الرئيسى للتجارة الأفريقية الأسيوية . وكما يؤكد كوبلاند أنه فى خلال عشرين عاما من نقل السيد سعيد عاصمة بلاده من مسقط إلى زنجبار أصبحت زنجبار واحدة من ثلاث أو أربع مراكز رئيسية للتجارة فى المياه الغربية للمحيط الهندى[١] . وكان حرص السلطنة العربية فى زنجبار على الاتصال الخارجى بالدول الأجنبية سببا فى عقدها الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات التجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها ، كما وجدت قنصليات أجنبية فى زنجبار كما سمح أيضا لبعض الولايات الألمانية المشتركة فى اتحاد الهانسا بالاشتغال بالتجارة[٢] .

ومما هو جدير بالذكر أن نظام الحكم الذى كان متبعاً فى زنجبار كان لا يختلف كثيرا عن أنظمة الحكم التى كانت متبعة فى مسقط من حيث بساطة الأنظمة الإدارية . أما عن القضاء فقد كان على درجة كبيرة من البساطة وظل القرآن الكريم هو أصل التشريعات ومصادر الأحكام . وكان السيد سعيد يحكم فى القضايا الكبيرة بنفسه أما القضايا الأقل أهمية فكان يتركها لابنه الكبير خالد أو لحاكم مدينة زنجبار ، فى حين تركت القضايا العادية للقضاة الذين كان يعينهم للحكم فيما يحدث من منازعات تجارية أو غيرها بين رعاياه . ومن حيث إدارة السيد السعيد لممتلكاته الشاسعة فى شرق إفريقيا فقد كان حريصا على أن يعين فى كل مقاطعة حاكما محليا من أهل البلاد يدين له بالتبعية والولاء وإن كنا نراه فى أحيان كثيرة يفقد ثقته بالحكام المحليين ويستعيض عنهم بأعوان له من مسقط وكان يمدهم بحاميات من الجند تكون بمثابة نواة يحرص الحاكم المعين على تنمية قوتها بنفسه بشكل يحفظ للحاكم هيبته وللسلطان نفوذه . وقد حاول السيد سعيد الاتساع

(١) Chappuis, op. cit. P. 357. See also Lyne, Zanzibar P. 4.

(٢) Coupland R. East Africa and It's Invaders P. 320.

بممتلكاته فى شرق إفريقيا شمالا وجنوبا فمن ناحية الجنوب حاول ربط مدغشقر بزنجبار ولما لم يتحقق له ذلك الهدف عمل على اخضاع جزيرة. نوسيبى لنظامه الإقتصادى ونجح فى ربطها بمعاهدة تجارية وافق حاكم الجزيرة بمقتضاها على دفع جمارك على الواردات التى تصل إليها من. سلطنة زنجبار فى نظير الحصول على حماية زنجبار لها، ولكن السيد سعيد لم يقدم لتلك الجزيرة ماكانت تحتاجه من حماية وكل مافعله هو رفع العلم العمانى الأحمر على قلعتها ؛ ولعل ذلك الإهمال هو الذى أعطى الفرصة للفرنسيين لكى يبسطوا نفوذهم الفعلى على تلك الجزيرة . على أن السيد سعيد وإن كان قد أخفق فى مد سيطرته نحو الجنوب فلا شك أنه كان أكثر توفيقاو نجاحاً فى مد سيطرته. نحو الشمال ففى عام ١٨٤٠ بادر بإرسال بعثة إلى موانى الصومال نجحت فى إخضاع تلك الموانى لنظامه الإقتصادى، كما نجح فى فرض سيادته على مقديشيو وامتد بسيطرته الاقتصادية إلى براوة وإن كان قد فشل فى الاحتفاظ بها طويلا [١]. وليس من شك فى أن السلام والأمن الذى تميزت به مقاطعات شرق. إفريقيا كان يرجع فى الدرجة الأولى إلى النشاط الاقتصادى الذى تميزت به. سلطنة زنجبار . ومن الواضح أن السيد سعيد لم يكن يهدف من ممتلكاته فى شرق. إفريقيا إلا تحقيق أهدافه الإقتصادية دون النظر فى أن تكون له سيطرة فعلية وليس أدل على ذلك من أنه لم يلجأ إلى قمع الثورات التى كانت تقوم فى المقاطعات. الخاضعة له بالقوة العسكرية خوفا مما يجره ذلك من اضطراب فى الأمن قد يعوق التجارة التى كان يحرص عليها غاية الحرص ولذلك كان يعمل على معالجة مشكلاته الإفريقية بالطرق السلمية وهذه كانت سياسته سواء مع رؤساء المقاطعات الساحلية أو حكام المقاطعات الداخلية، وهى سياسة استهدف من ورائها ضمان استقرار الحياة الإقتصادية وازدهارها، مما يجعلنا نذهب فى القول إلى أن السيد سعيد نجح فى سيطرته الإقتصادية ولكنه فشل فى بسط سيطرته.

---

(١) Ibid pp. 333—336.

السياسية أو العسكرية [١] .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه قد عاصر حكم السيد سعيد في شرق إفريقيا الحركة التي تزعمتها بريطانيا لقمع تجارة الرقيق في النصف الأول من القرن التاسع عشر . ولايعنينا هنا أن نبحث عن الدوافع الأساسية التي دفعت بريطانيا لإلغاء تلك التجارة هل هي دوافع إنسانية بحتة كما كانت تدعي ذلك أم أن المصالح البريطانية كانت تقف من ورائها ؟ ذلك لأننا نجد في أحوال كثيرة أن الجهود التي قامت بها بريطانيا لقمع تجارة الرقيق سببت لها الكثير من السيطرة والنفوذ في المناطق التي كانت تعمل بها ولكن الأمر الذي يعنينا هنا أن المصادر الرئيسية لتجارة الرقيق في شرق افريقيا كانت تقع ضمن ممتلكات السلطنة العربية في زنجبار[٢]، ومن ثم أدركت بريطانيا أنه ينبغي عليها إذا أرادت القضاء على تلك التجارة أن تحصل على تأييد من حاكم السلطنة ، والجدير بالذكر أنه على الرغم مما كان يحصل عليه السيد سعيد من المزايا والأرباح العديدة من جراء مرور تلك التجارة في بلاده إلا أنه أذعن لبريطانيا حرصاً منه على ضمان مركزه في ممتلكاته ، وإن كان بعض الباحثين يؤكد أن ارتباط السيد سعيد مع بريطانيا في معاهدات خاصة بتحديد تجارة الرقيق قد عرض مركزه للخطورة بين رعاياه الذين كانوا يشتغلون بتلك التجارة ، ولكن السيد سعيد كان يأمل من جراء ارتباطه مع بريطانيا أن ينال تأييدها[٣]. ونستطيع أن نقدر مدى التضحيات المادية التي تكبدها السيد سعيد نتيجة لاشتراكه مع بريطانيا في قمع تجارة الرقيق إذا عرفنا أنه كان يتحصل على مايقرب من

---

(١) Guillain, op. cit. Tome I P. 238. See also Burton, op. cit. vol. I P. 295.

(٢) Ruete, Emily : Memoire d'une Priccesse Arabe chapitne 20 See also Pearce, op. cit. P. 190.

(٣) Thomas, Berthram : Arab Rule under the Al Bu Said Dynasty P. 18.

١٠٠,٠٠٠ ريال سنويا من تلك التجارة [١] . ومن المعروف أن بريطانيا بدأت فى اتخاذ أولى خطواتها الفعالة لقمع تجارة الرقيق فى شرق إفريقيا حينما عقدت معاهدة ١٨٢٠ مع مشيخات الساحل العمانى حيث نصت المادة التاسعة من المعاهدة المذكورة على أن نقل الرقيق رجالا أو نساء أو أطفالا من سواحل شرق إفريقيا أو أى مكان آخر يعد قرصنة وسلبا ، ولما كانت سلطنة مسقط وزنجبار لم تشترك مع شيوخ الساحل العمانى فى التوقيع على تلك المعاهدة فقد أدركت بريطانيا أن الجهود التى بذلتها لقمع تلك التجارة ستكون عديمة الجدوى [٢] . ولعل ذلك هو الذى دفعها إلى عقد معاهدة ١٨٢٢ مع السيد سعيد وقد نصت تلك المعاهدة على تعهد السيد سعيد بالعمل على إيقاف تلك التجارة وأن يسمح لضباط البحرية البريطانية بتفتيش السفن العمانية ، كما وافق على تحريم بيع الرقيق للدول المسيحية ومصادرة السفن التى تشتغل بتلك التجارة من شرق خط يبدأ من الساحل الشرقى لإفريقيا إلى شرق جزيرة سقطرة وينتهى عند سواحل بلوخستان ، ومما تجدر الإشارة إليه أن معاهدة ١٨٢٢ لم تكن تهدف إلى الغاء تجارة الرقيق إلغاء تاما إذ أدركت بريطانيا بأنه من الصعوبة الغاء تلك التجارة وذلك لأن معظم موارد السلطان وموارد رعاياه تأتى من هذه التجارة ولذلك نجد أنه فى حين حرمت المعاهدة بيع الرقيق لرعايا الدول المسيحية بقى للسلطان حق الاشتغال بتلك التجارة فى الممتلكات التابعة له طالما لم تتعدالحدود التى رسمتها المعاهدة ولكن لم يلبث أن تدرج الوضع بمقتضى معاهدة ١٨٣٩ وهى المعاهدة التجارية التى عقدها السيد سعيد مع بريطانيا إذ ألحقت بها بعض المواد التى تختص بقمع تجارة الرقيق حيث نصت على توسيع حدود المنطقة التى يسمح فيها

---

(١) Lyne, op. cit. P. 39.

(٢) Heude, A Voyage up the Persian Gulf P. 24 London 1819.

للسفن البريطانية بتفتيش أو مصادرة السفن العمانية التي تشتغل بتجارة الرقيق[١]
ومما يسترعى الانتباه أن السيد سعيد رفض أن يأخذ من الحكومة البريطانية
أية تعويضات مادية عما سببته معاهدات الغاء تجارة الرقيق من خسائر فادحة
وكان ذلك تأكيدا لدوافعه الإنسانية ومن ناحية أخرى دفعته صداقته
للإنجليز، تلك الصداقة التي دامت نصف قرن ، إلى تقديم الكثير من الهدايا
لبريطانيا تأكيدا وتوثيقا لروابط الصداقة التي ربطت بينه وبينها ، وتعزى
الهدايا المفرطة التي كان يقدمها السيد سعيد عن طيب خاطر إلى نوع من
الكرم العربي أو رغبة منه في الظهور في المجال الخارجي فقد رشحته الحكومة
البريطانية ليكون عضو شرف في الجمعية الآسيوية الملكية في عام ١٨٣٥ اعترافاً
بوقوفه معها في الحركة المناهضة للرق وتقديرا للجهود التي يبذلها لإدخال
الحضارة وتقدم العلوم في بلاده، وليس من شك في أن اشتراك السيد سعيد
مع بريطانيا في قمع تجارة الرقيق في شرق إفريقيا أظهر اسمه في المجتمع
الدولي وإن كان ذلك كلفه الكثير من الهدايا السخية التي قدمها لحكومة
الهند أو للملكة فيكتوريا التي عاصرت النصف الثاني من حكمه وكان أبرز
ما قدمه لحكومة الهند كبرى سفن أسطوله وتنازله للملكة فيكتوريا عن جزر
كوريا موريا[٢] .

على أن السيد سعيد لم يقصر علاقته ببريطانيا وإنما أدى توسيع دائرة
عملياته الاقتصادية إلى دخوله في علاقات مع الدول الأخرى كما شجع الأجانب
على الإقامة في بلاده ومنحهم الكثير من التسهيلات التجارية وتأسست الكثير
من القنصليات الأجنبية في زنجبار . غير أننا لانتفق مع ماذكرته بعض
المصادر من أن النشاط الاقتصادي لم يكن ضارا إذ أفادت منه السلطنة

---

(١) Colomb : Slave Catching in the Indian Ocean pp. 373—374. See also Bombay Govt, Selection from the Records — Slave Trade vol. XXIV pp. 636—637.

(٢) Pearce, op. cit. P. 133. See alse Ruetc R., Said Bin Sultan P. 139.

فائدة كبيرة إذ فى تقديرنا أن التدخل الأوربى الاقتصادى كان تمهيداً للتدخل السياسى والعسكرى السافر[1]، وليس أدل على ذلك من أن الدول الأوربية التى مارست فى شرق إفريقيا نشاطا إقتصاديا قد مهدت لنفسها السبيل لاستعمار الشرق الأفريقى واقتسام ممتلكات السلطنة العربية فيما بينها ففى حركة تقسيم إفريقيا نجد أن الدول التى قامت بالشئون التجارية أو التبشيرية فى بداية الأمر هى نفسها التى اقتسمت مناطق النفوذ فيما بينها . ولعل مما يستلفت النظر أن الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت بفضل علاقاتها الودية بالسيد سعيد أن تنافس غيرها من الدول الأجنبية فى المجال التجارى وتذكر إحدى المصادر فى صدد العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وسلطنة زنجبار أن أحد التجار الأمريكيين ويدعى إدموند روبرتس Roberts كان يلاقى الكثير من المتاعب فى زنجبار ونظرا للإجراءات المعقدة وتأخر المعاملات وما اعتبره قيوداً تبعث على السخط بالاضافة إلى المعاملة المجحفة التى يتعرض لها التجار الأمريكيون إذا ما قورنت بمعاملة التجار الإنجليز الذين لم يكونوا ليرغمون على بيع بضائعهم لوكلاء السلطان أو دفع عمولة باهظة أو رسوم ميناء؛ نظرا لهذا كله حنق هذا التاجر لدرجة أنه كتب احتجاجا مؤلفاً من عدة صفحات وجهه إلى السيد سعيد الذى أجابه بأنه من الممكن التغلب على تلك الصعاب بعقد معاهدة مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ وفى عام ١٨٣٣ تلقى روبرتس تفويضا من الرئيس الأمريكى أندرو جاكسون لكى يعقد تلك المعاهدة . ويذكر جيان أن عقد هذه المعاهدة لقى هوى فى نفس السيد سعيد لتعامله مع دولة كبيرة وفى عام ١٨٣٥ قامت الولايات المتحدة الأمريكية بفتح قنصلية لها فى زنجبار عينت عليها أحد التجار الأمريكيين ويدعى ريتشارد واترز [٢] .

وتعتبر معاهدة ١٨٣٣ من معاهدات الود والصداقة والتجارة وكانت تنص على إبقاء العلاقات الودية بين البلدين والتأكيد على حرية التجارة

---

(١) Coupland, Exploitation of East Africa P. 9.

(٢) Lyne, op. cit. P. 33.

بالنسبة لرعايا الطرفين وتمتع التجار الأمريكيين بكافة المزايا التجارية الممنوحة للدولة الأكثر رعاية كما نصت المعاهدة أيضاً على تعيين قناصل يستقرون فى موانى السلطنة ويقومون بالحكم فيما ينشب بين الرعايا الأمريكيين من خلافات كما يقومون بتصفية ممتلكات الأمريكيين الذين يموتون فى ممتلكات السلطان ، ولكى يقوم القناصل الأمريكيون بتلك الأعباء كفلت لهم المعاهدة بعض الحماية التى تمكنهم من القيام بها ؛ كما نصت المعاهدة أيضا بأنه إذا حدثت مخالفات من أحد أولئك القناصل لقوانين البلاد فيمكن مخاطبة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الذى يبادر بسحب القنصل وتعيين آخر بدلا منه[١] .

والواقع أن عقد هذه المعاهدة أفسح المجال للولايات المتحدة الأمريكية لكى تقوم بنشاط تجارى واسع فى زنجبار ومن المؤكد أن السيد سعيد استفاد فائدة كبيرة من النشاط التجارى الذى كان يقوم به الأمريكيون حتى أن معظم الدخل الذى كان يتحصل عليه السيد سعيد كان من عائد التجارة الأمريكية وفيما يبدو أن السيد سعيد كان مرتاحاً للأمريكيين وكان يتوق إلى تشجيع نشاطهم الذى كان مجرداً فى ذلك الوقت من الأطماع السياسية ففى عام ١٨٣٣ كان يرغب فى نشر إعلان فى الولايات المتحدة الأمريكية يغدق فيه الكثير من الامتيازات على التجار الأمريكيين لكى يشجعهم على التوافد إلى بلاده بيد أن الأمريكيين المشتغلين أصلا بالتجارة فى زنجبار عارضوا ذلك على اعتبار أن نشر تلك الدعوة سيجعل الكثير من التجار الأمريكيين يفدون إلى زنجبار مما يعرضهم لفقد الكثير من ثرواتهم[٢]. وعلى الرغم أن من العلاقات بين السيد سعيد والولايات المتحدة الأمريكية ركزت على المعاملات التجارية إلا أن هناك ما يؤكد أن السيد سعيد كان يتوق إلى مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية للتوسع فى موزمبيق أو فى

---

(١) Burton, R. op. cit. vol. I P .295.

(٢) Guillain, op. cit. Tome I pp. 198—199.

تثبيت سلطته فى ممتلكاته بشرق افريقيا ومما يؤكد ذلك أن بريطانيا اعتراها الكثير من الشك حول مسلك السيد سعيد مع الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة أن المعاهدة الأمريكية فتحت المجال أمام صداقة سياسية جديدة قد تكون على الرغم من ثقته الكبرى بأصدقائه الإنجليز ذات منفعة فى يوم ما ولربما لعبت دورا ضدهم ومن أجل ذلك بادرت الحكومة البريطانية بارسال إحدى سفنها الحربية تحت قيادة الكابتن هارت إلى زنجبار لكى يستوضح حقيقة الموقف ، ولكن السيد سعيد لم يلبث أن أظهر لهارت صدق نواياه واستعداده التام لأن يعقد معاهدة مع بريطانيا تماثل تلك المعاهدة التى عقدها مع الولايات المتحدة الأمريكية وتقرير الكابتن هارت عن رحلته هذه إلى زنجبار والتى قام بها فى عام ١٨٣٤ مسجل فى الوثائق المنشورة لحكومة بومباى وقد حرص هارت أن يسجل فى تقريره قوة السيد سعيد البحرية التى قدرها بسبع سفن حربية تتراوح حمولتها بين عشرة وأربعة وسبعين مدفعاً ولكنه ذكر افتقار السيد سعيد إلى ضباط أكفاء لقيادة تلك السفن[١] . ومن المؤكد أن هارت قد حرص طوال إقامته فى زنجبار على أن يبدى اعجابه بسفينة السيد سعيد ليفربول التى كانت تعد أقوى قطع الأسطول العمانى حتى أن السيد سعيد اضطر إلى أن يقدمها هدية للإنجليز وطلب من هارت أن ينوب عنه فى تقديمها إلى جلالة ملك بريطانيا وليم الرابع كعربون لإخلاصه وصداقته الوطيدة ، وقد ألحقت تلك السفينة بالأسطول الملكى البريطانى ومجاملة للسيد سعيد غير اسمها إلى الإمام[٢] .

والواقع أن هارت لقى معاملة طيبة من السيد سعيد وتحقق بنفسه من صدق إخلاصه للإنجليز فقد ذكر فى تقريره أنه يميل كثيرا إلى كل ما هو

---

(١) Bombay Govt. op. cit. Captain Hart's visit to Zanzibar vol. XXIV P. 277.

(٢) Lyne, op. cit. P. 18. See also Whigham. Persia and the Persian Problem P. 15.

إنجليزى وكان يفخر بقوله إن جميع ما عنده من سروج هى من صنع بريطانيا ويظهر أنه كان يود أن يعتبر نفسه إنجليزيا فى كل شىء وكان كثيرا ما يقول إنه ينظر إلى الانجليز على أنهم إخوة له وأنه على استعداد لكى يعطيهم مكانا فى بلاده (١) . كما أكد هارت حرصه على تشجيع التجارة الإنجليزية على الرغم من الحقيقة الواقعة وهى أن الغالبية العظمى من السفن التجارية فى زنجبار كانت سفنا أمريكية . وفضلا عن القلق الذى ساور الحكومة البريطانية من نشاط الأمريكيين فقد كانت تشك أيضا فى حقيقة التجارة الأمريكية فى الشرق الأفريقى فقد جاء فى تقرير أحد الضباط الإنجليز أنه يتهم الأمريكيين بالذهاب إلى الشرق الأفريقى حيث يقومون بحمل الرقيق إلى البرازيل وأمريكا اللاتينية (٢) . ومن المؤكد أن تأثير بريطانيا على السيد سعيد كان سببا فى اضمحلال التجارة الأمريكية فى الشرق الأفريقى حتى جاء الوقت الذى بدأ يعامل فيه القنصل الأمريكى معاملة غير طيبة وهكذا رأت بريطانيا أن تعيد صلاتها بالسيد سعيد خوفاً من انصرافه إلى غيرها من الدول ولعل ذلك ما دفعها إلى عقد معاهدة ١٨٣٩ التى كانت شبيهة إلى حد كبير بالمعاهدة الامريكية لعام ١٨٣٣ إذ نصت على حرية التجارة وألا يفرض من المكوس الجمركية أكثر من ٥ ٪ وأن يتمتع رعايا كل من الدولتين إزاء الدولة الأخرى بمعاملة الدولة الأكثر رعاية كما نصت المعاهدة أيضا على أنه فى حالة قيام حرب ضد بريطانيا أو السلطنة فيجب أن يمتنع رعايا كل من الدولتين عن حمل معدات الحروب والقتال إلى الدولة المعادية (٣) . كما أعطت المعاهدة امتيازات أكثر للقناصل الانجليز فيما يتعلق بالسلطة القضائية فبينما كانت المعاهدة الأمريكية تنص على أن سلطات القنصل القضائية لا تتعدى الرعايا الأمريكيين كانت المعاهدة

---

(١) Bombay Govt., op. cit. vol. XXIV P. 277.

(٢) Coupland R. East Africa & It's Invaders P. 364.

(٣) Younghusband, Glimpses of East Africa P. 238. See also Coupland, op. cit. P. 378.

البريطانية تمنح القنصل البريطانى سلطة الفصل بين الرعايا البريطانيين وغيرهم . ومما يسترعى الانتباه أن بريطانيا أخذت تشارك بنشاط موفور فى تجارة شرق إفريقيا وبادرت بتأسيس قنصلية لها فى زنجبار عقب التوقيع على المعاهدة وعينت الكابتن أتكنز همرتون Hamerton ليكون وكيلا سياسيا وقنصلا لها فى زنجبار بمعنى أنه كان قنصلا من قبل حكومة جلالة الملكة فيكتوريا ووكيلا سياسيا من قبل حكومة بومباى[1] . وليس من شك أن النفوذ البريطانى فى شرق إفريقيا أخذ يتزايد تزايداً ملحوظاً عقب تأسيس القنصلية البريطانية فى زنجبار وقد علق لين بصدد ذلك بقوله إن وجود قنصل بريطانى فى زنجبار شجع عدداً كبيراً من الهنود على التوافد إلى شرق إفريقيا كما بلغت العلاقات بين السيد سعيد والكابتن همرتون أقصى ازدهارها حتى أن السيد سعيد كان يعتبره ناصحه الأمين ! وكثيرا ما كان يعهد إليه بالاشراف على الحكم فى الشرق الأفريقى مع ابنه خالد لدى قيامه بتفقد شئون ممتلكاته فى عمان [2]. كما كانت تتم عن طريق همرتون جميع المراسلات بين الحكومة البريطانية والسلطان كما كان على القنصل البريطانى القيام بكثير من الأعباء التى كان من أهمها تفقد الرعايا البريطانيين من الهنود المقيمين فى الشرق الأفريقى والذين تزايدت أعدادهم حتى بلغت عدة آلاف كما كان عليه تمثيل الحكومة البريطانية فيما يتعلق بقمع تجارة الرقيق ومحاكمة السفن التى تشتغل بتلك التجارة . ومما تجدر الاشارة إليه أن القنصل البريطانى فى زنجبار كان يقوم بوظيفة مزدوجة مما كان يضفى على مركزه أهمية خاصة ولكن مهامه لم تكن سهلة بطبيعة الحال إذ لم يكن يحدث دائما أن تتفق السياسة التى تنتهجها حكومة الهند مع التعليمات التى كانت تصدرها حكومة لندن .

وعلى الرغم من أن تعامل السيد سعيد مع دولتين كبيرتين قد قوى مركزه

---

(١) Burton, op. cit. vol. I P. 315.

(٢) Colomb, op. cit. pp. 282—284.
See also Lyne, op. cit. P. 34.

فى مجال العلاقات الخارجية الدولية وأشبع غروره إلى درجة لم يعد ينظر فيها إلى فرنسا كدولة يعتمد عليها أو يرجو من ورائها نفعا إلا أننا يجب أن نلاحظ أن عقد المعاهدة الأمريكية فى عام ١٨٣٣ والمعاهدة البريطانية فى عام ١٨٣٩ كان لا بد أن يعطى فرنسا الفرصة لكى تطالب بقدر من الامتيازات على غرار غيرها من الدول الأخرى ، وخاصة أن مركزها كان يبدو أكثر تفوقا فى شرق إفريقيا حين أعلن الفرنسيون فرض الحماية على مدغشقر وامتد نفوذهم إلى جزيرة نوسيبى[١]. ولا شك أن هذه الأمور أثارت السيد سعيد وتخوفه لما قد ينتج عن ذلك من تهديد الفرنسيين لممتلكاته فى شرق إفريقيا وبدا ذلك واضحا فى عام ١٨٤٠ حينما قدمت بعض قطع الأسطول الفرنسى إلى زنجبار وكان السيد سعيد فى مسقط فى ذلك الوقت واستقبل ابنه هلال السفن الفرنسية وقدم له الفرنسيون مطالبهم بتأسيس قلعة وبناء قنصلية فى زنجبار وابقاء قواعد عسكرية فى براوة ومقديشيو ولكن هلال قدم اعتذاره بأنه ليست لديه السلطة لكى يتفاوض معهم فى أمور خطيرة فى غياب والده[٢] .

والملاحظ أن السيد سعيد كان حريصا على استخدام صداقته للانجليز لدفع الأطماع الفرنسية عن ممتلكاته فى شرق افريقيا ولكننا نلاحظ مع ذلك أنه على الرغم من كتابته إلى بالمرستون وزير الخارجية البريطانية يوضح النفوذ الفرنسى الذى أصبح يهدد ممتلكاته إلا أنه من ناحية أخرى أخذ يعمل على كسب صداقة الفرنسيين . وأكبر الظن أن السيد سعيد وقد عركته التجارب حاول استخدام الضغوط الفرنسية لمساومة الانجليز من ذلك ماذكره همرتون القنصل البريطانى فى زنجبار أن الفرنسيين يلحون فى الحصول على معاهدة تجارية بيد أنه يخشى أن لا يقنع الفرنسيون بنفس الشروط التى تضمنتها معاهدة ١٨٣٩ بينه وبين بريطانيا وتساءل عن موقف بريطانيا فيما لو منح الفرنسيين امتيازات أكثر من تلك الامتيازات التى منحها للانجليز ؟ وحينما كتب همرتون إلى اللورد أبردين وزير الخارجية البريطانية يطلعه على ذلك الأمر أعرب االورد أبردين عن عدم رغبة الحكومة البريطانية فى التدخل فى شئون

---

(١) تقع هذه الجزيرة على مسافة مائة ميل إلى الشمال الغربى من مدغشقر .

(٢) Coupland, op. cit. P. 422.

المعاهدات التى يزمع السلطان ابرامها مع الفرنسيين أو غيرهم ولكن بشرط أن يطبق على بريطانيا نفس الامتيازات التى تمنح وذلك استنادا على نص معاهدة ١٨٣٩ . ومما هو جدير بالذكر أن المعاهدة الفرنسية مع السلطنة أبرمت فى عام ١٨٤٤ ؛ وقد وصف أحد الباحثين فى القانون الدولى[١] تلك المعاهدة بأنها كانت نصرا كبيرا للسياسة الفرنسيه وكانت تعنى عودة ازدهار العلاقات بين فرنسا وسلطنة مسقط وزنجبار بعد انكماش تلك العلاقات منذ ١٨١٠ على أثر سقوط جزيرة موريس فى أيدى الانجليز . ومما يذكر أيضا أن فرنسا بادرت بتأسيس قنصلية لها فى زنجبار على أثر ابرام تلك المعاهدة وأخذت سفن السلطنة العربية تصل فى رحلاتها التجارية إلى الموانى الفرنسية كما نتج عن تلك المعاهدة أيضا تأسيس الكثير من البيوتات التجارية الفرنسية التى أصبح لها نشاطا ملحوظا فى تجارة الشرق الأفريقى ومن أبرزها بيت رابو **Raboud** وفيدال **Vidal** وغيرهما[٢] .

ولم تقتصر علاقة الدول الأجنبية بالشرق الإفريقى على التجارة وحدها بل كان هناك مجال آخر فيما يتعلق بالحركات الاستكشافية والتبشيرية . وكثير من المستكشفين والمبشرين أشادوا برعاية السيد سعيد لهم واعتمدوا على نفوذ السلطنة العربية فى التوغل داخل الأقاليم الإفريقية وقد تحدث كرابف **Krapff** فى الكتاب الذى وضعه عن الأعمال التبشيرية فى شرق إفريقيا عن التسهيلات الكثيرة التى منحها السيد سعيد له وأنه كان يزوده بحاميات للحراسة وبرسائل للرؤساء التابعين له فى الداخل . والجدير بالذكر أن كثيراً من المؤسسات التبشيرية الإنجليزية والفرنسية قد اضطلعت بشئون التبشير فى شرق إفريقيا وتأسست الكثير من المدارس والمراكز التبشيرية فى الساحل والداخل[٣] . وكما لقى المبشرون عناية السيد سعيد ورعايته فقد وجدها أيضا المستكشفون

---

(١) Kajare (Firouz), op. cit. P. 98

(٢) Coupland R., op. cit. P. 425.

(٣) McMillan (Mona), op. cit. P. 167.

الأوربيون الذين قاموا بكشوفهم الجغرافية مسترشدين بما أوجده التجار العرب من المراكز التجارية فى دواخل شرق إفريقيا وقد نوه المستكشف البريطانى ريتشارد بيرتون Burton عن أهم هذه المراكز الحضارية ودور السلطنة العربية فى تقدم حركة الكشوف الجغرافية فى شرق إفريقيا (١). ونحن إذا ما عرضنا لتلك البعثات الأوربية التى اتخذت شكل غزو تبشيرى واستكشافى وماكان قد سبق ذلك من نشاطات اقتصادية للدول الأجنبية استطعنا أن ندرك جيدا مقدار الخطر الذى كان يتربص بممتلكات السلطنة العربية فى إفريقيا وليس من شك أيضا فى أن آمال السيد سعيد فى تكوين إمبراطورية عربية إفريقية لم تلاق النجاح الذى كان يريده لها بل إن آماله فى تأسيس تلك الامبراطورية كانت مسئولة عن إهماله إلى حد كبير لممتلكاته فى الخليج والجزيرة العربية وكانت المحصلة النهائية تفكك ممتلكاته فى كل من عمـــان وشرق إفريقيا إذ انفصل إقليم صحار فى عام ١٨٣٩ كما كثرت الثورات الأباضية وتعددت الغزوات السعودية . ويمكن التعرف على مبلغ ماوصلت إليه منزلة السيد سعيد بقراءتنا لإحد التقارير التى بعث بها همرتون إلى حكومة الهند فى عام ١٨٤١ حيث يذكر « أن الامام سعيد لايظهر إلا قليلا من العناية بممتلكاته فى جزيرة العرب وأن نفوذه فى عمان الداخلية قد ولى دون رجعة بسبب الطابع الواهن لحكومته وهو مايعرفه ويشعر به » . ومن الطبيعى أنه كان من الصعب على السيد سعيد الاحتفاظ بدولة بشقيها الإفريقى والآسيوى فى غمار القرن التاسع عشر ؛ ذلك القرن الذى شهد تفوق قوة أوربا العسكرية والصناعية وشهد هذا الرتل الطويل من المستكشفين والرواد والمبشرين والتجار الأوربيين الذين انتهوا إلى تلك الحقيقة وهى أن هناك أمكنة فى إفريقيا صالحة للاستغلال وأنها قارة جديرة بالامتلاك والسيطرة ، وهكذا شاءت الظروف أن تصطدم رغبة السيد سعيد فى تأسيس إمبراطورية عربية فى شرق إفريقيا مع رغبة الدول الأوربية فى السيطرة على تلك القارة واستعمارها واقتسامها فيما بينها ، ويمكننا فى هذا المجال أن نستعير ماذكره بيرس Pearce

(١) Burton, R., op cit. vol. I P. 34.

فى تعليقه على امبراطورية السيد سعيد فى شرق إفريقيا فى أنه ولد متأخرا خمسمائة عام ! وفى وقت غير ملائم لتحقيق تلك الآمال التى كان يحرص عليها[1]. ومهما قيل عن فشل السيد سعيد فى المحافظة على ممتلكاته فى عمان أو فشله فى الابقاء على إمبراطوريته فى شرق إفريقيا إلا أن الأمر الذى لاشك فيه أنه فى خلال السنوات التى قضاها فى شرق إفريقيا ترك تأثيره الملحوظ فى تلك البلاد حتى أصبحت شهرة السيد سعيد فى العالم الخارجى ترجع إلى حكمه فى زنجبار أكثر مما ترجع إلى حكمه فى عمان .

(١) Pearce, op. cit. P. 120.

الفصل السادس

التنظيمات القبلية في الساحل الجنوبي للخليج العربي

التركيبة القبلية فى الساحل الجنوبي للخليج العربي – اتحاد القواسم – المجموعات القبلية المنتمية إليه – عوامل ظهوره إلى القوة والتفوق – أصل القواسم وتاريخ وجودهم فى المنطقة – النشاط البحرى للقواسم – اتحاد بنى ياس – المجموعات القبلية المنتمية إلى بنى ياس – امتداد بنى ياس من واحة الليوا إلى أبو ظبى – هجرة البوفلاسة إلى دبى – أثر السياسة البريطانية فى تفكيك اتحادى القواسم وبنى ياس وتكريس الكيانات الاقليمية فى المنطقة .

* * *

الفصل السادس

التنظيمات القبلية فى الساحل الجنوبى للخليج العربى

تتميز التركيبة القبلية للساحل الجنوبى للخليج العربى بقدر كبير من التعقيد بالإضافة إلى التفتت والتمييع الشديدين اللذين تتسم بهما، حيث ينقسم السكان فى ولاءاتهم النسبية إلى عشرات من العشائر قد لا يتجاوز عدد أفراد البعض منها عن مائتى فرد وتتجمع العشائر الصغيرة تحت زعامة عشيرة بارزة تفرض عليها سيطرتها وهيمنتها ، فتوكل اليها تلك العشائر الصغيرة مقاليد أمورها وتسمى المجموعة القبلية حينئذ باسم العشيرة الحاكمة . بيد أن هذه الحالات لاتحدث عادة إلا بين العشائر المستقرة التى تحترف الزراعة أو الصيد لأنها بطبيعتها الحياتية تكون أكثر تشبثا بالأرض وأكثر خضوعا للقوة العسكرية. ولذلك فإن العشيرة الحاكمة غالبا ماتمثل الجناح العسكرى فى المجموعة القبلية التى تتزعمها ، ولا يحترف أفرادها سوى القتال . وكثيرا ماتغير العشائر الصغيرة ولاءاتها أو تستقل كليا عن القبيلة الكبرى ولا سيما إذا ضعفت المصالح المشتركة بينها وبين المجموعة المنتمية إليها أو إذا ما انتفت الضرورات الحربية أو تدخلت عوامل خارجية كما سنشير الى ذلك عند حديثنا عن بنية القبيلتين الرئيسيتين فى المنطقة وهما القواسم وبنوياس اللذان سيطرا على الساحل الجنوبى للخليج العربى فى المنطقة التى تشكل حاليا دولة الامارات العربية المتحدة (١) .

---

(١) شاكر خصباك : مجتمع يتغير – دولة الامارات العربية المتحدة دراسة مسحية شاملة معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة ١٩٧٧ ص ٥٣٩ .

ومن المفيد أن نشير إلى أن الاتحادين الكبيرين القواسم وبنو ياس برزا إلى القوة حول منتصف القرن الثامن عشر ، وتقاسما السلطة السياسية فيما بينهما القواسم فى القسم الشمالى ، وبنو ياس فى القسم الجنوبى من الساحل العمانى ولا يعنى هذا الانقسام أن هناك خلافا بين القبائل الشمالية والجنوبية إذ أن الفروق العنصرية والسلالية تكاد تكون منعدمة فيما بينهم ، وحتى إذا كانت القبائل الجنوبية — كما يرى بعض الباحثين — تنتمى إلى العناصر الحامية فإن ذلك لا يميزها بسمات إثنولوجية خاصة والمفروض أن تكون الفروق بين المجموعتين فروقا ثقافية أساسا بحكم طبيعة الحياة التى يحياها كل من الفريقين[1] . ولذا قد يكون من المفيد أن نعرض لهذين الاتحادين على النحو التالى :

أولا : اتحاد القواسم

شجع قيام هذا الاتحاد حول منتصف القرن الثامن عشر ثلاثة عوامل يمكن أن نبرزها فيما يلى :

العامل الأول : يرتبط بفقدان القوة البحرية المتفوقة للبرتغاليين منذ السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، وهذا العامل فيما نعتقد كان سببا أساسيا فى ظهور ونمو القوى العربية البحرية فى الخليج العربى ، حقيقة أنه قد أعقب انهيار النفوذ البرتغالى ظهور قوى أوربية جديدة كالهولنديين والإنجليز والفرنسيين إلا أن هذه القوى الأجنبية لم يكن هدفها تأسيس إمبراطوريات على الطراز البرتغالى وإنما وجهت نشاطها بشكل متزايد للتجارة وأعلنت كسر سياسة الاحتكار البرتغالى وبذلك ترك المجال مفتوحاً أمام القوى العربية النامية لكى تمارس نشاطها الملاحى والتجارى ولكنها بطبيعة الحال لم تستطع أن تقف منافسة لهذه القوى الأوربية الجديدة التى أصبحت تملك السفن الكبيرة والشركات الضخمة وتستحوذ على تجارة الشرق ومن ثم وجهت نشاطها المعادى لها باعتبارها سببا فى حرمانها من موارد ثروتها[2] .

---

(١) نفسه ص ٥٣٨/٥٣٩ .

(٢) راجع بصدد ذلك مقدمة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لكتاب الخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠-١٩٤١ الدكتور جمال زكريا قاسم .

أما العامل الثانى فيرتبط بانهيار دولة اليعاربة فى عمان ، حقيقة أن دولة اليعاربة استطاعت منذ قيامها أن تعمل على تجميع القبائل العربية للقضاء على التفوق البرتغالى ولكى تعيد إلى عمان تماسكها ووحدتها ، إلا أنها لم تلبث أن تعرضت لتمزق داخلى بين قبائلها الهناوية والغافرية وحينما قامت دولة آل أبى سعيد بانتصار الاتحاد الهناوى على الاتحاد الغافرى أخذت المعارضة ضد الحكم الجديد تتجمع فى المناطق الشمالية ذات الأصول العدنانية مما كان سببا فى نشأة الاتحاد القاسمى[1]. والعامل الثالث الذى أفسح المجال لنشاط ذلك الاتحاد يرتبط بحالة الاضطرابات والفوضى التى تعرضت لها فارس على أثر اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧[2]، وفى خضم هذه الفوضى وقع الأسطول الفارسى فى أيدى القواسم، حيث كان عدد كبير من بحارتهم يتولون قيادة هذا الأسطول منذ تأسيسه على عهد نادر شاه[3].

ومما ينبغى الإشارة إليه أن اتحاد القواسم كان يشمل عدداً كبيراً من العشائر التى كانت تنضوى تحت لواء القواسم ومن بين هذه العشائر آل على ويقيمون بصفة رئيسية فى مدينتى رأس الخيمة والشارقة كما يقيم عدد منهم فى أم القوين حيث تنتمى إليهم الأسرة الحاكمة فى تلك الإمارة كذلك ضم الاتحاد القاسمى قبائل المهرة التى تقيم فى رأس الخيمة وعشائر البومهير الذين يقيمون فى معظم المدن الساحلية التى تتبع الاتحاد القاسمى وهناك أيضا آل زعاب الذين يقيمون فى رأس الخيمة وجزيرة الحمراء فى مدينة كلبا وهم من العشائر المستقرة التى يشتغل معظم أفرادها بالزراعة ولاسيما زراعة

---

(١) Bombay Govt. Selection from the Records vol. XXIV P. 300 ff CF. Warden, Francis, Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs 1747 -1818 Bombay 1856.

(٢) صالح العابد : دور القواسم فى الخليج العربى ١٧٤٧ / ١٨٢٠ صص ٣٦ / ٣٧ بغداد ١٩٧٦ .

(٣) Factory, Records, Persia and the Persian Gulf CF. Gombroon Diary Feb. 1734—July 1734.

النخيل . ومن القبائل المنتمية للاتحاد القاسمى قبيلة الحبوس الذى يقيم أفرادها فى المناطق الجبلية الشمالية من إمارة رأس الخيمة وخاصة فى ميناء رمس الذى يقع شمال رأس الخيمة فيا وراء مرتفعاتها ، وكذلك قبائل الشحوح الذين يتوزعون فى المناطق الجبلية من رأس الخيمة ، والمطاريش الذين يقيمون فى سهل الباطنة فى مدينة الشارقة ويحترفون الزراعة والصيد وإلى جانب تلك القبائل المنتمية إلى القواسم يمكن الاشارة أيضا إلى الخواطر الذين يقطنون رأس الخيمة كما يشكلون فرعا القسم الجنوبى من قبيلة النعيم التى يقيم معظم أفرادها فى منطقة الظاهرة . كذلك يضم اتحاد القواسم بنى قتب وهم عشائر بدوية فى المقام الأول يتركز أفرادها فى إمارة الشارقة ، وآل بوخريبان وهم فرع آخر من قبيلة النعيم يتركز أفرادها فى إمارة عجمان [١] .

ويتضح لنا من هذا التنوع الهائل فى المجموعات القبلية المنتمية للقواسم أنهم لم يكونوا قوة بحرية فحسب وإنما كانوا يتمتعون بالاضافة إلى ذلك بالقوة البرية التى كانت القبائل البدوية تشكل عمادها ومن أبرزها قبيلة بنى قتب السابق إشارتنا إليها وقبائل الغفلة . وإن كانت الصفة البحرية قد غلبت على اتحاد القواسم ؛ نظرا لتوجيه معظم القبائل المنتمية إليه فضلا عن الزعامة القاسمية ذاتها كل نشاطها إلى البحر حتى أصبح الاتحاد القاسمى يشكل قوة بحرية متفوقة خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر [٢] .

وينتمى القواسم إلى المذهب السنى ومن الناحية الطائفية إلى عرب الشمال

---

(١) من المفيد الرجوع إلى التشكيلات القبلية فى الساحل الجنوبى للخليج العربى فى الدراسة التى وضعتها شعبة البحث بشركة الزيت العربية الأمريكية بعنوان عمان والساحل الجنوبى للخليج « الفارسى » — القاهرة ١٩٥٥ .

(٢) جون كلى : بريطانيا والخليج جـ ١ ص ٣٤ وكذلك .

Bombay Govt. op. cit. Warden, F. Historieal Sketsh of the Joasmee Tribe of Arabs vol. XXIV Bombay 1856.

أو التكتل الغافرى بيد أن هناك العديد من الآراء التى ذكرت عن أصـــل القواسم ومن أين جاءوا إلى المنطقة .

وهناك من المصادر من ترجعهم بأصولهم إلى قبائل نجد وهناك مصادر أخرى تصل فى تخصيصها إلى أبعد من ذاك حين ترجعهم إلى قبائل آل ظفير وذلك فيما يبدو استناد خاطىء إلى ما أشار إليه الشيخ حسين بن غنام مؤرخ غزوات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكذلك عثمان بن بشر[1] حين تحدثا عن غزوة قام بها الشيخ فى أرض الحجرة عام ١٢٠٩ هـ (١٨٠٥) ، على القواسم من آل ظفير الذى كان يتزعمهم ابن عفيصان ومن المؤكد أن ابن غنام وابن بشر كانا يشيران إلى قبائل أخرى من القواسم تقع بين نجد والعراق وليست قواسم الساحل العمانى إذ أن زعيم قواسم الساحل العمانى فى ذلك الوقت كان الشيخ صقر بن راشد وليس ابن عفيصان والأهم من ذلك أن قواسم آل ظفير كانوا معادين للحركة الوهابية على عكس قواسم الساحل العمانى الذين أيدوا الوهابيين حينما وصلوا إلى سواحلهم . وهناك من الباحثين من يرجع القواسم إلى منطقة الصير بعمان وإذا تحقق هذا الرأى فإن هذا يعنى أن استقرار القواسم فى عمان لم يكن استقرارا حديثا وإنمـــا كان ذلك فى فترة بعيدة فى التاريخ وأن امتدادهم إلى الساحل الجنوبى حدث فى فترات تاريخية تالية[2] . إذ أن هناك مصادر كثيرة ترجع قدوم القواسم إلى الساحل الجنوبى للخليج فى أوائل القرن الثامن عشر وأن انتشارهم امتد من موساندوم إلى الديرة من أعمال دبى[3] . وهناك من المصادر تعتبر القواسم

---

(١) الشيخ حسين بن غنام : تاريخ نجد المعروف بروضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٨٨ — ١٨٩ وكذلك عثمان ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ص ص ١٠٢ — ١٠٣ انظر أيضا عبد القوى فهمى : القواسم ص ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢) Bombay Govt. op. cit. Hisrorical Sketsh of Joasmee Tribe of Arabs P. 300ff vol. XXIV By Francis Warden Bombay 1856.

(٣) السالمى وناجى عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ١٩٩ .

فرعا من عرب الهولة — وهى قبائل تقطن الساحل الشرقى من الخليج العربى بين بوشهر وبندر عباس بالاضافة إلى جزر البحرين التى تعد المعقل الرئيسى لعرب الهولة ولعل ما ذكره صمويل ميلز Miles من انتماء القواسم إلى عرب الهولة على نحو ما ذكره ابن رزيق دفعت به خطأ إلى أن يقرر أنهم وفدوا من فارس وأقاموا فى الساحل الشرقى للخليج ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الساحل العربى المقابل[١] ، واستند فى ذلك على ما ذكره الشيخ منصور وهو طبيب إيطالى دخل فى خدمة السيد سعيد بن سلطان وتسمى بذلك الاسم العربى فى أنهم وصلوا إلى الساحل الجنوبى للخليج من مراكزهم الرئيسية فى خرج ولفت [٢] . أما الرحالة كارستن نيبور فقد أشار إلى انتماء بعض القبائل الساكنة فى الساحل الجنوبى من الخليج العربى إلى عرب الهولة ولعله كان يقصد بذلك القواسم حيث يذكر أن شيوخ الصير بعمان ينتمون إلى تلك القبائل[٣] . وهناك مصادر أخرى ترجع القواسم إلى الميناء التجارى القديم سيراف ومنه انتقلوا إلى مسقط بعد الانهيار الذى تعرض له ذلك الميناء ولذلك عرفوا فى مسقط باسم بنى السيرافى واستقر بعضهم فى ميناء صور بينما توجه قسم آخر إلى رأس الخيمة ، وتشير مصادر أخرى إلى نسبتهم لقبيلة نزار وهى فصيلة من بنى غافر كانت قد هاجرت من أواسط الجزيرة العربية وأقامت فى عمان منذ القرن السابع عشر الميلادى وهناك فريق من القواسم يؤكدون على أنهم شرفاء ينحدرون من قريش ومن السلالة النبوية الشريفة[٤] . ولعل ذلك ما يؤكد الرأى القائل أنهم يرجعون إلى قبيلة بنى ناصر[٥] وهى قبيلة عربية كانت تقطن على يسار الكعبة المشرفة . والقواسم باتفاق النسابين عرب عدنانيون ذكرت بعض المصادر

---

(١) صالح العابد : مرجع سبق ذكره ص ٦٥ .

(٢) Shaikh Mansour, History of Seyyid Said P. 31—32.
pp. 267–269.

See also Miles, countries and tribes of the Persian Gulf p p. 267-269

(٣) Niebuhr, C. Travels in Arabia vol. II p. 143—144.

(٤) صالح العابد : مصدر سبق ذكره ص ٦٥ .

(٥) جمال زكريا قاسم : الإدعاءات الإيرانية فى الخليج العربى من أعمال المؤتمر الدولى التاريخ بغداد ١٩٧٣.

المحلية نسبتهم إلى القاسم بن شعوة المزنى وهو الذى أخرجه الحجاج بن يوسف الثقفى إلى عمان يقـود جيشاً لحرب سليمان بن عباد الجلندى فى القرن الأول الهجرى وهذا يعنى أن القواسم قدماء بأرض عمان ومنها انتشروا فى القبائل العربية واختلطوا بها فى أماكن عـديدة فى صور والساحل الشرقى للخليج بالاضافة إلى الساحل العربى[1] ؛ حيث ظهرت زعامتهم على عهد زعيمهم كايد بن عدوان فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى وكان ذلك حين أراد الشاه عباس الكبير مقاتلة البرتغاليين فى هرمز فاستعان بالعناصر العربية على الساحل الفارسى ووجد مساعدة الشيخ كايد الذى انتقل منذ ذلك الوقت إلى جلفار (رأس الخيمة) وهى التى عرفها الملاحون العرب باسم رأس الخيمة .

يتضح لنا مما سبق اختلاف آراء المصادر فى أصل القواسم مع ملاحظة أن الكتاب الفرس يركزون على انتماء القواسم إلى الساحل الشرقى للخليج فى محاولة لوضع أسس للادعاءات الفارسية على الساحل العمانى ولكن القواسم باتفاق معظم المصادر عرب اقحاح ينتمون إلى القبائل النجدية وإلى الغافرية بصفة خاصة . ويؤكد ذلك ما قرره الكابتن سيتون **Seton** وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية فى مسقط وكان ذلك فى بداية اهتمام الشركة بالقواسم ورغبتها فى تحرى وجمع المعلومات عنهم كما يؤيد ذلك القول أيضا انضمام القواسم إلى القبائل الغافرية فى صراعها ضد القبائل الهناوية وسرعة اعتناق القواسم للدعوة الوهابية مما يؤكد أصولهم النجدية[2] . وحتى إذا اعتمدنا على ماذكرته بعض المصادر من انتماء القواسم إلى الساحل الشرقى للخليج فإن ذلك الساحل كان مركز تجمع القبائل العربية وذلك قبل أن تعمل إيران بعد نمو الحركة القومية بها فى أعقاب الحرب العالمية الأولى على تفريس العناصر العربية التى تقطن على سواحلها منذ عهد رضا شاه بهلوى .

---

(١) سالم بن حمود السيابى : إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم ص ٣٧ دمشق ١٩٧٦ . انظر أيضا ابن رزيق الفتح المبين ص ٢١٤ .

(٢) عبد القوى فهمى : القواسم ونشاطهم البحرى ١٧٤٧ — ١٨٥٣ ص ٣٩ — ٤٠ .

وإذا كان هناك خلاف حول أصل القواسم فإن الغموض أيضا يكتنف بداية ظهورهم ، وثمة فرق بين ما نعنيه بالقواسم فى حد ذاتهم وبين اتحاد القواسم الذى كان يشتمل على قبائل أخرى غير القواسم ، وإذا أخذنا بالمفهوم الثانى فإن الاتحاد القاسمى لم يظهر إلى القوة إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى وكان يعد من أكبر التجمعات القبلية التى شهدتها منطقة الخليج العربى بل إن وثائق حكومة بومباى تؤكد أن معظم القبائل القاطنة فى الساحل الجنوبى من الخليج قد نسبت إلى القواسم مما يدل على اتساع نفوذ ذلك الاتحاد وهيمنته على المنطقة وعلى أجزاء لا يستهان بها من الساحل الشرقى المقابل . أما عن القبيلة الرئيسية وهى القواسم فإن انتمائها إلى المنطقة يعود إلى فترة بعيدة فى التاريخ وبصدد ذلك تذكر وثائق حكومة بومباى أن القبائل العربية ساندت مالك بن فهم عند وصوله إقليم عمان وكان ذلك عقب انهيار سد مأرب فى اليمن [١] وهناك رواية أخرى تؤكد وصول القواسم إلى الساحل الجنوبى للخليج حول القرن السابع الميلادى أما القواسم أنفسهم فإنهم يروون عن أسلافهم بأنهم وصلوا المنطقة واستقروا بها منذ فترات بعيدة فى التاريخ [٢] . وأصدق الروايات ترجيحا أنهم وجدوا فى المنطقة منذ عهد عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفى كما سبق أن أشرنا إلى ذلك [٣] .

وتختلف الروايات التاريخية عن المعقل الرئيسى للقواسم وزعمائهم الأول فإحدى هذه الروايات تنسب إلى زعيم القواسم الأول الشيخ قاسم بنائه لمدينة رأس الخيمة حيث تذكر أنه نصب خيمته فى نقطة تقع على الساحل العربى مقابل مدينة جلفار بحيث كانت تراها جميع السفن المارة فى الخليج ومن ثم

---

(١) Bombay Government, S.R.B,G. vol. XXIV P. 4

(٢) عبد القوى فهمى : مرجع سبق ذكره ص ٤١ .

(٣) المفصل فى تاريخ الإمارات العربية جـ ١ ص ٦٢ راجع أيضاً ابن رزيق : الفتح المبين ص ٢١٤ الذى يطلق عليهم فى ذلك الوقت عرب نزار .

أطلق البحارة على ذلك المكان اسم رأس الخيمة ، فى حين تؤكد رواية أخرى أن القواسم ينتسبون إلى الشيخ رحمة الذى لقب بكايد بن عدوان لسطوته وجبروته . وتؤكد وثائق بومباى على أن الشيخ كايد وليس الشيخ قاسم هو الذى بدأ الاستقرار فى ذلك المكان الذى تطور إلى مدينة تحمل اسم رأس الخيمة . وعلى الرغم من أن هذه الروايات ترجع إلى القرن السابع عشر الميلادى إلا أنه من المؤكد أن مدينة رأس الخيمة كانت أسبق فى الظهور من هذا التاريخ ومما يؤكد لنا ذلك أن الملاح العربى شهاب الدين أحمد بن ماجد قد ذكرها باسم جلفار فى بعض مؤلفاته الملاحية فى القرن الخامس عشر الميلادى حيث أورد اسمها صراحة كواحدة من الموانى العربية فى أرجوزته الشهيرة عن بنادر بر العرب فى خليج فارس [1] . ومهما يكن من أمر فان تركيز المصادر على القواسم يرجع إلى القرن الثامن عشر الميلادى حين بدأ دورهم البحرى يظهر بوضوح وخاصة حين انتهزوا فرصة الغزو الأفغانى لفارس ١٧٢٢ فسيطروا على جزيرة قشم كما برزوا أيضاً إلى مجال القوة فى الفترة التى أعقبت اغتيال نادر شاه وقبل ذلك فى خلال الصراع بين الكتلتين الهناوية والغافرية فى عمان حيث وقف زعيم القواسم الشيخ رحمة بن مطر إلى جانب الزعيم محمد بن ناصر الغافرى ضد خلف بن مبارك الهناوى فى الصراع العنيف الذى دار بينهما ويؤكد ابن رزيق [2] ، أن الزعيم محمد بن ناصر الغافرى استقدم فى عام ١٧٢٣ بدوا من الشمال كما جاءت امدادات من جلفار وأميرها يومئذ هو الشيخ رحمة بن مطر حيث أوكل إليه قيادة إحدى فرقه ولكن على أثر مقتل الزعيم محمد بن ناصر انكمش القواسم فى منطقة الصير حتى قدمت حملة فارسية على عمان فى عام ١٧٣٧ فاستسلموا لها فى بداية الأمر ولكنهم لم يلبثوا أن هاجموها مع غيرهم من القبائل ووجد أحمد بن سعيد

---

(١) أورد ابن ماجد ثغور جلفار وسيراف وهرمز من سواحل الخليج العربى — انظر أنور عبد العليم : ابن ماجد الملاح ص ١٦٤ .

(٢) ابن رزيق : الفتح المبين ص ٣٦٨ ويطلق ابن رزيق على القواسم أهل الصير .

والى اليعاربة على صحار تعاوناً كبيراً منهم حيث استعان بهم فى مهاجمة ميناء بندر عباس ولكن لم يلبث أحمد بن سعيد بعد أن عقدت الإمامة له وأتم تخليص المقاطعات العمانية من الفرس أن أخذ اعتماده يتزايد على الكتلة الهناوية ومن ثم وقف الغافريون ومن بينهم القواسم موقف المعارضة من حكمه مما أثار نزاعاً كبيراً بينه وبين القواسم؛ وإن كانت المصالح المشتركة حتمت فى كثير من الأحيان اتفاقه وتعاونه معهم ولكن ذلك لم يمنع زعيم القواسم رحمة بن مطر من إعلان إستقلاله بحكم المناطق التى آلت إليه فى الساحل العمانى وبذلك يعاصر الاتحاد القاسمى نشأة دولة آل أبى سعيد وسقوط دولة اليعاربة فى عمان . واضطر الامام أحمد بن سعيد إلى الاعتراف للقواسم بسيادتهم الفعلية وذلك بعد سلسلة من المعارك العنيفة التى دارت بينهما [1] .

استطاع القواسم منذ منتصف القرن الثامن عشر أن يمتدوا بنفوذهم من رأس مسندم حتى دبى كما امتدت سيطرتهم على بعض الموانى والجزر الواقعة على الساحل الشرقى للخليج وخاصة جزيرة قشم وكنج ولنجه [2]. كما تمكنوا من تجميع أسطول كبير حيث سقطت كثير من السفن الفارسية تحت أيديهم بالاضافة إلى ما كانوا يستولون عليه من السفن الأوربية بسبب عملياتهم البحرية المتنامية . وبوفاة الشيخ رحمة بن مطر فى عام ١٧٥٨ تولى زعامة الاتحاد القاسمى الشيخ راشد ابن مطر حتى عام ١٧٧٧ وفى عهده زادت قوة القواسم البحرية وتمكنوا من السيطرة على كثير من الموانى والجزر الواقعة على الساحل الشرقى للخليج مستغلين فى ذلك حالة الضعف التى كانت تعانيها فارس فتمكنوا من السيطرة على جزيرة قشم ولفت ولنجه فى عام ١٧٦٥ كما سيطروا على شيناص التى تقع على ساحل الباطنه وفى عام ١٧٧٢ تحالف الشيخ راشد بن مطر مع الإمام

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ص ٢٥٧ . معهد الدراسات العربية — القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) المفصل فى تاريخ الإمارات جـ ١ ص ٢١٤ .

أحمد بن سعيد ضد الفرس ثم عاد وتنازع معه فى عام ١٧٧٥ وبعد ثلاثين عاما من الحكم تنازل الشيخ راشد عن مشيخة القواسم لابنه صقر بن راشد الذى استمر قائماً بالحكم فيما بين عامى ١٧٧٧ و ١٨٠٣ وفى عهده تم التحالف بين القواسم وبنى معين وهم قبيلة عربية كانت تحكم فى قشم وهرمز حيث تزوج الشيخ صقر من ابنة الشيخ عبد الله بن معن مما أعطى القواسم قوة بحرية ضخمة تمكنوا بها من السيطرة على الشئون التجارية والعسكرية فى الخليج وتأكدت لهم تلك السيطرة على أثر اغتيال كريم خان الزندى ١٧٧٩ وما ترتب على ذلك من تردى فارس فى مشاكلها الداخلية ، وحينما اعتزل الشيخ صقر مشيخة القواسم فى عام ١٨٠٣ وصل إلى الزعامة الشيخ سلطان بن صقر وقدر له أن يتمتع بحكم طويل استمر أكثر من نصف قرن حيث توفى فى عام ١٨٦٦ وشهد حكمه أحداثا خطيرة فى تاريخ المنطقة ولم يكن عهده مستمراً إذ أنه عزل بضع سنوات من قبل السعوديين حينما اتجه إلى التحالف مع السيد سعيد سلطان مسقط وكان مما ساعد السعوديين على عزله عدم تقبل القواسم لهذا التحالف ، ولكن الشيخ سلطان تمكن أن يسترد حكمه بعد أن فر من سجنه بالدرعية ووصل إلى مسقط عن طريق اليمن[١] حيث وجد أطرافاً عديدة كانت على استعداد لتقديم العون له وعلى الأخص السيد سعيد والإنجليز ومحمد على حين بدأت قواته تطرق شبه الجزيرة العربية وتتجه للوصول إلى سواحلها ، وعلى الرغم من عودته إلى الحكم إلا أنه لم يستطع أن يعيد الاتحاد القاسمى إلى سابق وحدته حيث ظهرت زعامتان للقواسم إحداهما فى رأس الخيمة وعلى رأسها الشيخ حسن بن رحمة والأخرى فى الشارقة التى استقر بها الشيخ سلطان بن صقر منذ عام ١٨١٦ واستمر ذلك الوضع قائماً حتى قام الانجليز بحملتهم العسكرية على رأس الخيمة فى عام ١٨١٩ حيث نجح الشيخ سلطان بن صقر فى الانتقال إلى رأس الخيمة بعد أن أمده الانجليز بأموال لاعادة بنائها بشرط أن يمتنع عن مهاجمة السفن الانجليزية طبقاً

---

(١) Bombay Government, S.R.B.G. vol. XXIV pp. 305 SQ.

لشروط معاهدة السلام العـــامة التى وقعت مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٢٠ [١] .

والفترة التى برز فيها القواسم كقوة بحرية ضاربة يمكن تحديدها بين عامى ١٧٤٧ و١٨١٩ وفى خلال هذه الفترة أقلق القواسم بريطانيا ولم يتوانوا عن مهاجمة أية سفينة تحمل العلم البريطانى سواء كانت تابعة للانجليز أو لرعاياهم كما أخذ القواسم على عاتقهم تحدى النفوذ البريطانى الذى بدأ يتسرب إلى المنطقة حيث امتاز القواسم بالصلابة والشجاعة وحب المغامرة حتى اضطر الانجليز فى بداية الأمر إلى دفع ترضيات للقواسم مقابل المرور فى مياههم ولكن عندما شعر الانجليز أن فى مقدورهم مهـــاجمة القواسم بعد تصفية صراعاتهم مع الدول الأجنبية وبعد تثبيت نفــــوذهم فى الهند رفضوا دفع الأموال لهم واعتبروا دفاع القواسم عن سواحلهم ومياههم عملا من أعمال القرصنة واتهموا القواسم بأنهم قراصنة حقيقيون همهم سلب السفن التجارية وقطع العلاقات بين الشرق والغرب [٢].

وعلى نحو ما أشرنا نجح القواسم فى تأكيد سيادتهم على المنطقة الساحلية الممتدة من موساندوم إلى ديرة دبى وظهرت وانتعشت فى منطقة نفوذهم هذه الكثير من الموانى التى كان من أبرزها بطبيعة الحال معقلهم الرئيسى فى رأس الخيمة ، والشارقة التى كانت تعتبر القاعدة الثانية للقواسم ، وجزيرة الحمراء وأم القوين والحمرية وعجمان ، كما امتدت سيطرة القواسم أيضاً على الساحل الفارسى حيث ضموا إليهم ميناء لنجه وماحوله من جزر وزادت قوة القواسم بانضمام آل على وهم المعلا حكام إمارتى أم القوين والفجيرة اللذين كانا من توابع القواسم . كما انضم إلى الاتحاد القاسمى قبيلة آل نعيم بفخوذها الأربعة آل بوخريبان الذين أصبحوا الفخذ الحاكم فى إمارة عجمان والفخذ

---

(١) عبد القوى فهمى : مرجع سبق ذكره ص ٤٧ .

(٢) السالمى وناجى عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ٢٠٠/٢٠١ .

الثانى وهم آل بوشامس زعماء النعيم ؛ والفخذ الثالث الخواطر فى رأس الخيمة ، والرابع بنومعين فى جزيرة جسم[1]. والجدير بالذكر أن السلطة التى كان يمارسها زعماء القواسم على مناطق نفوذهم وعلى القبائل القاطنة فيها لم تكن سلطة استبدادية أو مطلقة فعلى الرغم من أن الشيخ الأعلى للقواسم كانت له السلطة العليا على القبائل الداخلة فى اتحاد القواسم إلا أنه كان لكل ميناء من تلك الموانى التى سبق أن أشرنا اليها شيخه الذى يمارس الحكم فيه وفقا للأسلوب القبلى وإن كان يدين بالولاء للشيخ الأعلى ، كما كانت تتم مناقشة القضايا العامة بانعقاد مجلس كبير يرأسه الشيخ الأعلى ويضم الشيوخ التابعين وكبار رجال القبائل وفى ذلك المجلس كانت تقرر الحلول للقضايا موضوع البحث[2] . كما أن هناك قيد آخر كان يحول دون استبدادية الشيخ وهذا القيد يتمثل فى العادات والأعراف القبلية المتعارف عليها والتى كان يتحتم على الشيخ مراعاتها لابقاء ولاء القبائل التابعة له . كما كان الشيخ الأعلى مضطرا إلى أن يسلك سياسة مرنة تجاه القبائل البدوية الموالية له خشية من تغيير ولائها ، كما كانت تكمن قوة الشيخ القاسمى فى سيطرته على النواحى الاقتصادية والعسكرية فهو المهيمن على المراكز التجارية الهامة فى المنطقة ناهيك عن امتلاكه لقوة ضاربة فى البر والبحر مكنته من السيطرة على المنطقة الخاضعة له [3] . وكان القواسم بسبب ظروف بيئتهم القاسية يعتمدون على البحر فى كسب معيشتهم وفى البحر أيضاً كانوا يمارسون معظم نشاطهم السياسى والاقتصادى حيث ساعدتهم طبيعة الساحل المعروفة بكثرة تعاريجها وخلجانها وأخوارها وألسنتها الرملية وجزرها المغمورة على إيجاد موانى طبيعية مارسوا فيها نشاطهم البحرى والعسكرى. ومع ذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن الطابع العسكرى لم يكن هو الطابع المميز للقواسم وخاصة فى الفترة

---

(١) فالح حنظل : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٦٤ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الأسس التاريخية لوحدة الامارات العربية من أعمال ندوة تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة — مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت مارس ١٩٨١ .

(٣) صالح محمد العابد : مرجع سبق ذكره ص ٧٣ .

التى سبقت اصطدامهم بالقوى الأجنبية منذ نهاية القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر فمن المعروف أن القواسم كانوا يمارسون أنشطة سلمية عديدة خاصة صيد اللؤلؤ والتجارة والأسفار البعيدة التى كانوا يقومون بها إلى سواحل الهند وشرق افريقيا(١). وقد استلفت نشاط القواسم السلمى والحربى نظر العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة خلال تصاعد قوتهم البحرية ولعل من أهم أولئك الرحالة الأوربيين كارستن نيبور الذى زار المنطقة فى عام ١٧٦٥ وقدم لنا صورة حية عن نشاط القواسم البحرى ، كما أكد بكنجهام الذى زار المنطقة فى أوائل القرن التاسع عشر صحة المهارة والمثابرة والإخلاص فى عهودهم وسجل ذلك فى الجزء الثانى من كتابه المعروف رحلات فى أشوريا وميديا وفارس(٢) . وتعتبر كتابات بكنجهام من أهم الكتابات التى تحدثت عن القواسم فى القرن التاسع عشر خاصة وأنه كان شاهد عيان لبعض الأحداث والوقائع التى كتب عنها إذ أنه زار رأس الخيمة فى عام ١٨١٦ والتقى بزعيم القواسم حسن بن رحمة وذلك بعد الاطاحة بالشيخ سلطان بن صقر من قبل السعوديين كذلك تناول الأدميرال لو Low فى كتابه عن تاريخ البحرية الهندية نشاط القواسم والمتاعب التى كان يتعرض لها الأسطول الإنجليزى فى الهند نتيجة اعتداءاتهم وهناك من الرحالة الذين تحاملوا على القواسم فى الوقت الذى نجد فيه رحالة آخرين أبدوا إعجابهم بما كانوا يتمتعون به من قوة بحرية ولعل الرحالة ولستد Wellsted قد اتصف بالموضوعية عند حديثه عن القواسم على عكس الرحالة هود Heude التى تتسم كتاباته عن القواسم بالكراهية الشديدة

---

(١) Buckingham. Travels in Assyria, Media and Persia vol II P. 210—211 London 1830. See also Miles op. cit. vol. II P. 442.

(٢) Buckingham, op. cit. pp. 210—211.

ويؤكد لو فى كتابه أن القواسم امتدوا بعملياتهم البحرية حتى سواحل الهند انظر .

Low, charles, History of the Indian Navy vol. I P.352 ff.

والتحامل العنيف عليهم أما كتابات الشيخ منصور Vincenzo فتتصف بقدر كبير من الموضوعية رغم أنه كان يعمل فى خدمة السيد سعيد أعدى أعداء القواسم ويشابه الشيخ منصور فى كتاباته الموضوعية كل من ايتشيسون وفريزر حيث أكد الأول على ممارسة القواسم لتجارة بحرية نشيطة ومربحة حتى اصطدموا ببريطانيا منذ أوائل القرن التاسع عشر[١] . أما فريزر فقد أكد على صفة الشجاعة والنخوة والحمية التى تميز بها القواسم وإن وصف عملياتهم بالسلب والقرصنة .

ولعل ما يسترعى انتباهنا النشاط السلمى الذى كان يتميز به القواسم قبل اتجاههم إلى الناحية العسكرية ولكن هذا النشاط أخذ يضعف نتيجة تأسيس الشركات التجارية الكبرى التى ظهرت فى بداية عصر التوسع الاستعمارى فى بحار الشرق وامتدت تلك الشركات بفروعها ووكالاتها التجارية ونشاطاتها الإقتصادية والسياسية إلى منطقة الخليج العربى ولما كانت البيئة قاحلة والمنافسة التجارية غير متساوية فقد بدأت المنطقة التى يسيطر عليها القواسم تعانى أنماطا من الفاقة مما جعل القواسم يتصدون للسفن التجارية المحملة بالثروات التجارية والتى كانوا لا يستطيعون منافستها بطبيعة الحال وعلى الرغم من أن القواسم كانوا يجنون أموالا طائلة من نشاطاتهم البحرية هذه التى أطلقت عليها كثير من المصادر الأجنبية تعبير السلب أو القرصنة[٢] إلا أن هدفهم الرئيسى كان مركزاً حول الانتقام من القوى الأجنبية التى عاث ممثلوها البرتغاليون فسادا لسنوات عديدة فى سواحلهم [٣] ومن ناحية أخرى فإن طبيعة القواسم البحرية كانت نتيجة طبيعية لنمط حياتهم وحرفتهم الرئيسية فهم يقومون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ فى أوقات السلم غير أن هذه الأعمال تقتصر

(١) Aitchison, A Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neigbouring Countries vol. XII P. 352 Calcutta 1909.

(٢) CF Kemball A,, observation on the past policy towards the Arab Tribes of the persian Gulf S.R.B.G. vol. XXIV. P. 61 ff.

(٣) شاكر خصباك ، بحث سبق ذكره ص ٥٤٢ .

على أشهر معدودة فى السنة أما فى خلال فصل الشتاء فإن قسوة البحر على الشواطىء المفتوحة كانت تحول بينهم وبين مزاولة مهنتهم بنجاح بينما تقل الزراعة فيعانون من جراء ذلك ببطالة شاملة . ونتيجة لتلك الظروف البيئية أخذ القواسم يسيطرون على النشاط البحرى فى المنطقة وبرزت سيطرتهم الواضحة خلال القرن الثامن عشر ومكنهم من ذلك انحسار الموجة البرتغالية الاحتكارية وعدم وجود قوى بحرية مجاورة فاليعاربة انهارت قوتهم البحرية نتيجة صراعاتهم الداخلية وفقدت فارس نفوذها البحرى بعد اغتيال نادرشاه ومن ثم انفسح المجال أمام القواسم لكى يديروا الحركة الملاحية بين موانى الخليج من ناحية وبين تلك الموانى وموانى الهند والشرق الإفريقى من ناحية أخرى .

وحينما أخذت القوى الأجنبية بما فيها بريطانيا تتجه إلى السيطرة على تجارة الشرق كان من الطبيعى أن يعجز أسطول القواسم عن منافسة الشركات البريطانية وغيرها ومن ثم تحول نشاط القواسم منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى الناحية العسكرية فقاموا بمغامرات بحرية بهدف الاستيلاء على السفن التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية التى كانت تمـــر بسواحلهم مما جعل المصادر الأجنبية تطلق على هذه العمليات التعبير الذى استخدم فى ذلك الوقت وهو القرصنة ، وكما سبق أن أشرنا أن الأوربيين على اختلاف جنسياتهم مارسوا القرصنة فى المحيط الهندى منذ ظهور البرتغاليين فى القرن السادس عشر الميلادى واستمر أسلوب القرصنة شائعاً حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى حتى أن فرنسا كانت على سبيل المثال ترخص لبعض بحارتها المشهورين بالجرأة والمغامرة بمهاجمة سفن الأعداء والحصول على الغنائم التى تنتج عن ذلك لحسابهم الخاص ، ولعل ذلك هو أهم فرق بين القرصنة والحروب الرسمية ، أى أنه إذا تم الاستيلاء على السفن لحساب الدولة فإن ذلك يكون من أمور الحرب المتعارف عليها ، أما إذا إستولى أفراد

لحسابهم الخاص على الغنائم فإنها تصبح بذلك قرصنة، وإذا طبقنا هذا المفهوم فى القانون الدولى على منطقة الخليج العــربى فى تلك الفترة فإن العمليات العسكرية التى كان يقوم بها القواسم كانت تعتبر من الحروب الرسمية . وذلك لأن القواسم وصلوا إلى درجة لا بأس بها فى التنظيم السياسى ومن ناحية أخرى فإن القبيلة فى المفهوم الاجتماعى السائد كانت تشكل وحدة سياسية رسمية، وعلى الرغم من أن بريطانيا لم تعترف بذلك، حتى تتيح لنفسها القضاء على ما وصل إليه القواسم من قوة عسكرية وبحرية إلا أنها عادت واعترفت بالقبيلة كتنظيم سياسى ؛ يدل على ذلك أنها عقدت معها المعاهدات والاتفاقيات . والخلاصة أن النشاط البحرى للقوى العربية فى الخليج وخاصة تلك الأنشطة التى كان يقوم بها القواسم فى البحر كانت صورة لما يقع من علاقات بين القبائل فى البر وإذن فإن تلك الأنشطة كانت تتم لحساب القبيلة وبذلك لا يمكن اعتبارها قرصنة إذا أخذنا مفهوم القبيلة على أنها صورة للدولة فى مجتمعات الخليج والجزيرة العربية [1]. وقد استطاع القواسم أن يحرزوا شهرة بحرية لا تضارع وساعدهم على ذلك الموقع الجغرافى فالساحل الذى يسيطرون عليه كثير التعاريج ومن ثم كان يسهل على القوارب الصغيرة التابعة للقواسم أن تتخذ منه ملاجئ طبيعية لها، ومما تجدر الاشارة إليه أنه بسبب مزاولة القواسم للأعمال البحرية المعادية للسفن الأجنبية فقد أطلق الأوربيون على الساحل الممتد من رمس جنوبا إلى دبى شمالا اسم ساحل القرصان Pirate Coast وعلى الرغم من أن منطقة نفوذ القواسم لم تتعد ميناء دبى إلا أن هذا الاسم قد استخدم بمدلول أوسع ليشمل الساحل الممتد من رمس إلى أبو ظبى بل تعدى ذلك إلى شبه جزيرة قطر .

---

(١) لعل من أهم المؤلفات العربية التى ناقشت هذه الفكرة ، التيارات السياسية فى الخليج العربى للدكتور صلاح العقاد ص ٩٠ / ٩٢ وعبد العزيز عبد الغنى : بريطانيا وإمارات الساحل العمانى ص ١٣٨ وما بعدها (ط) البصرة . وعبد الأمير محمد أمين وصالح العابد ومصطفى النجار.وجمال زكريا قاسم فى مؤلفاتهم المختلفة عن الخليج . راجع قائمة المصادر .

ثانيا : اتحاد بنى ياس

شكل هذا الاتحاد التحالف القبلى الثانى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى إذ امتدت سيطرة قبائل ذلك الاتحاد من جنوب قطر على طول الساحل إلى دبى ولم يقتصر الأمر على الساحل فحسب بل امتد نفوذ بنى ياس إلى منطقتى الظاهرة والبريمى . وقد تزعمت عشيرة بنى ياس ذلك الاتحاد وهى عشيرة برزت إلى مجال الزعامة منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادى[١] ؛ وامتلكت قبيلة آل بوفلاح السلطة السياسية والعسكرية فى ذلك الاتحاد وعلى الرغم من أن مصدر قوة بنى ياس هى القوة البرية وليست البحرية كما هو الحال بالنسبة لاتحاد القواسم ، ومع ذلك فقد استطاع بنو ياس أن يكونوا لأنفسهم قوة بحرية لا يستهان بها بالاضافة إلى قوتهم البرية وحدث ذلك حينما تحولوا إلى الساحل واتخذوا من جزيرة أبو ظبى مركزا لهم . ومما تجدر الاشارة إليه أن اتحاد بنى ياس ، مثله فى ذلك مثل اتحاد القواسم ، ليس قبيلة واحدة وإنما كان يتألف من عشرين قبيلة تتراوح بين القبيلة الصغيرة والكبيرة مع التسليم بأن قبيلة بنى ياس كانت أضخم قبائل ذلك التنظيم[٢] بل كانت من أكبر القبائل التى ظهرت فى منطقة الساحل الجنوبى للخليج العربى . ويعتقد كثير من الباحثين أن قبيلة بنى ياس قبيلة حديثة التواجد نسبيا فى أرض الظفرة ولا سيا فى منطقة الليوا إذ تذكر إحدى هذه المصادر أن قبيلة بنى ياس لا يتعدى تواجدها فى المنطقة أكثر من ثلاثة قرون حيث تقاسمت هى وقبيلة المناصير العيش فى واحة الليوا التى تتكون من حوالى خمسين قرية سكنتها القبيلتان اللتان تحالفتا فيما بينهما وتزعم هذا التحالف عشيرة آل بوفلاح التى كانت تمثل القلب البدوى المحارب فى هذا التحالف القبلى ، وينتسب آل بوفلاح

---

(١) راجع بصدد ذلك S.R .B.G. vol. XXIV Benyias Tribe P. 461 ff

(٢) Miles, S., Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II P. 438.

إلى بنى ياس[١]. ولعل أول إشارة ذكرت عن بنى ياس فى واحة الليوا تمتد إلى عهد اليعاربة فى السنوات الأولى من القرن السابع عشر وذلك فى مخطوطة عمانية قديمة نشرها روس تسمى كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة المؤرخ سعيد بن سرحان الأزكوى[٢] . وعلى الرغم من أن المنطقة الرئيسية التى استقر فيها بنو ياس قبل أن تنضم إليهم العشائر الأخرى هى منطقة الظفرة إلا أن سهولة تحرك القبيلة على رقعة واسعة من الأراضى بسبب طبيعتها البدوية المتنقلة قد مكنت زعيمها نهيان من مد نفوذه إلى جهات واسعة فى الداخل ومن المعروف أنه حكم خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ويعد الحاكم الثالث من تلك العشيرة إذ سبقه بطبيعة الحال المؤسس الأول وهو الشيخ ياس التى أخذت القبيلة اسمها منه ثم الشيخ فلاح الذى ينتسب إليه آل نهيان[٣]. على أنه مما يستلفت النظر عدم ارتباط اتحاد القواسم وبنى ياس فيما بينهما على الرغم من الظروف الخارجية التى كانت تهدد المنطقة خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ولعل تفسير ذلك يرجع إلى انتماء بنى ياس إلى الكتلة الهناوية وانتماء القواسم إلى الكتلة الغافرية مما أدى إلى قيام صراعات فيما بينهم وإن كانت المصالح المشتركة حتمت فى كثير من الأحيان قيام علاقات حسن الجوار بين الاتحادين[٤] .

وقد يكون من المفيد أن نعرض فيما يلى إلى أهم القبائل والفصائل التى يتشكل منها اتحاد بنى ياس وهى على الوجه التالى :

---

(١) محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الاولى ص ٩٨ .

(٢) CF. Ross, Annals of Oman by Said Bin Sirhan 1874.
انظر أيضاً مخطوطة المعولى : قصص وأخبار جرت فى عمان ورقة ٦٤ حيث جاء ذكر بنى ياس وبدو الظفرة فى عام ١٠٤٣ هـ خلال الصراع العمانى ضد البرتغاليين .

(٣) انظر شجرة أنساب بنى ياس فى المجلد الثانى من كتاب دولة الامارات العربية المتحدة وجيرانها الدكتور محمد مرسى عبد الله — الكويت ١٩٨١ .

(٤) شاكر خصباك : بحث سبق ذكره .

— البوفلاح، وهى عشيرة كما سبق أن أشرنا تمثل القلب البدوى المحارب لعشائر بنى ياس وهى تتألف من بطون عديدة لعل أبرزها آل نهيان فى أبو ظبى وآل محمد فى واحة ليوا ويطلق على البوفلاح لقب الشيوخ وهم فى العادة يمتلكون البساتين وقوارب الصيد وتجارة اللؤلؤ كما كانوا يمتلكون القطعان الكبيرة . ويختلف النسابة فى أصل آل نهيان فهناك من يقول أنهم من الدواسر وهى منطقة تقع غربى نجد ثم انتقلوا إلى الظفرة وأقاموا بين قبائل بنى ياس إلى أن أتيح لهم تكوين إمارتهم والتصدى لزعامة بنى ياس .

— الروا شد، وهم من أكبر أقسام قبيلة بنى ياس ويمثلون عنصرا أساسيا من عناصر السكان بها ويعتبر فرع البوفلاسة الذى ينتمى إليه آل مكتوم حكام دبى أهم فروع الرواشد[1] . والجدير بالذكر أن آل مكتوم انتقلوا إلى دبى منذ عام ١٨٣٣ .ويرى بعض الباحثين المحليين أن دبى كانت تابعة للقواسم قبل انتقال آل مكتوم إليها إلى أن اعترفت لهم بريطانيا بإمارة دبى [٢] . وإن كنا نعتقد أن دبى كانت تابعة لأبو ظبى حيث شارك حاكمها من آل نهيان فى التوقيـــع على معاهدة الصلح العامة فى عام ١٨٢٠ [٣] .

وإلى جانب هذين القسمين الكبيرين اللذين كان يتشكل منهما اتحاد بنى ياس ، ونعنى البوفلاح والرواشد ، كان هذا الاتحاد يشتمل على مجموعات قبلية عديدة كالهوامـــل والمناصير والمحارقـــة والقبيسات والرميثات والمزاريع وغيرها[٤]، وعلى الرغم من تعدد فصائل القبائل التى ينتمى إليها اتحاد بنى ياس إلا أن ذلك الاتحاد نجح فى أن يكون من أقوى التنظيمات

---

(١) السيابى : إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٦ .

(٣) راجع المعاهدة العامة فى ملاحق الكتاب .

(٤) من القبائل المنتمية إلى اتحاد بنى ياس آل بومهير وآل بوحمير والمرر والسودان والسبايس والقمزان . . . الخ .

القبلية من حيث التماسك إلى درجة جعلت البعض يعتقد أنهم عشائر لقبيلة واحدة وليست قبائل متحالفة أى أنها تعود إلى أصل واحد، وبطبيعة الحال ليس من المتوقع أن ترتبط القبائل المنضمة إلى ذلك الاتحاد بروابط القرابة ولكنها ترتبط بتواجدها ضمن منطقة معينة بتضامنها وخضوعها لزعامة قبلية موحدة .

ومما تجدر الاشارة إليه أن هناك اختلافا بين اتحاد القواسم واتحاد بنى ياس ، وذلك من حيث طبيعة الحياة التى يعيشها أفراد كل من النظامين فبينما كان يعتمد القواسم فى المقام الأول على النشاط البحرى والملاحى فإن مصدر سلطة الحكم لبنى ياس ومصالحهم قامت فى الدرجة الأولى على أسس إقليمية أوجغرافية ، وكما سبق الإشارة أن قبيلة بنى ياس استقرت فى بداية الأمر فى واحة ليوا التى تقع فى أعماق الظفرة وخلال الصيف كان ينتقل معظم أفراد القبيلة وعلى الأخص فصائل الرميثات والقبيسات إلى الجزء الشمالى من الساحل بحثاً عن الأسماك واللؤلؤ ولا تعود تلك الفصائل إلى موطنها الأصلى إلا بعد فترة القيظ أو الحصاد . وتؤكد بعض المصادر التاريخية[1] مساهمة بنى ياس فى التصدى للسيطرة البرتغالية اذ حينما أعلن الإمام ناصر بن مرشد إمام عمان من أسرة اليعاربة الجهاد الدينى لتخليص بلاده من البرتغاليين فى عام ١٦٢٤ وجد تجاوبا كبيرا من القبائل العربية حيث نجحت مجموعات من قبائل بنى ياس فى طرد البرتغاليين من القلعة التى أقاموها فى جلفار فى مواجهة رأس الخيمة ، كما شارك بنو ياس فى حركة الجهاد التى قادها سيف بن سلطان اليعربى وتعقب فيها البرتغاليين بعد طردهم من مسقط فى عام ١٦٤٩ إلى معاقلهم فى الهند وسواحل شرق إفريقيا ولعل أسرة المزروعى وهى إحدى فروع بنى ياس قد انتقل قسم منها منذ ذلك الوقت إلى ممبسة فى شرق افريقيا حيث أوجدت لنفسها تطلعات جديدة هناك ، وذلك حين عهد إليها اليعاربة حكم بعض مقاطعات

---

(١) Miles, S. The Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II P, 203. SQ.

الشرق الإفريقى واستمرت تمارس الحكم فى ممبسة حتى أطاح بها السيد سعيد بن سلطان فى عام ١٨٢٩[1] .

ومما يسترعى الإنتباه أن انهيار النفوذ البرتغـالى فى منطقة الخليج العربى أفسح المجال لبنى ياس كما أفسح المجال لغيرهم من القبائل فى إقامة تنظيمات سياسية مستقرة ويؤكد ذلك ما أشارت إليه وثائق حكومة بومباى إلى أنه فى عام ١٧٦١ سكنت مجموعات من بنى ياس جزيرة صغيرة عرفت باسم أبو ظبى وذلك على أثر إكتشاف مياه الشرب بها مماأفسح المجال لظهور تنظيم قبلى فى السواحل المجاورة لها أما قبل ذلك الوقت فلم تحاول تلك القبائل الاستقرار لطبيعتها البدوية من ناحية ولعدم التعرف على موارد المياه الصالحة للشرب من ناحية أخرى ،ولكن بدء عملية الاستقرار فى أبوظبى تبعها هجرة مجموعات أخرى من قبائل بنى ياس من واحة ليوافى الداخل إلى الساحل ولعل ذلك مكن لاتحاد بنى ياس أن يأخذ لنفسه الصفتين البرية والبحرية معاً، ومن الطبيعى بعد تزايد عدد السكان أن يفكر حكام بنى ياس فى رعاية شئون أتباعهم على الساحل ولعل الشيخ عيسى بن نهيان كان أول من تنبه إلى أهمية استقرار أتباعه على الساحل وعلى الرغم من أن ابنه دياب استمر يمارس حكمه من واحة ليوا فى الداخل إلا أن التحول الجديد كان يضطره إلى زيارة رعاياه على الساحل من وقت إلى آخر . وكان أهم خطر تعرض له تحالف بنى ياس حدث على عهد الشيخ دياب التى شهدت سنوات حكمه اضطرابات أسرية عنيفة حين تمكن ابن أخيه الشيخ هزاع بن زايد من إثارة بعض القبائل ضد عمه دياب وتطور الأمر إلى نجاحـه فى اغتيال عمه ١٧٩٣ ؛ ونتج عن ذلك الحادث انقسام تحالف بنى ياس إلى فريقين فريق كان يؤيد هزاع والفريق الآخر كان يؤيد شخبوط بن دياب ، وقد نجح أتباع شخبوط فى إعادة التماسك

---

(١) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا ص ١٩٤ — ١٩٥ .
انظر أيضاً :

Coupland, R. East Africa & It's Invaders P. 219

لبنى ياس حين تولى زعامة الاتحاد الشيخ شخبوط بن دياب فى عام ١٧٩٥[1] .

وكان أهم عمل قام به الشيخ شخبوط بن دياب الذى حكم خلال الفترة من ١٧٩٥ إلى ١٨١٦ هو الانتقال إلى جزيرة أبوظبى حين أقدم على نقل مركز حكمه من ليوا إليها ، وكان لتلك الخطوة أثر كبير فى تطور المنطقة الساحلية حيث أعطى أتباعه منفذا على البحر أدى إلى انعاش حياتهم الاقتصادية نتيجة اشتغالهم بالتجارة والصيد واستخراج اللؤلؤ كما كان عاملا فى تكوين حلف من القبائل الرئيسية فى المنطقة وخاصة بين بنى ياس والظواهر والعوامر والمناصير مما أضفى أهمية كبيرة على عهده لأن ذلك التحالف القبلى أدى إلى توسيع رقعة حدود إمارة أبوظبى شرقاً حيث بدأت جماعات من القبائل المنتمية لبنى ياس تقيم مع حلفائها الظواهر فى منطقة العين وما جاورها . وفى عام ١٨١٦ تنازل الشيخ شخبوط عن الحكم لإبنه محمد الذى حكم إمارة أبوظبى لمدة عامين ١٨١٦ — ١٨١٨ ثم خلفه أخوه طحنون ابن شخبوط الذى حكم خلال الفترة من ١٨١٨ — ١٨٣٣ ثم خليفة بن شخبوط الذى حكم خلال الفترة من ١٨٣٣ — ١٨٤٥ وسجلت السنوات الأولى من حكمه هجرة أعداد كبيرة من آل بو فلاسه من أبوظبى إلى دبى خلال موسم الغوص فى عام ١٨٣٣ .[2] . وكان يقود المهاجرين من آل بو فلاسة الشيخ عبيد بن سعيد ومكتوم بن بطى وفى دبى اشتركا معاً فى الحكم حتى مات عبيد فى عام ١٨٣٦ فأصبحت السلطة المطلقة فى يد مكتوم ابن بطى الذى تنسب إليه الأسرة الحاكمة فى دبى حتى وقتنا الحاضر[3] .

---

(١) محمد مرسى عبد الله : مرجع سبق ذكره ص ١٠١ .

(٢) Bombay Govt., op. cit. vol. XXIV. CF. Hennell, The Beniyas Tribes of Arab P. 463 . ff

(٣) جمال زكريا قاسم : إمارات قديمة ودولة حديثة — دولة الإمارات العربية المتحدة معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٧ . وعن هجرة البوفلاسة إلى دبى انظر —

ومما تجدر الاشارة إليه أن انشقاق البوفلاسة لم يكن هو الانشقاق الوحيد الذى تعرض له تحالف بنى ياس، إذ لم يكد يمضى عامان على هجرة البوفلاسة حتى أخذ اتحاد بنى ياس يتعرض مرة أخرى للتصدع بسبب هجرة القبيسات إلى خور العديد إلى الجنوب الشرقى من شبه جزيرة قطر على أنه مما يثير الانتباه أنه بينما تمكن البوفلاسة من تكوين إمارة خاصة بهم فى دبى فإن القبيسات لم يتمكنوا من أن يحققوا لأنفسهم مثلما حققه البوفلاسة ولعل ذلك يرجع إلى خوف بريطانيا من أن تستغل الدولة العثمانية الوضع لصالحها فتسيطر على خور العديد ، ولذلك بينما اعترفت بريطانيا بإستقلال البوفلاسة فى دبى إلا أنها لم تعترف بإستقلال القبيسات وكانت عاملا هاماً فى تحريض شيوخ أبوظبى على إعادة نفـوذهم على أتباعهم المنشقين من القبيسات [1].

ومما تجدر الاشارة إليه فى هذا المجال أن الاتحادين الكبيرين اللذين قاما فى الساحل الجنوبى للخليج وهما تحالف القواسم وتحالف بنى ياس ظهر تفككهما مع بداية الزحف البريطانى إلى المنطقة حيث بدأت فى الظهور تجمعات قبلية تنتمى إلى أسس إقليمية أو جغرافية ولا تنتمى إلى زعامة عشائرية قوية ، فالاتحاد القاسمى لم يلبث أن تفكك وظهرت على أنقاضه مجموعة من المشيخات وخاصة بعد عام ١٨٢٠ ، إذ أنه على أثر انهيار معقل القواسم فى رأس الخيمة فى أعقات الحملة البريطانية العسكرية فى عام ١٨١٩ ظهرت إمارة الشارقة التى ضمت إليها لفترة من الزمن إمارة رأس الخيمة وفى نفس العام ظهرت مشيخة أم القوين التى تولى زعامتها قبيلة آل على كذلك ظهرت إمارة عجمان التى تولى عليها الشيخ راشد بن حميد من آل النعيم ، بالاضافة إلى آل نهيان فى أبوظبى ،والبوفلاسة فى دبى كما تميزت الفترة

---

(١) – Bombay Government, S.R.B.G. vol. XXIV Boofelasa Tribe, Debaye pp. 497—507.

(٢) CF. Turkish Jurisdiction in the Lands and Waters of Persian Gulf I.O.P. and Secret B 126.

التى أعقبت التدخل البريطانى فى المنطقة بالصراع الذى نشب بين القواسم وبنى ياس إذ انحاز بنوياس إلى سلطنة مسقط ضد القواسم الذين كانوا على عداء مع سلاطينها ، وبدأت منطقة الساحل تشهد العديد من الخلافات الطائفية بين الكتلتين الهناوية والغافرية حيث كان القواسم على نحو ما أشرنا أعضاء فى التكتل الغافرى على عكس بنى ياس الذين ينتمون إلى التكتل الهناوى، وقد ظهرت الخلافات بين الفريقين فى واحة البريمى وفى منطقة الديرة بدبى فى عام ١٨٢٤ ولما كان آل النعيم سكان البريمى على صلة قرابة بنعيم عجمان فقد تدخلت إمارة الشارقة إلى جانب النعيم ضد بنى ياس وسلطان مسقط الذى كانت له حامية فى البريمى ،كما قام شيخ أبوظبى بتشجيع جماعة من قبيلة السودان على بناء قلعة لهم بين دبى والشارقة مما أدى إلى زيادة توتر الموقف [١] . وبالإضافة إلى ذلك شهد عام ١٨٢٩ حروبا عنيفة دارت بين القواسم وبنى ياس بسبب تحريض السيد سعيد سلطان مسقط لبنى ياس ضد القواسم . وقد تجـدد ذلك الصراع فى عام ١٨٣٣ على أثر هجرة البوفلاسة إلى دبى إذ اعتمد البوفلاسة على تأييد الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة الذى رحب بهذه الفرصة لكى يخضع البوفلاسة إلى حمايته وقام على رأس قوة كبيرة من القواسم والبوفلاسة لمواجهة بنى ياس الذين تصدوا لهذه القوة ، ولما كان بنوياس قد فقدوا تأييد سلطان مسقط بسبب رحيله إلى زنجبار فقد انتهى النزاع بتوقيع صلح بين الطرفين وافق بمقتضاه الشيخ خليفة بن شخبوط حاكم أبوظبى على التخلى عن كل ادعاءاته تجاه البوفلاسة وتعهد شيخ أبوظبى بأن يعيد السفن التى استولى عليها منذ بدء النزاع ، وأن يرفع حصاره عن دبى . وفيما يتعلق ببنى ياس المقيمين فى دبى فقد تم اعتبارهم رعايا تابعين للبوفلاسة ، وكانت هذه الحرب العنيفة المجهدة أعنف الحروب الأهلية التى دارت فى المنطقة وكان من نتيجتها عقد الهدنة البحرية الأولى فى عام ١٨٣٥ [٢] . ومما تجدر الاشارة إليه أن بريطانيا كانت محورا فى

---

(١) السيابى : ايضاح المعالم ص ٢٢١ .

(٢) نفسه ص ٢٢٣ .

هذه الصراعات ، وقد يرى البعض أنه لاينبغى أن نحمل السياسة البريطانية أكثر مما تحتمل أونلقى بمشكلات المنطقة على كاهلها لأن التمزق والانقسام من سمات الطبيعة البقلية المعروفة بكثرة تقلباتها ومنازعاتها وعلى الرغم مما قد يكون من وجاهة لهذا الرأى إلا أن استقراءنا للاحداث التاريخية يؤكد ما سبق أن ألمحنا إليه وهو أنه من الملاحظ حتى بداية الزحف البريطانى على المنطقة فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر لم يكن هنالك سوى تجمعين قبليين كبيرين ، ثم بدأ هذان التجمعان — القواسم وبنوياس — يصابان بالتصدع والانهيار ، ونشبت الخلافات والمنازعات فيما بينهما ولعل من أبرز نتائج انهيار هذين الاتحادين ظهور الكيانات الصغيرة التى أشرنا إليها على الساحل ، ورحبت السياسة البريطانية بظهورها ومنحتها حمايتها واعترفت بها مشيخات (مستقلة) إذ كانت تجد فى ذلك التفكك مايتلاءم مع مصالحها الاستعمارية دون أى اعتبار يذكر لمقدرات المنطقة ومقوماتها الذاتية [١] ..

---

(١) جمال زكريا قاسم : الأسس التاريخية لوحدة الإمارات العربية ودور الاستعمار فى تجزئتها — انظر أعمال ندوة التجارب الوحدوية العربية المعاصرة .

تجربة دولة الامارات العربية المتحدة — بيروت — مركز دراسات الوحدة العربية مارس ١٩٨١ .

الفصل السابع

القواسم وعلاقتهم بالقوى المجاورة

انفصال القواسم عن عمان — القواسم والبوسعيد العلاقات بين القواسم وفارس على عهدى نادر شاه وكريم خان — العلاقات بين القواسم والقوى العربية على الساحل الشرقى للخليج — اعتناق القواسم للدعوة الوهابية — العلاقات بين السعوديين والقواسم — عزل السعوديين للشيخ سلطان ابن صقر — استعادة الشيخ سلطان سلطانه فى الشارقة وبداية التفكك فى الساحل العمانى .

* * *

الفصل السابع

القواسم وعلاقتهم بالقوى المجاورة

رغم اندماج القواسم فى الوحدة العمانية التى نجح الإمام ناصر بن مرشد مؤسس أسرة اليعاربة فى تكوينها من أجل الصراع ضد البرتغاليين ، إلا أنهم ظلوا متمتعين باستقلالهم ، ولاينفى ذلك أنهم كانوا يشكلون عنصرا أساسيا من عناصر الوحدة العمانية حتى السنوات الأخيرة من حكم اليعاربة ومما يؤكد ذلك مساهمة القواسم فى السيطرة على جزر البحرين وقشم ولارك فى عام ١٧١٦ على عهد الإمام سلطان بن سيف . وحين نشبت الحروب الأهلية فى عمان بسبب النزاع على منصب الإمامة كان القواسم من أهم القوى التى شكلت الاتحاد الغافرى ، وحدث ذلك حين لجأ الشيخ محمد بن ناصر الغافرى إلى الشيخ رحمة بن مطر شيخ رأس الخيمة طالبا مساعدته فى الصراع ضد القوى الهناوية المعارضة ، ووضع الشيخ رحمه قواته وسفنه إلى جانب الزعيم الغافرى مما كان له أثر كبير فى ترجيح كفة الغافريين بل وفى نجاح محمد بن ناصر فى الوصول إلى الإمامة لفترة من الوقت . ولكن الأوضاع لم تلبث أن تطورت فى عمان حين تمكن الهناويون من السيطرة على الموقف ، وكان نجاح الكتلة الهناوية سببا فى استنجاد الإمام سيف بفارس مما أدى إلى خضوع كثير من المقاطعات العمانية للاحتلال الفارسى منذ عام ١٧٣٨ ، وأدى هذا الوضع المتدهور الذى تعرضت له عمان إلى إعلان القواسم انفصالهم عن دولة اليعاربة ، وتأكد هذا الانفصال على أثر سقوط دولة اليعاربة وقيام دولة البوسعيد . ولاشك أن انهيار القوى البحرية الفارسية

فى الخليج العربى عقب اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ ساعد القواسم على تأكيد استقلالهم وذلك بعد نجاحهم فى السيطرة البحرية على الساحل العمانى والساحل الفارسى المقابل له[١] . ومن ثم أرجعت كثير من المصادر تاريخ انفصال رأس الخيمة عن عمان وظهورها كعاصمة لجميع مقاطعات الساحل العمانى إلى منتصف القرن الثامن عشر وذلك حين أعلن الشيخ رحمة بن مطر تكوين الاتحاد القاسمى الذى يجمع القبائل التى انضمت تحت لواء زعامته[٢] . ولكن هذا الاستقلال الذى أحرزه القواسم لم يلبث أن قادهم إلى منازعات طويلة المدى مع أسرة البوسعيد وهى الأسرة التى خلفت اليعاربة فى عمان فى عام ١٧٤٤ ، ولعل هذه المنازعات ترجع فى أسبابها إلى نواح طائفية حيث ينتمى القواسم كما سبق أن أشرنا إلى الكتلة الغافرية على عكس البوسعيد الذين ينتمون إلى الكتلة الهناوية ، كما ترجع أسباب المنازعات إلى التنافس التجارى حيث عمل القواسم بعد نجاحهم فى تأكيد تفوقهم البحرى على الاستئثار بتجارة الخليج والهند وشرق إفريقيا التى كان يسيطر عليها العمانيون .

والأمر الذى لا شك فيه أن انفصال القواسم بقسم من الساحل العمانى كان من أهم المشكلات التى واجهت الإمام أحمد بن سعيد حين وصل إلى السلطة فى عمان باعتباره مؤسساً لأسرة البوسعيد ، وعلى حين أيدت القبائل الهناوية الإمام أحمد بن سعيد أيدت القبائل الغافرية ومن بينها القواسم بلعرب ابن حمير الذى كان ينافسه على منصب الامامة[٣] ، إذ كانت الكتلة الغافرية ترى إبقاء الإمامة فى أسرة اليعاربة ، ولذلك طلب الشيخ محمد بن ناصر الغافرى من الشيخ رحمه بن مطر زعيم القواسم معاونته فى الاطاحة بحكم الإمام أحمد ابن سعيد ، وكما تذكر بعض المصادر أن الشيخ رحمه اعتذر بسبب كبر سنه

---

(١) صالح محمد العابد : دور القواسم فى الخليج العربى ص ٨٧ .

(٢) سالم بن حمود السيابى : إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم ص ١٩ — دمشق ١٩٧٦ .

(٣) ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٣٩٧-٣٦٩ .

ولكنه أشار بأن يقوم إبنه راشد بهذه المهمة حيث تنازل له عن مشيخة القواسم فى عام ١٧٥٠ ، وهكذا شارك القواسم فى المعارك العنيفة التى دارت بين الإمام أحمد بن سعيد والكتلة الغافرية . وفيما يبدو أن الشيخ راشد كان يهدف إلى تأكيد نفوذه على ساحل الشميلية وخورفكان وما يجاورهما على الساحل المطل على خليج عمان[1]، ولكن هذه المعارك لم تكن فى صالح الكتلة الغافرية إذ نجح الإمام أحمد بن سعيد فى التخلص من منافسه بلعرب ابن حمير وشدد من قبضته على المقاطعات العمانية بل أنه اتجه فى عام ١٧٥٩ إلى إخضاع القواسم فى معقلهم برأس الخيمة ودارت معركة عنيفة بين القواسم والإمام أحمد بن سعيد فى سهل الباطنه بالقرب من وادى حام و على الرغم من أن الإمام أحمد بن سعيد نجح فى الحصول على اعتراف بسلطته من عدد كبير من القبائل إلا أنه لم يتمكن من هزيمة القواسم أو إخضاعهم[2]. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تخلى حلفائه عنه وكان ذلك مما دفع القواسم فى عام ١٧٦٣ إلى إرسال حملة إنتقامية وصلت إلى مدينة الرستاق عاصمة الإمام أحمد بن سعيد ولا شك أن القواسم قد استغلوا الظروف الداخلية فى عمان وقيام النزاع بين الإمام وأبنائه حيث نجح الشيخ صقر بن رحمة بمعاونة الزعيم الغافرى محمد بن ناصر فى محاصرة الرستاق[3]، وأصبح الموقف حرجاً فى عمان إلى الدرجة التى تبين فيها لأبناء الإمام أحمد بن سعيد ما يمكن أن يؤدى نزاعهم مع أبيهم إلى القضاء على حكم أسرتهم ولذلك آثروا فض الخلاف مع أبيهم وسلموا له الحصن الغربى فى مسقط بينما احتفظوا بالحصن الشرقى[4]، وما أن ذاع خبر الصلح بين الإمام وأبنائه حتى بادر الشيخ صقر وحليفه ناصر الغافرى بفك حصار الرستاق وتم الصلح بين القواسم والامام أحمد بن سعيد ، ووافق الإمام أحمد ابن سعيد على استقلال القواسم بمقاطعاتهم ومنذ ذلك الوقت لم يخضع القواسم لحكم

---

(١) المفصل فى تاريخ الامارات العربية ج ١ ص ١٩٢ .

(٢) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ص ٣٦٧ وما بعدها .

(٣) محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ص ٧٢/٧٤ .

(٤) ابن رزيق الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٣٧٧ .

البوســعيد . ويمكن تحديد عام ١٧٦٥ بإعتباره العام الذى أعلن فيــه القواسم استقلالهم عن عمان وأصبحت رأس الخيمة مركزاً مستقلا للقواسم ولكن ذلك لا يعنى أن القواسم كانوا حتى عام ١٧٦٥ تحت التبعية العمانية إذ أنهم أحرزوا شخصيتهم المستقلة منذ عام١٧٤٧على نحو ما أشرنا إليه[١]. ويؤكد ذلك الرحالة كارستن نيبور الذى زار منطقة الخليج ومر برأس الخيمة فى عام ١٧٦٣ حيث قرر أن كثيراً من قبائل الصبر كانت تعترف بتبعية الإمام أحمد بن سعيد ولكنها كانت فى الواقع قبائل مستقلة وكثيراً ما كانت تنشب الحروب بين القواسم وأئمة عمان[٢].

ومما تجدر الاشارة إليــه أنه على الرغم من أن العلاقات بين القواسم والبوسعيد على عهد الامام أحمد بن سعيد كانت تتميز بالصراع إلا أن الظروف السياسية المضطربة فى عمان كانت تؤدى فى كثير من الأحيان إلى إيجاد تحالف بين الفريقين،وفيما يبدو أن الإمام أحمد بن سعيد وخاصة فى خلال صراعه مع الفرس على عهد كريم خان الزندى ١٧٥٦ — ١٧٧٩ حاول استغلال تفوق القواسم فى المجال البحرى لاضعاف شوكة فارس ولذلك يسجل لنا عام ١٧٧٢ عقد محالفة بين الامام أحمد بن سعيد وشيخ القواسم كان الغرض منها مواجهــة الخطر الفارسى الذى كان يتمثل فى تهديدات كريم خان الزندى للساحل الغربى من الخليج ، ونجح القواسم بفضل تحالفهم مع الامام أحمد بن سعيد فى مهاجمة بندر عباس وكان ذلك فى عام١٧٧٣حين تعاون القواسم مع خلفان بن محمد حاكم ميناء مسفط وتمكنوا من تحطيم عدة سفن فارسية ومستودع عسكرى كان قد شيده الفرس فى ميناء انجه[٣].

---

(١) CF. Bombay Govt. Selection from the Records of Bombay Govt. Historical Sketsh of Joasmee Tribes of Oman 1747–1853, vol. XXIV Bombay 1856.

(٢) Neibuhr, Carsten Travels in Arabia vol. I1 pp. 123 SQ.

(٣) Bombay Govt., op. cit. Historical Sketsh of Joasmee Arab tribes of Oman vol. XXIV P. 301 ff

وعلى الرغم من أن الإمام أحمد بن سعيد كان يبدى رغبته فى انهاء الصراع بينه وبين فارس إلا أن كريم خان الزندى فوض الشيخ ناصر حاكم بوشهر فى متابعة الحرب مع الإمام أو عقد الصلح ، معه ورفض الامام أحمد بن سعيد أن يخضع لشروط الصلح التى اقترحها الشيخ ناصر باسم كريم خان واعتبرها شروطا مهينة ، وكان ذلك مما دفعه إلى تقوية تحالفه مع زعيم القواسم الذى كانت العلاقات متدهورة بينه وبين فارس أيضا . وعلى الرغم من أن تحالف الإمام أحمد بن سعيد مع القواسم كان يهدف إلى تحقيق مصالح مشتركة للطرفين إلا أنه لم تلبث أن انفصمت عرى ذلك التحالف فى عام ١٧٧٥ ، حين تجدد الصراع بين الإمام أحمد ابن سعيد والقواسم حيث نجح شيخ رأس الخيمة فى تجميع قوة بحرية كبيرة اتجه بها إلى فرض سيطرته على الساحل العمانى ، وبذلك أصبحت قوة القواسم تهدد القوة العمانية وخاصة حين امتلك القواسم قوة بحرية ضخمة عقب اغتيال كريم خان الزندى فى عام ١٧٧٩ . وظهر الصراع على أشده على عهد السيد سلطان بن احمد الذى زج بنفسه فى منازعات خطيرة مع القواسم حيث شهدت الفترة من ١٧٩٨ الى ١٨٠٥ اضطرابات بحرية فى الخليج وأثرت هذه الاضطرابات على تجارة البصرة مما أدى إلى فقر سكانها وتفاقم مشكلات حكامها ، ولعل ذلك كان دافعا لسلطان ابن احمد إلى إرسال حملة إلى البصرة مطالبا ببعض الحقوق العمانية القديمة على ولاتها وحاول أن يستعين بقوة القواسم البحرية من أجل نجاح حملته ما اضطر باشا بغداد الى تسوية خلافاته مع مسقط تجنباً لمثل ذلك الهجوم الذى لم يكن فى وسعه مواجهته[1] . كذلك حاول سلطان ابن احمد الاستعانة بالقواسم فى هجوم قام به على الزبارة فى عام ١٨٠٢ كما استعان بنفوذ القواسم فى هجماته المتتالية ضد شهبار ومكران وقشم وهومز والبحرين[2] . ولكن السياسة التى اتبعها سلطان بن أحمد

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ص ٨٧ .

(٢) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ص ٤٢٩ انظر أيضا .

Miles, S, The countries and Tribes of the Per-sian Gulf P. vol. II 289—297.

أدت إلى تفوق نفوذ القواسم البحرى إلى درجة أصبحوا يهددون بقوتهم مسقط ذاتها . وتذكر وثائق بومباى بصدد ذلك أن طموحات سلطان ابن أحمد قادته الى منازعات خطيرة مع عرب الخليج مما أثر على حركة الملاحة فى الخليج وزادت حوادث البحر سواء كانت تلك الحوادث موجهة ضد فارس أو عمان أو ضد الأساطيل الأجنبية فى الخليج واستمر ذلك الوضع قائما حتى عام ١٨٠٩، حين التقت وجهات نظر كل من الانجليز وسلطان ومسقط للعمل على سحق النشاط البحرى للقواسم ، وقامت من أجل ذلك عدة حملات تأديبية اشتركت فيها مسقط بنصيب وافر وانتهت تلك الحملات بنجاح الانجليز فى القضاء على تفوق القواسم البحرى واحكام سيطرتهم على الخليج[1]. والأمر الذى لاشك فيه أن تدهور العلاقات بين عمان والقواسم هى التى ساعدت الانجليز على التدخل العسكرى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى منذ بداية القرن التاسع عشر فعلى الرغم من تعاون القواسم مع السيد بدر بن سيف الذى كان يقوم بالوصاية على السيد سعيد عقب اغتيال أبيه سلطان بن أحمد فى عام ١٨٠٤ إلا أن الخلاف لم يلبث أن دب بين الفريقين بسبب قيام بدر بن سيف بارسال حملة إلى جزيرة قشم فاجأ بها الملا حسين وأخذه رهينة إلى مسقط فى الوقت الذى بادر فيه القواسم بالاستيلاء على الجزيرة ، ولكن حين تقلد السيد سعيد السلطة فى مسقط بادر بالافراج عن الملا حسين وأمده بقوة من مسقط لاستعادة قشم وهرمز إلا أن قوة تابعة للقواسم رفضت أن تستقبل الملا حسين أو أن تعيد الجزيرة إليه ؛ واستغل القواسم وجود الأسطول العمانى فى قشم وهاجموا ميناء صور ولكنهم ووجهوا هناك بمقاومة عنيفة أجبرتهم على الانسحاب فى الوقت الذى اتفق فيه السيد سعيد مع عمه قيس ابن أحمد حاكم صحار على مهاجمة خورفكان حيث قرر الاثنان الزحف على القواسم فكانت الحملة التى قادها قيس من جهة البر والحملة التى قادها السيد

---

(١) يرجع المؤرخ نور الدين السالمى استعانة سلطان مسقط بالنصارى على حرب أهل الشارقة من أرض الشمال من أول سبب تدخلت به النصارى فى ممالك المسلمين من أهل عمان فبقوا آفتى ذراريه يظهرون الصداقة ويضمرون العداوة — انظر تحفة الأعيان بسيرة آل عمان ج٢ ص١٨٩

سعيد من جهـــة البحر وكان خليج خورفكان هو المسرح الذى دارت فيه. المعارك بين مسقط والقواسم حتى تحول إلى بركة من الدماء[١]. وفى هذه المعارك انتصر القواسم وقتل قيس بن أحمد وانسحب السيد سعيد إلى مسقط ولعل تلك الهزيمة التى ابتلى بها السيد سعيد هى التى دفعته إلى توثيق علاقاته مع الإنجليز ومساهمته الفعالة فى الحملة الانجليزية التى قاموا بها ضد القواسم فى عام ١٨٠٩ إذ قدر أن اشتراكه فى تلك الحملة سيتيح له استعادة ما كان يطالب به من موانى وجزر على الساحل الفارسى استولى عليها القواسم خلال صراعهم مع مسقط[٢].

العلاقات بين القواسم وفارس :

أدى اضطراب الأوضاع السياسية فى بلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧ إلى استعانة بعض القادة الفرس الطامعين فى الحكم بالقبائل العربية فى الخليج وذلك لمقاومة القادة المتعاقبين بسرعة على عرش فارس[٣] ولعل ذلك أدى الى تصاعد نفـــوذ القواسم فى الساحل الشرقى للخليج[٤] ويمكننا تحديد عدة قبائل عربية تسيطر على الخريطة السياسية للسواحل الفارسية المطلة على الخليج العربى فى أواخر القرن الثـــامن عشر وهؤلاء هم عرب بوشهر وحاكمهم آنـــذاك الشيخ نصر آل مذكور، وهم ينتمون إلى عرب المطاريش فى عمان وعلى الرغم من أنهم من السنة إلا أنه فى خلال عهد نادر شاه بادر زعيم هذه القبائل بالتحول إلى المذهب الشيعى على أمل أن يعينه

---

(١) السيابى : إيضاح المعالم ص ٤٨ .

(٢) Bombay Govt., op. Historical Sketsh of Joasmee Tribes of Oman by Francis Warden and others 1747—1853 vol. XXIV P. 303. ff.

(٣) Idem.

(٤) F.O 371/13010 Status of the Island of Tamb Bu Musa and Sirri.

نادر شاه قائداً على الأسطول الذى أعده وجعل من بوشهر قاعدة له ، ثم هنالك أيضاً عرب بندر ريق النازلون إلى الشمال من بوشهر وهم ينتمون إلى عرب زعاب من الساحل العمانى وكانوا يحكمون جزيرة خرج بالإضافة إلى بندر ريق ، ثم فرع القواسم فى لنجه وجزيرة صيرى القريبة منها ، وعرب بنو كعب فى مركزهم بمدينة الدورق إلى جانب عرب الهولة النازلين فى الساحل الشرقى من الخليج ومراكز انتشارهم فى جزر قشم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر المجاورة لها .

وقد برز من بين هـــذه القوى جميعها القواسم فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، وإلى جانبهم برزت سلطة ملا على شاه حاكم بنـــدر عباس وفى عام ١٧٥١ تصاهر ملا على شاه الذى كان يسيطر على معظم الأسطول الفارسى عقب اغتيال نادر شاه مع شيخ القواسم ، وكان لهذه المصاهرة أهمية خاصة إذ أنها كانت بداية لتحالف بين قائد الأسطول الفارسى وزعيم القواسم حيث أصبح القواسم بفضل هذا التحالف قادرين على الاستفادة من الأسطول الفارسى بل واستخدامه ضد خصومهم ومنافسيهم [١] . وقد نجح القواسم فى الاستيلاء على باسيدور فى جزيرة قشم كما اشتركوا مع حليفهم ملا على شاه فى عام ١٧٥٥ فى الهجوم على شيـــخ بنى معين ومحاصرته فى ميناء لفت . وأصبح القواسم يسيطرون على جزر وموانى هامة تضم بندر عباس وهرمز وقشم ، وفى عام ١٧٥٩ اشترك القواسم فى الحروب التى كان يخوضها مير مهنا شيخ بندر ريق ضد الهولنديين ، كما أيد القواسم حليفهم ملا على شاه ضد تمرد أتباعه الذين نجحوا فى نفيه إلى هرمز فى عام ١٧٦٠ وسلموا قلعة بندر عباس إلى شقيقه جعفر خان وحين حاول بنو معين انتهاز هـــذه الفرصة

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر ص ص ٢٣/٢٤ بغداد ١٩٦٦ .

لاسترداد جزيرة قشم أسرع القواسم لتخليص حليفهم ملا على شاه و هاجموا من أجل ذلك بندر عباس وإن كانوا قد فشلوا فى الاستيلاء على قلعتها فى الوقت الذى قام فيه ناصر خان حاكم بوشهر بالرد على ذلك الهجوم بإرسال حملتين انتقاميتين ضد لنجه ورأس الخيمة وعندما فشلت الحملتان فى تحقيق أهدافهما قام ناصر خان بتخريب جزيرة قشم واستفاد القواسم من تلك الاشتباكات البحرية فى احتلال أماكن متعددة على الساحل الفارسى فى الخليج وفى عام ١٧٦٣ تم الاتفاق بين القواسم وملا على شاه و بنومعن، على أن يحتفظ بنو معن بجزيرة هرمز وأن يقيموا قلعة فى لفت على أن تقتسم عوائد الميناء بالتساوى بين الأطراف الثلاثة[1]. ولكن لم يمض وقت طويل على هـــذا الاتفاق حتى تجددت الصراعات بين القواسم وشيوخ بنى معين، فى خلالها تمكن بنو معين فى عام ١٧٦٥ من استعادة قشم ولفت من القواسم، كما تمكنوا من استعادة هرمز و بندر عباس من الملا حسين، وظلت تلك الأماكن فى أيديهم حتى وفاة شيخهم عبد الله حيث بدأ القواسم فى استرجاعها واحدة بعد أخرى .

العلاقات بين القواسم و السعوديين :

كان وصول الدعوة الوهابية إلى سواحل الخليج العربى فى نهاية القرن الثامن عشر من أهم العوامل التى أوجدت للسعوديين مجالا للدخول فى علاقات بينهم وبين القواسم . ومما تجدر الاشارة إليه أن القواسم استمروا لفترة طويلة لا يعترفون بسلطة السعوديين، ولكن لم تلبث أن خضعت رأس الخيمة للنفوذ الدينى الوهابى وتحول القواسم إلى الدعوة الوهابية [2] . وعلى ذلك يمكننا أن نؤكد هنا أن العلاقات بين القواسم والسعوديين مرت بمرحلتين هامتين :

---

(١) ج .ج لوريمر دليل الخليج جـ ١ ص ٢١٦ انظر أيضا عبد القوى فهمى: القواسم و نشاطهم البحرى ص ٨٧ .

(٢) Bombay Govt., Historical Sketsh of the Wahabee Tribes of Arab from the year 1795 — 1818 by Francis Warden vol XXIV pp. 431 ff Bombay 1856.

المرحلة الأولى ، وتتميز بمقاومة القواسم لمحاولات السعوديين إخضاعهم سياسيا ، والمرحلة الثانية تتميز بتغلغل الدعوة الوهابية حتى أصبح القواسم حلفاء أقوياء للسعوديين وإن كان قد تخلل هذه المرحلة توتر العلاقات بينهم ليس على المستوى الديني وإنما على المستوى السياسي إلى الحد الذي بادر فيه السعوديون إلى خلع زعيم القواسم في عام ١٨٠٩ كما سنشير إلى ذلك بعد قليل.

ويمكننا أن نلحظ في المرحلة الأولى اتجاه السعوديين للسيطرة على القواسم بهدف الاستعانة بقوتهم البحرية لضرب سلطنة مسقط إذ أنه على أثر خضوع البريمي للسلطة السعودية حاول عبد العزيز بن سعود اقناع الشيخ صقر ابن راشد بالدخول في الوهابية ، ولكن الشيخ صقر رفض في بداية الأمر ويبدو أن ذلك الاتصال قد تم عن طريق قبائل النعيم في البريمي ، وتتفق المصادر التاريخية على أن الشيخ صقر بن راشد حارب آل النعيم الذين استنجدوا بعبد العزيز بن سعود فبادر بارسال حملة ضد القواسم شارك فيها آل النعيم ، بيد أن الشيخ صقر تمكن من الحاق الهزيمة بهم ؛ ولكن لم تمض فترة طويلة حتى توجهت حملة وهابية أخرى بلغ تعدادها أكثر من أربعة آلاف مقاتل بقيادة مطلق المطيري حيث نجحت في محاصرة رأس الخيمة وشددت الحصار على المدينة سبعة عشر يوماً إلى أن تم الصلح وعاهد الشيخ صقر مطلق المطيري في عام ١٧٩٩ على الدخول في الدعوة الجديدة ، وحول ذلك يذكر صاحب لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن مطلق المطيري لما اجتمع بالشيخ صقر أكرمه وعاهده على هذا الدين . وقد حللت كثير من المصادر الأسباب التي دفعت القواسم إلى اعتناق الدعوة الوهابية ومن هذه المصادر من تغلب الناحية الدينية أي أن القواسم دخلوا الوهابية عن اقتناع بينما نجد مصادر أخرى تغلب النواحي المصلحية ومن ذلك أن شيخ القواسم رغب في مخالفة الوهابيين ضد سلطنة مسقط لكي يرأب الصدع الذي حدث في الجبهة الغافرية بسبب خلاف القواسم مع آل النعيم ، وفيما يبدو أن مطلق المطيري كان متشددا مع القواسم حيث اشترط على الشيخ صقر أن يقوم بهدم قبة السيد حسن وهو مقام معروف في رأس الخيمة

كان يغطمه القواسم وقد أدى تهديم القبر إلى استياء القواسم ولكن الوهابيين تمكنوا من السيطرة على الموقف حيث بادروا بنفى الشيخ راشد والد الشيخ صقر إلى لنجة [١] .

أما المرحلة الثانية من علاقة القواسم بالسعوديين فتتميز بالتحالف الذى قام بين الفريقين وكما يذكر مؤلف لمع الشهاب أن القواسم من أهل رأس الخيمة كانوا إذا وفدوا على سعود فإنهم لم يأكلوا إلا عنـــده وهو يرضى بهم ويكرمهم ؛ كما أفتى الشيخ على بن محمد بن عبد الوهاب الرئيس الدينى للوهابيين بأن كل ما يغنمه أهل رأس الخيمة أحل من حليب الوالدة [٢] . ولا شـــك أن تحالف القواسم مع الوهابيين أدى إلى تزايد نشاط القواسم البحرى وأصبح ذلك النشاط أمراً لازما للجهاد ضد سفن الكفار وضد منكرى التعاليم السلفية [٣] . وبالتالى فان الاسلاب التى كان يستولى عليها القواسم كانت تعد غنائم حرب يتعين تأدية خمسها إلى الدولة الإسلامية طبقاً لمـــا تقضى به الشريعة الإسلامية فى أحوال الجهـــاد ، ولكن ليس من الثابت لدينا أن القواسم التزموا بذلك الأمر .

العلاقات بين القواسم وسلطنة مسقط :

على أثر محالفة القواسم للوهابيين تضاعفت عملياتهم البحرية ضد سلطنة مسقط ، وإذا أضفنا إلى ذلك احتلال السعوديين للبريمى وضغطهم على كثير من قبائل الظاهرة تبين لنا مدى الخطر الذى أخذت تتعرض له سلطنة مسقط وبوجه خاص خلال السنوات الأخيرة من عهد سلطان بن أحمد الذى عاصر سيطرة السعوديين على واحات البريمى ؛ ففى عام ١٨٠٠ تحركت قوة وهابية إلى الظفرة بقيادة سالم الحارق الذى كان يعد من أبرز القادة السعوديين وعند

---

(١) لمع الشهاب فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٨٠–٨١ .

(٢) لمع الشهاب ص ١٧٧ .

(٣) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ٨٠ .

وصول الحارق إلى البريمى وجه رسالة إلى سلطان بن أحمد يدعوه فيها إلى اعتناق الوهابية ونبذ الأباضية والاعتراف بالسلطة الزمنية والدينية للامام عبد العزيز بن سعود ؛ ورد سلطان بن أحمد على هذه الدعوة بتوجيه حملة عسكرية ضد السعوديين مما جعل الحارق يستعين بالقواسم وعلى الرغم من أن القواسم كانوا مستعدين لشن الهجوم على مسقط إلا أن الحارق آثر التراجع بينما عقد القواسم هدنة مع سلطان بن أحمد، ولما كان سلطان بن أحمد مصمماً على طرد الوهابيين فقد قرر ملاحقتهم عند انسحابهم من البريمى ؛ غير أنه أصيب بنكسة على يد الخيالة الوهابيين مما أجبره إلى توقيع اتفاق مع القائد السعودى يقضى بتنازله عن واحات البريمى ؛ ويذكر المؤرخ البريطانى جون كلى Keliy أن هذا الاتفاق كان يعد أفدح خطأ ارتكبه السيد سلطان بن أحمد[١] ذلك أنه قد ترتب على احتلال السعوديين للبريمى ضغطهم على كثير من قبائل الظاهرة القاطنة هناك ، وبدأ السيد سلطان يعانى من ذلك الضغط فى أواخر عهده حتى أنه ذهب لكى يبحث عن حلفاء لكى يستعين بهم ضد السعوديين ولعل ذلك يفسر رحيله إلى مكة فى عام ١٨٠٣ لكى يستعين بشريفها[٢] . ولكنه حين وصل إلى هناك كان الوهابيون فى سبيلهم للاستيلاء على الحجاز ؛ وفى الوقت نفسه أثارت المساعدات الضئيلة التى قدمها السيد سلطان بن أحمد للشريف غالب بن مساعد غضب الإمام عبد العزيز بن سعود فأعلن الحرب على مسقط وأصدر أوامره إلى القبائل التابعة له فى البريمى وإلى القواسم والعتوب بترك موسم الغوص وشن الحرب البرية والبحرية ضد سلطنة مسقط[٣] .

وصادف فى ذلك الوقت تولى الشيخ سلطان بن صقر الحكم خلفاً لأبيه صقر بن راشد الذى بدأ عهده باعلان تبعيته للدولة السعودية طالما أن هذه التبعية لا تغير من وضعه كزعيم للاتحاد القاسمى ، وعلى العكس من ذلك أصبح اتحاد القواسم يستند إلى مؤازرة دولة إسلامية قوية حيث أخذ القواسم يمارسون

---

(١) جون كلى : بريطانيا والخليج ج ١ ص ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) وثائق الحكومة السعودية : انظر العرض التاريخى لمشكلة البريمى بين مسقط وأبوظبى والمملكة السعودية ج ١ ص ١٧٧ .

(٣) محمد مرسى عبد الله : مرجع سبق ذكره ص ١٩١ — ١٩٢ .

نشاطهم البحرى على نطاق واسع ضد سلطنة مسقط [1]، وازداد الصراع بين القواسم وسلطنة مسقط على عهد سلطان بن أحمد، وأخذت الدعوة الوهابية تنتشر انتشارا كبيرا بين قبائل الساحل العمانى فى الوقت الذى أعد فيه الامام عبد العزيز بن سعود العدة لمهاجمة المقاطعات الداخلية لسلطنة مسقط ووصلت القوات السعودية إلى مشارف بركا ؛ المقر الصيفى لسلطان مسقط وأرسل الإمام عبد العزيز إلى سلطان بن أحمد رسالة يدعوه فيها إلى طاعته وبرفقتها كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد عبد الوهاب ، كما أرسل نفس هذه الرسائل إلى شيوخ الساحل من بنى ياس والنعيم والقتب والظواهر والشوامس وغيرهم [2] ، وبهذه المناسبة كتب الوكيل البريطانى فى مسقط يقول إنه إذا استولى الوهابيون على سلطنة مسقط فإن جميع مقاطعات الجزيرة العربية ستصبح تحت سيطرتهم وسوف يغدو الساحل العمانى كله وكرا للقراصنة الذين سيجدون فى أعمال السلب والنهب حتى يصلوا بها إلى سواحل الهند[3] ولكن هذه المخاوف التى عبر عنها الوكيل البريطانى فى مسقط لم تلبث أن انقشعت بعض الشيء بسبب اغتيال الإمام عبد العزيز بن سعود فى أوائل نوفمبر من عام ١٨٠٣ ؛ ولاشك أن اغتيال الامام عبد العزيز أتاح لسلطان ابن أحمد الفرصة لكى يتخلص من الضغط السعودى على مقاطعاته حيث توجه إلى بغداد ليستعين بواليها على باشا للقضاء على السعوديين وربما تم فى بغداد رسم خطة لمواجهة قوة السعوديين الصاعدة وكذلك قوة حلفائهم القواسم ولكن الظروف لم تتح تنفيذ شيء منها إذ تربص القواسم مع العتوب بسلطان ابن أحمد وتمكنوا من اغتياله وهو فى طريق عودته إلى بلاده فى نوفمبر من عام ١٨٠٤ [4] .وعلى أثر ذلك اضطربت الأوضاع فى سلطنة مسقط حتى أوشكت السلطنة برمتها أن تقع فى أيدى السعوديين ، وخاصة حينما انتقل زمام الحكم

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٩٩ .

(٢) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ص ص ٤٣١ — ٤٣٢ . ويذكر ابن رزيق « وفى هذا الكتاب كلام ملفق غير مطابق للحق فلم يعبأ أحد به » . وواضح أنه ينطلق هنا من اتجاهاته الإباضية .

(٣) Bombay Govt. op. cit. CF. The Rise and Progress of the Govt. of Muscat by F. Warden 1695—1819. P. 167 SQ.

(٤) يذكر ابن بشر أن القواسم لم تكن لهم نية مبيته لقتله انظر عنوان المجد جـ ١ ص ١٣١ .

فى مسقط إلى بدر بن سيف ١٨٠٤/١٨٠٦ الذى لم يجد بدا من محالفة السعوديين ولكن على أثر وصول السيد سعيد إلى حكم سلطنة مسقط فى عام ١٨٠٦ بدأ يضع مخططاً لتخليص مسقط من القواسم والسعوديين معاً ، ووجد أن ذلك لن يتم إلا بتحالفه مع بريطانيا، ومن ناحية أخرى كانت الأوضاع القائمة بين السعوديين والقواسم تساعد على أحداث ثغرة فى العلاقات بينهما فعلى الرغم من أن زعيم القواسم سلطان بن صقر اعتنق الدعوة الوهابية ونشط فى الدعوة إلى المبادىء السلفية إلا أنه ظل على إخلاصه للوهابيين طالما كان القواسم يتمتعون باستقلالهم فى تصريف شئونهم وقد حافظ السعوديون من جانبهم على الوضع الاستقلالى للقواسم، وخاصة أن الدولة السعودية الأولى لم تكن تهتم بتدعيم سيطرتها على الأطراف مكتفية باعلان التبعية لها من قبل الحكام المحليين أو زعماء القبائل وكان مظهر تلك التبعية هو تقديم الزكاة أو نسبة من غنائم الحرب ولكن باحتلال السعوديين الواحات البريمى بدأ الشيخ سلطان بن صقر يستشعر الضغط الذى أخذ يتعرض له من قبل السعوديين ، وسرعان ما تأكد له ذلك حين وجد قسماً من رعيته يخرجون عن طاعته ويخضعون للقائد السعودى مطلق المطيرى الذى كان معسكراً فى البريمى وأكثر من ذلك حرض السعوديون بعض زعماء الساحل العمانى للسيطرة على بعض مشيخات الساحل العمانى الأقل قوة ولعل من أبرز الشخصيات التى أيدها السعوديون محمد بن أحمد الطنيجى الذى أصبح حاكما على شيناص ، كذلك أيد السعوديون شخصيات من آل النعيم والرواشد[1]. وهكذا أخذت تظهر مشيخات جديدة على الساحل تحمل أسماء جغرافية بعد أن كانت التنظيمات تنتمى إلى زعامات قبلية ، وسوف تعمل بريطانيا من جانبها على تكريس تلك التجزئة وخاصة فى أعقاب حملة ١٨١٩ كما سنشير إلى ذلك.

---

(١) ابن رزيق : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ص ٤٩٧ و ٥١٥ .

فيما بعد . على أن أهم خطوة اتخذها السعوديون حدثت فى عام ١٨٠٩ حين بادروا بعزل الشيخ ساطان بن صقر وتعيين الشيخ حسين بن على بدلا منه مقابل اعتراف الأخير بسيادة السعوديين عايه وقبوله زيادة مقدار الزكاة التى كان يدفعها القواسم للدرعية؛ عاصمة الدولة السعودية الأولى، من أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألف ريال ماريا تريزا وأن يوجه كل سفته لمهاجمة المخالفين للدعوة الوهابية، وأن يحول إلى الدرعية خمس الغنائم التى يحصل عليها[١]. ويسود الغموض ظروف الإطاحة بالشيخ سلطان بن صقر وترى بعض المصادر أن العناصر القيادية من القواسم من قبائل زعاب وطنيج هى التى حرضت السعوديين على خلعه وبصدد ذلك يذكر المطوع فى الجواهر واللالئ « حكم الشيخ سلطان بن صقر وتم له الأمر وكان متصفاً بالشجاعة والاقدام ولكنه أصبح لا يرى لأحد فضلا عليه ليشاوره أو يناظره فأعرض عن الصفح واستبد برأيه وكان هذا خطأ ، إذ لم تمض مدة حتى سئمت الجماعة منه وانفضت عليه فقد استاء الناس من الشيخ سلطان لأنه قتل عمه كما استاءوا من الاستبداد بالأمر وكان أشد الناس استياءا وخروجاً عليه قبيله زعاب سكان جزيرة الحمراء التابعة لرأس الخيمة وقبيلة الطنيج سكان بلدة رمس التابعة لرأس الخيمة أيضاً وفى عام ١٢٢٤ هـ وصل أمير الجيوش السعودية إلى قرية الزيد وهناك باشر السماع إلى شكاوى زعاب وطنيج ثم اختلى بالشيخ سلطان وأبلغه أن الإمام يريده أن يتوجه إلى نجد فلم يربدا من الموافقة على الأمر الصادر ولما وصل سلطان إلى الدرعية احتجزه الأمير سعود هناك[٢]» . وتختلف الأراء فى مصير الشيخ سلطان فمن قائل أن الأمير السعودى أمر باعتقاله وزج به فى السجن ومن يقول أنه أطلقه وجعله مساعدا لمن يعينهم على غزوات الشام والعراق ومن يقول أنه طلب الصفح من سعود فانزله الإمام السعودى منزلة كريمة .

---

(١) Kelly John, Britain and the Persian Gulf P. 110 FF.

(٢) المطوع: الجواهر واللالئ نقلا عن المفصل فى تاريخ الامارات ج ١ ص ٣١٠-٣١١

وهناك من المصادر من ترجع السبب فى عزل السعوديين للشيخ سلطان أنهم وجدوا فى الشيخ حسين بن على شيخ رمس الشخصية التى يمكن أن يعتمدوا عليها حيث كان أطوع لقيادتهم بعكس الشيخ سلطان الذى كان يعمل على أن يكون زعيماً اسماً وفعلا ولايريد من السعوديين سوى تعزيز مركزه فقط ، ولا شك أن السعوديين قدروا أن فى وسعهم عزل سلطان بن صقر وخاصة أن بريطانيا لن تتدخل فى أمر عزله إذ كان يهمها التخلص من زعامته على القواسم[1] . وقد نجح السعوديون فى تعيين حسين بن على حاكماً وجابياً للزكاة باسمهم فى جميع الساحل العمانى ، كما عينوا بعض الشخصيات الأخرى على مقاطعات الساحل ، كما استولوا على حصون الفجيرة والباطنة وخورفكان فى ساحل الشميلية وكانت تلك الإجراءات التى اتخذها السعوديون لها أثر كبير فى التأثير على القواسم والفت فى عضدهم[2]. ويفهم مما أوردته وثائق بومباى بصدد ذلك أن السعوديين استمالوا الشيخ حسين بن على الذى عينه الأمير السعودى نائباً عنه فى منطقة الصير ولاشك أن هذه الخطة المنظمة من جانب السعوديين جعلت جميع القبائل تخشى بأسهم خشـــية شـــديدة إذ مهما تكن ميول تلك القبائل فانها كانت مضطرة إلى الإنضمام للشيخ حسين بن على أو تعرض نفسها لقسوة الأمير السعودى وانتقامه[3] .

وإذا كان هذا التنظيم سبباً منطقياً لعزل السعوديين للشيخ سلطان بن صقر وتولية حسين بن على فان هناك إلى جانب ذلك أسبابا أخرى لعل من أبرزها العرض الذى تلقاه الشيخ سلطان من السيد سعيد سلطان مسقط بعقد سلام مع الإنجليز ، وتوحيد قواته مع مسقط لمواجهة القوة المتزايدة للسعوديين وتذكر بعض المصادر أن الشيخ سلطان وافق على هذا العرض على حين رفضه أتباعه وكان ذلك مما سهل على السعوديين مهمة خلعه دون أن يواجهوا

---

(١) السيابى : مرجع سبق ذكرة ص ٧٨ .

(٢) نفسه ص ص ١٩٠/١٩١ .

(٣) Bombay Govt., op. cit. CF. Historical Sketsh of Wahabee tribes of Arabs. P. 430 SQ. See also Joasmee Tribes of Arab P. 304 ff.

بمعارضة من القواسم . وهناك من يعزى إلى الشيخ سلطان أنه هو الذى طلب من السيد سعيد إقامة تحالف سرى ضد السعوديين وعندما علم حسن ابن رحمه وهو أحد أقرباء الشيخ سلطان بذلك أخبر الإمام سعود الذى بادر بخلعه ويذكر ابن رزيق بصدد ذلك «ثم إن سلطان بن صقر القاسمى الهولى جعل يكاتب السيد سعيد بالصلح بينه وبينه سراً فأجابه السيد إلى ذلك فلما علم بذلك عمه حسن بن رحمه كتب إلى سعود بن عبد العزيز عن صلح سلطان لسعيد بن سلطان فكتب سعود إلى سلطان بن صقر بالوصول إليه»[1] وهناك رواية أخرى قيلت فى تعليل سبب خلع السعوديين للشيخ سلطان ابن صقر وهى أن ازدياد النفوذ السعودى فى الساحل العمانى أثار سخط القواسم مما أغضب السعوديين على الشيخ سلطان وتأكد لديهم أن سلطان لم يظهر الاخلاص للدعوة الوهابية وأنه أبدى استقلالا أكثر وولاء أقل . وأصبح بالتالى موضع عدم الرضا من قبل السعوديين . على أن أوثق الروايات هى تلك التى ذكرها صمويل ميلز Miles المقيم السياسى فى الخليج العربى وفحواها أن السعوديين هم الذين رغبوا فى مهادنة الانجليز ومن ثم كان خلعهم للزعيم القاسمى[٢] ، ويستند ميلز على أن الانشقاق القاسمى السعودى هو الذى أتاح الفرصة لبريطانيا للتخلص من نشاط القـــواسم دون أن يؤدى ذلك إلى صراعها مع الدولة السعودية نفسها ومن ثم كانت حملة ١٨٠٩ التى حطمت فيها بريطانيا مركز القواسم فى رأس الخيمة ؛ وأنه على أثر هذه الحملة اتخذ الإمام سعود قراراً بمهادنة الإنجليز ، وفيما يبدو أن القرار كان استجابة لعروض حكومة الهند من أن يمنع أتباعه عن ارتكاب عمليات قرصنة ضد السفن العابرة فى الخليج[٢] . غير أن استجابة السعوديين لهذه المهادنة من الأمور التى تثير الدهشة والاهتمام ولا ندرى هل ترجع تلك الاستجابة إلى إدراك السعوديين لقوة الإنجليز ؟ أو عـــدم إدراكهم لهويتهم الدينية !

---

(١) ابن رزيق : الفتح المبين ص ص ٥١٧ — ٥١٨ .

(٢) Miles, S. Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II P. 314 ff London 1919.

(٢) ج . ج لوريمر : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ٩٩٤ .

ويذكر أحد الباحثين أن علماء الدرعية عقدوا اجتماعاً قرروا فيه أن الإنجليز على دين النصارى وهم أهل كتاب وبالتالى فإن جهادهم غير واجب على المسلمين(١) . ولدينا بصدد ذلك رسالة وجهها الإمام سعود إلى هنكي سميث المقيم البريطانى فى الخليج ، وتتفق هذه الرسالة مع بنود الاتفاق الذى أبرم بين القائد السعودى مطلق المطيرى والقائد الانجليزى ليونيل سميث بعد معركة شيناص التى حدثت فى أعقاب الحملة البريطانية على القواسم مباشرة فى عام ١٨٠٩ . وكان هذا الاتفاق ينص على عدم تعرض السعوديين وأتباعهم لسفن الانجليز أو الرعايا التابعين لهم وعدم تقديم أية مساعدات لسلطان مسقط فى حربه ضـد كل من ثار ضـده ورفض دفع الزكاة المفروضة عليـه(٢) . وقد نصت الرسالة على اعتراض الإمام سعود وانتقاداته اللاذعة للحملة التى قام بها الإنجليز عام ١٨٠٩ ضد القواسم بمشاركة السيد سعيد وأوضح الإمام السعودى أسباب الخلافات القائمة بينه وبين مسقط بأسلوب وقور ولكنه ساخر فى نفس الوقت إذ جاء فى نص هذه الرسالة « إن سبب الخصومات المستمرة بينى وبين من يسمون أنفسهم مسلمين إعراضهم عن كتاب الخالق ورفضهم الامتثـال لنبيهم محمد » ويتضح من هذه العبارة الخلافات الطائفية والمذهبية بين الإباضية التى يعتنقها العمانيون وبين السلفية التى تقوم عليها الدعوة الوهابية وتضيف الرسالة « وبما أنكم جنحتم إلى السلم(٣) فإننى استنتج من ذلك أنكم أصبحتم تدركون سوء العمل الذى قمتم به(٤) وأصبحتم أضحوكة بين الناس بسبب تحريض رجل لا يملك أية قوة ذاتية(٥) كما أنكم لم تفكروا فى نتائج عملكم » وجاء فى الرسالة أيضاً ما يمكن أن نعتبره تعهداً من قبل السعوديين بعدم شن

---

(١) عبد العزيز عبد الغنى : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ص ١٦٨ البصرة ١٩٧٨ .

(٢) Shaikh Mansour, V. History of Said Said P. 67.

(٣) يعنى هذا الانجليز .

(٤) المقصود بذلك حملة ١٨٠٩ .

(٥) تعنى الرسالة السيد سعيد بن سلطان .

حرب على من ينتمون إلى فرقة أخرى وعدم التدخل فى عملياتهم المعادية. وعدم مساعدتهم ضد أعدائهم ، وعدم الاعتداء على سفن الإنجليز كما يفهم من النص التالى « فما دمت تحت سلطة العلى القدير فقد سموت على جميع أعدائى وفى هذه الظروف رأيت من الضرورى أن أبلغكم أننى لن أدنو من شواطئكم وأننى منعت أتباع عقيدة محمد وسفنهم من أن يقوموا بأى تنكيل بسفنكم فإذا ما ظهر أحد من تجاركم فى موانئى أو رغب فى المجىء إليها فسيكون آمنا » وتنتهى الرسالة بتوجيه اللوم إلى الإنجليز حيث ورد بها « فلا يزد هيكم إذن احتراق عدد من السفن لأنه ليس لها قيمة فى رأيى ولا فى رأى أصحابها وأهل بلادها »[1] .

وقد أعرب نائب الملك فى الهند عن ارتياحه لتلك الرسالة واعتبرها خطوة مشجعة لبدء علاقة طيبة مع السعوديين ، ورحب بصفة خاصة بقرار الأمير السعودى بمنع أتباعه من التعرض للملاحة البريطانية، وفى رده على الرسالة أكد بأن حكومة الهند لا يهمها خلافات الأمير مع غيره من المسلمين وإنما يهمها تأمين الملاحة فى الخليج . وظهر أثر العلاقات الإنجليزية السعودية حين رفض نائب الملك فى الهند تقديم العون لسلطان مسقط حين طلب منه مساعدته فى صد هجوم تعرضت له بعض المناطق العمانية من قبل مطلق المطيرى وكان ذلك مبعث استياء سلطان مسقط الذى كتب إلى حكومة الهند يؤكد أن تعاونه مع الحملة البريطانية ضد القواسم قد ورطه فى حروب مستمرة مع حلفائهم السعوديين الذين كانت علاقته معهم من قبل علاقة ود وسلام ولولا صداقته للانجليز لكان قد وافق على العروض السلمية التى قدمها السعوديون إليه، ولكن نائب الملك فى الهند أبلغ السيد سعيد سلطان مسقط فى عام ١٨١٠ بأن حكومة الهند البريطانية لم يعد لها مصلحة فى الصراع

---

(١) للرجوع إلى النص المفصل لهذه الرسالة انظر التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية — عرض الحكومة السعودية ج ١ ص ١٢٩ وما بعدها القاهرة ١٩٥٥ وقد أورد هذه الرسالة الرحالة جيمس موريير .

Morier, J. A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantipole 1809 pp. 374—379 London 1919.

الدائر بينه وبين السعوديين وأن كل ما يهمها مصلحته ورفاهية سلطنته وانطلاقاً من هذا الاعتبار وما قد تسفر عنه ظروف السلم بينه وبين السعوديين من استقرار فإن حكومة الهند تقترح عليه قبول عروض السلام التي تقدم بها السعوديون إذا لم يكن فيها مساس بكرامة السلطنة واستقلالها . ولعل التزام حكومة الهند البريطانية بهذا الموقف هو الذى دفع السيد سعيد فى عام ١٨١١ أن يلتجىء إلى فارس ملتمساً العون ضد السعوديين، ومع ذلك فإن الظروف لم تلبث أن ساعدت السيد سعيد ليفض خلافاته معهم حين وصل إلى مسقط فى نفس ذلك العام مبعوث خاص من الدرعية يطلب التفاهم مع السيد سعيد لأن الأمير السعودى لم يعد لديه الوقت للتفرغ لشئون عمان بعد أن عبأ جميع قواته لمواجهة التقدم المصرى التركى فى الجزيرة العربية[1]. كما توصل السعوديون فى عام ١٨١٤ إلى اتفاق بينهم وبين الانجليز تعهدوا فيه بعدم مهاجمة السفن البريطانية وصدرت الأوامر السعودية لزعماء القواسم بهذا المعنى من قبل الأمير السعودى .[2]

نخلص مما سبق أن تعرضنا إليه أن الإنجليز استطاعوا إحداث شرخ فى العلاقات القائمة بين السعوديين والقواسم، وأدى ذلك إلى تحييد السعوديين وضرب القواسم من قبل الانجليز كما سيتضح ذلك فى الحملات العسكرية البريطانية التى وجهتها بريطانيا ضد القواسم منذ عام ١٨٠٩ وما بعدها . وفيما يبدو لنا أن حسين بن على نائب السعوديين فى الساحل العمانى لم يستمر طويلا فى زعامته للقواسم إذ يفهم مما ذكرته بعض المصادر أن الشيخ حسن ابن رحمه كان مسيطراً على رأس الخيمة فى عام ١٨١٤ .

ومما يستلفت الانتباه أيضا أن المؤرخ النجدى عثمان بن بشر لا يشير فى كتاباته عند ذكره لزعماء الساحل العمانى إلى الشيخ حسين بن على[3] بل يذكر أنه كان على زعامة القواسم سلطان بن صقر بن راشد ثم عزله السعوديون

---

(١) جون كلى : مرجع سبق ذكره ص ص ٢١٠/٢١١ .

(٢) عبد العزيز عبد الغنى : مرجع سبق ذكره ص ١٦٩ .

(٣) ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ١٧٥ .

وجعلوا مكانه ابن أخيه حسن بن رحمة . ولاشك إن إقرار السعوديين بذلك يعنى عدم تجاهلهم للزعامة القاسمية سواء بتعيينهم لحسن بن رحمة أو حسين بن على الذى كان يفتمى بدوره إلى القواسم . ولعل مما تجدر الإشارة إليه بصدد ذلك أنه رغم تعاظم النفوذ السعودى إلا أن علاقات القواسم بالسعوديين كانت تغلب عليها العلاقات المعنوية أكثر من التبعية السياسية ولعل مما يؤكد ذلك أن القواسم كانوا يتخذون مواقف هامة دون الرجـوع إلى الأمير السعودى [1] ففى المفاوضات التى جرت بين ممثلى القواسم والمقيم البريطانى سيتون Seton عقب حملة ١٨٠٥ ، التى أسفرت عن عقد أولى المعـاهدات البريطانية مع القواسم فى عام ١٨٠٦ لم يرجع القواسم إلى الدولة السعودية ، وصادقت حكومة الهند البريطانية على تلك المعاهدة فى فبراير ١٨٠٦ [2]. ولذلك فإنه فى تقديرنا أن تفاقم المشكلات بين القواسم والسعوديين ترجع فى الدرجة الأولى إلى منطقة النفوذ السعودى فى الساحل العمانى مما أدى إلى سخط القواسم الذين بدأوا يتبرمون بالزعامات القاسمية الموالية للسعوديين ولعل هذه الظروف هى التى مكنت سلطان بن صقر من استرداد سلطته حيث تمكن فى عام ١٨١٣ من الفرار من الدرعية [3]. ويبدو أنه خطط لذلك فى موسم الحج حيث سمح له الأمير السعودى بالذهاب إلى مكة لتأدية فريضة الحج وهناك التقى بجماعة من قبيلة الجنبة بعمان وهم معادون للقواسم ولـكنه أجرى مصالحة معهم فوافقوا على أن يركب معهم البحر ، ومما تجدر الاشارة إليه أنه فى أثناء وجوده فى الحجاز اتصل بطوسون باشا ابن محمد على الذى زوده برسائل من قبل محمد على إلى السيد سعيد سلطان مسقط ، وحين وصل إلى مسقط اتصل

---

(١) صالح محمد العابد : مرجع سبق ذكره ص ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٢) نفسه ص ١٤٦ .

(٣) جون كلى : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٢١٤ وكذلك :
Bombay Govt. Historical Sketsh of Joasmee tribes of Oman. CF. S.R,B.G. vol. XXIV P, 307 ff. Bombay 1856.

بالإنجليز حيث تعهد لهم بإحترام اتفاقية ١٨٠٦ وفيما يبدو أنه قد تلاقت رغبات كل من السيد سعيد ومحمد على والإنجليز على إعادة سلطان بن صقر على مشيخة القواسم[١]. ومن المعروف أن سياسة محمد على كانت تعتمد على إيجاد شيوخ موالين له فى سواحل الخليج تحقيقاً لما كان يهدف إليه من السيطرة على تلك السواحل. وقد ذكرت بعض المصادر أنه رغم مهادنة سلطان بن صقر للانجليز إلا أنه لم يهادن سلطان مسقط إزاء عقيدته الدينية حيث أكد للسيد سعيد « أن ما جرى بينه وبين آل سعود هو من نوع ما يجرى بين الوالد وأولاده والأخ وأخيه وأما العقيدة السلفية فهى العقيدة الحق التى لا يبتغى بها بديلا »[٢]. وعلى الرغم من ذلك فإن السيد سعيد كان يرى فى وصول سلطان بن صقر إلى الحكم ضماناً لاتقاء خطر القواسم إذ كان سلطان بن صقر يمثل الجانب الأكثر هدوءا والأقل تطرفاً فى علاقاته بكل من مسقط والانجليز وقد تمكن السيد سعيد من الاستعانة ببنى ياس حيث عقد اجتماعاً مع الشيخ شخبوط فى عام ١٨١٣ وافق فيه زعيم بنى ياس على الهجوم على رأس الخيمة بألفين من رجاله، كما أبدى شيوخ القبائل العربية على الساحل الشرقى للخليج استعداداً لمعاونة سلطان بن صقر، كذلك وعد شيخ البحرين بالمشاركة بألفى رجل وخمس عشرة سفينة وتم الهجوم على رأس الخيمة فى عام ١٨١٣ بموافقة بريطانيا، ورغم فشل هذه الحملة إلا أن السيد سعيد جدد الحرب فى العام التالى وتمكن سلطان بن صقر أن يستولى على الشارقة بمعاونة من حلفائه فى الوقت الذى تمكن فيه السيد سعيد أن يعقد اتفاقاً مع الشيخ حسن بن رحمه جاء فيه أنه تنفصل إمارة الشارقة عن رأس الخيمة وأن يكون الشيخ سلطان حاكماً عليها والشيخ حسن بن رحمه حاكماً على رأس الخيمة وهكذا شهد عام ١٨١٤، انقسام الزعامة القاسمية إلى قسمين أحدهما فى الشارقة والآخر فى رأس الخيمة ولا شك أن هـــذا الانقسام فى الزعامة أدى إلى تشجيع بقية زعماء القواسم الذين كانوا يؤلفون عناصر الاتحاد

---

(١) Shaikh Mansour, History of Seyid Said P. 54

(٢) المفصل فى تاريخ الإمارات جـ ١ ص ص ٣٣٢ .

القاسمى إلى الاستقلال بالمناطق التى كانوا يحكمونها حكماً محلياً [1] . وقد استمرت الزعامة القاسمية مفككة على كل من الشارقة ورأس الخيمة حتى وصول القوات المصرية التركية إلى نجد وتحطيم الدرعية فى عام ١٨١٨ ، إذ أنه بسقوط الدولة السعودية الأولى فقد الشيخ حسن بن رحمه تأييد السعوديين له ومما يذكر بهذه المناسبة أنه أرسل سبع عشرة سفينة محملة بخمسة آلاف مقاتل إلى ميناء القطيف للمشاركة فى الدفاع عن الدرعية ، ولكن النجدة وصلت متأخرة ، كما قاتل الشيخ حسن بن رحمه ببسالة للدفاع عن رأس الخيمة فى عام ١٨١٩ ضد الانجليز وسلطان مسقط ، ولكن كان من نتيجة هذه الحملة تحطيم رأس الخيمة وخلع الشيخ حسن بن رحمه وإعادة رأس الخيمة إلى سلطان بن صقر وتم ذلك على حساب تفكيك الساحل العمانى إلى عدة مشيخات أصبح لها كيانها الإقليمى بسبب ضمان بريطانيا لذلك الوضع كما سنعرض لذلك فى الفصل التالى .

---

(١) Bombay Government, op. cit. Historical Sketsh of Joasmee tribes — See also the Rise and Progress of the Government of Muscat vol. XXIV Bombay 1856. P. 184 ff.



الفصل الثامن

توغل النفوذ البريطاني في الساحل الجنوبي للخليج العربي

النشاط البحرى للقواسم – حملة ١٨٠٥ ضد القواسم اتفاقية ١٨٠٦ – تجدد العمليات البحرية وحملة ١٨٠٩ تدمير رأس الخيمة – فشل المفاوضات بين بريطانيا والقواسم ١٨١٤ – بعثة سادلر – حملة ١٨١٩ – معاهدة السلام العامة ١٨٢٠ – اجراءات كير السياسية وأثرها فى تثبيت النفوذ البريطانى – ثورة البوعلى ١٨٢٠ – قمع الثورة وتدعيم الهيبة البريطانية .

* * *

الفصل الثامن

توغل النفوذ البريطانى فى الساحل الجنوبى

للخليج العربى

ارتبط النفوذ البريطانى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى بصراع بريطانيا مع القواسم الذين وصلوا إلى قمة تفوقهم البحرى فى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر . وقد ساعد القواسم على تحقيق ذلك التفوق أمران هامان أولهما اضطراب الأوضاع السياسية فى المملكة الفارسية على أثر اغتيال كريم خان الزندى فى عام ١٧٧٩ . وثانيهما أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت لا تزال منشغلة حتى ذلك الوقت فى تدعيم نفوذها فى شبة القارة الهندية وبالتالى لم تكن تريد أن تبدد قواها فى قمع النشاط البحرى للقوى العربية فى الخليج . على أنه منذ نهاية القرن الثامن عشر بدأت بواعث القلق تثار لدى حكومة بومباى، وهى الحكومة المختصة بشئون الخليج العربى من بين مجموعة الحكومات التى انقسمت إليها شركة الهند الشرقية البريطانية وذلك حين بدأ القواسم يعترضون السفن البريطانية العابرة فى مياه الخليج منذ عام ١٧٧٨ ، وإن كانت أخطر عمليات القواسم البحرية قد حدثت على وجه التحديد فى عام ١٧٩٨ حين تعرضت السفينة الحربية الفيبر Viper لأعمال هجومية من قبل القواسم عندما كانت راسية بالقرب من ميناء بوشهر وذلك خلال منازعات القواسم مع السيد سلطان بن أحمد سلطان مسقط حيث كان القواسم يعاضدون شقيقه الذى عزله عن الحكم وهذا يعنى أن القواسم قد

توروطوا بالفعل فى المنازعات الأسرية فى سـلطنة مسقط . غير أن هذا الحادث لم يؤد إلى اشتباك بين الإنجليز والقواسم وإنما اكتفى ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية فى البصرة بالاحتجاج لدى شيخ القواسم على هذا العمل الذى اعتبره عملا عدوانياً باعتبار الفيبر تابعة لبحرية بومباى وأجاب الشيخ صقر على ذلك الاحتجاج بأن الهجوم لم يقع إلا بعد أن أطلقت الفيبر -وكانت مزودة بأربعة عشر مدفعاً- النيران على القوارب التابعة للقواسم وقرر أن ابن أخيه الشيخ صالح هو الذى قاد ذلك الهجوم وأنه غادر رأس الخيمة وتوجه نحو الساحل الفارسى وانفصل عن التحالف القاسمى وأكد أنه ليس بين القواسم والإنجليز أية خلافات وأن القواسم ليس لهم سـوى عدو واحد وهو سلطان مسقط [١] . ودلل شيخ القواسم على صدق نواياه بزيارته لممثل شركة الهند الشرقية البريطانية مستر مانيستى Manisty فى البصرة مؤكداً صداقة القواسم للانجليز وطالب بألا يوفر الإنجليز الحماية للسفن المسقطية وألا يرسلوا أية بضائع عليها مؤكداً عدم مسئولية القواسم عن أية خسائر تتعرض لها البضائع الإنجليزية [٢]. ولكن القواسم أخذوا يشددون هجماتهم ضد السفن البريطانية وقد يكون ذلك لإقتناعهم بالمساعدات التى كانت تقدمها تلك السفن لسلطنة مسقط أو أن تلك الهجمات كانت تحدث وقت احتدام النزاع بين القواسم وخصومهم بحيث لم يكن القواسم يفرقون بين السفن الانجليزية وسفن أعدائهم . وعلى الرغم من تعدد حوادث القواسم البحرية فقد استمرت حكومة بومباى تنظر إلى تلك الحوادث بأنها ليست بالأمر الخطير الذى يستوجب تدخلها أو اتخاذ قرار لتأديب القواسم ، وعلى العكس

---

(١) Bombay Govenment, Selection from the Records of Bombay Govt. Historical Sketch of Joasmee tribe of Arabs 1747—1853 P. 302 ff Sq vol. XXIV Bombay 1856.

(٢) دونالد هولى : عمان ونهضتها الحديثة ص ٤٦ .

من ذلك كانت حكومة بومباى تصدر تعليماتها للبحارة التابعين لها بعدم البدء فى اطلاق النيران وقد ترتب على ذالك وقوع كثير من السفن الإنجليزية بخدع بسيطة فى أيدى القواسم[١] . ومما تجدر الإشارة إليه أن حكومة الهند ظلت متمسكة بتلك السياسة المسالمة إزاء عرب الخليج حتى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر حتى أنها كانت توجه اللوم إلى قواد السفن الذين لا يلتزمون بتعليماتها ، بيد أنها لم تلبث أن أدركت خطأ إبقائها على تلك السياسة المسالمة التى تكلفها الكثير من الخسائر ومن ثم بدأت فى اتخاذ سياسة جديدة فى علاقتها بالقوى العربية على الساحل الجنوبى الخليج العربى على أن ما تجدر الإشارة إليه أن حكومة الهند لم تتخذ تلك السياسة العدائية التى سوف نعرض لها إلا بعد أن أصبح مؤكداً لديها أهمية تلك المنطقة بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية إلى الهند ولعل ذلك كان يرتبط بوصول الحملة الفرنسية إلى مصر فى عام ١٧٩٨ واتجاه حكومة الهند إلى عقد معاهدة مع سلطان مسقط وخاصة أن حكومة الهند كانت تدرك بأن سلطنة مسقط هى التنظيم السياسى الأكثر ثباتاً فى المنطقة ومن ثم وجدت فى تحالفها مع تلك السلطنة عاملا هاماً يساعدها فى الحد من القوة المتزايدة التى أخذ القواسم يكتسبونها وما ترتب عليها من اضطرابات شديدة بدأت تواجهها الملاحة فى الخليج العربى ، ويمكننا أن نضيف إلى ذلك ازدياد قوة الوهابيين فى نجد وظهورهم على سواحل الخليج خاصة بعد احتلال السعوديين للقطيف وسيطرتهم على الاحساء وامتداد سيطرتهم إلى البريمى ومن هناك بدأوا يوجهون هجماتهم المتلاحقة ضد سلطنة مسقط والنفاذ منها إلى الساحل الجنوبى للخليج العربى ، وخاصة حين توثقت علاقات الصداقة والتحالف بينهم وبين القواسم[٢] . وعلى الرغم من أن القواسم أعلنوا تبعيتهم للدولة الإسلامية التى أقامها السعوديون حتى أنهم كانوا يدفعون إليها الحصة الشرعية للزكاة من الغنائم التى كانوا يستولون عليها إلا أن الخطة

---

(١) Buckingham, Travels in Assyria, Media and Persia P. 226 ff.

(٢) ج . ج لوريمر دليل الخليج جـ ١ ص ٢٧٧ /٢٧٨ .

البريطانية اتجهت فى عملياتها العسكرية ضد القراسم إلى عدم الاعتراف بسيطرة السعوديين عليهم ومعنى ذلك أن حكومة الهند كانت تتجه إلى ضرب القواسم دون الاصطدام بالدولة السعودية فى الوقت الذى كان فيه القواسم قد اكتسبوا تأييد الدولة السعودية، وضمنوا حمايتها وبالتالى فقد أخذت هجماتهم تتزايد ضد أية سفينة تحمل العلم البريطانى حيث قويت فكرة الجهاد التى ألهبها الوهابيون فى نفوس القواسم[١]. ومن ناحية أخرى فقد كان الصراع الذى حدث بين السعوديين وسلطنة مسقط له أثره فى جر القواسم إلى دائرة هذا الصراع حين انحازوا للسعوديين ضد سلطنة مسقط وخشيت حكومة بومبـاى أن تتحول مسقط إلى ممارسة القرصنة بضغط القواسم والسعوديين عليها وتأكدت هذه المخاوف حين أرسل سلطان بن أحمد وكلاءه إلى الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى يطالبون باعادة شيناص وغيرها من القلاع التى استولى عليها السعوديون من والى صحار وهناك عاملهم الأمير السعودى معاملة سيئة واحتجزهم فى عاصمته وكان يهدف بذلك الضغط على سلطان مسقط ليأمر سفنه بمعاونة السعوديين فى الهجوم على البصرة أو يبرهن على محبته لقضية المسلمين بارسال حملة للاستيلاء على المستودعات البريطانية فى سواحل الهند وهدد الأمير السعودى بأنه سيهاجم مسقط بنفسه حين يعود من حجه إلى مكة فى الخريف القادم (١٨٠٣)[٢] وعندما حاول سلطان بن أحمد تدبير خطة للقضاء على الوهابيين وحلفائهم القواسم بالاتفاق مع السلطات العثمانية فى العراق دفع حياته ثمناً لذلك حين تربص به القواسم وقتلوه أثناء عودته من البصرة وأثناء مروره بسواحلهم وحدث ذلك فى ميناء لنجه (١٨٠٤)[٣]. وحين حاول العمانيون الانتقام لمقتل سلطانهم اشتبكوا مع القواسم فى خور فكان وتحول الميناء إلى بحيرة

---

(١) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ص ١٣٠/١٣١ .

(٢)الوثائق السعودية : التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ١ ص ١١٧ وما بعدها .

(٣) السالمى وناجى عساف : عمان تاريخ يتكلم ص ٢٠٢ .

من الدماء ولكنهم لم يفوزوا بطائل بل إنهم سرعان ما تعرضوا لخلافات أسرية حادة انتهت بوصول بدر بن سيف إلى حكم السلطنة بالوصاية ١٨٠٤/١٨٠٦ . ومما يستلفت الإنتباه أن اغتيال سلطان بن أحمد قضى على نفوذ مسقط فى الساحل الشرقى من الخليج وورث القواسم نفوذ مسقط فى تلك المناطق[١] . وحاولت بريطانيا أن تستغل الأوضاع المحلية للقضاء على شوكة القواسم حيث وجدت فى بدر بن سيف أداة طيعة لها للقضاء عليهم وعلى الرغم من أن القواسم قد اتحدوا مع العتوب للاطاحة بسلطان بن أحمد إلا أن السياسة القبلية تتميز دائما بالتقلب حيث عاد العتوب لمحالفة بدر بن سيف ضد القواسم وبارك الوكيل البريطانى فى مسقط الكابتن سيتون هذا التحالف تمشياً مع الخطة البريطانية الخاصة بتشجيع التحالفات القبلية حتى تصفى بعضها البعض الآخر وكان ذلك قبل أن تبدأ بريطانيا مرحلة التغلغل العسكرى المباشر فى المنطقة[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بريطانيا استفادت من الخلافات القائمة بين مسقط والقواسم لكى ترسل حملتها العسكرية الأولى إلى الساحل العمانى فى عام ١٨٠٥ وكان ذلك بسبب ازدياد عمليات القواسم ضد السفن البريطانية ففى أواخر عام ١٨٠٤ استولى القواسم على سفينتين تابعتين للمستر صمويل مانيستى ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية فى البصرة وفى العام التالى ١٨٠٥ هاجم القواسم بأسطول يتكون من أربعين سفينة شراعية سفينة حربية تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية ، والجدير بالذكر أن حوادث القواسم اختلفت فى تلك الفترة التى نحن بصددها عن الحوادث السابقة عليها إذ أن الحوادث الأخيرة اصطبغت بالصبغة الدينية[٣] ورغم أن الدلائل التاريخية تؤكد الأثر الوهابى على تلك الحوادث إلا أن حكومة بومباى حاولت بقدر الإمكان أن تغض

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٢ ص ٦٧٥ .

(٢) Bombay Govt., op. c't, Historical Sketsh of Uttoobee tribe of Arabs 1716—1852 P. 361.

(٣) عن اعتناق القواسم للدعوة الوهابية انظر الوثائق السعودية العرض التاريخى لمشكلة البريمى ج ١ ص ١١٢ .

الطرف عن أن يكون أمراء نجد هم المحرضون عليها حتى لا يوقعها ذلك فى نزاع مباشر ضد السعوديين [١]. ولكن ازداد الأمر خطورة بالنسبة لحكومة بومباى حين وجدت بدر بن سيف سلطان مسقط بالوصاية يعلن تضامنه مع القواسم والسعوديين تجنباً للضغط الشديد الذى أخذت تتعرض له سلطنة مسقط من جانبهم . ولعل ذلك هو الذى نبه حكومة بومباى إلى ضرورة التدخل المباشر ولكنها عمدت إلى خطة ذكية تقوم على الاشتباك ضد القواسم وليس السعوديين . وكانت تهدف بذلك قصر الصراع فى الساحل دون الداخل ويعود إلى المستر صموبل مانيستى الأثر الكبير فى تنبيه حكومة بومباى إلى ضرورة هذا التدخل حيث كتب إلى حكومته فى عام ١٨٠٥ يؤكد أن خطر (القراصنة العرب) أصبح يفوق خطر أعدائنا القوميين وكان يقصد بذلك الفرنسيين . كما أن حوادث (القرصنة) أصبحت تسبب لحكومة الهند متاعب أكبر بكثير من المتاعب التى تتعرض لها نتيجة المنازعات الدولية فى بحار الشرق [٢] . وبادرت حكومة بومباى بأن عهدت إلى الكابتن دافيد سيتون Seton مهمة تنظيم تلك الحملة وكان الكابتن سيتون قد عهد إليه من قبل وعلى وجه التحديد فى عام ١٨٠٣ مهمة إعادة افتتاح الوكالة البريطانية فى مسقط والتى كانت قد توقفت لفترة من الوقت بسبب عـدم اهتمام حكومة الهند بسلطنة مسقط ، وجاء فى التعليمات التى زود بها الكابتن سيتون باعتباره قائداً للحملة العسكرية أن يبحث وسائل التعاون مع سلطان مسقط آخذاً فى الاعتبار ما كان يتعرض له السلطان من صراع وخلاف مع القواسم [٣]. ولعل السبب فى اختيار الكابتن سيتون قائداً للحملة البريطانية أنه كان خلال قيامه بالوكالة البريطانية فى مسقط لا يكف عن الطلب من حكومة بومباى أن تساند سلطنة مسقط فى القضاء على القواسم انتقاماً لمقتل سلطانها [٤] ولكن حكومة بومباى ترددت فى اتخاذ هذا القرار الذى أحاطته بالكثير من الإرجاء والتحفظ حتى استقر رأيها أن تعهد إليه بتنفيذ تلك

---

(١) جون كلى : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ص ١٦٨/ ١٧٠ .

(٢) Ireland Philip. Iraq P. 52 London 1954.

(٣) ج . ج لوريمر : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٤) Moyse, B. The Pirates of Trucial Oman pp. 30—34.

المهمة وذلك فى حالة اقتناعه التام بأن السعوديين لن يتدخلوا لمناصرة القواسم. كما كان عليه أيضاً أن يتفادى إثارة أية مواقف من شأنها أن تؤدى إلى تعقيــدات مع الدولة العثمانية أو فارس وأن يقوم بعملياته العسكرية بالتنسيق مع المستر مانيستى ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية فى البصرة والملازم بروس المقيم البريطانى فى بوشهر[1].

ومن ناحية أخرى فقد تمكن الكابتن سيتون من إقناع حكومة بومباى بأن تزود بدر بن سيف بثلاث سفن كبيرة وخمسة وعشرين مدفعاً لكى يشترك معه فى هذه الحملة. وفى ٢٨ مايو ١٨٠٥ غادر سيتون مسقط على ظهر السفينة مورنجتون متجهاً إلى الساحل الشرقى للخليج وربما يرجع السبب فى نقل العمليات العسكرية إلى هذا الساحل الرغبة فى تحاشى الاصطدام بالسعوديين أو قد يكون ذلك بنساء على طلب بدر بن سيف الهجوم ضد القواسم وحلفائهم فى بندر عباس حيث نجح بدر بن سيف فى استرداد كل من بندر عباس وهرمز ، ولاشك أن الاستيلاء على هذين الموقعين أحدث ضرراً كبيراً بالقواسم لأن جميع الموانى التابعة لهم كانت تستخدم هذين الميناءين لتزويدها بمؤنها المعيشية وخاصة من القمح والتمور . غير أن توجيه الحملة البريطانية إلى الساحل الشرقى للخليج أثار احتجاج السلطات الفارسية واعتبرتها عملا عدائياً موجهاً ضد فارس التى كانت تدعى سيادتها على القبائل العربية القاطنة على ذلك الساحل، ولكن قبل أن يتأزم الموقف بين فارس وبريطانيا أسرع الكابتن سيتون إلى تصفية حسابه مع القواسم حيث توجه بمعاونة السفن المسقطية إلى جزيرة قشم بعد أن وصلت إليه أخبار تجمع أسطول القواسم فى تلك الجزر[2]. ولما كان سيتون قد كلف بإرسال تقرير عن الموقف فقد أوصى بأن تتحاشى حكومة بومباى التدخل العسكرى المبــاشر وأن تبادر بإرسال عدة سفن لمساعدة بدر بن سيف فى حروبه ضد القواسم ووافق

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخى ج ٢ ص ٩٧٦ — ٩٧٧ .

(٢) Moyse, B., of cit P. 33 ff.

مجلس حكومة بومباى على تنفيذ ذلك الطلب بعد تردد وتخوف كبيرين لأن ذلك كان يعنى التخلى عن السياسة التقليدية التى استنتها حكومة الهند والخاصة بالابتعاد عن التدخل فى المنازعات القبلية فى الخليج ولذلك فقد أرسلت مع النجدة البريطانية تعليمات جديدة إلى الكابتن سيتون تطلب منه أن يتصرف بأكبر قدر ممكن من الحكمة والاعتدال وأن يسعى إلى تهدئة الموقف ما أمكن بواسطة المفاوضات [١]. وفى خــلال ذلك الوقت استطاع بدر بن سيف مستعيناً بالنجدة البريطانية محاصرة أسطول القواسم فى ميناء قشم . وعلى الرغم من أن القواسم قد وقعوا فى محنة بالفعل إلا أن سيتون بناء على تعليمات حكومته التى أشرنا إليها وافق على أن يمنحهم هدنة لمدة ستين يوماً ومن ناحية أخرى كان سيتون يقدر أنه لن يستطيع ضرب القواسم والتخلص من نفوذهم دون الإساءة إلى فارس والسعوديين، ولاشك أن هذه الهدنة هى التى أدت إلى أولى المعاهدات التى عقدها القواسم مع بريطانيا فى عام ١٨٠٦ وكان ذلك على أثر المفاوضات بين الكابتن سيتون والقواسم . وقدطلب سيتون فى هذه المفاوضات أن يدفع القواسم تعويضات عن سائر الأضرار التى أصابت السفن البريطانية ولكن حين أكد له القواسم أنهم لن يستطيعوا دفع أكثر من عشرة آلاف روبية وعلى أقساط سنوية فقد أهمل سيتون هذا الأمر حيث تم الاتفاق على أنه فى حالة إعادة القواسم للكابتن سيتون السفينتين تريمر **Trimmer** وشانون وهما سفينتان كانتا تتبعان الوكالة البريطانية فى البصرة خلال خمسة وعشرين يوماً ومعها كتاب من شيخ القواسم يعتذر فيه عن مسلك رعاياه ويعلن عجزه عن دفع التعويضات ويتعهد بالكف عن عن هذا المسلك . فى المستقبل[٢] فمن الممكن أن يكون هذا أساساً لمعاهدة توقع بين الطرفين . وفيما يبدو أن القواسم حاولوا أن يخففوا من الضغوط البريطانية مبررين عملياتهم البحرية بأنها كانت بأمر من السعوديين[٣]، وفى

---

(١) دونالد هولى : مرجع سبق ذكره ص ٤٦ .

(٢) السيابى : إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم ص . ص ٧٤/٧٥ .

(٣) ج . ج لوريمر : مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ص ٢٨٠/٢٨٢ .

مطلع ١٨٠٦ تم عقد أول معاهدة بين بريطانيا والقواسم فى ميناء بندرعباس ووقعت هذه المعاهدة بين الكابتن سيتون وبين ممثل الشيخ سلطان بن صقر شيخ مشايخ القواسم وبمقتضى تلك المعاهدة التى جاءت فى شكل (قولنامة) تم تهدئة الموقف نسبياً بين بريطانيا والقواسم وقد احتوت المعاهدة على ستة بنود عالجت استتباب السلام فى الخليج وتعهد القواسم بحماية السفن والممتلكات البريطانية التى تصل إلى موانيهم حيث نصت على مايأتى :

— تعهد القواسم باحترام ممتلكات شركة الهند الشرقية البريطانية ورعاياها ووافق الإنجليز من جانبهم أن يحترم كل من الطرفين علم وممتلكات الطرف الآخر أينما وكيف يكونون .

— فى حالة عدم امتثال القواسم لشروط تلك الاتفاقية تفرض عليهم غرامة مقدارها ثلاثون ألف ريال تساوى (ماريا تريزا) أما إذا أرغموا على نقض تلك المعاهدة بإيعاز من الوهابيين فيتعين عليهم اخطار شركة الهند الشرقية البريطانية قبل ثلاثة أشهر من نقض المعاهدة .

وفى مقابل عقد القواسم تلك المعاهدة أعلن سيتون تنازل حكومة بومباى عن حمولة السلع التى كانت على السفينة تريمر، كما سمح للقواسم بالمتاجرة مع موانى الهند من سورات إلى البنغال، وكانت هذه الموانى محظورة على القواسم منذ هجومهم على السفينتين تريمر وشانون فى أواخر عام ١٨٠٤[1] .

ولعل مما يسترعى الانتباه عند دراستنا لشروط اتفاقية ١٨٠٦ القوة الكبيرة التى بلغها القواسم إلى درجة يمكن أن نعتبر بها اتفاقية ١٨٠٦ من المعاهدات المتكافئة أى أنها لم تمكن على غرار المعاهدات التالية التى ستعقدها حكومة الهند البريطانية مع القواسم والتى سوف يتضح لنا فيها عدم التكافؤ . ولتوضيح ذلك ينبغى أن نلاحظ أن اتفاقية ١٨٠٦ احتوت على بنود ملزمة للطرفين ولعل أكثر ما يسترعى الانتباه أنها عقدت بين الكابتن سيتون ممثلا

---

(١) راجع النص الكامل للاتفاقية فى لاحق الكتاب وقد وقعها الكابتن سيتون مع عبد الله ابن كروش ممثل الشيخ سلطان بن صقر وصادق عليها نائب الملك فى الهند . ومما تجدر الإشارة إليه أن الكابتن سيتون كان حريصا على عدم إشراك السعوديين فى تلك الاتفاقية .

عن حكومة الهند وشيخ مشايخ القواسم ، أى أن حكومة الهند لم تتعامل مع القوى القبلية بصورة انفرادية كما سيحدث ذلك فى المعاهدات والاتفاقيات التالية وانما أقرت حكومة الهند فى هذه المعاهدة بالزعامة القاسمية الموحدة[1].

ويعتبر توقيع هذه المعاهدة نهاية للمرحلة الأولى من مراحل صراع بريطانيا مع القواسم وعلى الرغم مما ترتب على سيطرة الانجليز فى هذه المرحلة على جزيرة قشم وهرمز وقيس وبندر عباس وتسليم الكابتن سيتون تلك الجزر والموانى لبدر بن سيف بهدف تحاشى اصطدام بريطانيا مع فارس ، وحتى تستطيع حكومة الهند إعادة السيطرة عليها مستقبلا إلا أن بدر بن سيف أسرع بالانسحاب من تلك المناطق وكان ذلك حين رفض الكابتن سيتون العرض المقدم اليه بأن تقيم حكومة الهند وكالة لها فى بندر عباس ولا شك أن بدر ابن سيف كان يهدف بذلك إلى تثبيت نفوذه بدعم من حكومة الهند فى تلك المناطق غير أن فقدان بدر بن سيف لتلك المساندة هو الذى اضطره للانسحاب منها على الفور تحاشيا للمصاعب التى كان من المحتم أن يواجهها من قبل القواسم أو السلطات الفارسية على الساحل الشرقى للخليج[2] . ومن ناحية أخرى فإن القواسم لم يلتزموا بنصوص معاهدة ١٨٠٦ لأكثر من عامين حيث عادوا إلى تكرار نشاطهم البحرى ضد السفن البريطانية إلى درجة أزعجت حكومة الهند إزعاجا شديدا وخاصة حين استولى القواسم على السفينة البريطانية سيلف Sylph وركزوا هجماتهم البحرية على سواحل الهند . ولعل من أهم العوامل التى ساعدت القواسم على مواصلة عملياتهم البحرية السياسة الحذرة التى انتهجتها حكومة بومباى منذ حملة ١٨٠٥ وذلك حين أصدر مجلس إدارتها تعليمات مشددة إلى جميع قادة البحرية البريطانية بعدم التعرض للسفن العربية[3]. ويرجع سبب صدور تلك

---

(١) جمال زكريا قاسم : الأسس التاريخية لوحدة الإمارات العربية — من أعمال ندوة تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة — بيروت — مارس ١٩٨١ .

(٢) ج . ج لوريمر — مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ص ٦٨٣ — ٦٨٤ .

(٣) Low, Charles. History of the Indian Navy vot. I P, 317 SQ.

التعليمات أن حكومة بومباى لم تكن تريد أن تتأزم العلاقات بينها وبين السعوديين فى الوقت الذى بدأ فيه نابليون بونابرت يستأنف نشاطه فى الشرق عقب وصوله إلى عرش الإمبراطورية الفرنسية، ومن ناحية أخرى فإن حكومة الهند لم يكن فى مقدورها فى ذلك الوقت توفير القوات اللازمة لمواجهة تحديات القواسم لأنها كانت مجهدة تماما فى حروبها داخل القارة الهندية فضلا عن مواجهة التنافس الفرنسى لها فى بحار الشرق[1] . وطبقا لتقدير الرحالة البريطانى جيمس موريير Morrier [2] . بلغ أسطول القواسم فى عام ١٨٠٩ ثلاثا وستين سفينة كبيرة وثمانمائة وعشر سفينة صغيرة وعلى هذه السفن تسعة عشر الف مقاتل ولعل هذا التعاظم فى قوة القواسم البحرية جعل بعض الباحثين ينفون عن القواسم أعمال القرصنة إذ أن قوة كبيرة مثل تلك القوة التى تحدثنا عنها تمثل قوة دولة بالمفهوم السائد فى مجتمعات الجزيرة العربية ، وليست قوة خاصة بأفراد يشتغلون بالقرصنة لحسابهم . ولعل التعاظم فى قوة القواسم أيضاً هى التى شجعت سلطان بن صقر بأن يطالب حكومة بومباى بدفع مبالغ مالية سنوية له مقابل تعهده بضمان سلامة تجارتها فى الخليج [3] ، وكذلك مقابل أجور الخدمات والتسهيلات التى يقدمها للسفن التابعة لها خلال مرورها بسواحله [4]. وعلى الرغم من أن هذه المطالب تعد مطالب مشروعة وفقاً للمفهوم العصرى الحديث إلا أن بريطانيا اعتبرت تلك المطالب بمثابة خدش للكرامة البريطانية ورد القواسم على ذلك بشن هجومهم على السفينة ميسترفا Minerva فى إبريل ١٨٠٨ وهى إحدى السفن التابعة للوكالة البريطانية فى البصرة وحدث

---

(١) صالح العابد — دور القواسم فى الخليج العربى ص ٢١٩ .

(٢) Morrier, James, A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinpole 1809 P, 373 Sq London 1812.

(٣) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ١ ص ص ٢٨٣/٢٨٤ .

(٤) السيابى : موجع سبق ذكره ص ٩٠ .

(٥) Heude, Adoyage up the Persian Gulf P. 37, Buckingham op. cit. P. 228.

ذلك الهجوم على مقربة من رأس موساندم حيث أعمل القواسم الذبح والتقتيل فى بحارتها بينما أبقوا على المسز تايلر Tyler زوجة الليفتانت روبرت تايلر مساعد المقيم البريطانى فى بوشهر وابنها الطفل حيث لم يكن من عادة القواسم الاعتداء على النساء والأطفال ، وتم بعد ذلك إطلاق سراح الأسرى ومن بينهم تلك السيدة وطفلها بعد دفع دية لهما بلغت فى ذلك الحين ستمائة وسبعين ريالا [١] . وقد وصف أحد ضباط الأسطول البحرى التابع لحكومة بومباى أسلوب القواسم فى التخلص من ضحاياهم بقوله « إننى لا أستطيع أن أتصور كيف أن هؤلاء الناس الذين ليست القسوة من طبيعتهم أن يتخذوا الوحشية والعنف سبيلا للتخلص من أسراهم فهم يقترفون تلك الأعمال ببرود رهيب مما يضفى على العملية لونا رهيباً يتخذ أسوأ أنواع القسوة هذا على الرغم من أن عقيدتهم الدينية لاتبيح لهم تلك الأساليب العنيفة ومن عادة هؤلاء بعد أن يستولوا على إحدى السفن أن يقوموا بغسلها بالماء ورشها بماء العطور ثم يقودون بحارتها واحداً تلو الآخر ويعلقون رأسه على فوهة المدفع ثم يبترونهـــا وهم يكبرون باسم الله » [٢] .

وكانت آخر ضحايا القواسم فى عام ١٨٠٨ السفينة داريا دولت التى كان يقودها الكابتن فلمنج Fleming وباستيلاء القواسم على تلك السفينة اتجهت نية حكومة الهند للقضاء على القواسم قضاءاً مبرماً [٣] ، وخاصة حين وصلت إلى حكومة الهند أنباء اعتداء القواسم على أحد المتطوعين لحراسة السيرجون مالكولم الذى كان متوجهاً فى سفارة إلى البلاط الفارسى . ومما تجدر الإشارة إليه أن الكابتن سيتون الوكيل البريطانى فى مسقط قد استند على هذا الحادث لحث حكومة الهند على ضرورة اتخاذ قرار عاجل بوجوب تدخل قواتها

(١) صالح العابد — مرجع سبق ذكره ص٢١٩ .

(٢) كلى — مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ١٧٩ .

(٣) السيابى : إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم ص ٩٦ .

العسكرية فى الموانى التابعة للقواسم وكان يخشى إذا استمرت الأوضاع على ما هى عليه أن تسقط مسقط فى أيدى القواسم . وقد عبر عن ذلك فى رسالة له إلى حكومة بومباى قال فيها « إنه لا يمكن لشيء سوى سرعة التدخل أن يحول دون تدمير ميناء مسقط تدميراً تاماً ودون وقوع سكانه وملاحيه فى أيدى القراصنة »[1] . ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن الأمور فى سلطنة مسقط قد تحولت لمصلحة بريطانيا حين قفز إلى الحكم السيد سعيد ابن سلطان ١٨٠٦/١٨٥٦ على أثر اغتياله لبدر بن سيف وظهور اتجاه معاد للقواسم والسعوديين من قبل السلطان الجديد الذى توافقت أهدافه مع الأهداف البريطانية ومن ثم تمهد الطريق لتعاون وثيق بين مسقط والإنجليز حيث أدرك سلطان مسقط أن اشتراكه مع بريطانيا فى حملاتها المتكررة لقمع ما أسمته بالقرصنة يمكن أن يجنى من ورائه عدة فوائد من بينها استعادة ما أخذه القواسم من موانى وجزر كان يعتقد أنها تابعة لسلطنته هذا فضلا عن أن اشتراكه مع بريطانيا يمكنه من اكتساب صداقتها وبالتالى يستطيع أن يجنى من وراء ذلك السيطرة على بعض مقاطعات الخليج ولا سيما جزر البحرين التى كانت مطمع أنظاره ، كما يستفيد من التأييد البريطانى ضد مناوئيه ومقاومة الحركات الانفصالية التى كانت تهدد وحدة ممتلكاته بين الحين والآخر . ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا ركزت على تصويب ضربتها ضد القواسم حماية لسلطنة مسقط وحتى لا يتحول الحليف الذى تطمئن إليه وهو سلطان مسقط إلى عدو يهدد مصالحها فى تلك المنطقة الحيوية بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية[2] .

وتتضح لدينا أهداف حملة ١٨٠٩ من التعليمات التى صدرت لقائدها وين راين Wain Wright ومساعده السياسى الكابتن دافيد سيتون وتتلخص تلك الأهداف فى تدمير قواعد القواسم ومنحها للسيد سعيد سلطان مسقط

---

(١) كلى — مرجع سبق ذكره ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) Bombay Govt., Selection from the Records vol. XXIV P. 180 FF.

وأن تتم العمليات العسكرية دون أى احتكاك بالسعوديين[١] . كما كانت أهداف الحملة أيضاً تتجه إلى فرض معاهدة استسلامية على القواسم بعد عزلهم عن السعوديين . ولذلك فإن حكومة بومباى ما فتئت تردد بأن هذه الحملة ليست موجهة ضد السعوديين ولكنها موجهة ضد العناصر التى تهدد أمن الملاحة فى الخليج والهند وتحترف القرصنة . ولعل من أبرز أهداف الحملة أيضاً تحقيق التعاون بين حكومة الهند والسلطات الفارسية وذلك بأن يراعى الإنجليز السيادة الفارسية على السواحل الشرقية من الخليج وخاصة أن القواسم كانوا يسيطرون على بعض موانى تلك السواحل ومن بينها ميناء لنجة أما الهدف الأخير من أهداف حملة ١٨٠٩ فكان تعرف البحرية البريطانية على أنسب جزيرة تقع فى مدخل الخليج تصلح لتأسيس قاعدة بحرية بريطانية لمراقبة الملاحة والسفن العابرة فى مياهه[٢] .

ومما نجدر الإشارة إليه أن الأوضاع المحلية فى الخليج كانت فى صالح الحملة البريطانية إذ كان سلطان مسقط يعد حملة واسعة النطاق كان يهدف بها إلى التصدى للسعوديين ، كما تمكن أيضاً من جمع قوة كبيرة من القواسم المستائين من الشيخ حسين بن على الذى عينه السعوديون نائباً على القواسم بعد خلعهم لزعيمهم الأعلى الشيخ سلطان بن صقر وكان هؤلاء المستاءون قد دعوا سلطان مسقط للقيام بهذه الحملة وتعهدوا بمساعدته . ولا شك أن حكومة الهند وجدت فى هذه الأوضاع عاملا مساعداً لها بمعنى أنها أصبحت فى وضع يمكنها من استغلال الصراعات الداخلية بين القواسم والسعوديين وسلطنة مسقط وذلك بإحداث ثغرة تستفيد من ورائها فى ضرب القواسم وذلك بمحالفتها لسلطنة مسقط وعزلها القواسم عن السعوديين[٣] .

---

(١) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ص ١٣٣ .

(٢) صالح العابد — مرجع سبق ذكره ص ٢٧٤ .

(٣) S.R.B.G. Historical Sketch of Wahabee Tribe of Arabs vol. XXIV 1795—1853 P. 427. SQ.

وطبقاً لهذه الخطة وتحقيقاً لأهداف الحملة عهدت حكومة بومباى إلى الكابتن وينرايت والكولونيل سميث من ضباط البحرية البريطانية فى الهند بقيادة هذه الحملة التى خرجت من ميناء بومباى فى ١٤ سبتمبر ١٨٠٩ ويفهم من القوة البحرية الضخمة التى كانت تتشكل منها تلك الحملة مدى القوة البحرية التى كان عليها القواسم إذ كانت الحملة البريطـانية تتألف من الفرقاطة لاشيفون ذات الستة والثلاثين مدفعاً والمورنجتون ذات الثمانية والعشرين مدفعاً ومن عدة سفن عسكرية أخرى هذا بالإضافة إلى سفينة للقذائف ، كما اشترك فى هذه الحملة فرق من مدفعية بومباى وفرق من المشاه بالإضافة إلى أربعة وخمسين ضابطاً وبضع مئات من الجنـود ، ويذكر لوريمر أن الحملة لازمها سوء الطالع من يوم إبحارها إذ أنه قبل أن تنقضى أربع وعشرون ساعة على خروجها من بومباى سفط قاع قاذفة القنابل سترمبولى وغرقت السفينة وغرق معها ضابط من ضباط المدفعية ومعظم بحارتها بالإضافة إلى قدر كبير من الذخيرة التى كانت معدة لاستخدام الحملة كلها [١] . وحين وصلت إلى مسقط كان السيد سعيد فى حالة يائسة وساخطة إذ كان يرى أن الحملة أصغر من أن تقوم بالمهمة الموكلة إليها وفى هذه المرحلة لم يعرض السيد سعيد تعاونه مع الحملة التى أرسلتها حكومة بومباى بناء على إشارته واعتمادا على مساندته [٢] . ولذلك خرجت الحملة من ميناء مسقط فى نوفمبر ١٨٠٩ ، وبدأت تتعاون مع بعض العناصر المحلية بالإضافة إلى مجموعة من القواسم المنشقين عن السعوديين . ومما تجدر الإشارة إليه أن شيخ الكويت أبدى رغبته فى مشاركة السفن البريطانية فى هجومها على رأس الخيمة وكان يهدف بهذه المشاركة ألا تقف الكويت معزولة عن الأحداث كما كان يرغب فى الوقت نفسه الاقتصاص من القواسم لكثرة اعتداءاتهم على سفنه وسفن رعاياه ، ولكن الكابتن وينرايت رفض تلك المساعدة إذ أن

---

(١) ج . ج لوريمر دليل الخليج جـ ٢ ص ٩٨٨ .

(٢) وثائق الحكومة السعودية : انظر العرض التاريخى لمشكلة البريمى جـ ١ ص ١٢٦ .

الوهابيين سبق لهم أن قاموا فى عام ١٨٠٨ بهجوم فاشل على الكويت وعقب ذلك أخذوا فى تحريض القواسم ضد الكويت ، ومن ثم قدر وينرايت أن اشتراك الكويت فى هذه الحملة سيجر الانجليز إلى التورط فى العلاقات الداخلية هذا فضلا عن أن تعليمات حكومة الهند كانت تنص صراحة على أن يتجنب قادة الحملة الاشتراك فى أية صراعات ينجم عنها الصدام مع السعوديين .

والأهم من ذلك أن حكومة الهند كانت تحرص على التعامل مع القواسم كقوى مستقلةعن أية تبعية . ولنفس السبب لم تقم حملة ١٨٠٩ بأى هجوم على رحمة بن جابر المنشق عن تحالف العتوب باعتباره حليفاً للسعوديين فى ذلك الوقت فضلا عن أنه لم يهاجم أية سفينة ترفع العلم البريطانى ، وحتى حين عرض شيخ الكويت على وينرايت أن يزوده بمرشدين يعرفون مداخل موانى القواسم رفض قائد الحملة البريطانية ذلك العرض[1] ، على أن وينرايت ندم على ذلك فيما بعد ، وخاصة حين تبين له أن المرشدين الذين جاء بهم من مسقط كان لا فائدة ترجى منهم . وقد وجهت حملة ١٨٠٩أولى هجماتهاعلى عاصمة القواسم رأس الخيمة وكان الشيخ حسين بن على الذى عينه الإمام السعودى نائباً عنه فى الحكم غائباً فى موسم الحج لذلك العام . وبدأ وينرايت هجومه فى ١٢نوفمبر ١٨٠٩ حيث دارت معركة عنيفة بين الطرفين[2] ودافع القواسم عن عاصمتهم دفاعاً مستميتا ولم ينسحبوا من مراكزهم إلا بعـــد أن أضرم الانجليز النيران وخلت رأس الخيمة من سكانها الذين انسحبوا إلى الداخل كما أحرق الإنجليز كل السفن التى وجدوها فى الميناء وكان يبلغ عددها أكثر من خمسين سفينة من

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ص ٣٢٣/٣٢٤ .

(٢) Warden, P.S,R. B. G. vol. XXIV P. 305 SQ. See also Low, C : History of the Indian Navy vol. I pp. 325–329

ومما يذكر بصدد ذلك أن حملة ١٨٠٩ قامت فى وقت لم تكن قد بدأت فيه بعد عمليات المسح البحرى للساحل العمانى .

بينها السفينة الإنجليزية مينرفا . وقد أورد لنا المؤرخ النجـــدى عثمان ابن بشر وصفاً لأنباء ذلك الهجوم بقوله « وفى أوائل عام ١٢٣٥ هجرية سار النصارى على أهل رأس الخيمة المعروفة فى عمان حيث أقبلوا فى مراكب عظيمة ومدافع هائلة وعساكر لا تحصى فبندروا فى البلد وخربوها براً وبحراً فهرب منها أهلها وتركوها لهم »[١] . وتؤكد لنا الروايات المتعلقة بأنباء تلك الحملة أن الإنجليز نهبوا المدينة وألحقوا كل أنواع الأذى بسكانها وأبنيتها وقامت عملية نهب كبيرة إذ دخل الجنود الإنجليز القلعة ونهبوها واستباحوها لأنفسهم[٢] ، وذكرت إحدى المصادر أن كل واحد من الجنود الإنجليز زادت ثروته فى ذلك اليوم بما لا يقـــل عن ثلاثمائة جنيه[٣] . وعلى الرغم مما حققته الحملة من انتصارات إلا أنه لم يلبث بعد ذلك أن ساد الخوف فى نفوس الإنجليز نتيجة تقدم القوات السعودية ولذلك أسرعوا إلى ظهور سفنهم واتجهت الحملة إلى الشمال قاصدة ميناء لنجه ولافت فى جزيرة قشم حيث تم لها الإستيلاء على هذين الموقعين اللذين يتبعان القواسم[٤] . ومما يستلفت الانتباه أن السيد سعيد قبل الاشتراك مع الإنجليز فى تلك المرحلة حيث سلم له قائد الحملة لافت ليجعلها تحت حكمه واقترح السيد سعيد على وينرايت أن تتقدم الحملة لمهاجمة كل من شيناص وخورفكان[٥] وأصبح واضحاً أن السيد سعيد كان يريد استغلال الحملة الإنجليزية لتحقيق طموحه فى الخليج العربى وذلك بالتخلص من القوى المحلية المنافسة له ، ولذلك السبب طلب من وينرايت التوجه إلى خورفكان للتخلص من نفوذ الجلاهمة كذلك طلب منه القضاء على العامل الوهابى حسين بن على

---

(١) عثمان بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ٣٢٣ .

(٢) العابد : مرجع سبق ذكره ص ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٣) السيابى : مرجع سبق ذكره ص ١٤١ .

(٤) العابد : مرجع سبق ذكره ص ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٥) Bombay Govt., op. cit. Historical Sketsh of the Rise and Progress of the Govt. of Muscat vol XXIV. pp. 180 SQ.

فى رأس الخيمة[١] وهو من الولاة الذين عينهم الإمام السعودى فى إدارة الموانى التابعة للقواسم . ولكن وينرايت وجد أن الحاح السيد سعيد قد يورطه فى مشكلات لا حصر لها وخاصة أن هجومه على شيناص قد ورطه بالفعل فى بعض هذه المشكلات إذ أن ذلك الميناء الذى يقع على ساحل كرمان كان قد استولى عليه السعوديون كما كانت فارس تدعى سيادتها عليه . ولعل مما يستلفت الانتباه أن السلطات الفارسية لم تحتج كعادتها حين وصلت الحملة البريطانية إلى شيناص إذ وجدت فيها عاملا فى القضاء على النفوذ السعودى فى ذلك الميناء[٢] بيد أن المشكلة التى واجهها وينرايت أن قلعة شيناص كانت مشيدة فى الداخل مما اضطره إلى النزول إلى البر بمعنى أن العمليات العسكرية قد انتقلت من الساحل إلى الداخل ، وعلى الرغم من أن القوات السعودية دافعت عن القلعة دفاعاً باسلا إلا أن القائد السعودى اضطر إلى تسليم القلعة للانجليز الذين سلموها بدورهم إلى الفرق التابعة لسلطان مسقط ، ولكن يبدو أن ميناء شيناص قد دمر تماما إلى درجة أن السيد سعيد وجد من الحكمة أن لا يبقى سيطرته عليه[٣] وكما تقرر وثائق حكومة بومباى أن عمليات التخريب فى شيناص وصلت إلى ذروتها وكان ذلك مما أدى إلى تقاعس قائد الحملة البريطانية عن مواصلة عملياته العسكرية فى خورفكان التى بقيت وغيرها من الموانى بأيدى القواسم[٤] . هذا بالإضافة لما أبداه السيد سعيد من تردد تجاه الهجوم

---

(١) Idem.

(٢) Brydges, Sir Harford Jones, An account of the Transaction of a mission to the Court of Persia which is appended a brief History of the Wahauby P. 40.

(٣) يذكر الطبيب الايطالى Vincenzo Maurizi أنه قاد هذه الحملة بتكليف من سلطان مسقط وعاد بها منصوراً مما جعله يسمى نفسه بالشيخ منصور أو أن يكون ذلك ترجمه لاسمه الايطالى :

Shaikh Mansour, History of Seyyed Said, p. 56,

(٤) Bombay Govt., op. cit. pp. 305—306.

على تلك الموانى خشية أن يواجه بمقاومة عنيدة من قبل القواسم، وبانتهاء عملية شيناص عادت الحملة البريطانية إلى بومباى[١] .

كان من أهم النتائج التى تمخضت عن حملة ١٨٠٩ تورط السيد سعيد فى صراع ضد السعوديين وهو صراع لم ينقذه منه سوى تقدم القوات المصرية التركية إلى نجد بعد ذلك بعامين ففى أبريل ١٨١٠ وصلت أنباء إلى حكومة بومباى مفادها أن قوات السعوديين أصبحت قريبة من مسقط واستنجد السيد سعيد بأصدقائه الإنجليز مؤكداً لهم أن تعاونه معهم فى حملة ١٨٠٩ قد ورطه فى نزاع مع السعوديين ، ولما كانت حكومة بومباى حذرة إزاء أى نزاع مباشر بينها وبين السعوديين فقد نصحته بإنهاء النزاع بينه وبينهم لأنها تعتبر نفسها فى حالة سلام مع السعوديين وطلبت منه أن يقبل شروطهم إذا كان فى تلك الشروط ما يتفق مع عزة سلطنته واستقلالها [٢]. وهكذا أدت حملة ١٨٠٩ إلى جفوة مؤقتة فى العلاقات بين السيد سعيد والإنجليز تلك العلاقات التى وصلت إلى ذروتها فى اشتراكه فى الحملة البريطانية وطبقاً لما ذكرته الوثائق السعودية أن هذه الحملة كانت نتيجة تحريض السيد سعيد وإلحاحه فى التخلص من القواسم وحلفائهم السعوديين[٣] ورغم الانتصارات العسكرية التى حققتها حملة ١٨٠٩ وما ترتب عليها من تخريب معقل القواسم برأس الخيمة إلا أنهـا مع ذلك لم تحقق أهدافها العسكرية من حيث القضاء على القواسم قضاء مبرماً إذ أن معظم الأسطول القاسمى نجا من عمليات التدمير حين اختفت معظم سفن القواسم — قبل

---

(١) S.R.B.G. Historical Sketsh of the Arab tribes of Wahabees. See also the Rise and Progress of the Govt., of Muscat vol. XXIV. P. 180 ff.

(٢) cf. Bombay Govt., op. cit, the Rise and Progress of the Govt. of Muscat P. 182 SQ.

(٣) وثائق سعودية : التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ١ ص ١٢٦ .

مجيء الحملة فى الخلجان الضيقة العميقة فى الجانب الغربى من شبه جزيرة مسندم ، وكانت تلك الخلجان غير معروفة لدى الانجليز فى ذلك الوقت كما أن كثيراً من سفن القواسم كانت فى رحلات وأسفار تجارية بعيدة فى البحر الأحمر وسواحل شرق أفريقية . ورغم ما أوقعته الحملة بالقواسم والسعوديين من أشد أنواع الهزيمة والخسائر [1] إلا أنها مع ذلك لم تستطع الحصول على إعتراف بالهزيمة أو على الأقل وعد من القواسم بالكف عن عملياتهم البحرية ضد الإنجليز وإن كانت الحملة نجحت نجاحاً كبيراً فى توجيـــه ضربة للسعوديين فى شيناص وتحييدهم فى النزاع بين بريطانيا والقواسم ولعل ذلك قد اتضح لنا فى الكتاب الذى أرسله الامام السعودى إلى المقيم البريطانى فى الخليج والذى أكد فيه أنه منع أتباعه من مهاجمة السفن البريطانية . ولعل مما يسلتفت الانتباه أنه على الرغم من أنه كان يتعين على وينرايت بعد الانتهاء من عملياته العسكرية بأن يحمل القواسم على إبرام معاهدة سلام يتعهدون فيها بالامتناع عن القيام بعمليات بحرية ضد السفن البريطانية إلا أن تلك المعاهدة لم تعقد على الإطلاق وفى تقديرنا أن القادة الإنجليز لم يتمكنوا من عقد هذه المعاهدة مع القواسم فى أعقاب حملة ١٨٠٩ كما حدث فى أعقاب حملة ١٨٠٥ التى انتهت بعقد معاهدة ١٨٠٦ أو كما حدث فى أعقاب حملة ١٨١٩ والتى انتهت بتوقيع معاهدة السلام العامة فى عام ١٨٢٠ لأن زعيم القواسم الشيخ سلطان بن صقر لم يكن عند قيام حملة ١٨٠٩ قائماً بالسلطة وبالتالى فقد كان من العسير عقد معاهدة ملزمة للقواسم دون أن يشترك فيها الإمام السعودى اشتراكاً مباشراً لأن السعوديين كما سبق أن أوضحنا استطاعوا أن يسيطروا على جميع مقاطعات القواسم بعـــد عزل

---

(١) Burchardt, Lewis, Notes on the Bedouins and Wahabys P. 206 FF.

شيخهم سلطان بن صقر [١] . ومن ناحية أخرى فقد تعلو توقيع تلك المعاهدة دون مزيد من العمليات العسكرية خاصة بعد إنسحاب القواسم إلى الداخل وكان لابد من أن تتوغل القوات البريطانية فى الداخل إلى حيث انسحبوا . وفيما يبدو أن الانجليز أعتقدوا خطأ بعد التدمير الذى ألحقوه برأس الخيمة بأن (خطر) القواسم قد انتهى وأن ما بقى عليهم هو إتخاذ الاجراءات الكفيلة بعدم تجدد ذلك (الخطر) فى المستقبل وبصدد ذلك كان المستر مانيستى المقيم البريطانى فى البصرة قد نصح حكومة الهند بأن تفرض حظراً على تصدير الأخشاب إلى مسقط وغيرها من موانى الخليج كى تتمكن من ضرب القوى العربية البحرية [٢] ويؤكد بعض الباحثين بأن حملة ١٨٠٩ كانت عديمة الأثر إذ أن القواسم ظلوا محتفظين بقوتهم وكيانهم وخاصة أنهم تعقبوا قوات الحملة البريطانية وهى تسرع بالانسحاب حال وصول أخبار تقدم السعوديين بقيادة مطلق المطيرى من الداخل كما ظلت جماعات من القواسم تتجمع طوال النهار على الشاطىء تلوح بسلاحها وأعلامها وتهتف بنداءاتها [٣] ومع ذلك فقد أدى الفشل الذى تعرض له السعوديون على أيدى القوات المصرية التركية فى عام ١٨١١ إلى أن يبدى الامام السعودى رغبته فى مسالمة مختلف القوى فى الخليج ، وتذكر بعض المصادر بصدد ذلك أنه أرسل مبعوثا من قبله إلى حاكم ولاية فارستان يعرض عليه الصلح ولما انتهى من مهمته عرج على المستر بروس الوكيل البريطانى فى مسقط حيث أبلغه رغبة الامام السعودى عقد معاهدة ود وصداقة بين الدولتين وأن تصبح موانى كل دولة مفتوحة للأخرى وتجرى

Bombay Govt. op. cit. Historical Sketsh of Arab Tribes (١).
of the Joasmee vol. XXIV. 304 ff.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ٩١٣ .

(٣) محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ، ص ١٨٤ .

فيما بينهما تجارة حرة ولكن بروس رد المبعوث السعودى دون أن يعد بتوقيع تلك المعاهدة وكان ذلك بناء على تعليمات من حكومته وإن كان قد حرص فى نفس الوقت أن يؤكد له مـــدى حرص الحكومة البريطانية على استمرار العلاقات الودية بالامام السعودى.

وتسجل لنا الأعوام من ١١٨١ إلى ١٨١٣ تجـــدد نشاط القواسم البحرى حيث نجحوا فى تحطيم عدد كبير من السفن الانجليزية والفارسية مينائى بندر عباس والبصرة [١] . وبلغ من خطورة عمليات القواسم البحرية أن فكرت حكومة بومباى تفكيرا جديا فى ضرورة التفاوض معهم بيد أن هذه المحاولة لم تنجح إذ رفض القواسم أن يردوا الأسلاب التى كانوا قد اســتولوا عليها وفيما يبدو أن المفاوضات بين بريطانيا والقواسم فى عام ١٨١٣ قطعت شوطا كبيرا إلى درجة وضع مشروع قولنامه أو اتفاقية بين حكومة الهند البريطانية والقواسم فى عام ١٨١٤ ويتضح من هذا المشروع أنه أعاد تأكيد معاهدة ١٨٠٦ وإن كان المشروع الجديد تميز بكونه أكثر تشددا وربما يتضح لنا ذلك من ديباجة مشروع المعاهدة التى كانت تنص على رغبة الطرفين فى استمرار علاقات الصداقة واعتبار ما حدث فى الماضى فى طى النسيان إلا أن بنود الاتفاقية قد الزمت القواسم باحترام العلم البريطانى وعدم التصدى لأية سفينة تحمل ذلك العلم، كما يتعهد القواسم بإبقاء الموانى التابعة لهم مفتوحة للرعايا الانجليز الذين يسمح لهم بزيارتها وممارسة حرية التجارة فيها كما يلتزم القواسم — منعاً من حدوث عدم تمييز بين سفنهم وغيرها من السفن الأخرى — برفع علم أحمر مكتوب عليه فى الوسط عبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » كرمز لجنسية السفن وعنوان لتنظيم القواسم ، كما يتعهد القواسم

---

(١) عن تجدد نشاط القواسم وموقف البحرية الهندية راجع :

Low, History of the Indiau Navy vol. I P. 337 FF.

أيضا باعادة الممتلكات البريطانية الموجودة فى رأس الخيمه وقت التوقيع على الاتفاقية . ونصت المعاهدة المقترحة أيضا على أنه لايجوز إلغاؤها من قبل أى من الطرفين إلا بعد اشعار الطرف الآخر بوقت كاف ؛ كما نص المشروع على أن يتعهد القواسم بانقاذ ومساعدة السفن البريطانية التى تتحطم بالقرب من موانئهم وأن يقوم القواسم بارسال مبعوث من قبلهم إلى حكومة بومباى من أجل التوصل إلى صيغة لاتفاق أكثر شمولا بينهم وبين الحكومة البريطانية[1]. غير أنه لم يقدر لتلك المعاهدة التنفيذ فى الوقت الذى تمادى فيه القواسم فى عملياتهم البحرية ويسجل تاريخ البحرية البريطانية فى الهند فى عام ١٨١٨ أضخم هجوم قام به القواسم على السفن البريطانية التى اعترضوها على مسافة ستين ميلا من بومباى ؛ وكان هذا الهجوم العنيف هو الذى نبه السلطات البريطانية فى الهند إلى ضرورة وضع حد للقوة البحرية للقواسم ونادى بعض المسئولين فى حكومة الهند بضرورة اللجوء إلى القوة العسكرية ورفض أسلوب التفاوض إذ أن ذلك الإسلوب الذى لجأت إليه حكومة بومباى يعد إضعافا لسلطة الإنجليز وخدشا للكرامة البريطانية ! ومما يستلفت الانتباه أن النشاط المتزايد للقواسم فى عام ١٨١٨ كان مرتبطا بتحطيم الدرعية على أيدى قوات محمد على وما تبع ذلك من اندفاع السعوديين إلى سواحل الخليج حيث قام القواسم ببناء معاقل قوية على الساحل خوفا من امتداد القوات المصرية التركية إليهم[2] . ومن ناحية أخرى أتاح التقدم المصرى فى أواسط الجزيرة العربية الفرصة لبريطانيا لكى تضرب ضربتها ضد القواسم ؛ وخاصة أن عملياتهم لم تعد تحت تأثير السعوديين كما كان زعماء للقواسم يبررون عملياتهم البحرية فى الماضى ، ولذلك رأت حكومة الهند أن الفرصة متاحة لتنسيق خططها مع سلطان مسقط ومحمد على للقضاء على القواسم . ومما تجدر الإشارة إليه أن السيد سعيد سلطان مسقط أفاد

(١) المادة الثامنة .

(٢) من أهم هذه القلاع قلعة كبيرة أقامها القواسم فى باسى دور جنوب غرب جزيرة قشم

من التقدم المصرى فى طرد السعوديين من البريمى كما ظل فى مراسلات دائمة مع محمد على بشأن الإجراءات المشتركة التى يمكن اتخاذها ضد الوهابيين والقواسم ؛ كما كانت الأخبار التى ترد إلى حكومة الهند تشير إلى أن ابراهيم باشا سيتمكن فى نهاية عام ١٨١٨ من احتلال نجد والاحساء وهذا معناه حرمان القواسم من المساعدات التى كانوا يتحصلون عليها من الوهابيين ومن ثم كانت حكومة الهند ترى دعوة إبراهيم باشا للاشتراك مع بريطانيا فى عمليات مشتركة ضد القواسم بأن يهاجم البريطانيون القواسم من البحر ويغطى إبراهيم باشا الهجوم من البر . وفى ٢ يناير ١٨١٩ كتب هستنجز Hastings حاكم الهند إلى إبراهيم باشا يهنئه على انتصاره فى الدرعية ويدعوه للقيام بعمل مشترك ضد القواسم بمساعدة السيد سعيد سلطان مسقط وأوفد هستنجز من أجل ذلك الكابتن فورستر سادلر Sadlier من الفرقة السابعة والأربعين من قوات المشاه الهندية لمقابلة إبراهيم باشا وتحددت مهمة سادلر فى التعرف على طبيعـــة موقف إبراهيم باشا بالنسبة لتوسعاته على السواحل العربية من الخليج ؛ والعمل على عقد محالفة بينه وبين بريطانيا بهدف القضاء على القواسم وأن يستكشف نوايا السيد سعيد سلطان مسقط فى مدى استعداده للتعاون مع ابراهيم باشا من أجل ذلك[١] . وعند مقابلة سادلر للسيد سعيد فى مسقط تبين له أن السلطان غير محبذ لفـــكرة التعاون مع ابراهيم باشا إذ ألمح السيد سعيد للكابتن سادلر أن حكمه قد يتعرض للخطر إذا قبل التعاون مع المصريين . ومما يسترعى الانتباه أن السيد سعيد على الرغم من أنه هنأ ابراهيم باشا على فتوحاته فى نجد إلا أنه سرعان ما غير موقفه إذ أن ظهور قائد مصرى طموح على مسرح الخليج لم يكن من الأمور التى يقبلها السيد سعيد بطبيعة الحال وخاصة أنه أعقب سقوط الدرعية لجوء

---

(١) جمال زكريا قاسم : الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز من أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية — الرياض ١٩٧٧ . انظر أيضا جاكلين بيرين (مترجم) اكتشاف جزيرة العرب ص ص ٢٤٣ — ٢٤٦ بيروت ١٩٦٢ .

عدد كبير من السعوديين إلى البريمي وكانوا يرددون الروايات المفجعة عن نظام ابراهيم باشا وما أحدثه من تخريب فى عاصمة السعوديين . ومن ناحية أخرى كان السيد سعيد لا يحبذ ظهور منافس لآماله فى منطقة الخليج العربى وخاصة بالنسبة لجزر البحرين التى كان يطمح فى السيطرة عليها [١] . وعلى أثر ذلك ترك سادلر مسقط لاستئناف مهمته الرئيسية لمقابلة ابراهيم باشا فى الاحساء وكان مجهزاً بعرض شفوى وليس كتابيا من حكومة الهند بأن تحتل القوات المصرية رأس الخيمة بعد سقوطها .[٢] ولكن ما كاد سادلر يصل إلى الاحساء حتى تبين له أن ابراهيم باشا قد انسحب منها ومع ذلك فقد صمم على مقابلته حتى التقى به فى جدة وسجل بذلك لنفسه تاريخاً مجيداً باعتباره أحد الرواد الذين قطعوا الجزيرة العربية من الشرق إلى الغرب وعلى الرغم من الصعاب والمشاكل العنيفة التى تعرض لها فى رحلته إلا أن إبراهيم باشا لم يوافق على المقترحات التى حملها حيث كانت السياسة المصرية قد اتجهت بالفعل إلى الانسحاب من الاحساء وكان محمد على حريصاً على عدم الاتصال بالانجليز فى هذه المرحلة [٣].

وعلى أثر فشل بعثة سادلر أخذت حكومة الهند تضع مخططاً آخر كان يقوم على أن تنفرد بضرب القواسم وتدمير قوتهم وبصدد ذلك طرحت أمام إيفان نيبيان حاكم بومباى عدة مشروعات بصدد ذلك لاختيار واحد منها وكان المشروع الأول يرى الاكتفاء بتدمير قوة القواسم دون أن يعقب ذلك تدخل من قبل حكومة بومباى فى الشئون السياسية للمنطقة . أما المشروع الثانى فكان يستهدف رسم خارطة سياسية للخليج تتفق مع المصالح البريطانية وحين عرض هذان المشروعان على نيبيان كان أميل إلى حل وسط وهو أن يتم تدخل بريطانيا فى الشئون السياسية بطريق غير مباشر وقصد بذلك أن

---

(١) كلى : بريطانيا والخليج جـ ١ ص ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) صالح العابد — مصدر سبق ذكره ص ٢٩٠ .

(٣) Perrin, N. Relation de la Compagne d'Ibrahim Pacha Contre les Wahabites pp 4—6.

تعتمد حكومة الهند على حلفاء لها لتحقيق ذلك كأن تساعد بريطانيا فارس لكي توطد سلطتها فى السواحل الشرقية للخليج وتشجع السيد سعيد سلطان مسقط لكي يبسط سيطرته على السواحل العربية وكذلك مساعدته فى السيطرة على جزر البحرين من أجل دعم موارده المالية ولكي يسهم فى إنشاء قاعدة بريطانية اقترح إقامتها فى رأس الخيمة ، كذلك كان مشروع نيبيان يهدف إلى أن يعهد بحماية الساحل العربي من رأس الخيمة إلى شط العرب إلى محمد علي، وعندما أرسل نيبيان مشروعه هذا إلى الحكومة العامة فى كلكتا رأت أنه أوسع مدى مما يجب ووجهت إلى هـــذا المشروع كثير من الانتقادات التى كان من أبرزها أنه يثير مشاكل سياسية معقدة مع كل من فارس والدولة العثمانية كما أنه سيؤدى على المستوى المحلى إلى تحالف القواسم وآل خليفة لرفض سيطرة مسقط عليهم، ولذلك استقر رأى حكومة الهند على قصر تدخلها على الناحية العسكرية وأكدت على ضرورة احترام الأوضاع السياسية السائدة فى الخليج بمعنى ألا تتدخل لصالح أحد الرؤساء إلا إذا طلب منها ذلك صراحة وحينئذ تؤيد صاحب الحق المشروع . وعلى أساس هذا المبدأ استبعد الرأى القائل بتسليم جزر البحرين إلى السيد سعيد كما تركزت أهداف حكومة الهند على أهمية وضع أسس لحرية الملاحة فى الخليج وحق بريطانيا فى التفتيش البحرى وذلك بالاتفاق مع القبائل التى تعترف باستقلالها بشرط أن تتعهد صراحة بالكف عن أى نشاط بحرى عدائى كما رأت حكومة الهند أفضلية جزيرة قشم عن رأس الخيمة لتكون قاعدة بريطانية[1] .

ولعل من المفيد الاشارة هنا قبل أن نعرض لحملة ١٨١٩ إلى أن التفكير فى إعدادها بدأ فى وقت سابق لقيامها ويمكننا ابراز النقاط التالية باعتبارها من أهم العوامل التى أسهمت فى ابراز هذه الحملة إلى الوجود وهى :

أولا : التقارير الواردة إلى حكومة الهند ومن أهمها مذكرة المستر بروس المقيم البريطانى فى الخليج وفيها يبدى قلقة الزائد من القوة البحرية والتفوق

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٠٢ — ١٠٢ .

الكبير الذى بلغه القواسم ، وكذلك مذكرة ويلوك Willock القائم بأعمال السفارة البريطانية فى فارس وفيها يبدى قلعة من تزايد النفوذ الروسى فى شمال فارس خاصة بعد توقيع اتفاقية جلستان ١٨١٣ التى أدت إلى انتزاع أقاليم جديدة من شمال فارس لصالح روسيا وكان من رأيه أنه لابد من حفظ التوازن بين انجلترا وروسيا بمعنى أنه يتحتم مواجهة النفوذ الروسى فى شمال فارس بنفوذ بريطانيا فى منطقة الخليـــج العربى وجنوب فارس . كذلك نشر وليام هود Heude أحد ضباط البحرية البريطانية فى عام ١٨١٩ انطباعاته من رحلة قام بها إلى الخليج العربى فى عام ١٨١٧ ، وكان مما جاء فى كتابه « إنه لما يخدش الكرامة الوطنية التفاوض مع مثل هؤلاء (القراصنة) الذين لا يعرفون القوانين والذين أصبحوا يشكلون خطراً على الملاحة البريطانية أكثر مما يفعله عدو الوطن الأساسى »[١] .

ثانياً : إنتهاء الحرب العامة فى أوربا فى عام ١٨١٥ حيث خرجت بريطانيا من الحروب النابليونية بممتلـــكات أكثر اتساعاً وبالتالى أصبحت أكثر اهتماماً بتأكيد سيطرتها على الطرق البحرية المؤدية إلى المحيط الهندى ومستعمراتها فى الشرق بما فيها الهند المستعمرة البريطانية الكبرى .

ثالثاً : تغلب حكومة بومباى على ثورة المهراتا فى الهند وفى تقديرنا أن نشوب هذه الثورة هى التى أدت إلى تأخير تنفيذ الحملة لأن الحرب استمرت فى ولايتى بندارى ومهراتا حتى عام ١٨١٨ .

رابعاً : تحطيم الدرعية فى عام ١٨١٨ على يد ابراهيم باشا كان من أهم الأسباب التى أدت إلى تنفيذ الحملة العسكرية خاصة أن اندحار الوهابيين فى أواسط الجزيرة العربية لم يخفف من العمليات البحرية على سواحل الخليج

---

(١) المرجع السابق ص ١٠١ والرحلة بعنوان Avoyage up thc Persian Gulf and Journey Overland from India to England in 1817 London 1819.

بل أنها تصاعدت عما كانت عليه من قبل إذ كان القواسم لا يزالون فى قمة تفوقهم حتى أنهم لم يكترثوا بانهيار الدولة السعودية الأولى ، وقد يكون حقيقة أن الشيخ حسن بن رحمة شيخ القواسم قد حاول فى أعقاب سقوط الدرعية تصفية المشاكل القائمة بين القواسم والإنجليز استناداً على المفاوضات التى سبق أن أشرنا إليها إلا أن تلك المحاولات لم تصل إلى نتائج ملموسة لأن حكومة الهند كانت فى ذلك الوقت مصممة على التخلص من القواسم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن حكومة الهند اتجهت إلى إعداد حملة عسكرية كبيرة آخذة فى اعتبارها أن أية محاولة عسكرية لا تصل إلى ضرب قوة القواسم فى الصميم فإنها ستكون عديمة الجدوى ومن ثم بدأت حكومة بومباى باعتبارها الحكومة المختصة عن شئون الخليج العربى استعداداتها العسكرية منذ صيف عام ١٨١٨ معتمدة على تقرير استخبارى وضعه الكابتن روبرت تيلر Tyler [١] عن مواقع وموارد الموانى الرئيسية للقواسم ومن حجم قوتهم القتالية وخلافتهم السياسية وطبقاً لما جاء فى تقرير تيلر إن الموانى الرئيسية الواقعة على ساحل الخليج التى تنطلق منها أعمال (القراصنة) هى رأس الخيمة والجزيرة الحمراء وأم القوين وعجمان والشارقة ودبى وإلى الشمال ميناء الزبارة وخورفكان والقطيف والعقير ، كما أن أبو ظبى وهى الميناء الرئيسى لبنى ياس وموانى لنجه وخرج على الجانب الشرقى من الخليج والتابعة للقواسم كانت تعتبر أيضاً من الموانى التى تدخل ضمن نطاق تلك العمليات . وفى ٢٧ أكتوبر ١٨١٩ صـــدرت تعليمات حكومة بومباى إلى جرانت كير Keir الذى اختير لقيادة الحملة بالاقلاع إلى رأس الخيمة لتدمير أسطول القواسم وأن عليه أن يتوجه بعد ذلك إلى الشارقة فالجزيرة الحمراء وعجمان وغيرها من موانى المنطقة . وفى ١٤ سبتمبر

---

(١) للرجوع إلى نص التقرير راجع مختارات وثائق بومباى عدد ٢٤ التى تبدأ بهذا التقرير
Tyler R, Historical and other Information connected with Muscat and adjioning countries S,R,B.G. pp. I—40.
ومما يذكر أن هذا التقرير كان هو الأساس الذى اعتمد عليه جرانت كير فى حملة ١٨١٩.

١٨١٩ خرجت الحملة سراً من بومباى خشية أن يصل خبر تحركها إلى القواسم . وكانت الحملة البريطانية تتكون من ثلاث سفن كبيرة الحجم من سفن البحرية البريطانية وست سفن من بحرية شركة الهند وقوة برية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل، كما كانت تضم بعض رجال المدفعية ومما يسترعى الانتباه مغالاة حكومة بومباى فى تشكيل قوة برية من الانجليز والهنود وغيرهم ممن كانت تستخدمهم من العناصر الأخرى . وإلى جانب القوة البحرية والبرية للحملة اعتمدت أيضاً على دعم السيد سعيد العسكرى لها حيث تشير وثائق حكومة بومباى أن السيد سعيد اشترك فى هـذه الحملة بأربعة آلاف مقاتل بالاضافة إلى ثلاث سفن حربية كبيرة الحجم [١] . وكان يهدف بذلك أن تساعده بريطانيا على تحقيق طموحه فى الخليج وما أن وصلت الحملة إلى مسقط حتى انضم إليها بروس المقيم البريطانى فى الخليج كمستشار سياسى لقائدها جرانت كير . وفى ٣ ديسمبر هبط جنود الحملة على رأس الخيمة ، وبادر القواسم من جانبهم بتعزيز وسائل دفاعهم حيث أقاموا سوراً حول مدينتهم وأخذوا يصدون الهجوم بمدافعهم ولكنهم خسروا فى هذه المعركة ما يقرب من ألف مقاتل وجريح وكان ذلك خلال القتال الذى استمر ستة أيام فيما بين ٣ و ٩ ديسمبر ١٨١٩ [٢] . وتؤكد لنا كثير من المصادر التى تناولناها أن القواسم استماتوا فى الدفاع عن مدينتهم وتصدى للقيادة الشيخ حسن بن رحمة وأخوه ابراهيم وأرسل القواسم نساءهم وأطفالهم إلى مزارع النخيل ، ولكن على أثر انتصار الحملة البريطانية تقدمت القوات المرافقة لها حيث دمرت المدينة وتحصيناتها وتم انزال العلم القاسمى الأحمر ورفع محله العلم البريطانى واضطر شيخ القواسم أن يعلن فى اليوم التالى رغبته فى التسليم بشرط ضمان سلامة أتباعه [٣] ، كما تبع ذلك استسلام الكثير من

---

(١) Bombay Govt,, op. cit. vol. XXIV P. 314.

(٢) للتفصيل الخاصة بالحملة انظر :

Low, ch. History of the Indian Navy vol. I pp. 351 ff.

(٣) العابد — مرجع سبق ذكره ص ٣٢٣ .

شيوخ القبائل العربية وكان ذلك على أثر تجول الحملة العسكرية فى موانى بلادهم . وعلى الرغم من أن الانجليز بادروا بتشييد قاعدة بحرية لهم فى رأس الخيمة إلا أن هذه القاعدة لم تستمر لفترة طويلة حيث ظهرت عدة مشكلات تتعلق بامدادات المياه وبالأمراض المستوطنة مما اضطر الانجليز إلى الجلاء عنها فى ٢٨ مايو ١٨٢٠ حيث سلموها للشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة بعد أن تردد كير فى تسليمها إليه فى بداية الأمر .

ومما تجدر الإشارة إليه أن السيد سعيد سلطان مسقط حاول استغلال الانتصار الذى حققته الحملة البريطانية ومساعدته لها لكى تواصل الحملة زحفها على جزر البحرين بهدف تسليمها إليه ولكن كير رفض تقديم تلك المساعدة لسلطان مسقط بناء على تعليمات من حكومته ، وكان على كير بعد الهزيمة العسكرية للقواسم أن يجد نوعا من التسوية السياسية تكفل عدم تمكن القواسم مستقبلا من تهديد الأمن البحرى للخليج هذا بالإضافة إلى تقرير مصير الزعماء والأسرى الذين تم أسرهم على ظهر سفينته ومن بينهم الشيخ حسن ابن رحمة وحسين بن على وخاصة أن كير اكتشف بعد بضعة أيام من اعتقالهم انتشار حالة الاستياء بين القبائل العربية التى ينتمون إليها مما أكد لديه أن بقاء أولئك الزعماء فى الأسر سيتحول إلى عائق سياسى أمام تكوين علاقات بين بريطانيا وأولئك الزعماء تقوم على الثقة والتفاهم [١] . ولذلك يدأ كير سياسة تلطيفية إزاء القواسم فاستدعى الشيخ حسن بن رحمة فى يناير ١٨٢٠ وأبلغه أن سبب أسره يقوم على أساس أنه هو الشيخ المسئول فى رأس الخيمة ، ثم قدم له مسودة معاهدة للسلام كان قد أعدها مع بعض معاونيه وسوف نشير إلى هذه المعاهدة بعد قليل . واضطر الشيخ حسن ابن رحمة أن يوقع على هذه المعاهدة وفى ذلك الوقت وصل الشيوخ البارزون إلى معسكر كير بدعوة منه حيث عرضوا عليه استسلامهم

---

(١) حول النتائج السياسية لحملة ١٨١٩ راجع تقرير كبال

observation on the Past Policy of the British Govt. towards Arab Tribes S,R,B.G. vol. XXIV P. 61 FF.

وصداقتهم للحكومة البريطانية وكان من بين أولئك الرؤساء الشيخ سلطان ابن صقر شيخ الشارقة والشيخ شخبوط بن دياب والد طحنون بن شخبوط شيخ البوفلاح فى أبو ظبى وشيخ دبى القاصر محمد بن هزاع يرافقه عمه الأكبر ؛ وكان الهدف من هذه الدعوة التوقيع على اتفاقيات يسلمون بموجبها جميع السفن التابعة لهم باستثناء سفن الصيد، وكذلك تسليم ماقد يكون لديهم من أسرى . وهكذا استطاع كير أن يخطو خطوة أولى نحو عقد تسوية عامة حيث طلب إلى كل شيخ التوقيع على اتفاقية منفردة كان يهدف من ورائها أن يفرق القبائل عن تكتلها وتكون هـذه الاتفاقية المنفردة شرطا مسبقا لكى يتولى الشيخ مسئولياته، وكانت هذه الاتفاقيات تنص على تسليم المدافع والحصون والسفن، كما يلاحظ أن الاتفاقية التى وقعها الشيخ سلطان بن صقر لم تعترف به إلا شيخا على الشارقة وعجمان وأم القوين ووقعت هـذه الاتفاقيات بتاريخ ٦ يناير ١٨٢٠ بالنسبة لشيخ الشارقة . وفى ٨ يناير ١٨٢٠ مع شيخ خط وفلاحيه . وشيخ دبى فى ٩ يناير ١٨٢٠ . وشيخ أبوظبى فى ١١ يناير . وشيـخ رمس فى ٢٨ يناير ١٨٢٠ ثم أدمجت هذه الاتفاقيات جميعها فى معاهدة عامة وقعها الشيوخ فى ٢١ يناير ١٨٢٠ وترك فيها الباب مفتوحاً لبقية الشيوخ والرؤساء للدخول فيها . ونصت ديباجة المعاهدة طبقا للترجمة العربية على النحو التالى(١) :

« الحمد لله الذى جعل الصلح خيرا للأنام . وبعد فقد صار الصلح الدائم بين دولة سركار الانكريز وبين الطوائف العربية المشروطين على هذه الشروط » . وقد نصت المعاهدة على مايأتى :

---

(١) CF. Treaties & Undertakings between the British Government and the Trucial Chiefs, Government of India (Dept. of State) Calcutta 1906.

أولا : أن تكف جميع الأطراف المتعاقدة عن مزاولة النهب والغارات فى البر والبحر بصفة دائمة .

ثانيا : كل عمل من أعمال السلب أو القرصنة الذى يرتكب بصفة فردية يعتبر ضاراً بالإنسانية مادامت لاتوجدأية حرب معلنة بين الدول .

ثالثا : تلتزم السفن التابعة للعرب الأصدقاء برفع علم أحمر يكون رمزا على جنسيتها ، ولا يجوز استعمال شعار آخر غيره .

رابعاً : ألا تحارب القبائل العربية بعضها بعضا .

خامسا : يجب على السفن العربية أن تكون مزودة بورقة موقعة من رئيس المنطقة التابعة لها يسجل فيها اسم المالك وحجم السفينة وأسماء بحارتها ويعين فيها ميناء الخروج وميناء الوصول .

سادسا : إذا رغب الرؤساء العرب فى إرسال ممثلين عنهم بهذه الأوراق إلى المقيم العام فى الخليج لتوقيعها جاز لهم ذلك تسهيلا لدخولهم الموانى ولعمليات التفتيش على أنه يشترط عرض هـــذه الأوراق على المقيم البريطانى سنوياً .

سابعاً : إذا لم تكف قبيلة من القبائل عن القرصنة وجب على القبائل الأخرى أن تجتمع للتباحث فى عمل مشترك ضدها ويمكن إشراك الحكومة البريطانية وقت وقوع الحرب وفى توقيع العقوبة على القبيلة المذنبة .

ثامناً : إن قتل الأسرى — بعد تسليم أسلحتهم — يعد عملا من أعمال السلب كما يعتبر خرقاً لمعاهدة الصلح .

تاسعاً : إن نهب الرقيق من الساحل الشرقى لإفريقيا يعتبر عملا من أعمال القرصنة ويجب على العرب الكف عن ذلك [1] .

---

(١) أدخلت هذه المادة على معاهدة ١٨٢٠ بطلب من الكابتن طمبسون **Thompson** الذى أصبح فيما بعد داعيه من دعاة منع الرق وكانت هذه المادة نصرا سياسيا لبريطانيا لأن الرقيق هم=

عاشرا : تستطيع السفن العربية التى تحمل العلم الخاص بها الدخول فى الموانى التابعة لبريطانيا وكذلك موانى حلفائها والتجارة فيها بكل حرية وأمان وإذا هوجمت إحدى تلك السفن فإن الحكومة البريطانية تأخذ ذلك بعين الاعتبار .

حادى عشر : تعتبر جميع الشروط المذكورة سابقا شروطا عامة ويجوز لمن شاء من الرؤساء الآخرين الذين لم يوقعوا عليها الدخول فيها بنفس الطريق التى انضم بها الرؤساء العرب الموقعون عليها .

ومما تجدر الاشارة إليه أن شيخى البحرين انضما إلى تلك المعاهدة حيث أرسلا مبعوثا من قبلهما وهو السيد عبد الجليل إلى الشارقة فى ٥ فبراير ١٨٢٠ ثم وقع المعاهدة بعد ذلك شيخا البحرين سليمان وعبد الله بن أحمد على المعاهدة فى البحرين فى ٢٣ فبراير ١٨٢٠ .

والمهم أنه على أثر توقيع الشيخ حسن بن رحمه على معاهدة السلام العامة بادر كير بعزله من مشيخة القواسم وأسند الزعامة إلى الشيخ سلطان ابن صقر[1]. على أنه اتجه إلى تقليل سلطته حيث منح كلا من شيخ عجمان وشيخ أم القوين اللذين استقبلهما على سفينته الحربية ليفربول فى ٢٣ فبراير ١٨٢٠ حق الدخول فى هذه المعاهدة ، ولذلك مغزى هام لأنه حينما سمح لسلطان بن صقر بالتوقيع على المعاهدة المذكورة أصر طبقا لما كان قد اتفق

= الذين كانوا يقاومون النفوذ البريطانى وقد ذكر أحد الباحثين المحليين أن عبيد القواسم كانوا يقاومون بريطانيا أكثر من غيرهم انظر السيابى : مرجع سبق ذكره ص ص ١٦٠/١٦١ .

(١) كان الشيخ سلطان بن صقر فى ذلك الوقت حاكما على الشارقة وضم له كير رأس الخيمة فى عام ١٨٢٠ ولسنا نعرف عما إذا كان قد أقام فى رأس الخيمة أو ظل مقيما فى الشارقة فحتى وفاته فى عام ١٨٦٦ كان يطلق عليه شيخ الشارقة وأحيانا شيخ رأس الخيمة دون تمييز بين المدينتين وإن كان من الواضح أنه اضطر نظرا لأعمال التخريب التى تعرضت لها رأس الخيمة من جراء الحملات العسكرية عليها إلى جعل مركز حكمه فى الشارقة .

عليه ضمنا فى الاتفاقية التمهيدية على أن الشيخ راشد ابن حميد شيخ عجمان وعبد الله بن راشد شيخ أم القوين هما من رعاياه وبأنه يوقع معاهدة السلام نيابة عنهما ولكن كير بعد أن أمعن التفكير قرر أنه من الأصوب وضع حدود لمطالب الزعيم القاسمى فى المنطقة وذلك بالاعتراف بالشيخين الآخرين كحكام مستقلين . ولا شك أن ذلك التفكير كان بعيد النظر لأنه يضمن الحيلولة دون انبعات جديد للاتحاد القاسمى وذلك بتحطيم سلطة الزعيم الأعلى السياسية على بقية الشيوخ والاعتراف بهم كقوى مستقلة وبذلك لا يواجه الانجليز أخطارا من جراء وجود قوة متحدة تستطيع فى وقت ما أن تنفض عنها آثار الهزيمة العسكرية والسياسية وعلى الرغم من أن الشيخ سلطان ظل يعتبر عجمان وأم القوين تابعتين له إلا أنه لم يلبث أن أعلن عن تنازله عن السيادة عن هاتين المشيختين فى عام ١٨٣٢ . وهكذا ترتب على انهيار الاتحاد القاسمى ظهور مشيخات صغيرة مستقلة وكل شيخ أصبح ينظر إلى بريطانيا على أنها دعامة حكمه وبذلك نجحت سياسة كير فى تحقيق وضمان الهيبة البريطانية بإيجاد أنصار لمصالحها دون أن تكلفها ذلك جهودا أو نفقات مالية[١] .

يتضح مما سبق أن معاهدة السلام العامة فرضت من جانب واحد وهو الجانب المنتصر فى الحرب ولم يكن الطرف الآخر التى تحطمت أسس قوته بتدمير ومصادرة سفنه وفقـــدان حلفائه السعوديين سوى الاذعان[١] . ومن ناحية أخرى قام جرانت كير بعزل الشيخ حسن بن رحمة شيخ القواسم على أثر توقيعه المعاهدة إذ أن عزله دون التوقيع عليها قد يضـــعف من تأثير تلك المعاهـــدة على القواسم ، والأخطر من ذلك معاملة كير الشيوخ كقوى مستقلة بصرف النظر عن تبعيتهم للشيخ الأعلى للقواسم وكان

---

(١) جمال زكريا قاسم : الأسس التاريخية لوحدة الإمارات العربية ودور الاستعمار فى تجزئتها — بيروت مارس ١٩٨١ عن تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة .

(٢) يرجع سانجر نجاح كير فى إبرام تلك المعاهدة إلى فقدان القواسم تأييد السعوديين بعد سقوط عاصمتهم الدرعية على يد إبراهيم باشا فى عام ١٨١٨ .

Sanger, R. The Arabian Peninsula, P. 172 New York 1954.

لذلك أثره الواضح فى تحطيم الزعامة القاسمية حتى أن ديباجة المعاهدة قد ركزت على هذه النقطة بالذات إذ أنها لم تشر إلى كون المعاهدة بين الانجليز والقواسم كما كان الأمر كذلك فى معاهدة ١٨٠٦ وإنما نصت على كونها معاهدة بين الانجليز وبين الأقوام العربية الذين هم أطراف فى هذه المعاهدة..

وثمة ما يسترعى الانتباه أن حكومة الهند لم تكن تنوى أصلا بإيفادها لحملة ١٨١٩ الدخول فى اتفاقيات أو معاهدات مع الرؤساء البحريين فى الساحل العمانى وإنما كانت تهدف إلى القبض عليهم وإزالتهم من المناطق التى يحكمونها . ولكن كير أثناء قيامه بتنفيذ الحملة تعذر عليه عمليا تنفيذ تعليمات حكومته إذ فر أولئك الرؤساء إلى الداخل ولما كانت التعليمات المعطاة له تشترط قصر الحملة على المناطق الساحلية وجد كير أنه من المستحسن إزاء ذلك آن يصدر عفوا عن الرؤساء وتشجيعهم على العودة إلى بلادهم على أساس التحالف مع الحكومة البريطانية ومصادقتها ، وقد أثبتت هذه السياسة نجاحا كبيرا وليس أدل على ذلك من أن معاهدة ١٨٢٠ التى استهدفت القضاء على القرصنة فى المجال الأول أصبحت هى الدعامة القوية للنفوذ البريطانى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى وجعلت من أعداء بريطانيا السابقين أطوع حلفائها كما ساعدت فى الوقت نفسه على تأمين الملاحة والتجارة للسفن البريطانية ومن ثم اعتبرت هذه المعاهدة بداية للسيطرة البريطانية النافذة على عرب الخليج[1] . ومع ذلك فإن حكومة بومباى لم تتقبل اجراءات كير الدبلوماسية تقبلا حسناً كما لم تنظر إلى جهوده بعين الاعتبار حتى أنه وجد صعوبة كبيرة فى الحصول على تصديق من حكومته على تلك المعاهدة حيث أبدت حكومة بومباى الاعتراضات على إجراءاته التى وجدت أنها مخالفة لتعليماتها والتى يمكن أن نستخلص منها ما يأتى :

أولا : اتهمت حكومة بومباى كير بتقديمه تنازلات كثيرة للرؤساء ومن ذلك أن المعاهدة لم تنص على تحديد عقوبات على الذين يبحرون بدون

(١) Ireland (Philip), op. cit. P. 33.
See also Whigham, The Persian Problem P. 82.

تصاريح أو المشتغلين بالقرصنة وتجارة الرقيق وقتل الأسرى ؛ كما أبدت شكوكها في مدى فاعلية التنظيمات البحرية التي وضعها كير وخاصة أنه لم يكن في المعاهدة نص يلزم المتعاقدين بهدم القلاع وعدم بناء الجديد منها كما ليس فيها ما يحدد عدد السفن التي يجوز للرؤساء امتلاكها وليس فيها أيضاً ما يمنعهم من استيراد الأخشاب اللازمة لبناء سفن جديدة .

ثانياً : وجهت حكومة بومباى اللوم إلى كير لأنه أفرج عن الزعماء الذين وقعوا في الأسر وأبقى بعضهم في الرئاسة وإن كان الفينستون حاكم بومباى قدر الاعتبارات الانسانية التي دفعت كير لهذا التصرف .

ومما يجدر الإشارة إليه أن كير بذل جهوداً كبيرة لاقناع حكومته بضرورة التصديق على تلك المعاهدة حتى لا يظهر أمام الرؤساء العرب بعدم احترامه لتعهداته معهم . ومما يذكر أيضاً أن هذه المعاهدة أثارت انتقادات السيد سعيد سلطان مسقط الذى غضب من استدعاء كير للرؤساء وتوقيع المعاهدة معهم وغادر معسكر كير قبل التوقيع النهائي على المعاهدة لما اعتبره تساهلا من كير تجاه القواسم . وكان ما يعني كير بطبيعة الحال أن يدافع عن معاهدته أمام حكومته ، ونجح في ذلك براعة فائقة إذ استطاع بعد وصوله إلى بومباى اقناع حكومته بالتصديق عليها وذلك بعد أن استخدم مجموعة من الحجج المنطقية لتفنيد اعتراضات حكومة بومباى والتي يمكن أن نتخير منها النقاط التالية :

أولا : أكد كير للمسئولين في حكومة بومباى أن جميع الزعماء فيما عدا حسين بن على قد حضروا إليه برغبتهم وأعلنوا ولاءهم لبريطانيا غير أنهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك إذا علموا مسبقاً بالقيود البحرية التي تحاول حكومة الهند فرضها فيما يتعلق بتحديد عدد السفن وأحجامها أو حق السفن البريطانية في مصادرتها

ثانيا : أنه وجد من الحكمة إطلاق سراح الشيوخ لأنه كان يخشى وكثيرون منهم يعانون من المرض والجراح موتهم وهم في قبضة القوات البريطانية إذ أن ذلك كان سيترك انطباعاً سيئا لدى سكان المنطقة .

ثالثاً : إن سياسته المعتدلة فى معاملة الأسرى أدت إلى استسلام الرؤساء طواعية له ولو طبق إجراءات عنيفة فإنهم كانوا سيرفضون التسليم بطبيعة الحال وهذا من شأنه أن تتحرك القوات البريطانية إلى الداخل حيث فر كثير من الزعماء ولما كان القبض عليهم يتطلب تتبعهم فى المناطق الداخلية التى فروا إليها فإن ذلك يعد مخالفاً للتعليمات الخاصة بالحملة والتى كانت تنص صراحة على تجنب الابتعاد عن المنطقة الساحلية بينما كان عفوه عن الرؤساء حافزا لهم على العودة إلى بلادهم من تلقاء أنفسهم ومساعدا على خلق جو من الثقة والتفاهم بينه وبينهم .

رابعاً : أنه حتى ولو حاول استبدال بعض أولئك الشيوخ بغيرهم فإن ذلك سوف يلزم بريطانيا بحمايتهم وبالتالى إلى مزيد من التدخل فى المنطقة وذكر أنه لم يستثن من ذلك سوى خلعه للشيخ حسن بن رحمة وتسليم زعامة القواسم بعد تقليص نفوذهم إلى سلطان بن صقر وكانت حجته فى ذلك أن سلطان بن صقر سوف يظل مدينا لبريطانيا باسترداد مكانته .

خامساً : أن بقاء وحدات بحرية بريطانية بصفة دائمة فى الخليج هو الضمان الأمثل لتنفيذ شروط المعاهدة وأشد أثرا من النصوص التى تكتب على ورق لتحديد العقوبات القانونية فضلا عن أن المقصود بالشروط الإنسانية فى المعاهدة هو مساعدة سكان هذه المنطقة على فهم المبادىء العامة لقوانين الملاحة الدولية ولا ينبغى أن ننتظر منهم تغيير عاداتهم أو سلوكهم دفعة واحدة وإنما يمكن أن يحدث التحسن تدريجيا .

سادساً : إن النص على تحديد عدد السفن التى يجوز للرؤساء امتلاكها وكذلك تحديد حجمها أمر لايفيد بشىء لأنه من الأفضل ترك المقدار اللازم من السفن الذى تحمى به كل قبيلة نفسها وليست أكبر السفن هى أصلحها للقرصنة ! وطلب كير تزكية معاهدته لدى الحاكم العام وأنه فى وسع حكومة بومباى أن تفرض ما تشاء من اجراءات بحرية فى أى وقت آخر[1].

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ص ١٠٧/١٠٨ . وكذلك ج . كلى : بريطانيا والخليج ح ١ ص ص ٢٦١ — ٢٦٣ .

سابعاً : من الأقرب إلى المنطق أن تقوم حكومة بومباى بمنع تصدير الأخشاب لعرب المنطقة لا أن تنص المعاهدة على أن يلتزم العرب أنفسهم بالامتناع عن استيرادها .

وقد ثبت فيما بعد أن آراء كير كانت أدعى لنجاح السياسة البريطانية وأصبحت هذه المعاهدة التى وضعت أساسا لمنع القرصنة دعامة للنفوذ البريطانى فى منطقة الخليج العربى (١) .

وقبل أن نصل إلى ختام هذا الفصل ينبغى أن نشير إلى أنه كان من أبرز الأحداث المصاحبة لحملة ١٨١٩ نشوب حرب فى السواحل الجنوبية لمنطقة العمليات العسكرية قام بها أفراد من قبيلة آل بوعلى وهى إحدى القبائل التى تقطن منطقة جعلان وتعتنق المبادىء الوهابية وقد بدأت الاشتباكات بين القوات البريطانية وقبيلة البوعلى على أثر قتل البوعلى مبعوثا أرسله الكابتن طومبسن القائد العسكرى فى جزيرة قشم حين ذهب للتفاوض معهم بسبب حادثة من حوادث التعدى على إحدى السفن وسرعان ماتحالف السيد سعيد مع الإنجليز حيث قام الفريقان بهجوم مشترك على عاصمة البوعلى فيما وراء ميناء صور إذ رسمت الخطة العسكرية على أساس تحرك قوات السيد سعيد براً إلى جعلان فى الوقت الذى تتحرك فيه القوات البحرية التابعة لطومبسن من البحر ويلتقى الفريقان فى ميناء صور . ولكن كانت النتيجة كارثة رهيبة أبيدت فيها إحدى الفرق التابعة للإنجليز ووقع جنود السيد سعيد بين قتيل وجريح وأسير وقد احتوت رسائل طومبسن الخاصة على وصف دقيق ومثير لأحوال الفريقين إبان المعارك الناشبة (٢) . وقد بادرت حكومة الهند

---

(١) Bartlett (Moyse), The Pirates of Trucial Oman P. 110 SQ.

(٢) سجلت الوثائق المصرية هذه الحملة حيث أصبح اهتمام محمد على واضحا لما يحدث فى سواحل الخليج منذ عام ١٨٢٠ انظر مكاتبة صادرة من محمد على إلى الصدر الأعظم حول التحركات الانجليزية فى سواحل الخليج والجزيرة العربية ١٥ يونية ١٨٢١ — ملف الحجاز ١٢٣٦ هـ .

بعزل طومبس وأرسلت حملة إلى صور يقودها الكابتن سميث الذى كانت له خبرة سابقة فى قتال رأس الخيمة فى حملة ١٨٠٩ ورغم خسائر الانجليز إلا أن قبيلة البوعلى لم تلبث أن استسلمت وبادر الإنجليز بنفى عدد كبير من زعمائها إلى الهند وهكذا استطاعت بريطانيا أن تسترد هيبتها التى اكتسبتها فى حملة ١٨١٩ على القواسم ، ومن ثم كانت حريصة على ألا تعرض تلك الهيبة للضعف حتى ولو كان ذلك على حساب البوعلى الذين دافعوا عن أراضيهم دفاعا مستميتا .

* * *

الفصل التاسع

اتفاقيات الهدنة وتدعيم النفوذ البريطاني في الساحل الجنوبي للخليج العربي

الاجراءات البحرية البريطانية فى أعقاب معاهدة ١٨٢٠ — عمليات المسح البحرى — القاعدة البريطانية فى باسى دور — القوة البحرية المتجولة — الوكالة السياسية فى الخليج — انفصال البوفلاسة عن بنى ياس — فشل محاولة القبيسات فى الانفصال — اشتباكات الغوص وتوقيع الهدنة البحرية الأولى ١٨٣٣ — استمرار نظام الهدنة — إطالة أجل الهدنة البحرية ١٨٤٣ — الهدنة البحرية الدائمة ١٨٥٣ .

* * *



الفصل التاسع

اتفاقيات الهدنة البحرية

وتدعيم النفوذ البريطانى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى

اطلقت بريطانيا على الرؤساء الذين اشتركوا فى توقيع معاهدة ١٨٢٠ اسم الرؤساء البحريين وهى تسمية تمسكت بها بريطانيا فى معظم سنوات سيطرتها على المنطقة وكانت تهدف من ورائها إلى عزل الساحل عن الداخل فى الوقت الذى كانت تعنى فيه بتدعيم سيطرتها البحرية وإن كان من الطبيعى أن تتجه إلى التخلى عن هذه السياسة على أثر اكتشاف موارد النفط فى الداخل وقدرتها على السيطرة الداخلية بفضل تقدم سلاح الطيران الجوى واستخدام ذلك السلاح بالفعل منذ الثلاثينيات من هذا القرن . وعلى أية حال فقد عرف الساحل الجنوبى للخليج العربى باسم ساحل الصلح البحرى ثم أطلق عليه بعد ذلك اسم الساحل المهادن أو المتهادن أو ساحل الهدنة البحرية Trucial Coast[1] بينما كان يعرف قبل ذلك فى الخرائط الجغرافية الأوربية التى صدرت فى القرن الثامن عشر بساحل القرصان Pirate Coast أو ساحل عمان وكانت تمتد حدود هذا الساحل من رأس موساندم جنوباً إلى شبه جزيرة قطـــر شمالا[2] .

---

(١) استخدم هذا اللفظ لأول مرة فى التقرير السنوى للمقيم البريطانى فى الخليج العربى الكولونيل روس Ross فى عام ١٨٧٥ وظلت هذه التسمية قائمة حتى انتهاء الوجود العسكرى البريطانى وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة فى عام ١٩٧١ .

(٢) F.O. Persian Gulf No. 67 P. 44 London 1920.

وعلى الرغم مما حققته معاهدة ١٨٢٠ من نجاح للسياسة البريطانية إلا أن تلك المعاهدة لم تستطع أن توقف تماماً النشاط البحرى للقبائل العربية دفعة واحدة وإنما استمرت العمليات البحرية قائمة بصورة أو بأخرى وإن كانت عموماً على نطاق أضيق عما كانت عليه من قبل . ولكن المهم أن الحكومة البريطانية اعتمدت على معاهدة ١٨٢٠ فى تثبيت نفوذها هذا بالإضافة إلى نجاحها فى عقد سلسلة من المهادنات البحرية بين شيوخ الساحل . وقد يكون من المفيد قبل أن نعرض لتلك المهادنات أن نشير إلى العديد من الإجراءات البحرية التى اتخذتها حكومة الهند البريطانية لفرض ما اسمته بالسلام البريطانى Pax Britannica ويمكن ابراز تلك الإجراءات على النحو التالى :

أولا : عمليات المسح البحرى :

على الرغم من أن عمليات المسح البحرى بدأت منذ عام ١٨١١ إلا أنها اطردت بعد حملة ١٨١٩ وأسهم فيها كثير من ضباط البحرية الهندية من أمثال منوهان وجينى وبروكس وهينز ، وكانت عمليات المسح هذه صعبة وشاقة حتى أن عدداً كبيراً من البريطانيين الذين اشتركوا فيها ماتو أو انهارت صحتهم بسبب الارهاق وقسوة المناخ [١] . وقد استهدفت عمليات المسح البحرى الساحل العمانى من رأس مسندم إلى شبه جزيرة قطر بالإضافة إلى خليج عمان وساحل مكران وبتقدم عمليات المسح اتضح وجود مئات من الخلجان الصغيرة التى تضمها المنطقة الواقعة بين رأس مسندم ورأس الخيمة وفى هذه الخلجان أو الأخوار الضيقة بالذات والتى كانت مجهولة لدى الإنجليز كانت سفن القواسم تكمن فى انتظار ضحاياها من السفن التجارية التى تعبر مضيق هرمز ومن أهم تلك الخلجان خور الشعم الذى سمى بخليج الفنستون Elphinston نسبة إلى حاكم بومباى وقد استمرت عمليات المسح البحرى حتى آخر شبه جزيرة قطر ، ولقى رجال المسح مساعدات من بعض الشيوخ وخاصة من الشيخ طحنون بن شخبوط شيخ أبو ظبى وعلى الرغم من بعض الأخطاء أو

---

(١) سجل الكابتن بروكس وصفا تفصيليا لعمليات المسح البحرى [وقد احتلت دراسته أكثر من مائة صفحة فى وثائق حكومة بومباى انظر :

Navigation of memoir descriptive of Navigation of the Gulf of Persia pp. 531 - 634.

راجع أيضا ويلسن (أرنولد) . تاريخ الخليج ص ١٩٠ وما بعدها .

السقطات بسبب عدم توافر المعدات والأجهزة العلمية وما وقع من أخطاء في حساب دائرة خط الطول لبوشهر الذى اعتمدت عليه أرقام خطوط الطول في المنطقة فإن عملية المسح كما يقول المؤرخ البريطاني جون كلي كانت تعد انجازاً عظيما ومفخرة لمهارة وصبر رجال وضباط البحرية البريطانية[1] وإن كنا نعتقد أنها كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى القضاء على القوة البحرية للقواسم بعد أن تعرفت عمليات المسح على طبيعة الساحل الطبوغرافية والمواقع الدفاعية والهجومية التي كانت تتحصن بها السفن العربية .

ثانياً : بناء قاعدة بحرية بريطانية في باسي دور :

كان من بين أهداف حملة ١٨١٩ إنشاء قاعدة بريطانية في الخليج وكان الاتجاه إلى انشاء تلك القاعدة في موقع يشرف على خليج هرمز حتى تتمكن من مراقبة السفن القادمة أو المغادرة وكانت هناك جزيرتان صغيرتان يمكن اتخاذ إحداهما مقراً لتلك القاعدة وهما جزيرة هنجام وجزيرة قشم ومما يذكر أن السيد سعيد سلطان مسقط كان يسيطر على الجزيرة الأخيرة حيث كان يعين الولاة عليها باعتبارها تابعة لبندر عباس وكان لمسقط حق إدارة ذلك الميناء منذ أيام سلطان بن أحمد[2] . ولذلك لم تجد حكومة الهند البريطانية صعوبة كبيرة في إنشاء تلك القاعدة بحكم صداقتها لسلطان مسقط وخاصة بعد أن ثبت عدم ملاءمة رأس الخيمة من الناحية المناخية، وبسبب عمليات التدمير التي لحقتها لإقامة قاعدة عسكرية بحرية . وعلى الرغم من أن حكومة الهند قد استفادت بالفعل من سيطرة السيد سعيد على تلك الجزيرة وحصلت منه على إذن كتابي بإنشاء تلك القاعدة إلا أن معارضة الحكومة

---

(١) كلي : بريطانيا والخليج جـ ١ ص ٣٢٣ .

(٢) للتعرف على السيادة العمانية على بندر عباس وتوابعها انظر :

Curzon, G.N. Persia and the Persian Question vol. II P. 423 London 1892. See also Sykes, op. cit. vol. II P. 456.

الفارسية أجبرت بريطانيا على إخلائها[١]. إذ لم تشأ الحكومة البريطانية فى هذه الحقبة معارضة الحكومة الفارسية ولذلك قررت الانسحاب منها فى عام ١٨٢٢ وبررت حكومة بومباى انسحابها أمام الحاكم العام للهند بقولها « إن الانسحاب من جزيرة قشم وإن كان سيسبب ضرراً محدداً وهو تخفيف الاشراف على الملاحة فى الخليج فإنه سيجنبنا ضرراً أشد وهو الوقوع فى نزاع مسلح مع فارس »[٢] .

ثالثاً : القوة البحرية المتجولة :

لجأت بريطانيا بعد انسحابها من جزيرة قشم إلى الاستعاضة عن القاعدة البحرية بأسلوب آخر لمراقبة الملاحة فى الخليج وهو مشروع تقدم به ماريتون مساعد قائد البحرية البريطانية ويقضى هذا المشروع الذى وافقت عليه حكومة بومباى بتخصيص ست سفن حربية للقيام بدوريات مستمرة فى مياه الخليج وعرف هذا النظام باسم نظام القوة البحرية المتجولة . ولا شك أن حكومة بومباى قد وجدت أنه لتحقيق الاستقرار والأمن البحرى فى الساحل الجنوبى للخليج العربى ينبغى الاعتماد على دوريات منتظمة تقوم بها قطع من أسطول البحرية البريطانية حتى يمكنها الاحتفاظ بالمكاسب التى حققتها والتى كلفتها الكثير من الأرواح والأموال . ومن أجل ذلك خصصت البحرية الهندية ستة طرادات لعمليات المراقبة اتخذت ثلاثة طرادات منها جزيرة قيس قاعدة لها ورابطت بصفة مستمرة بالقرب من السواحل العربية التى تتطلب التركيز فى عمليات المراقبة ، كرأس الخيمة والشارقة ودبى حيث كانت تقوم بزيارة تفتيش مستمرة لها أما الطردات الثلاثة المتبقية فقد كان عليها أن تتعقب كلها أو بعضها مسار السفن العابرة من مسقط إلى البصرة وبالعكس بهدف حمايتها . وكذلك حماية البريد والبعثات البريطانية التى كانت تتجه إلى

---

(١) Adamyiat, F. Bahrein Islands P. 40.

(٢) صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ١٠٨ .

البلاط الفارسى كما كان عليها أيضا مراقبة خطوط المواصلات البحرية المتجهة إلى بومباى .

وأمام الغموض الذى كان يكتنف تطبيق مواد معاهدة ١٨٢٠ ومن بينها هل يجوز للسلطات البريطانية التفتيش على السفن التى ماتزال فى مرحلة التصميم ومصادرتها أو تدميرها إذا لم تكن طبقا للمواصفات المطلوبة ، وهل من حقها احتجاز أية سفينة مادامت لاتحمل الأوراق الخاصة بها أولا ترفع العلم الذى اتفق عليه [١] ، صدرت التعليمات لضباط القوة البحرية المتجولة بعدم إيقاف أية سفينة مالم يشتبهوا فى هويتها أما إذا امتنعت سفينة من السفن عن إبراز هويتها فيمكنهم فى هذه الحالة إطلاق رصاصة تحذير وهكذا أجازت بريطانيا لنفسها استناداً على المعاهدة العامة الحق فى التفتيش البحرى وهو اجراء ترسعت فيـــه بريطانيا وأدى بدوره إلى القضاء على النشاط البحرى للقوى العربية إذ كان السهل على سفن الأسطول البريطانى أن تـتوقف أية سفينة بحجة الاشتباه فى حمولتها ومن ثم فقد اتخذت بريطانيا من أسلوب التفتيش وسيلة لفرض سيطرتها وكان من بين التعليمات التى أصدرتها حكومة بومباى ألا يسمح لأية سفينة تشترك المشيخة التابعة لها فى معاهدة الصلح العامة ولاترفع الأعلام المميزة المتفق عليها أن تزور موانى الهند البريطانية . إذ أن المادة العاشرة من معاهدة الصلح لاتوفر الحماية البريطانية للسفن العربية ضد أى اعتداء يقع عليها من قبيلة غير موقعة على الاتفاقية إلا فى موانى الهند البريطانية دون سواها [٢].

ومما تجدر الاشارة إليه أن كثيرا من شيوخ الساحل قد طلبوا من الحكومة البريطانية أن تضع لهم تفسيرا لمواد المعاهدة العمومية التى كانت غير مفهومة لهم ولعل ذلك ما دفع بريطانيا إلى ايفاد الكابتن ماكاويد لزيارة الشيوخ وشرح المعاهدة لهم كما سنشير إلى ذلك بعد قليل .

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ١٠٣٢—١٠٣٤

(٢) راجع الماده العاشرة من المعاهدة العمومية فى ملاحق الكتاب .

الوكالة السياسية فى الخليج

اتجهت حكومة بومباى فى أعقاب توقيع معاهدة السلام العامة فى عام ١٨٢٠ إلى إنشاء وكالة سياسية فى الخليج العربى وقامت بتعيين الكابتن طومبسون Thomposon وكيلا سياسيا وكانت هذه هى المرة الأولى التى ظهرت فيها صفة سياسية توصيفا لوظيفة إنجليزية فى الخليج وتحددت مهمة الوكيل السياسى فى الاشراف على علاقات الشيوخ المتصالحين بحكومة بومباى وتنظيم تلك العلاقات وكذلك الرأى فى الشئون المتعلقة بتفسير نصوص معاهدة السلام العامة . ومما يسترعى الانتباه أن هذا المنصب لم يستمر فترة طويلة إذ خشيت حكومة بومباى من أن يتجاوز الضباط المفوضون بشئون سياسية صلاحياتهم ولعل مشكلة الكابتن بروس Bruce فى توقيع إتفاقية شيراز دون الرجوع إلى حكومة بومباى كانت العامل الهام الذى نبه حكومة بومباى إلى ذلك[1] ، ومن ثم بادرت فى عام ١٨٢٣ إلى إلغاء الوكالة السياسية فى الخليج وألحقت مهمتها بالمقيمية البريطانية فى بوشهر ، ولذلك يشهد ذلك العام تطور اختصاصات المقيمة البريطانية التى كانت تجارية بريدية استخباريه فأصبحت إلى جانب ذلك لها اختصاصاتها السياسية حيث وقع على المقيم البريطانى السياسى فى بوشهر مهمة مراقبة وتنفيذ تعهدات الشيوخ ، والإشراف على شئون الخليخ العسكرية والسياسية [2] ، ومن المفيد أن نشير بصدد ذلك إلى حرص حكومة الهند على تدعيم السلطة السياسية والعسكرية لمقيمها حيث جعلت له الكلمة العليا وكان ذلك نتيجة التنازع فى الاختصاصات بين المقيم السياسى وقائد أسطول البحرية الهندية وقد حسمت حكومة الهند هذا الخلاف وذلك بمقتضى الإعلان الذى صدر عن الحاكم العام للهند فى عام ١٨٤١ وكان مما ورد به أن سلطة المقيم هى السلطة الأولى فى منطقة الخليج ويتعين على قائد أسطول البحرية الهندية الذى يكون فى أى وقت

---

(١) راجع الفصل الثالث عشر فيما يتعلق باتفاقية شيراز . وكذلك :

Adamyiat, F. Bahrein Islands P. 107—108.

(٢) عبد العزيز عبد الغنى : حكومة الهند والإدارة البريطانية فى الخليج العربى ص ١١٩— ١٢٠ الرياض ١٩٨١ .

من الأوقات فى الخليج أن يعمل تحت إمرته ولا يملك سؤال المقيم السياسى عن عمله سوى سلطة واحدة هى حكومة الهند وأضاف الاعلان بأنه ليس فى هذه التعليمات ما يحط بقدر البحرية الهندية أو استقلالها لأن المقيم السياسى ليس فى نهايه الأمر سوى ممثل للحكومة ومن الضرورى للمصلحة العامة أن يقوم تفاهم تام وتعاون بين الطرفين[1] .

ويرتبط تدعيم النفوذ البريطانى فى الساحل الجنوبى للخليج بالدور الذى قام به ماكلويد Mcleod الذى عهد إليه بالمقيمية البريطانية فى الخليج خلفا لبروس فى عام ١٨٢٣ وقد بدأ ماكلويد مهام منصبه بجولة بحرية قام بها فى الساحل الجنوبى للخليج حيث تقابل مع الشيوخ وشرح لهم الهدف من معاهدة ١٨٢٠ التى لم تكن نصوصها واضحة بالنسبة للكثيرين منهم . كما كان عليه أن يؤكد لهم أن انسحاب الحامية البريطانية من جزيرة قشم لا يعنى فقدان الحكومة البريطانية لمصالحها أو اهتماماتها بالمنطقة وإنما جاء ذلك الإنسحاب نتيجة اطمئنان حكومة الهند البريطانية إلى صدق التعاون واحترامهم لشروط المعاهدة . كما كان على ماكلويد أن يقوم بدراسة مستفيضة للوضع السياسى للشيوخ وعما إذا كان أحد منهم خاضعاً لنفوذ إحدى الدول المجاورة كفارس أو مسقط أو السعوديين كما كان عليه أن يتحقق من مصادر الثروة وأنواع السفن وإمكانية إنشاء تمثيل دائم فى منطقة الإمارات . وقدأقيم هذا التمثيل بالفعل حين عهدت حكومة بومباى إلى وكيل وطنى بهذه المهمة منذ عام ١٨٢٨ واختيرت إمارة الشارقة لتكون مقراً لذلك التمثيل[2] وكانت مهمته تتلخص فى جمع المعلومات التى يستطيع الحصول عليها وإرسالها إلى المقيم البريطانى فى بوشهر ليكون على اطلاع دائم بما يحدث فى المشيخات وكان المقيم البريطانى غالباً ما يفد إلى المنطقة زائراً أو مجاملا أو معاقباً . وقد يكون من المفيد أن نشير هنا أنه عند زيارة ماكلويدلإمارة الشارقة أبدى مزيجامن الإعجاب والكراهية بشخصية الشيخ سلطان بن صقر الذى

---

(١) ج . ج لوريمر — مصدر سبق ذكره ج ١ ص ص ٣٥٥/٣٥٦ .

(٢) Mann, clarence : Abu Dhabi Brith of an oil Shaikhdom p. 24.

وصفه بكونه أقوى وأقدر شيوخ المنطقة ، وذكر أن حكمه لم يقتصر على الشارقة ورأس الخيمة فحسب وإنما كان يتجاوز ذلك إلى الجزيرة الحمراء وأم القوين . ومما يذكر أن الشيخ راشد بن حميد شيخ عجمان قد انتهز فرصة زيارة ماكلويد حيث طلب الحماية منه من سلطان بن صقر حيث لم يكن يعترف بسلطته على عجمان ويبدو أن الانطباع الذى خرج به ماكلويد على أثر اجتماعه بالشيخ راشد النعيمى هو أنه يرغب فى التخلص من تبعيته للشيخ القاسمى وأنه فى سبيله لبناء إمارة مستقلة عن النفوذ القاسمى ومن ناحية أخرى أثار الشيخ سلطان بن صقر لدى اجتماعه بماكلويد موضوع سيادته على عجمان وطلب منه الكتابة لحكومة الهند بشأن إعترافها بسلطته على جميع مشيخات الساحل العمانى . ولعل ما أزعج ماكلويد الحجم المتزايد لأسطول القراسم فقد شهد بنفسه أكثر من ثلاثين سفينة شراعية راسية فى ميناء الشارقة ، كما كان العمل يجرى فى بناء بعض السفن الكبيرة ولم يكن من المعقول أن يكون القواسم قد تمكنوا من بناء ذلك الأسطول الضخم خلال فترة الثلاثة أعوام التى انقضت على الحملة البريطانية فى عام ١٨١٩ /١٨٢٠ وكان التفسير الوحيد الذى توصل إليه ماكلويد هو أن أغلب سفن القواسم كانت مختبئة فى الخلجان أو فى المناطق الضحلة قبل وصول حملة جرانت كير . وفى إمارة الشارقة حضر للقاء ماكلويد زعماء بنى ياس فى أبوظبى ودبى وهما الشيخ طحنون بن شخبوط والشيخ زايد بن سيف حيث أكدا له صداقتهما ورغبتهما فى الالتزام بشروط معاهدة السلام العامة وفى المقابل أكد لهما ماكلويد مشاعر الود والصداقة من جانب حكومة الهند . ومن إمارة الشارقة أبحر ماكلويد إلى مدينة البدع (الدوحة) على الساحل الشرقى لشبه جزيرة قطر وكانت خاضعة فى ذلك الوقت لشيوخ آل خليفة حكام البحرين ، وقد أعرب شيوخ قطر عن رغبتهم فى الانضمام إلى معاهدة السلام العامة ، كذلك أبدى شيخ البحرين ارتياحه لقبول حكومة

الهند اشتراكه فى هذه المعاهدة التى وجد فيها تعبيراً لصداقته الوثيقة لها وسنداً له ضد خصومه وخاصة السيد سعيد سلطان مسقط ورحمة بن جابر شيخ الجلاهمة وعلى ميرزا أمير فارستان .(١)

وعندما عاد ماكلويد إلى مقر عمله فى بوشهر أعد تقريراً مفصلا اعتمدت عليه حكومة الهند فى سياستها فى منطقة الخليج العربى وقد تضمن تقرير ماكلويد دراسة الامكانات البحرية للقبائل العربية وعلاقة بعضها بالبعض الآخر وتمخضت نتائج ذلك التقرير عن إعداد نظام فعال لتزويد سفن القبائل بالاعلام والوثائق التى نصت عليها معاهدة ١٨٢٠ واختيار أحد الوكلاء الوطنيين ليتولى منصب الوكيل فى الشارقة، والجدير بالذكر أن الشارقة قد اختيرت دون غيرها لتكون مقراً لهذه الوكالة نظراً لارتباط حاكمها الشيخ سلطان بن صقر أكثر من غيره بروابط وثيقة مع الإنجليز هذا فضلا عن أن الشارقة كانت فى ذلك الوقت أكبر المشيخات التى تخلفت عن دولة القواسم كما أن صداقة حكومة الهنـــد البريطانية مع أبوظبى لم تكن قد اتضحت بعد(٢) . ومما تجدر الاشارة إليه أن تقرير ماكلويد تعرض بشكل مفصل للموارد الاقتصادية لامارات الساحل وأكد التقرير أنه ليس لهذه المشيخات إنتاج يذكر كما أنها لا تصدر شيئاً خارج بلادها ومن ثم وجدت بريطانيا تبريرا لسياستها فى أنها كانت تستهدف أن تجنب القوى العربية الخسائر الفادحة التى كانت تتعرض إليها نتيجة منازعاتها البحرية(٤). وقد يكون من المفيد أن نشـــير هنا إلى حكومة الهنـــد البريطانية اعتماداً على تقرير

---

(١) جون كل — بريطانيا والخليج ج ١ ص ٣٣٤ .

(٢) Hawley. D, The Trucial States P. 132 FF. See also Mann, clarence Abu Dhabi — Birth of an oil Sheikhdom P. 24 Beirut 1969.

(٣) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١١٠ .

(٤) Bombay Govt., op. cit. vol XXIV, CF. Report on British Policy by Kemball. pp. 7I—74.

ماكلويد افتتحت فى عام ١٨٢٨ أول وكالة للمقيمية البريطانية فى الشارقة وتم تعيين وكيل أو مسئول عن إدارتها وهو ملا حسين وتحددت مسئولياته بالعمل على رعاية المصالح البريطانية فى مشيخات الساحل العمانى وكان عليه أن يرفع تقاريره أولا بأول إلى المقيم البريطانى فى بوشهر وقد استمرت بريطانيا فى استخدام الوكلاء الوطنيين حتى استعاضت عنهم بوكلاء بريطانيين فى دبى فى فترة ما بين الحربين العالميتين على أثر إقامة القواعد الجوية فى منطقة الساحل العمانى[1] .

ولعل مما يسترعى الإنتباه أن حكومة الهند البريطانية لم تستطع أن تحقق السلام البحرى فى الخليج اعتمادا على معاهدة ١٨٢٠ إذ أن معظم نصوص هذه المعاهدة أصبحت غير سارية المفعول بل غير ضرورية وعلى الرغم من أن بعض شيوخ الساحل كانوا يرفعون الأعـــلام المتفق عليها على سفنهم إلا أن أكثرية الشيوخ لم يكونوا يكترثون بذلك وكانوا يفضلون رفع أعلامهم التقليدية الحمراء ، كما أخذ القواسم يجددون عملياتهم البحرية ولذلك بادرت حكومة بومباى فى أبريل ١٨٢٤ بإصدار مجموعة من التعليمات لضباطها البحريين كانت تنص على ما يأتى :

أولا : فى حالة هجوم إحدى السفن على سفينة بريطانية يجب توقيفها على الفور .

ثانياً : يجب اعتقال الجناة وحجزهم .

ثالثا : بالنسبة للسفن التى يشتبه فى ممارستها لعمل من أعمال القرصنة تحجز وتسلم للمقيم البريطانى مع كافة الأدلة التى تدينها بذلك .

ومنذ عام ١٨٢٨ تغير مفهوم استخدام القوة البحرية المرابطة فى الخليج لقمع القرصنة من دور الهجوم إلى الزيارات الدورية لموانى المنطقة وإلزام الشيوخ بالتعويضات عن الاعتداءات التى يقترفها رعاياهم فى البحر ولعـــل تجدد حوادث النشاط البحرى كان يرجع إلى عدم وجود دولة أو بلد واحد على الأقل لم يكن متورطا فى صراعات أو منازعات مع جيرانه ابتداء من الكويت فى الشمال حتى مسقط فى الجنوب فكان رحمة بن جابر زعيم فرع

(١) دكتور جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ١٩١٤ — ١٨٤٥ ص ٤٢ .

قبيلة الجلاهمة من العتوب فى قتال مستمر ضد آل خليفة حكام البحرين وسكان البحرين ضد أهالى الوكرة والدوحة وضد محاولات حاكم إقليم فارستان انتزاع البحرين منهم كما أن سكان أبو ظبي ودبى كانوا فى صراع ضد القواسم سكان الشارقة ورأس الخيمة كما كان القواسم فى صراع ضد سلطنة مسقط وكانت هذه الصراعات تؤدى بطبيعة الحال إلى اشتباكات بحرية كان غالبا ما ينجم عنها اعتداءات على السفن العابرة فى الخليج دون تفريق بينها وكانت هذه الاشتباكات توصف بالقرصنة إذ لم يكن بمقدور بريطانيا أو الدول الأجنبية بصفة عامة أن تميز بين القرصنة والخلافات السياسية بين القبائل . ومما يذكر أن التجمع السنوى لسفن صيد اللؤلؤ فى صيف كل عام كان يشكل مرتعا خاصبا للاضطرابات بين القبائل كما أن الصراع على التفوق بين هذه القوى كان السمة البارزة التى طبعت تاريخ الساحل العمانى حتى توقيع الهدنة البحرية فى عام ١٨٣٥ وهذا الصراع كان من أبرز نتائجه استنزاف قوى جميع الأطراف المشتركة فيه ونضوب مواردها وامكاناتها الاقتصادية والبشرية فضلا عن تعريض أمن المنطقة للتهديد والخطر . ومن ثم كان الأمر يستلزم وضع نظام للهدنة البحرية ولعل الخلافات بين أبو ظبي والشارقة فى عام ١٨٣٣ هى التى دفعت إلى التفكير فى تنفيذ ذلك النظام[١] . وترجع أسباب الخلافات بين أبو ظبي والشارقة إلى أن إمارة الشارقة التى ورثت دولة القواســم كانت تتطلع إلى إعادة بعث الاتحاد القاسمى كما يرجع النزاع أيضا إلى الخلافات التقليدية بين الهناوية والغافرية . وقد يكون من المناسب أن نشير هنا إلى أن أصول النزاع بين القواسم وبنى ياس يرجع إلى الوقت الذى استطاع فيه الشيخ سلطان ابن صقر استرداد سلطته الرئاسية على القواسم فى أعقاب حملة ١٨١٩ وأصبح الشيخ حسن بن رحمه الذى عزله الانجليز فيما بعد تابعا للشيخ سلطان بن

---

(١) التفاصيل المتعلقة بالصراع بين الشارقة وأبو ظبى راجع :

Bombay Govt., op. cit. Historical Sketsh of the Beni-yas Tribe of Arabs by Kemball P. 473 FF. vol. XXIV Bombay 1856.

كذلك راجع : Mann, op. eit. P. 31—35,

للتعرف على الاضطربات البحرية فى الساحل بعد معاهدة ١٨٢٠ .

صقر وهكذا استطاع الشيخ سلطان أن يسيطر على كل من إمارتى رأس الخيمة والشارقة، وعقب وفاة الشيخ قضيب بن أحمد شيخ جزيرة الحمراء عزل الشيخ سلطان خليفته الشرعى فى عام ١٨٢٤ لكى ينصب بدلا منه شيخا آخر أكثر موالاة وطاعة له وهو الشيخ أحمد بن عبد الله وفى نفس الوقت خضع شيخ عجمان من آل النعيم لما لا بد منه وأعلن ولاءه لشيخ الشارقة وفى العام التالى ١٨٢٥ حقق الشيخ سلطان بن صقر بعض النفوذ فى دبى بمصاهرته لحاكمها . وقد بدأت الصراعات بين الشارقة وأبو ظبى منذ عام ١٨٢٣ حين استولى الشيخ سلطان على أبراج البريمى وأخذ شيخ أبو ظبى من ناحيته يشجع قبيلة السودان اللاجئة من الشارقة على بناء قلاع لهم فى الديره الواقعة بين دبى والشارقة ممـا أدى إلى استمرار الاشتباكات التى بلغت ذروتها فى عام ١٨٣٣ بسبب الاضطرابات التى تعرضت لها أبو ظبى عقب اغتيال الشيخ طحنون وتنازع أخويه خليفه وسلطان على السلطة وحاول حاكم لنجه الذى كان يتمتع بهيبة بين الرؤساء التوسط من أجل إعادة السلام وقرر فرض غرامة على مشيخة أبو ظبى ولكن أسرة البوفلاسه وهى إحدى الأسر المكونة لاتحاد بنى ياس رفضت دفع نصيبها من الغرامة وفضلت الانسحاب إلى دبى ودخل البوفلاسه فى حلف مع القواسم[1] حيث اتفقوا فيما بينهم على شن حرب بحرية ضد أبو ظبى والأمر الذى لا شك فيه أن الشيخ سلطان بن صقر شيخ الشارقة قد تشجع بالانقسام الذى حدث فى صفوف بنى ياس بهجرة البوفلاسه لكى يحاول الاطاحة ببنى ياس ولكن أخبار تلك المحاولة لم تلبث أن وصلت إلى زعماء بنى ياس الذين بادروا بحشد مجموعة كبيرة من بدو المناصير واستطاعت هذه المجموعة أن تتصدى للقواسم وأفشلت محاولتهم [2] . وفى عام ١٨٣٤ عقدت هــدنة بين أبو ظبى

---

(١) عن انفصال البوفلاسة انظر :

Kemball & Disbrowe, H.F., Historical Sketsh of Debaye S.R.B.G. vol. XXIV P. 497 FF.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ١٠٥٥ .

والشارقة تعهد فيها زعيم بنى ياس بالاعتراف بسلطة البوفلاسة على دبى على أساس الأمر الواقع وأصبح البوفلاسه منذ ذلك العام يحكمون فى دبى (١) .

ومنذ نهاية ذلك العام أيضا أخذ التوتر يسود الأوساط القبلية على طول الساحل الجنوبى للخليج على أثر انخفاض المعيشة بين السكان حتى وصل إلى حد الكفاف وأصبح الأهالى على شفا الافلاس نتيجة الاضطرابات التى كانت تدور بين زعماء القواسم وبنى ياس كما أتلفت المزروعات والمحاصيل وتحطمت المبانى بسبب الغارات المسلحة وتأثرت الزراعة وحرفة الرعى من جراء الحروب المتتابعة التى فرضت على الأهالى الذين لم يتمكنوا نتيجة تلك الظروف من الخروج إلى صيد اللؤلؤ مما حرمهم من مواردهم الرئيسية إذ كما هو معروف أن اقتصاد القبائل كان يعتمد فى الدرجة الأولى على مواسم الغوص والرحلات التجارية التى كان يقوم بها سكان الساحل إلى البصرة وبومباى وزنجبار وموانى البحر الأحمر ومن الطبيعى إذا توقفت هذه الأنشطة نتيجة ما يحدث من إشتباكات بحرية فإن الأضرار تكون قاسية على سكان الساحل(٢). وحدث فى منتصف عام ١٨٣٥ أن اتجه الشيخ شخبوط بن دياب إلى باسيدور لدفع التعويضات المستحقة على بنى ياس نتيجة تسببهم فى تهديد الأمن البحرى وصادف وصوله إلى هناك مجىء الشيخ سلطان بن صقر وبذلك وجد الكولونيل هنيل المقيم البريطانى فى الخليج الفرصة لتسوية الخلافات بين القواسم وبنى ياس . وكان هنيل يعتقد أن الصراع على مناطق الغوص هو

---

(١) Bombay Govt., op. cit. Chronological Table of Events vol. XXIV Debaye by Kemball.

(٢) Bombay Govt., op. cit. Historical Sketsh of Arab Tribes of Beniyas by Hennel. Kembait P. 473 FF.

من أهم آسباب الحروب بين المشيخات ومن ثم فإنه كان يعتقد بأنه من واجب حكومة الهند فرض حمايتها على شيوخ المنطقة واجبارهم على التوقيع على معاهدة تتضمن عـــدم القتال فى البحر . كما كان هنيل يرى أنه فى الامكان اقناع شيوخ الساحل باجراء تسويات سلمية فيما بينهم يتعهدون فيها بالكف عن الاشتباكات البحرية ولذلك بعث بسفينته الحربية إلى كل من دبى وعجمان لاحضار الشيخ عبيد بن سعيد والشيخ راشد بن حميد للتباحث فى أمر تلك التسويات وإن كان قد أدرك فى نفس الوقت صعوبة التوفيق بين جميـــع الأطراف . ولذلك اقترح هنيل فى بداية الأمر عقد هدنة بحرية بين الرؤساء تمتد طوال موسم الغوص لعام ١٨٣٥ ، ولما كان هـــذا الاقتراح لا يلزم الشـــيوخ بالتخلى أو التنازل عن مطالبهم إزاء بعضهم البعض الآخر ويضمن لهم فى نفس الوقت الاستفادة من موسم الغوص فقـــد وافقوا على ذلك الاقتراح . وفى ٢١ مايو ١٨٣٥ ، وقع شيوخ المنطقة أول اتفاقية للهدنة البحرية نصت على أن يمتنع الشيوخ عن اللجوء إلى الحرب والجدال إعتباراً من ٢١ مايو ١٨٣٥ إلى ٢١ نوفمبر ١٨٣٥ والتزم الشيوخ بدفع قيمة التعويضات عن أية انتهاكات لتلك الاتفاقية يقوم بها رعاياهم أثناء الفترة التى تكون فيها الاتفاقية سارية المفعول كذلك تعهدوا بالابلاغ عن أية انتهاكات تحدث إلى المقيم البريطانى أو قائد بحرية باسيدور ولا يقومون بالانتقام من بعضهم البعض الآخر[١]. وهكذا أدت الحروب التى دارت بين الشارقة وأبو ظبى والتى كانت من أعنف الحروب التى دارت بين شيوخ الساحل إلى عقد المهادنة البحرية الأولى وذلك بعد أن أصبح واضحاً أن معاهدة السلام العامة

---

(١) راجع ملحق تقرير كامبل فى وثائق حكومة بومباى عدد ٢٤ .

CF. Copies of Treaties and Agreements entered into by the Hon'ble East India Company with the Arab Tribes p. 86 FF.

١٨٢٠ بدأت تفقد فعاليتها إذ لم يكن هناك فى المعاهدة المشار إليها أى نص يلزم بتحريم الحروب البحرية فعلى الرغم من أن معاهدة ١٨٢٠ كانت تمنع السلب والقرصنة إلا أنها فى نفس الوقت لم تكن تشكل قيداً يحد من الاشتباكات البحرية المشروعة ونعنى بذلك إذا ظهرت فى شكل صراع بين القوى العربية طالما كان يتم الاعلان الرسمى لذلك الصراع وفقاً لنصوص المعاهدة إذ أن هذه المعاهدة لم تكن تضع قيداً على الحروب البحرية المعلنة، وبالاضافة إلى ذلك فإن ما نصت عليه المعاهدة من ضرورة إصدار وثائق خاصة للسفن وتسجيلها قد ثبت أنه إجراء غير عملى تماماً ولم يعد أحد يطبقه فى الوقت الذى بدأت فيه تنحصر موارد الدخل فى صيد اللؤلؤ حيث أصبح الغوص يعد المصدر الوحيد للدخل إلى درجة أن بعض تجار اللؤلؤ فى الشارقة عرضوا على الحكومة البريطانية دفع ما يساوى تسعة وعشرين جنيهاً عن كل قارب للغوص تضمن الحكومة البريطانية سلامته[1] .

وعلى الرغم من أن الشيوخ التزموا بشروط الهدنة البحرية فى عام ١٨٣٥ حيث لم تحدث انتهاكات لها حتى انتهت فى نوفمبر ١٨٣٥ إلا أنهم لم يظهروا أية بادرة لتقدير مزاياها أو الرغبة فى تحويلها إلى نظام دائم وبذلك كان هناك احتمال فى أن يستأنف الشيوخ منازعاتهم البحرية بعد انتهاء أجلها ومن ثم كان الاجراء الذى نجح فيه هنيل هو إقناع الشيوخ الموقعين على الاتفاقية بالاعتراف بالخطوط الملاحية الرئيسية الواقعة على امتداد الساحل الفارسى كمياه محايدة لا يحق لأى من سفن الشيوخ التوافد إليها وبهذه الطريقة استطاع هنيل أن يحصر الحرب البحرية بين الشيوخ عن طريق رسم خط وهمى يقسم مياه الخليج إلى قسمين وعرف هذا الخط بالخط الفاصل أو المانع ويبدأ من جزيرة بوموسى إلى جزيرة صبرى ثم يمتد إلى

(١) ج . ج لوريمر - مصدر سبق ذكره ج ٢ ص ١٠٦٠ .

الشمال الشرقى على طول الخليج بحيث يقسم مياهه إلى قسمين متساويين[١].
وفى ابريل ١٨٣٦ بذل الماجور موريسون الذى خلف هنيل لدى قيامه باجازته جهداً كبيراً فى اقناع الشيوخ بتجديد الهدنة التى انتهى أجلها فى نوفمبر ١٨٣٥ أما بالنسبة للخط المانع فقد قام موريسون باعادة رسم ذلك الخط مراعياً أن يكون بعيداً عن الساحل الفارسى وأصبح الخط الجديد يمتد على الجانب الغربى من شبه جزيرة مسندم إلى نقطة تبعد مسافة لا تتجاوز عشرة أميال جنوب جزيرة بوموسى ، والأمر الذى لا شك فيه أن تعديل هذا الخط هو الذى سيساعد فارس على ضم جزيرة بوموسى وصبرى إلى سيطرتها إذ أنه أدى إلى خنق الملاحة العربية من مدخل الخليج وحصرها فى مسافة أميال قليلة فى عرض البحر. ومما يذكر أن شيوخ الساحل قد أبدوا معارضة شديدة لتثبيت ذلك الخط وكان أبرز المعارضين الشيخ سلطان بن صقر الذى أكد بأن موانى خورفكان ودبا الواقعة على بحر عمان من توابعه وأن منع سفنه من القيام بالدوران حول رأس مسندم سيمنعها من الوصول إلى تلك المناطق وقد رفض موريسون احتجاج الشيخ سلطان وذكره بأن استيلاءه على خورفكان قد حدث نتيجة الاضطرابات التى وقعت فى سلطنة مسقط فى أواخر عام ١٨٣٤ ؛ وعلى أية حال فقد تجمد موضوع الخط المانع وذلك بعد أن وافق الشيوخ على عقد اتفاقية جديدة للهدنة البحرية وقعت فى ١٣ أبريل ١٨٣٦ . ولا تختلف هذه الاتفاقية عن الاتفاقية السابقة فى كثير من بنودها وإن كان قد اشترك فى توقيعها بالإضافة إلى الزعماء الموقعين على الاتفاقية السابقة شيخ أم القوين الذى كان قد تعذر اشتراكه فى التوقيع على الاتفاقية الأولى بسبب اعتراض شيخ رأس الخيمة الذى أصر على أن أم القوين تابعة له وأنه يوقع على الاتفاقية نيابة عنها . كذلك امتدت فترة الهدنة من ستة أشهر إلى ثمانية أشهر[٢] . وعند عودة هنيل إلى الساحل العمانى

---

(١) عبد العزيز عبد الغنى : بريطانيا وإمارات الساحل دراسة فى العلاقات التعاهدية ص ٢٦٨ — ٢٧٠ (ط) البصرة ١٩٧٨ .

(٢) جون كلى : بريطانيا والخليج حـ ١ ص ص ٦٢٧ — ٦٢٨.

فى ابريل١٨٣٨ للعمل على تجديد الاتفاقية لثمانية أشهر أخرى وجد الشيوخ متلهفين إلى ذلك بعد أن تحسنت أوضاعهم الاقتصادية بسبب ذلك النظام وما ترتب عليه من إقرار الهدوء والنظام خاصة فى مواسم الغوص . ولعل الشيخ سلطان بن صقر كان من أبرز المتحمسين لتجديد الاتفاقية حتى أنه أوفد مبعوثاً إلى الكولونيل هنيل يقترح عليه أن يقوم هو وزملاؤه الشيوخ بعقد اتفاقية فيما بينهم لإنهاء الصراعات البحرية بصفة دائمة وكان غرضه من ذلك ضمان سلامة السفن التابعة له والتى كانت تبحر إلى الهند خلال موسم الرياح الموسمية ولا تتمكن من العودة قبل انتهاء صلاحية الاتفاقية ولكن هنيل أشار على الشيخ سلطان بأنه إذا كان حرصه على سفن القواسم وضمان عودتها من الهند كل عام فيمكن تبديد تلك المخاوف بتحديد صلاحية الاتفاقية من ثمانية أشهر إلى عام كامل ووافق الشيخ سلطان على هذا الاقتراح على الفور وتم الحصول على موافقة بقية الشيوخ ووقعت اتفاقية الهدنة لمدة سنة كاملة فى ابريل ١٨٣٨[1] ومنذ ذلك الوقت كان يتم تجديدها فى كل عام حتى عام ١٨٤٣ حين استبدلت بعشر سنوات انتهت فى عام ١٨٥٣ بتوقيع اتفاقية الهدنة الدائمة Porpetual Truce وهى التى أعطت التسمية الجديدة لذلك الساحل الذى عرف بالساحل المتصالح أو ساحل الصلح البحرى[2].

والأمر الذى لا شك فيه أن نظام الهدنة البحرية أثبت نجاحه فى إشاعة الأمن فى مياه الخليج كما أنه أدى إلى إتاحة الفرصة للسيطرة البريطانية بحكم ما أتاحه لها ذلك النظام من التحقيق فى الحوادث المخالفة لذلك النظام وفرض ما تراه من عقوبات ولعل تطبيق نظام الهدنة البحرية هو الذى حال دون انفصال القبيسات

---

(١) كلى : مرجع سبق ذكره جـ١ ص ٦٣٤—٦٢٥ .

(٢) Bombay Govt. op. cit. vol. XXIV P. 86 FF. See also Aitchison, op. cit. vol. X pp. 133—134 Calcutta 1892.

عن أبو ظبي ففي عام ١٨٣٥ اتجه القبيسات إلى العديد في الوقت الذى عارضت فيه بريطانيا أن يتم انفصال القبيسات عن بني ياس إذ أن التكوين القبلي الصغير للقبيسات لا يمكنهم من تكوين إمارة مستقلة تستطيع الحفاظ على كيانها كما أن عدم تدخل بريطانيا للمحافظة على تكامل إمارة أبو ظبي سيفقد ثقه بقية المشيخات بها علاوة على تشجيع القبائل الأخرى على الاستقلال في إمارات صغيرة مبعثرة قد تشكل عبئاً على بريطانيا كما يصعب مراقبتها . ومن ثم استطاعت قوات أبو ظبي من بني ياس والمناصير محاصرة خور العديد حيث قام الشيخ خليفه بن شخبوط بهجوم كبير دمر به المستوطنة التى أوجدها القبيسات واستسلم الشيخ خادم بن نهيان زعيم القبيسات وتمت مصالحة بين الطرفين تعهد فيها القبيسات بعدم الانشقاق ثانية عن أبو ظبي وهو تعهد لم يلتزموا به إذ سيحدث الانشقاق مرة أخرى على أثر تقــدم العثمانيين إلى الإحساء وقطر مما أغرى القبيسات على الاحتماء بهم[1] ، ومع ذلك فقد كانت أكثر الحوادث شيوعاً عندما كان يحاول بعض العاملين في الغوص الهرب من المشيخة التى يعملون فيها إلى مشيخة أخرى من غير رد السلف أو التسقام الذى كانوا يتحصلون عليه في بداية مواسم الغوص ، كما كانت الحوادث تقع أيضاً عندما كان ينتهز أحد شيوخ الساحل فرصة خلو إحدى المشيخات من سكانها خلال موسم الغوص فيشن هجوماً على تلك المشيخة ، وتلافيا لتلك الأحداث التى لم تكن في صالح التجارة والأمن البحرى . كان الاتجاه إلى وضــع اتفاقية جديدة لمدة أطول على أساس النجاح الذى حققته اتفاقيات الهدنة السابقة[2] غير أن هناك من كان يعتقد أن اتفاقية طويلة المدى قد تشكل عبئاً على القواسم الذين تعتمد قوتهم العسكرية على إمكاناتهم البحرية على عكس بني ياس الذين تعتمد قوتهم العسكرية على إمكاناتهم البرية فبمقتضى اتفاقيات الهدنة البحرية كان

---

(١) انظر مشكلة القبيسات في : جمال زكريا قاسم – الخليج العربي العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤ – جامعة عين شمس ١٩٦٦ ص ص ٢١١ – ٢١٨ .

(٢) Bombay Govt., op, cit. vol. XXIV P. 71 FF.

يحق لحاكم أبو ظبي اعلان الحرب على القواسم الذين يشكلون قوة برية عسكرية أضعف من قوته بينما لا يحق للقواسم الذين يتفوقون عليه فى القوة العسكرية البحرية أن يشنوا هجوماً بحريا ضد بنى ياس ولذلك أوفد الكولونيل هنل فى مارس ١٨٤٢ مساعده العسكرى الليفتنانت كمبال **Kemball** إلى شيوخ الساحل للتأكد عما إذا كانوا يرغبون فى عقد مهادنة لمدة أطول وقد أبدى جميع الشيوخ رغبتهم فى مد الهدنة لمدة عشر سنوات ووقعت الهدنة الجديدة فى يونية ١٨٤٣ بحضور الكولونيل هنيل وبموجب نصوصها تعهد شيوخ المنطقة بمراعاة شروط الهدنة فى الخليج لمدة عشر سنوات من تاريخ توقيعها كما تعهدوا بالنظر فى ابرام اتفاقية دائمة بعد انتهاء صلاحية تلك الاتفاقية فى عام ١٨٥٣ وتعهد الشيوخ بدفع تعويضات عن أية أضرار تنجم عن أعمال يرتكبها رعاياهم فى البحر ضد أى طرف آخر يكون مشتركاً فى توقيع تلك الاتفاقية وكذلك الامتناع عن القيام بأية أعمال انتقامية ضد بعضهم البعض وباحالة أية مخالفة أو اعتداء إلى الحكومة البريطانية لكى تتولى الفصل فيها باعتبارها الطرف الضامن للاتفاقية . والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية كانت حريصة على أن يظهر نظام الهدنة كما لو كان برغبة الشيوخ أنفسهم وليس مفروضاً عليهم بفعل الضغط البريطانى إذ أن ديباجة الاتفاقية الجديدة كانت تنص على أن الشيوخ قد أقروا هذا النظام بعد أن تيقنوا من فوائده الجليلة وخاصة بالنسبة لمواسم الغوص التى أصبحت هى العماد الوحيد لثروة المشيخات بعد أن فقدت قوتها البحرية على أثر تفوق النفوذ البريطانى وخاصة بعد استخدام البخار فى الملاحة مما كان له أثر فى تدهور اقتصادها وصارت بحاجة ماسة إلى المساعدات البريطانية وهو الأمر الذى استغلته بريطانيا لكى تزيد من نفوذها فى المنطقة [1]. ولعل مما يسترعى الانتباه أن نظام الهدنة البحرية قد أثبت مقدرته على تثبيت النفـــوذ البريطانى أكثر مما حققته معاهدة ١٨٢٠

---

(١) جمال زكريا قاسم : الأسس التاريخية لوحدة الإمارات ودور الاستعمار فى تجزئتها — ندوة تجربة دولة الامارات العربية المتحدة — بيروت مارس ١٩٨١ .

إذ أن إتفاقيات الهدنة كانت تهدف أساساً إلى قمع النشاط البحرى بالقضاء على أسباب ذلك النشاط بتحريم الحروب البحرية[١]، بينما كانت معاهدة ١٨٢٠ تهدف إلى القضاء على النشاط البحرى عن طريق فرض العقوبات على ممارسة ذلك النشاط . والأمر الذى لا شك فيه أن نجاح نظام الهدنة البحرية كان يرتبط إلى حد كبير بفاعلية الرقابة البحرية فعلى حين كان الأمر قبل توقيع إتفاقية الهدنة فى عام ١٨٣٥ يقضى بإرغام الشيوخ على دفع تعويضات عن الاعتداءات التى يقترفها رعاياهم فى البحر فإنه بعد توقيع اتفاقيات الهدنة البحرية كان الشيوخ أنفسهم طبقاً لنصوص الاتفاقيات هم الذين يفرضون العقوبات على مرتكبى تلك الاعتداءات من رعاياهم حتى قبل أن يعلم بها المقيم البريطانى . حقيقة أنه قد جرت العادة قبل توقيع اتفاقيات الهدنة وفى ظل المعاهدة العامة فى عام ١٨٢٠ أن يقوم المقيم البريطانى بجولة على السواحل الغربية للخليج فى فصل الربيع من كل عام إلا أنه اعتباراً من عام ١٨٣٦ أى بعد توقيع أولى اتفاقيات الهدنة فى عام ١٨٣٥ أصبح الغرض من جولة المقيم فى المنطقة هو العمل على تجديد اتفاقية الهدنة وفى الحالات التى كان يحتمل أن يدب فيها الصراع أو الخلاف بين المشتركين فى توقيع الاتفاقية فإن المقيم البريطانى كان يصطحب معه فى جولته بعض قطع من الأسطول البريطانى لحل الخلافات بين الشيوخ وأحياناً كان المقيم البريطانى يقوم بالتدخل بين الشيوخ وإن كان هذا التدخل لا يتعدى مجال الوساطة لأن حكومة الهند كانت تحرص على عدم توريط نفسها ولو من الناحية النظرية على الأقل فى الخلافات الداخلية للشيوخ .

وكان المقيم البريطانى يستقبل ضيوفه من شيوخ الساحل على ظهر الطراد الخاص به حتى لايثير حرجا فيما لو زار أحد الشيوخ ولم يقم بزيارة شيخ

---

(١) Aitchison, C. U

A Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries vol. X p. 132 ff

آخر وفى كل الجولات كان المقيم حسب التقاليد يأخذ معه بعض الهدايا فى الوقت الذى كانت فيه الخزانة البريطانية فى بوشهر تمتلأ بألاف الريالات التى حصلت من الشيوخ — كما يذكر تقرير بادجر — بمثابة غرامات لاتفه الأسباب [١] :

ومما تجدر الإشارة إليه أن استتباب الأمن فى الخليج نتيجة فرض نظام الهدنة أدى إلى تقدم [عمليات المسح البحرى حيث قام فريق من ضباط بحرية بومباى بعمل دؤوب اســتمر ثلاث سنوات بين عامى ١٨٣٥ و ١٨٣٨ ، من أجل إعداد الخرائط من النوع الذى يرشد السفن . كما ظلت حكومة الهند تكثف مراقبتها البحرية لضمان نجاح نظام الهدنة وذلك بالإكثار من الدوريات البحرية، يضاف إلى ذلك استخدام الملاحة البخارية فى منطقة الخليج حيث عبرت أول سفينة من ذلك النوع مياه الخليج فى عام ١٨٣٨ وهى السفينة هج لندسى وقد مرت هذه السفينة بالساحل العمانى حيث أحدثت أثراً مذهلا بين أهالى المنطقة بسبب منظرها غير المألوف وحمولتها الضخمة ومدافعها الثقيلة . ولعل ذلك كان مؤشرا لتفوق النفوذ البريطانى وعاملا ممهدا لعقد اتفاقية العشر سنوات التى وقعت بين الشيوخ فى عام ١٨٤٣ وكان الدافع إليها محو الأثر الذى نتج عن ظهور القوات المصرية وماحدث من علاقات بين القادة المصريين وبعض أمراء الساحل كما كان الغرض من هذه الاتفاقية أيضا تعويض الانسحاب البريطانى من جزيرة خرج فى عام ١٨٤٢ ، وإن كانت المصادر البريطانية أرجعتها إلى منع القرصنة [٢] : وعلى الرغم من توقيــع هذه الاتفاقية ، ثم اتفاقية الهــدنة الدائمة فى عام ١٨٥٣ فإن ذلك لم يمنع من قيام بعض الحوادث التى كانت تؤثر

---

(١) من جورج بادجر إلى حكومة بومباى عن الوثائق السعودية الخاصة بمشكلة البريمى المجلد الثانى — الوثائق ص ص ٢١١ — ٢١٤ . نقلا عن أوراق بادجر .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ١٠٦٢ .

انظر أيضا : Curzon, The G. N, Persia & The Persian question Vol 11 p, 449

فى أمن الخليج والتى كانت تتلخص فى هرب بعض الغواصين أو سواهم من العاملين فى صيد اللؤلؤ ممن كانوا كما سبق أن أشرنا مدينين لشيخ من الشيوخ فارين من مشيخته إلى مشيخة أخرى ، وكانت هذه الحوادث تأخذ شكل محاولة القبض على الفارين ، ومن ثم بذلت الحكومة البريطانية جهودا كبيرة لإقناع الشيوخ بالاتفاق حول هذا الموضوع ولكنهم فشلوا فى ذلك بسبب التقاليد العربية التى تمنع تسليم من يلجأ إلى الشيخ أو يحتمى به من تسليمه مهما كانت الأسباب ولم تحل هذه المشكلة إلا فى عام ١٨٧٩ حين وقع الشيوخ اتفاقية فيما بينهم لتسليم الفارين وتعتبر هذه الاتفاقية أول بداية لعمل موحد بين المشيخات العربية (١) .

---

(١) Zahlan, Rose Marie, Unity and British Rule—A case of United Arab Emirates :

بحث منشور فى أعمال ندوة تجربة الامارات العربية المتحدة — مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت مارس ١٩٨١ .

الفصل العاشر

التنظيمات السياسية والقبلية في الساحل الشمالي من الخليج العربي

بنو خالد فى الاحساء — الصراع بين بنى خالد والسعوديين — انهيار نفوذ بنى خالد — هجرة العتوب من أواسط الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج ، الأسرات المكونة لاتحاد العتوب آل صباح ، آل خليفة ، الجلاهمة — هجرة آل خليفة إلى الزبارة وسيطرتهم على البحرين ١٧٨٣ — رحمة بن جابر الجلاهمة — تأسيس بنى كعب لإمارة المحمرة وأثرهم فى العلاقات بين فارس والدولة العثمانية — التنظيمات العربية وأثرها فى تأكيد الشخصية العربية للخليج .

* * *



الفصل العاشر

التنظيمات السياسية والقبلية فى الساحل الشمالى من الخليج العربى

شملت التنظيمات السياسية والقبلية فى الساحل الشمالى من الخليج العربى المناطق الواقعة بين شط العرب شمالا وشبه جزيرة قطر جنوبا . وفى هـــذه المناطق استقرت بعض الأسرات الحاكمة التى انقضى حكمها أو لا يزال بعضها قائما بالحكم حتى وقتنا الحاضر .

ولعل أول استقرار سياسى منظم يمكن إرجاعه إلى بنى جبر فى منطقة الاحساء والمناطق المجاورة لها وذلك بعد نجاحهم فى تحقيق استقلالهم عن مملكة هرمز منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادى . وعلى الرغم من التفوق والسطوة التى أحرزها بنو جبر حتى وصل نفوذهم إلى عمان والبحرين إلا أن التنافس الداخلى بين زعامات تلك الأسرة وخاصة بعد مقتل أبرز زعمائها مقرن بن زامل على أيدى البرتغاليين فى عام ١٥٢١ كان عاملا مؤثرا فى تفكك زعامتهم وانهيار حكمهم وحدث ذلك فى عام ١٥٢٥ حين تمكن راشد بن مغامس زعيم المنتفق من آل فضل من السيطرة على الاحساء والقطيف . واستمر آل فضل يحكمون تلك المناطق قرابة خمسة وعشرين عاما ١٥٢٥ — ١٥٥١[1] حتى نجح العثمانيون فى انتزاع الاحساء منهم بعد سيطرتهم على البصرة[2]. وخلف العثمانيون فى حكم الاحساء أسرة بنى

---

(١) عبد اللطيف حميدان : نفوذ الجبور فى شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية ١٥٢١/١٨٧١ العدد ١٧ مجلة كلية الآداب جامعة البصرة .

(٢) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربى فى شط العرب ص ص ٤٨ — ٤٩ .

خالد التي وصلت إلى الزعامة الفعلية على المنطقة منذ بداية النصف الثانى من القرن السابع عشر وبلغ ذروة نفوذها فى النصف الأول من القرن الثامن عشر حتى بداية اصطدامها بالسعوديين منـــذ النصف الثانى من ذلك القرن[١] .

وتشكل الاحساء واحة كبيرة تمتد بضعة أميال إلى الداخل وتشمل واحة القطيف وكذلك مدينة الهفوف التى تعد المدينة الرئيسية التى تقع فى قلب هذه الواحة[٢]. وسكان الاحساء القدامى خليط من قبائل عربية متعددة يرجع معظمها إلى بنى عبد القيس وبكر بن وائل وتميم ثم وفدت عليها قبائل أخرى كان أبرزها العجمان وآل مرة والعوازم والرواشد وبنو هاجر وبنو خالد[٣] وتعتبر قبيلة بنى خالد من القبائل القديمة فى منطقة الخليج وكانت تتكون من مجموعة من الأفخاذ والعشائر التى تضرب فى المناطق الواقعة بين الكويت شمالا إلى عمان جنوبا ويبرز من تلك الأفخاذ والعشائر العماير والصبيح وبنو فهد والمقدام والمحاشر والجبور وآل حميد ومنهم آل عريعر[٤]، الذين سيطروا على زعامة بنى خالد ووصلوا إلى السلطة السياسية حين استقر تنظيم بنى خالد فى الاحساء . ولم تكن الاحساء هى الرقعة الوحيدة التى سيطر عليها بنو خالد بل وصلت سيطرتهم إلى القطيف والعقير ومن هذين الميناءين كانت تأتى القوافل إلى نجد حاملة معها تجارة الهند[٥] .

وقد تتابع على حكم الاحساء كل من العيونيين والجبور وآل مغامس ثم جاء البرتغاليون وظلوا يحتلونها حتى تمكن الأتراك العثمانيون من طردهم منها فى عام ١٥٥١ ولكن فترة حكم العثمانيين للاحساء لم تستمر طويلا إذ ثارت عليهم قبيلة بنى خالد بقيادة زعيمها براك بن غرير وأعلن نفسه حاكما

---

(١) الحميدان : دراسة سبق ذكرها .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان راجع المدن والواحات المذكورة .

(٣) مصطفى مراد الدباغ : الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام جـ ١ بيروت ٦٣

(٤) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص١٥٤ وكذلك لمع الشهاب ص‌ص١٥٧–١٥٨

(٥) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ص ٧٦ – ٧٧ . انظر أيضا لمع الشهاب ص ص ١٥٣ – ١٥٦ التعرف على المناطق الساحلية التى كان يسكنها بنو خالد بعشائرهم .

على الاحساء والقطيف فى عام ١٦٧٠ واستطاع إخوته وأبنائه من بعده أن يدعموا هذا التنظيم السياسى الذى أسسه براك فى تلك البقاع[1]. وكان ممـــا ساعد براك بن غرير فى الاستيلاء على الاحساء أن حكم العثمانيين كان واهيا إذ لم تكن الدولة العثمانية تهتم بسنجق الاحساء لقلة الدخل المتحصل منه وتمرد القبائل العربية ضد العثمانيين[2]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ساعد براك على الاستقلال أوضاع الدولة العثمانية المتأزمة إذ كان نفوذها قد انحسر من اليمن وظهرت العديد من المشكلات بين والى البصرة وباشا بغداد وامتدت تلك المشكلات إلى الاحساء واستغل براك الموقف لصالحه وأجبر الحامية العثمانية على مغادرة البلاد وقد وجد براك مساعدة من قبائل العتوب فى السيطرة على القطيف كما تذكر بعض المصادر أن جبور الاحساء والقطيف هم الذين ساعدوا براك بن غرير فى انتزاع الاحساء والقطيف من الحكام العثمانيين فى البصرة [3] .

وعلى الرغم من أن قبيلة بنى خالد لم تصل إلى الحكم إلا فى أعقاب التخلص من السيطرة العثمانية على الاحساء فى أواخر القرن السابع عشر إلا أن ذلك لا يعنى أن قبيلة بنى خالد لم يكن لها نفوذ فى الاحساء قبل هذه الفترة المشار إليها إذ تجمع كثير من المصادر التى أمكن الرجوع إليها على أن هذه القبيلة ظهرت إلى مجال التفوق منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى ثم نمت فى شبه تنظيم سياسى خلال سنوات القرن السابع عشر وأخـــذت تتمتع بدرجة كبيرة من القوة والنفوذ وخاصة أن انتشارها فى مقاطعات الاحساء والقطيف مكن لها قدرا كبيرا من الثروة نتيجة لما تشتهر به الاحساء من واحات خصيبة وكان مما يضيف إلى رخائها الزراعى انتعاشها التجارى إذ أن موانى الاحساء كانت تعد بدايات صالحة لانطلاق القوافل التجارية إلى

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ ص ٧٥ .

(٢) على عبد الرحمن أبا حسين : تاريخ البحرين من خلال المخطوطات والوثائق ص ص ٢٥٩ — ٢٦٠ — من أعمال الحلقه الرابعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية — أبو ظبى — نوفمبر ١٩٧٩ .

(٣) عبد اللطيف الحميدان : بحث سبق ذكره مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة العدد ١٩٨١/١٧ .

نجد وأواسط الجزيرة العربية [١] . ولاشك أن هذا الرخاء الاقتصادى هو الذى مكن بنو خالد من السيطرة السياسية .

ويشكل بنو خالد أحد أربع قبائل رئيسية فى المنطقة أما الباقون فهم بنو هاجر والعجمان وآل مرة وجميعها قبائل بدوية . ومن حيث التكوين القبلى لبنى خالد فهم ينقسمون إلى شطرين قسم استقر فى المدن والقرى وقسم آخر فضل حياة البادية [٢]. وعلى أثر طرد العثمانيين من الاحساء أصبحت قبيلة بنى خالد هى القبيلة المتنفذة ولم يعد للوجود العثمانى فى الاحساء بعد وصول بنى خالد إلى الحكم أية آثار واضحة ولم يزد الأمر عن بعض عائلات من أصل تركى تم انقراضها خلال سنوات القرن الثامن عشر . وتمتعت قبيلة بنى خالد بتفوقها خلال العقود الخمسة الأولى من القرن الثامن عشر حتى أن سلطانها كان يمتد من قطر جنوبا حتى الكويت شمالا أى أن جميع سواحل الخليج من قطر إلى البصرة كانت تقع ضمن نفوذ شيوخ بنى خالد كما كانت هناك بعض القبائل التابعة لبنى خالد تنزل فى منطقة الساحل العمانى [٣] . وعلى الرغم من ذلك فإن معلوماتنا عن بنى خالد لاتزال معلومات قليلة فى جملتها . ومما تجدر الاشارة إليه أن الرحالة كارستن نيبور وهو من طليعة الرواد الأوربيين الذى فتح الجزيرة العربية للارتياد الأوربى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر قد زار الهفوف قاعدة الاحساء ووصفها بأنها مدينة كبيرة مزدهرة كما ذكر عن بنى خالد بأنهم أقوى القبائل العربيـة التى تقطن الساحل الشمالى من الخليج وكان سلطانهم يمتد إلى أواسط الجزيرة العربية [٤] . ولما كانت هذه القبيلة تنتشر

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص١٦٥ .

انظر أيضا جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء ص ٩٣ — مجلة الجمعية المصرية التاريخية العدد ١٧/١٩٧١ .

(٢) أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ ص ٧٧ .

(٣) السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ١ ص ص ١١ — ١٢ وكذلك لمع الشهاب ص ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤) Neibuhr, Carsten, Travels through Arabia and other countries in the East Translated by Robert Herene vol. II P. 126 Edinburgh, 1792.

انتشارا كبيرا فى الصحراء فقد أتاح لها ذلك فرصة السيطرة على طرق القوافل التى كانت تمتد بين نجد والعراق [1] . ومما تجدر الاشارة إليه أن قبيلة بنى خالد يرد ذكرها فى العديد من رسائل وتقارير ممثلى شركة الهند الشرقية البريطانية فى الخليج خلال القرن الثامن عشر إلا أننا مع ذلك لانجد تفصيلات كثيرة عن حكمهم للاحساء أما المؤرخان الوهابيان حسين بن غنام وعثمان بن بشر فقد أفاضا بالحديث عن بنى خالد وخاصة فيما يتعلق بالصراع الذى قام بينهم وبين السعوديين وبطبيعة الحال كانت نظرة هذين المؤرخين الوهابيين لبنى خالد باعتبار كونهم من المشركين الذين يجب اخضاعهم لدعوة التوحيد[2] .

وقبل أن نعرض لمراحل العلاقات بين بنى خالد والوهابيين والتى انتهت بزوال حكمهم من الاحساء مع نهاية القرن الثامن عشر ينبغى الاشارة هنا إلى أن العلاقات بين بنى خالد والقوى المجاورة لهم لم تقتصر على العلاقات التى قامت بينهم وبين السعوديين وإنما كانت لهم علاقات مع العتوب فى قطر والكويت والبحرين وذلك منذ بداية استقرار العتوب فى الكويت فى أوائل القرن الثامن عشر بل ويعزى إلى بنى خالد بناء الحصن أو الكوت الذى أخذت الكويت اسمها منه ، وفى شبه جزيرة قطر حيث يختلط التركيب القبلى بين النعيم والمعاودة والبوعينين والسودان والدواسر والهويلة وآل مسلم استطاع بنو خالد أن يصلوا إلى السيطرة على بعض هذه القبائل وخاصة قبيلة آل مسلم كما كان بنو خالد هم الذين يقدمون حمايتهم لفرعى العتوب آل صباح وآل خليفة حينما أسس الأخيرون مدينة الزبارة فى شبه جزيرة قطر فى عام ١٧٦٦ التى اتخذوها مقرا لحكمهم قبل أن يصلوا إلى الاستيلاء على البحرين فى عام ١٧٨٣ . ولاشك أن حكم بنى خالد بما تميز به من بسط الأمن أعطى للامارات التى نشأت بجوارهم فرصة كبيرة

---

(١) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ١٦٥ .

(٢) أبو حاكمة : مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٢١١ — ٢١٢ .

للنمو والازدهار . ولعل مما يسترعى الانتباه أيضا أن نفوذ بنى خالد امتد إلى بعض مناطق نجد إذ تؤكد كثير من المصادر أن سكان نجد قبل قيام الدولة السعودية كانوا يعترفون بأن شيخ بنى خالد هو أقوى جيرانهم وكانوا يسعون إلى إرضائه بالهدايا وإذا امتنع بعض زعماء القبائل النجـــدية عن تقديم ولائهم لشيخ بنى خالد كان يقـــوم بغزو مقاطعاتهم ويعود محملا بالغنائم . وعند بدء قيام الدعوة الوهابية طلب بعض زعماء نجد من شيخ بنى خالد أن يأمر أمير العينية بإيقاف نشاط الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد نجح سليمان بن محمد بن براك فى تهديد الشيخ ابن معمر أمير العينية بأنه سيمنع عنه ريع نخيله فى الاحساء إذا استمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى بلاده ولعل ذلك يفسر لنا السبب فى مغادرة الشيخ العينيـــة إلى الدرعية وهناك آزره أميرها محمد بن سعود فى عام ١٧٤٥ وفيما يبدو أن هذه الحادثة كانت سببا لمناصبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وأبنائه من بعده العداء لشيوخ بنى خالد وهو العداء الذى أدى فى النهاية إلى سقوط حكمهم فى الاحساء . ويفهم من ذلك أن النشاط الدينى المعارض لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نجد لم ينجح فى إيقاف تلك الدعوة ولذلك اتجه المعارضون إلى استخدام سلاح السياسة وكان أنسب زعيم يمكن أن يستفيدوا منه آنذاك هو حاكم الاحساء لما بينه وبين زعماء العينية من صلات ولمـــا له من مكانة لدى أميرها ويظهر أن المعارضين قد أوضحوا لسليمان بن محمد حاكم الاحساء أن من واجبه أن يتدخل للقضاء على حركة الشيخ قبل أن يستفحل أمرها وأن ما ينادى به الشيخ يعنى ثورة العامة على حكامهم [1] . وقـــد وقع الصدام الأول بين الوهابيين وبنى خالد خلال حكم الشيخ سليمان بن محمد ومما تجدر الإشارة إليـــه أنه خلال الفترة من ١٧٤٥ — ١٧٨٥ اتخذ الوهابيون من شيوخ بنى خالد موقف الدفاع ثم تحولوا بعد ذلك إلى موقف الهجوم حين بدأت غزواتهم تتوالى على

---

(١) عبد الله الصالح العثيمين : العلاقة بين حكام الاحساء وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أعمال ندوة تاريخ شرق الجزيرة العربية الدوحة ١٩٧٦ جـ ٢ ص ص ٧٤٠ — ٧٤١ . انظر بصدد ذلك أيضا عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ١ ص ١٠ حيث يورد ما أقدم عليه شيوخ بنى خالد من قطع خراج الاحساء عن نجد .

أرض الاحساء واشتدت هجماتهم فى عام ١٧٩٣ ولم يمض أكثر من عامين حتى تم للوهابيين القضاء على نفوذهم[١] .

يفهم من ذلك أن الصراع بين الوهابيين وبنى خالد على الرغم من أنه بدأ منذ منتصف القرن الثامن عشر إلا أنه لم يتضح إلا فى السنوات الأخيرة من ذلك القرن وعلى أية حال فيمكننا أن نميز بين مراحل ثلاث تحدد سمة العلاقات بين الوهابين وبنى خالد، فالمرحلة الأولى كان يقوم فيها الوهابيون بالمناوشات بهدف ارهاب بنى خالد والقبائل الموالية لهم والمرحلة الثانية وفيها حاول الوهابيون رمى زعماء بنى خالد بعضهم بالبعض الآخر والتدخل فى شئونهم الداخلية ، أما المرحلة الأخيرة فتتميز بفتح الوهابيين للاحساء فى عام ١٧٩٥ على نحو ماسبقت الإشارة إليه حيث تمكن عبدالعزيز بن سعود أن يعين حاكما على الاحساء لاينتمى إلى أسرة بن خالد وترك معه جماعة من العلماء للوعظ والإرشاد . كما أمر بتدمير ما وجده فى الاحساء من أضرحة وقبور[٢] ولا شك أن فتح السعوديين للاحساء أفادهم فائدة كبيرة من حيث توسعهم فى نشر الدعوة الوهابية رغم الصعوبات العديدة التى واجهوها فى الاحساء بسبب أن معظم سكان مدنها لا سيما القطيف كانوا من الشيعة ، كذلك حقق السعوديون الكثير من المغانم الاقتصادية بسبب ما تشتهر به الاحساء من نشاطات تجارية وزراعية كما اتخذ السعوديون من الاحساء قاعدة مكنتهم من التوسع فى إمارات الخليج المجاورة لهم[٣]. ولعل مما يسترعى الانتباه أنه على الرغم من أن حكم بنى خالد قد انتهى بسيطرة السعوديين على الاحساء إلا أن بنى خالد

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ١ ص ص ١٠٠ – ١٠٢ الذى حدد عام ١٢٥٤ هـ وتولية براك بن عبد المحسن نائبا للسعوديين نهاية لزوال ولاية آل حميد، وكذلك لمع الشهاب ص ٦٧ وما بعدها . حيث أورد المؤلف فصلا فى ذكر تسخير آل سعود ملك بنى خالد .

(٢) محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية ص ١٢٩–١٣٠ .

(٣) أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

نجحوا فى استعادة سلطتهم من جديد وذلك حين تقدمت القوات المصرية التركية إلى سواحل الاحساء بعد قضائها على الدولة السعودية الأولى فى عام ١٨١٨، وحاول محمد على أن يعيد حكم الاحساء إلى شيوخ بنى خالد ومن المعروف أن سياسة محمد على كانت تتجه إلى إعادة المناطق التى استولى عليها إلى حكامها المحليين، وقبل انسحاب ابراهيم باشا من الاحساء فى عام ١٨١٩ كان قد أعاد الحكم إلى شيوخ بنى خالد ومنح رحمة بن جابر الجلاهمة مقراً فى الدمام وساعد سلطان بن صقر على استرداد حكمه فى الشارقة وتمكن بنو خالد نتيجة تلك الترتيبات التى وضعها ابراهيم باشا أن يحتفظوا بسلطتهم السياسية فى الاحساء لبضع سنوات غير أن الأمير خالد بن سعود بعد أن اعترف بولائه لمحمد على وقبل دفع الجزية إلى القاهرة لم يلبث أن اشتبك فى صراع عنيف ضد بنى خالد وتمكن فى عام ١٨٣٠ أن يوقع الهزيمة بهم ويضم الاحساء إلى حكمه فى عام ١٨٣٤ وحين عادت القوات المصرية التركية لاحتلال نجد والاحساء للمرة الثانية ١٨٣٨/١٨٤٠ بعد نفى الأمير فيصل بن تركى إلى القاهرة أتيحت الفرصة لعودة بنى خالد إلى حكم الاحساء ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة إذ انسحبت القوات المصرية من الاحساء ونجد فى عام ١٨٤٠ وقفز إلى الحكم عبد الله بن ثنيان ١٨٤٠— ١٨٤٢ الذى استرد الاحساء وعمل على التخلص من نفوذ بنى خالد هناك. حقيقة أن الدولة العثمانية قد حاولت بعد سيطرتها على الاحساء فى عام ١٨٧١ أن تعيد الحكم إلى أسرة بنى خالد إلا أن نفوذ هذه الأسرة زال نهائياً بنجاح عبد العزيز بن سعود فى استرداد الاحساء فى عام ١٩١٣[1].

تنظيمات العتوب :

وفى شمال الاحساء يسترعى انتباهنا التشكيلات السياسية التى أقامها العتوب فى كل من الكويت وقطر والبحرين. والعتوب كانوا يشكلون حلفاً

---

(١) مجلة لغة العرب : نظرة فى الاحساء ص ص ٣٦/٤٠ تموز ١٩١٣ .

كبيراً كان يضم إليه أفخاذا كثيرة تنتمي لعدة قبائل هاجرت من مواطنها الأولى في نجد واستقرت على شواطئ الخليج وقد تحالفت هذه القبائل بعضها مع البعض الآخر وتصاهرت فيما بينها وهذه الظواهر مألوفة في تاريخ الجزيرة العربية . ويذكر عثمان بن سند البصري بصدد ذلك « والذي يظهر أن بني عتبة متباينو النسب ولكنهم تقاربوا فنسب بعضهم لبعض »[١].

وتكاد تتفق كثير من المصادر التي رجعنا إليها على أن العتوب هاجروا من أواسط الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج حول مستهل القرن الثامن عشر وعلى الرغم من أن العتوب كما سبق أن أشرنا متباينو النسب إلا أنهم يرجعون بأصولهم الأولى إلى قبيلة عنزة المعروفة في أواسط نجد . وإن كان السويدي يرجعهم إلى قبيلة بني رياح . وقد اشتهر من فروع العتوب أسرات ثلاث هي آل خليفة وآل صباح والجلاهمة وإذا كانت الأسرتان الأوليتان لا تزالان تحكمان في البحرين والكويت حتى وقتنا الحاضر فان الفرع الثالث للعتوب وهم الجلاهمة لم يتمكنوا من الوصول إلى شيء من السلطة أو النفوذ .

وتختلف المصادر فيما بينها حول تسميتهم بالعتوب فعلى حين ترى بعض المصادر أن العتوب أخذوا ذلك الاسم من إحدى القبائل الكبيرة التي انضمت إليهم ترى مصادر أخرى أنهم عرفوا بالعتوب بعد ارتحالهم من مواطن إقامتهم في نجد وعتبهم نحو الشمال . وإذا صح ذلك فان التسمية هنا تكون مشتقة من الفعل عتب بمعنى انتقل أو ارتحل . ولا يقتصر تكوين العتوب على الأسر الثلاث التي أشرنا إليها وإنما ضم العتوب إليهم آل فاضل وبني وائل وتميم وقبيلة سليم التي يتفرع عنها آل بنعلي ببطونهم وأفخاذهم . وطبقاً لما يذكره النبهاني[٢] أن آل خليفة هم الذين تزعموا هجرة العتوب

---

(١) علي أبا حسين : من تاريخ العتوب خلال المخطوطات والوثائق ص٢٤٧ من أعمال الحلقة الدراسية لمراكز دراسات الخليج العربي – أبوظبي – نوفمبر ١٩٧٩ انظر أيضا : عثمان بن سند البصري : سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الله سعد ص ١٨ بومباي ١٣١٥ هـ .

(٢) النبهاني : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية – البحرين ص ١٩ .

من نجد ولكننا نرجح زعامة آل صباح خاصة إذا ما تأكد لدينا أن زعماء العتوب الأوائل اتفقوا لدى استقرارهم فى الكويت على أن يتولى آل صباح شئون الحكم .

ولا يكاد يعرف على وجه الدقة الأسباب التى أدت إلى نزوح العتوب من نجد إلى سواحل الخليج كما لا يزال هناك خلاف بين المصادر فى تحديد الموطن الأصلى للعتوب فعلى الرغم من اتفاق معظم المصادر على نسبتهم إلى إقليم الهدار من مقاطعة الأفلاج فى نجد ، نجد بعض المصادر الأخرى تنسبهم إلى نجران أو حمير كما لا يزال هناك خلاف على أسباب هجرتهم من بين المتتبعين لهجرات القبائل فى شبه الجزيرة العربية وإن كانت كثير من الروايات تتفق على أن سبب هجرتهم يعود إلى تلك الخصومات والمنازعات التى أخذوا يتعرضون لها فى داخلية نجد بينهم وبين غيرهم من البطون وطبقاً لما يذكره المؤرخ الكويتى عبد العزيز الرشيد إن هناك إهانات لحقت بهم فى نجد ولذلك ارتحلوا من بلادهم سعياً وراء الاستقرار والاستقلال وكان ذلك على أثر حدوث نزاع بينهم وبين أبناء عمومتهم من بطن جميلة من عنزة وعلى الرغم من أن العتوب نجحوا فى التغلب على خصومهم وأخرجوهم من بلادهم إلا أن أولئك الخصوم لجأوا إلى قبيلة الدواسر حيث تم لهم التغلب على العتوب ونجحوا فى اخراجهم من نجد[١] . ولا يوجد لدينا تاريخ محدد لوصول العتوب إلى سواحل الخليج إلا أن بعض الباحثين استطاع أن يستدل من إحدى الوثائق التركية بأن العتوب كان لهم دور مع سكان البحرين وقطر قبيل مستهل القرن الثامن عشر[٢] ، وهذا يعنى أن استقرار العتوب تم فى بعض مناطق الخليج قبل بداية ظهور التشكيلات السياسية التى أقاموها منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر .

---

(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ص ٣١ — ٣٢ .

(٢) على أبا حسين : مرجع سبق ذكره انظر نص وثيقة من والى البصرة إلى الصدر الأعظم مؤرخة فى ٢١ رجب ١١١٣ ﻫ — ٢٣ ديسمبر ١٧٠١ ص ص ٢٥٩ — ٢٦٠ من أرشيف رئاسة الوزراء العثمانى — دفاتر المهمة رقم ١١١ ص ٧١٣ ترجمة خليل ساحلى وأحمد إغرانجة .

وعلى الرغم من الغموض الذى يكتنف تاريخ العتوب فى بدء هجرتهم إلا أن بعض المصـــادر تؤكد أن العتوب استقروا فى بداية الأمـــر فى المناطق المجاورة للبحرين وبدأ الوالى الفارسى على البحرين مهدى قلى خان يخشى من قوتهم المتزايدة ومن ثم أغرى عرب الهولة الذين يسكنون الساحل الشرقى للخليج بالتعرض لهم ولذلك قرر العتوب مهاجمة البحرين واستطاعوا السيطرة عليها ، ولجأ مهدى خان إلى القلاع يتحصن بها ولكن عرب الهولة استطاعوا السيطرة على الموقف مما أجبر العتوب على مغادرة البحرين بعد أن فشلوا فى انتزاعها من أيدى الفرس . ومن البحرين اتجه العتوب إلى قطر واستقروا بها عدة سنوات تحت كنف حكامها من آل مسلم ولكن لم يلبث أن حـــل عليهم غضب حكامها الذين أوجسوا خيفة من أمرهم وخشوا استفحال شأنهم فأمروهم بمغادرة البـــلاد ولبى العتوب الطلب حيث أودعوا أموالهم والعزيز لديهم فى سفن شراعية وساروا بها ضاربين عرض البحر [1] . أما عن آل مسلم فقد تحالفوا مع عرب الهولة وساروا خلفهم حيث أدركوهم فى رأس التنورة ، وفى ذلك المكان جرى قتال بين الفريقين كان النصر فيه للعتوب بيد أن هذا النصر لم يؤد إلى عودتهم إلى قطر أو البحرين وإنما سار العتوب إلى قيس ثم إلى الخراق ثم يمموا وجوههم صوب البصرة فى مائة وخمسين سفينة شراعية وهناك طلبوا من واليها مساعدتهم ضد الفرس والسماح لهم بسكنى أية منطقة تخضع لسلطة الدولة العثمانية وفيما يبـــدو أن والى البصرة قد اطمأن إليهم حتى أنه كتب إلى السلطان العثمانى رسالة يشرح فيها حالة العتوب وفيما يبدو أن موافقة السلطان العثمانى هى التى أقرتهم فى الكويت وكان ذلك فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر [2] ، وذلك طبقاً لما تؤكده الكثير من المصادر التى تحدد

---

(١) عبد العزيز الرشيد – مرجع سبق ذكره ص ٣٣ .

(٢) عن الروايات المحلية المتعلقة باستقرار العتوب فى الكويت انظر :

Dickson, H.R., Kuwait and Her Neighbours pp. 26—28 London 1956.

عام ١٧١٦ باعتباره أقرب التواريخ لتحديد نزول جماعات العتوب إلى الكويت ، كما أن ذلك العام يحدد أيضاً بداية التنظيم الذى وضعه العتوب وذلك بعد تحالف الشيخ سلمان بن أحمد عن بنى الصباح والشيخ جابر بن عتبة عن الجلاهمة والشيخ خليفة بن محمد عن آل خليفة[1] . وكانت العوامل التى مكنت العتوب من الاستقرار فى الكويت ترتبط إلى حد كبير بالضعف الذى تعرض له بنى خالد التى كانت تمتد سيطرتهم إلى الكويت وذلك حين دب الشقاق والنزاع بين زعماء بنى خالد إبان تلك الفترة التى نتحدث عنها . وما كاد العتوب يستقرون بالكويت حتى اتجهوا إلى تأمين مركزهم من قبل السلطات العثمانية فى بغداد وتذكر بعض المصادر بصدد ذلك انهم أوفدوا الشيخ صباح إلى الباشا العثمانى فى بغداد فى عام ١٧١٧ لكى يوضح له أنهم فقراء نزحوا فى طلب العيش ولا يبغون ضراً بأحد فنجح فى وفادته ومنحه باشا بغداد لقب قائمقام فى عام ١٧١٨[2] . وهكذا برزت أسرة آل صباح من بين تحالف العتوب باعتبارها الأسرة الحاكمة وبصدد ذلك تجمع الكثير من المصادر على أنه حدث اتفاق بين الزعامات المكونة لتحالف العتوب على أن يتولى آل صباح الحكم وآل خليفة التجارة والجلاهمة العمل فى البحر . ومع ذلك فإن اتحاد العتوب لم يكن مقدراً له الظهور إلا بعد أن تصاهر العتوب إلى عشائر أخرى وكانوا يهدفون بذلك إلى تنمية قوتهم وصد الهجمات القبلية التى كانوا كثيراً ما يتعرضون لها ، وعلى الرغم من أن قبيـــلة بنى خالد كانت من أهم القبائل المتاخمة لنفوذ العتوب جنوبا إلا أنه من المؤكد أن هناك قبائل أخرى ناصبت

---

(١) Bombay Govt., op. cit. CF. Historical Sketsh of the Uttoobee tribe of Arabs vol. XXIV pp. 362 SQ Bombay 1856.

(٢) عثمان بن سند البصرى مصدر سبق ذكره ص ١٨ .

العتوب العداء[١] غير قبيلة بنى خالد التى عاش العتـــوب فى كنفها وفى وفاق معها .

على أنه لم يكد يمضى أكثر من خمسين عاماً على قيام حلف العتوب حتى حدث أول انشقاق فيه وذلك بانفصال آل خليفة والتجائهم إلى الزبارة وهى ميناء يقع على ساحل قطر فى مواجهة الجزيرة الكبرى من جزر البحرين. ثم اتجه آل خليفة بعد ذلك إلى الاستيلاء على البحرين فى عام١٧٨٣ حيث نجحوا فى تأسيس أسرتهم الحاكمة هناك . وعلى الرغم من أن انفصال آل خليفة عن آل صباح كان نتيجة لنزاع قام بينهم إلا أن عثمان بن سند البصرى يؤكد مع ذلك اشتراك عبد الله بن صباح مع خليفة بن محمد فى تعمير الزبارة وتسميتها بذلك الاسم[٢] . ولعل أصح الأقوال فى سبب انفصال آل خليفة عن آل صباح والجلاهمة هو ما كانت تتعرض له الكويت من غارات قبائل بنى كعب ، وهى قبائل عربية تقطن منطقة عربستان منذ السنوات الأولى من القرن السابع عشر ، وعاشت هناك مستقلة عن كل من فارس والدولة العثمانية ومارست نشاطها البحرى ضد السفن التجارية العابرة فى الخليج كما مارست نشاطاً عدائياً ضد الكويت التى كانت مطمعاً لشـــيوخ تلك القبيلة[٣] . وتعلل الكثير من المصادر أسباب انفصال آل خليفة عن آل صباح بأن تراكم الثروة فى الكويت جعل الفرع التجارى من اتحاد العتوب وهم آل خليفة يرغبون فى التحلل من تحالفهم القديم لكى ينفردوا بالغنى وتحصيل الثروة . واستطاع خليفة بن محمد بما جبل عليه من ذكاء أن يصور للفرعين الآخرين آل صباح والجلاهمة مخايل الثراء الذى سيحدث إذا تم الانتقال إلى السواحل المجاورة للبحرين حيث يكثر اللؤلؤ ولعل الفوائد المرتقبة دعتهم إلى أن يأذنوا لشيخ بنى خليفة

---

(١) لعل من أهم الدراسات التى وضعت عن تنظيم العتوب هى تلك الدراسة التى وضعها المستر فرانسيس واردن ونشرت فى مختارات حكومة بومباى :

CF. Bombay Govt. S.R.B.G. CF. The Uttoobee Tribe of Arabs pp. 361—425.

(٢) عثمان بن سند — مصدر سبق ذكره ص ١٩ .

(٣) نفسه ص ص ١٨ — ١٩ .

بمغادرة الكويت مع قسم كبير من قبيلته الذين اتجهوا إلى الزبارة وتمكنوا من الاستقلال بها فى عام ١٧٦٧ وذلك بعد نجاحهم فى صد الهجمات التى تعرضوا لها من قبل آل مسلم[١] ، فقد استطاع الشيخ محمد بن خليفة أن ينمى ثروته عن طريق إقراض الصيادين والغواصين فى بداية موسم الغوص وكان يتحتم عليهم حسب التقاليد السائدة ألا يبيعوا انتاجهم لغيره وهكذا أتاح له التوسع فى اقراض هؤلاء مصدراً كبيراً لتنمية ثروته عن طريق احتكار انتاجهم من اللؤلؤ والتحكم فى بيعه وأخيراً تآلف محمد بن خليفة مع أهالى الزبارة فأمروه عليهم .

والأمر الذى لا شك فيه أن استقرار آل خليفة فى الزبارة واستقلالهم بها كان له أثر كبير على العلاقات التى قامت بينهم وبين آل صباح والجلاهمة إذ قرر آل صباح المزايا العديدة التى حصل عليها آل خليفة فرغبوا فى الاقتداء بهم وذلك بالتخلص من قيود الحلف مع الجلاهمة فامتنعوا عن مقاسمتهم الوارد وفى النهاية قاموا بطردهم من الكويت وطلب الجلاهمة اللجوء إلى آل خليفة فى الزبارة فرحبوا بهم وعينوا لكل شيخ من شيوخهم حسب منزلته دخلا يكفيه . ولا شك أن ترحيب آل خليفة بالجلاهمة كان خطة ذكية من قبل الشيخ محمد بن خليفة لأنه استعان بقوتهم البحرية فى تحقيق الأغراض التوسعية التى كان ينشدها بضم جزائر البحرين إلى مركز حكمه فى الزبارة ومن ثم رأى أن يستعين بالجلاهمة فى تحقيق تلك الغاية والأمر الذى لا شك فيه أن الجلاهمة قدموا مساعدات فعالة لآل خليفة فى السيطرة على البحرين[٢] .

وقد يكون من المناسب أن نشير هنا إلى أن السبب الرئيسى فى نجاح آل خليفة والجلاهمة فى الاستيلاء على البحرين يرجع إلى احتلال الفرس للبصرة فى عام ١٧٧٦ وكان ذلك على عهد كريم خان الزندى . وقد أدى

---

(١) خليفة النبهانى : التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية — البحرين ص ١٢١ .

(٢) عن هجرة الجلاهمة إلى الزبارة انظر :

Bombay Gov., op. cit. CF. Historicai Ske:sh of the Uttoobee Tribe of Arabs (Bahrein) by Francis Warden P. 363.

ذلك الاحتلال إلى هجرة تجار البصرة الأثرياء إلى الزبارة مما كان سبباً فى انتعاش آل خليفة اقتصادياً ثم أعقب ذلك مقتل كريم خان الزندى فى عام ١٧٧٩ ووقعت الاضطرابات الداخلية فى المقاطعات الفارسية[١]، وعانت جزر البحرين من آثار تلك الاضطرابات التى ظهرت فيها مصطبغة بالناحية المذهبية ونعنى بذلك بين مذهب السنة ومذهب الشيعة إذ كان يتزعم السنة الشيخ أحمد بن ماجد زعيم قرية البلاد القديم ويتزعم الشيعة الحاج مدن الحفصى وكانت السلطة معقودة له آنذاك الأمر الذى أثار عليه زعماء السنة فقرروا التخلص من سيطرة الشيعة التى كان زعماؤها يتجهون إلى نيل التأييد من فارس ولذلك ما كادت فارس تتردى فى تلك الاضطرابات الداخلية حتى تشجع زعماء السنة وقرروا التخلص من سيطرة الشيعة ولتحقيق غايتهم أرسلوا وفداً إلى الزبارة للاستعانة بآل خليفة ، وقد وفد هؤلاء يؤازرهم الجلاهمة بزعامة جابر بن عتبة وأبنائه الأربعة ومن بينهم رحمة ابن جابر ونجحوا فى بسط الأمر والسيطرة على البحرين وعاقت فارس مشكلاتها الداخلية عن التدخل فى أمور البحرين[٢]. وهكذا يتميز عام ١٧٨٣ بوصول محمد بن خليفة إلى البحرين وضمها إلى قاعدة حكمه الرئيسية فى الزبارة . ولم يلبث بعد عدة سنوات أن نقل عاصمة حكمه من الزبارة إلى البحرين وكان ذلك فى أوائل القرن التاسع عشر حين تغلبت القوات السعودية على الزبارة، ومن ثم آثر آل خليفة نقل عاصمتهم إلى جزيرة منفصلة عن البر حماية لها من الغزوات السعودية ومع ذلك فقد ظل آل خليفة يعتبرون الزبارة وغيرها من المناطق المطـلة على سواحل قطـر من توابع البحرين[٣] .

وإذا كان آل خليفة قد استطاعوا أن ينالوا الكسب السياسى والعسكرى

---

(١) Farroughy, Abbas, Bahrein Islands pp. 67—69.

(٢) يوسف الفلكى : قضية البحرين بين الماضى والحاضر ص ص ١٥ — ١٦ القاهرة ١٩٥٣ .

(٣) لا تزال مشـكلة الزبارة بين قطر والبحرين قائمة حتى وقتنا الحاضر ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى :

El Bahrna (Hussain) : The Legal Status of the Arabian Gulf States P. 249 FF.

بمعاونة الجلاهمة لهم إلا أنهم ما لبثوا أن تنكروا لهم وفيما يبدو أن رحمة ابن جابر الذى انتقلت إليه زعامة الجلاهمة فى ذلك الوقت لم يقنع بالمكافآت التى قدمها آل خليفة له ولاتباعه ولذلك غادر الزبارة متجهاً إلى الرويس وهى بقعة قاحلة على مسافة قصيرة إلى الشرق من الزبارة كما أقام رحمة ابن جابر معقلا آخر فى دوحة حسن حيث لا يزال يوجد بها بقايا لحصن صغير يسمى بوكر الثعلب وهو اللقب الذى اشتهر به رحمة بن جابر وهو فى أوج نفوذه . وقد وجه الجلاهمة همهم إلى تقوية أسطولهم البحرى وبعدائهم لآل خليفة غرسوا فى نفوسهم الخوف وأورثوهم ظمأ متعطشاً للقضاء على الجلاهمة حتى أن آل خليفة أضافوا إلى جيشهم كل ما كانت تستطيع أرصدتهم استئجاره من المرتزقة وذلك لمواجهة الجهود التى بذلها رحمة بن جابر الذى قام بسلسلة من الاعتداءات البحرية العنيفة ضد آل خليفة [١] . والجدير بالذكر أن رحمة بن جابر حين أخذ يفقد أتباعه شيئاً فشيئاً بدأ يستعين بالرقيق الأفريقى ويجعل منهم القوة الرئيسية له . وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى أن رحمة بن جابر يعد نموذجاً فريداً للبحارة العرب فى الخليج قضى حياته مستخدماً وسائل البطش ضد سفن أعدائه حتى اشتهر بتلك المذابح الدموية العنيفة التى دارت فى مياه الخليج وليس معنى هذا أن رحمة بن جابر كان يبغى من تلك الحوادث السلب والنهب وإنما كان يبغى من ورائها تنمية قوته البحرية والاستحواذ على نصيب من السلطة له ولأسرته . وقد وصفه الرحالة الإنجليزى بكنجهام Buckingham بأنه كان بسيطاً فى ملبسه لا يرتدى إلا سترة ممزقة وقد ملأت طعنات الخناجر والسيوف أجزاء كثيرة من جسده وكان ذا وجه قمىء زاد من فظاظته فقده لإحدى عينيه وقد حاول عندما استقر فى الدمام

---

(١) للتعرف على العمليات البحرية للجلاهمة ضد آل خليفة انظر :

انظر Sketsh of the Proceeding of Rahma Bin Jabir Chief of Khor Hasan 1826 and also brief Sketsh of the Proceeding down the year 1831 of Busheer Bin Rahma S.R.B.G. pp. 521—529.

فى أواخر أيامه أن يضفى على مركزه من الهيبة باعتباره حاكماً ولكن سرعان ما استهوته أعمال البحر فعاد إليها[1] .

كان الجلاهمة يطالبون بحقوقهم أو على الأقل ثمن مساعدتهم لآل خليفة فى السيطرة على البحرين ولكن عندما ظهر من آل خليفة التنكر للجلاهمة أخذ هؤلاء يواجهونهم بالعداء ولم يترددوا فى أن يضعوا أنفسهم فى خدمة أعدائهم ففى عام ١٨٠٠ تحالف الجلاهمة مع سلطان بن أحمد سلطان مسقط ١٧٩٨ / ١٨٠٤ حينما حاول ضم البحرين وتمكن سلطان بن أحمد بفضل المعونة التى تلقاها من الجلاهمة من أسر عدد كبير من زعماء آل خليفة أخذهم أسرى إلى مسقط ولكن لم يلبث أن استنجد آل خليفة بالسعوديين وتمكنوا فى العام التالى من استعادة البحرين [2]، وإن كانت نتيجة ذلك خضوعهم للنفوذ السعودى خاصة بعد أن عين السعوديون عبد الله بن عفيصان وكيلا لهم فى البحرين فانفرد بحكم الجزيرة ولم يترك لآل خليفة إلا شيئاً بسيطاً من النفوذ كما اتصفت ولايته بالشدة فى معاملة الأهالى وإرغامهم على اعتناق المبادىء الوهابية الأمر الذى دفع آل خليفة إلى مغادرة البحرين والالتجاء إلى موطنهم القديم فى الزبارة ومنها أخذوا يوالون اتصالاتهم بسلطان مسقط والإنجليز ولما كانت سياسة الإنجليز لم تتضح بعد فى البحرين إذ كان أهم ما يعنون به فى تلك الفترة (١٨٠٩) القضاء على القواسم فى الساحل الجنوبى للخليج فقد رفض الإنجليز تقديم المساعدة لآل خليفة لما قد يجره عليهم ذلك من عداء مباشر مع السعوديين وهو الأمر الذى كانوا يتجنبونه بقدر الامكان وكان رفض الانجليز التدخل فرصة استغلها السعوديون فى تدعيم سيطرتهم ولذلك عمل آل خليفة على الاستنجاد بالفرس (١٨١١) وإن كان التقدم الذى أحرزته القوات المصرية فى شبه الجزيرة فى ذلك العام

---

(١) راجع دراستنا عن رحمة بن جابر الجلاهمة فى حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس العدد التاسع ص ١٨٥ . ١٩٦٤ .

(٢) عباس إقبال : مطالعاتى درباب بحرين وسواحل وجزائر خليج فارس ص ص ١٢١-١٢٢ .
CF. Bombay Govt., op. cit. Kemball, A.B. Chronological Table of events connected with the Government of Muscat, Uttoobee and Wahabees, P. 141 SQ.

هو السبب الرئيسى الذى أرغم السعوديين على سحب قواتهم من البحرين لكى يواجهوا القوات الزاحفة فى نجد ، بل طلب السعوديون مهادنة آل خليفة وتأكيداً على حسن نواياهم بادروا بإطلاق جميع من كان معتقلا لديهم من رعمائهم وسمحوا لهم بالعودة إلى البحرين [١] . ومما تجدر الإشارة إليه أن الجلاهمة وجدوا فى سيطرة السعوديين على البحرين عاملامساعداً لهم فى تحقيق آمالهم ولذلك تحالفوا معهم وأقرهم السعوديون على ساحل القطيف وإن كان ذلك التحالف لم يلبث أن أنفصمت عروتـــه حينما هادن السعوديون آل خليفة ولذلك أسرع الجلاهمة بالانفصال عن تحالفهم مع السعوديين واتجهوا إلى مسقط يستنصرون حاكمها السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦ — ١٨٥٦ الذى كان يختط سياسة يستهدف بها تدعيم مركزه فى الخليج ومن ثم كان يرى أهمية سيطرته على البحرين سيما وأنه كان يسيطر على عدة مواقع هامة على الساحل الشرقى للخليج كبندر عباس وشهبار ، وإذا أضفنا إلى ذلك الأهمية الإقتصادية للبحرين لأدركنا الجهود الكبيرة التى بذلها السيد سعيد للسيطرة عليها لمـــا قد تغله من موارد للسلطنة نظراً لما تشتهر به من مصائد االؤلؤ وقد دعم السيد سعيد حملته على البحرين فى عام ١٨١٥/١٨١٦ والتى تمت بالتعاون مع الجلاهمة بعدة مطالب وادعاءات قديمة على أساس خضوعها لعمان فى الماضى [٢] . ونجحت قوات السيد سعيد والجلاهمة فى السيطرة على قلعة عراد ولكن لم يلبث آل خليفة أن تمكنوا من رد ذلك الهجوم وظهرت الخسارة واضحة فى قوات السيد سعيد ويؤكد أيتشيسون Aitchison أن تعاون الجلاهمة مع سلطان مسقط كان على أساس إقامة رحمة حاكماً على البحرين تحت حماية السيد سعيد[٣] . ولذلك اتجه الجلاهمة بعد الهزيمة التى واجهها سلطان مسقط من قبل آل خليفة إلى التعاون مع القوات المصرية حين وصلت إلى الاحساء فى عام ١٨١٨ . ففى ذلك العام لحق رحمة بن جابر

---

(١) أمين الريحانى : ملوك العرب أو رحلة فى البلاد العربية جـ ٢ ص ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٢) Wilson, A. The Persian Gulf P. 210.

(٣) Aitchison. A Collection of Treaties etc vol. X P. 116—117 Caicutta 1892.

زعيم الجلاهمة من معقلة بقطر بإبراهيم باشـا وعاونه فى الاستيلاء على الاحساء والقطيف [١] ولذلك كافأه القائد المصرى على ذلك بإقراره على الدمام حيث شـيد لنفسه قلعة بها اتخذها مركزاً لحكم ولإدارة عملياته البحرية فى الخليج [٢] .

على أن انسحاب القوات المصرية من الاحساء فى عام ١٨١٩ كان من العوامل الرئيسية التى أضعفت الجلاهمة وظهر ذلك واضحا حين استعاد تركى بن عبد الله الرياض واسترد الاحساء وفقد رحمة بن جابر معقله بالدمام بعد أن أحرقه السعوديون فالتجأ رحمة بن جابر بأعوانه وممتلكاته واستقر فى بوشهر على الساحل الشرقى للخليج[٣]. وقد وجد رحمة عونا من السلطات الفارسية ومن المحتمل أن يكون الإنجليز قد أمدوه أيضا بمساعدات ليواصل بها صراعه ضد السعوديين والعمل على استراد معقله بالدمام، على أن الانجليز قد أكدوا لرحمة بن جابر حرصهم على ضمان الأمن والهدوء فى الخليج ومعنى ذلك أن يقتصر حكم الجلاهمة على الاحساء دون أن يطالبوا بالبحرين ، إذ كانت بريطانيا وخاصة عقب حملة ١٨١٩ حريصة على تأكيد انجازات تلك الحملة . ومما تجدر الاشارة إليه أن الجلاهمة رفضوا أن يكونوا عضوا فى المعاهدة العامة التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ الخليج فى عام ١٨٢٠ ولعل ذلك يرجع إلى دخول آل خليفة فى تلك المعاهدة[٤]. وفى الوقت الذى فقد فيه الجلاهمة الأمل فى مساعدة الانجليز لهم على استرداد البحرين وجدوا فى انضمامهم لأمير شيراز فى الحملة التى كان يقوم بها لاسترداد البحرين من آل خليفة فرصة سانحة للانتقام من خصومهم ، ذلك أن حاكم مقاطعة فارستان التى كان يحكمها أمير شيراز والذى كانت تدخل فى حوزته معظم

(١) عبد الحميد البطريق : ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا — إبراهيم باشا فى بلاد العرب ص ٢٧ نشر الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٤٨ .

(٢) ج . ج لوريمر : مرجع سبق ذكره ج ٣ ص ١٦٢٧ .

(٣) Wilson, A., The Persian Gulf P. 211.

(٤) Bombay Govt., op. cit. CF. Chronological Table by A.B. Kemball P. 142 vol. XXIV Bombay 1856.

جزر وموانى الخليج لم يسلم باستيلاء آل خليفة على البحرين وقاد حملة عسكريةضد آل خليفة بمعاونة الجلاهمه فى عام ١٨٢٠، على أن تلك الحملة ما كادت تقترب من البحزين حتى أسرعت السلطات البريطانية فى الخليج بإيقافها وتم ذلك بعد اتفاق كل من الكولونيل بروس Bruce ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية فى بوشهر وأمير شيراز على عقد معاهدة ١٨٢٢ وفى هذه المعاهدة اعترف بروس بتبعية البحرين لفارس ونتج عن ذلك الاعتراف اعتراض السلطات الفارسية على حليفها رحمة بن جابر الجلاهمة وابعاده عن البحرين وهكذا يضطر الجلاهمة إلى الانفصال عن تحالفهم مع فارس ويلتجئوا للمرة الثانية إلى سلطان مسقط واضعين أنفسهم تحت حمايته[1] . وفى مسقط أخذ رحمه بن جابر الجلاهمة يرغب السيد سعيد فى معاودة الاستيلاء على البحرين ولم يلبث أن تأجج الصراع بين آل خليفة وسلطان مسقطوكان ذلك على أثر احتجاز السيد سعيد جماعة من تجار البحرين كانوا فى طريقهم إلى الهند ثم كتب إلى آل خليفة يطلب منهم الدخول فى طاعته فاستعد آل خليفة للحرب حين قدمت سفن مسقط يرافقها الجلاهمة ونزلت فى موضع على ساحل جزيرة سترا — إحدى جزر البحرين — وكان الشيخ سليمان بن خليفة قد خرج بقواته بصحبة أخيه الشيخ عبد الله ودارت معركة عنيفة أسفرت عن اندحار قوات مسقط والجلاهمة وتعرف هذه المعركة فى تاريخ البحرين باسم واقعة المقطع أو دولة الامام فى سترا[2] . وانتهى الأمر بأن عقد السيد سعيد معاهدة مع الشيخ سليمان بن خليفة نصت على أن تدفع البحرين لمسقط مبلغاً من المال سنوياً نظير أن يمتنع السيد سعيد عن مهاجمة البحرين ويقوم فى نفس الوقت باطلاق سراح المحتجزين لديه من البحارنة[3] . وقد استمر آل خليفة يدفعون الخراج إلى سلطنة مسقط لعدة سنوات إلى أن توقفوا عن ذلك حين انتقل السيد سعيد للاقامة فى زنجبار .

وعلى الرغم من المقاومة الصلبة التى تزعمها آل خليفة ضد سلطنة

---

(١) عباس إقبال : مرجع سبق ذكره ص ١٣٠ .

(٢) النبهانى : التحفة النبهانية ص ١٤٣ .

(٣) الريحانى : مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٢٥ .

مسقط والجلاهمة إلا أن الأمر الذى لا شك فيه هو أن الإنجليز هم الذين حموا آل خليفة وذلك لادراكهم — رغم صداقتهم لسلطان مسقط — ما قد يترتب على عدم استقرار الوضع فى منطقة الخليج العربى ذلك فيما لو قدر لسلطان مسقط السيطرة على البحرين وتأسيس قوة بحرية كبيرة فى الخليج وهو الأمر الذى كانت حكومة الهند البريطانية تعمل على الحيلولة دون حدوثه .

لم يجد الجلاهمة بعد ذلك حلفاء يستعينون بهم للقضاء على خصومهم ولعل ذلك ما جعل رحمة بن جابر يخوض معركته الأخيرة معتمداً على ما تبقى له من قوة وما ظل مرتبط به من أتباع وفى عام ١٨٢٨ حدثت المعركة الفاصلة بين الجلاهمة وآل خليفة وكان رحمة بن جابر لايزال حتى ذلك الوقت خصماً عنيداً لهم وإن كانت السنوات الماضية قد أوهنت منه العظم وذهبت ببصره وقد تمكن من دخول القطيف بسفينته المشهورة « غطروشة » وفى ساحل القطيف جرد عليه الشيخ عبد الله بن خليفة السفن المزودة بالرجال والسلاح وخرج يقودها بنفسه واستطاع آل خليفة أن يحيطوا برحمة بن جابر فى ميناء القطيف فأمر بنشر الشراع وطلب ميداناً متسعاً للقتال فأجيب إلى طلبه ثم انقض عليه آل خليفة من كل جانب وكان رحمة بن جابر يقود المعركة وهو جالس عند خزانة سفينته يسأل عن السفن المهاجمة وعن أسماء قوادها ويصدر أوامره للبحارة بينما رجاله يتبادلون الرصاص مع آل خليفة وأخيراً عندما شعر بقوة الحصار البحرى عمد إلى اشعال النيران فى مخزن البارود فى سفينته فانفجرت السفينة وغرق هو ومن معه وتسمى هذه الحادثة فى تاريخ البحرين باسم ذبحة رحمة الجلاهمة[1] .

وبانتهاء نفوذ الجلاهمة وضح الاستقرار السياسى فى السواحل الشمالية للخليج العربى بعد أن استقر آل صباح فى الكويت وآل خليفة فى البحرين ولم يعد للجلاهمة من أثر إلا ما أعقب ذلك من محاولات غير ناجحة حاول

---

(١) النبهانى : التحفة النبهانية البحرين ص ١٥٠ ، وكذلك أمين الريحانى — مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ص ٢٢٦/٢٢٧ .

بها بعض من بقى منهم استعادة نفوذهم، ولكن الضعف كان قد عصف بهم من كل جانب وخاصة بعد فقد زعيمهم ولذلك فشلت بعض المحاولات التى تزعمها أحد أبنائه ويدعى بشر بالتعاون مع سلطان مسقط الذى اتجـه إلى استئناف نزاعه مع آل خليفة منتهزا فرصة إمتناع الشيخ عبد الله عن دفع الأموال السنوية المتفق عليها ولكن انتهى الأمر بانتصار كبير أحرزه آل خليفه على قوات مسقط وفقد السيد سعيد ثلاثة آلاف من رجاله [١].

ومما يسترعى الانتباه هنا أن الحوادث البحرية التى كان يقوم بها الجلاهمة لم تسترع نظر السلطات البريطانية فى الخليج بنفس الدرجة التى كانت تسترعى بها عمليات القواسم فى الساحل الجنوبى للخليج[٢]، ولعلنا نذهب فى تعليل ذلك بأن نشاط الجلاهمة البحرى كان مقتصرا على معاداة السفن العربية التابعة لخصومهم كما كان مسرح عملياتهم المناطق الشمالية من الخليج وهى المناطق التى لم تكن قد امتدت إليها السيطرة البريطانية بعد ولكن ما كادت بريطانيا تنتهى من قمعها للنشاط البحرى للقواسم حتى استغلت ما كان يقوم به الجلاهمة من اضطرابات فى البحرين والقطيف والاحساء لـكى تعمل على السيطرة على تلك المناطق وخاصة أن آل خليفة رحبوا بالصداقة البريطانية إبان تلك الفترة كى يوطدوا دعامة حكمهم ضـد فارس والسعوديين وسلطنة مسقط والجلاهمة . وكما سبق أن أشرنا أسرع شيوخ البحرين فى الانضمام إلى معاهدة الصلح العامة فى عام ١٨٢٠ وكانت هـذه المعاهدة تشكل بداية لسلسلة من المعاهدات التى عقدها الانجليز مع آل خليفة والتى انتهت

---

(١) أمين الريحانى : مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن رحمة بن جابر الجلاهمة راجع دراستنا عنه فى مجلة كلية الآداب — جامعة عين شمس — العدد التاسع ١٩٦٤ .

كذلك يمكن الرجوع إلى وثائق بومباى ص ٥٢١ — ٥٢٩ عدد ٢٤ ، وتعتبر كتابات بكنجهام من أهم المصادر التى كتبت عنه خاصة وأن رحلته إلى الخليج كانت معاصرة لنهايته .

CF, Buckingham, Travels in Assyria, Media and Persia vol. II pp. 356 SQ.

بوضعهم تحت الحماية البريطانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر [١].

بالاضافة إلى ماعرضنا إليه من تنظيمات العتوب فى الساحل الشمالى الغربى من الخليج قد يكون من المفيد أن نشير أيضا إلى تنظيم سياسى قبلى نما فى أقصى الشمال من السواحل الشرقية للخليج حيث كانت قبائل بنى كعب تسيطر على معظم المناطق الممتدة من شط العرب إلى منطقة الأحواز الواقعة عند مصب نهر القارون وقد عد أسطولهم واحداً من أهم الأساطيل البحرية التى ظهرت فى القرن الثامن عشر ، وقد هاجرت تلك القبائل إلى المنطقة خلال القرن السابع عشر وإن كان لا يعرف على وجه الدقة المكان الذى جاءوا منه أو سبب هجرتهم. وعلى الرغم من أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم من رعايا الدولة العثمانية إلا أن وضعهم كان شائكاً بين فارس من ناحية والدولة العثمانية من ناحية أخرى [٢]. والجدير بالذكر أن الأوضاع المضطربة التى مرت بها المملكة الفارسية وخاصة عقب اغتيال نادرشاه قد أتاحت لهم الفرصة لضم أراض واسعة من فارس وبذلك أصبحوا تحت التبعية الفارسية والعثمانية إذ أن منطقة قعبان تقع فى أراضى الدولة العثمانية ومدينة الدورق تقع فى الجانب الفارسى . وقد أثار نشاط بنى كعب كريم خان الزندى الذى وجه حملتين ضدهم فى عام ١٧٥٦ و ١٧٦٥ وفيها خاض بنو كعب صراعاً مريراً ضد الفرس حيث سقط فى الحملة الثانية أهم مركزين من مراكز تجمع بنى كعب وهما مدينتا قعبان والدورق مما أرغم الشيخ سليمان زعيم بنى كعب إلى نقل عاصمته إلى الفلاحية الواقعة إلى الشمال من قعبان واضطرت الدولة العثمانية إلى الاستعانة بالإنجليز للتخلص من النشاط البحرى

---

(١) Aitchison, A collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighbouring Countries vol X pp. 116—117 Calcutta 1892.

(٢) مصطفى عبد القادر النجار : التاريخ السياسى لمشكلات الحدود الشرقية للوطن العربى فى شط العرب ص ٥٢ وما بعدها .

الذى كانوا يقومون به ضد السفن العثمانية والإنجليزية[1]. وأدى صراع بنى كعب ضد العثمانيين إلى حدوث وفاق بينهم وبين الفرس وتمكنوا من استعادة مراكزهم التى كانوا قد فقدوها، وظل بنو كعب مسيطرين على المناطق الفاصلة بين الدولتين الفارسية والعثمانية حتى جاء الوقت الذى أخذت فيه الدولتان تعتمدان على نفوذهم ضد العشائر المناوئة لها ، على أن بنى كعب قد أثاروا خلافاً إقليميا بين الدولة العثمانية والفارسية وارتبط ذلك الخلاف بانشاء مدينة المحمرة فى عام ١٨١٢ فى شمال شط العرب . ويعزى انشاء تلك المدينة إلى شيخ من قبيلة بوكاسب وهى من القبائل التابعة لبنى كعب وبإنشاء تلك المدينة ظهرت إمارة مستقلة عن الدولتين . وقدر لزعيم المحيسن من قبيلة بوكاسب أن يخلف شيخ بنى كعب كقوة سياسية رئيسية فى جنوب عربستان وقد أدى نمو المحمرة ومنافستها لميناء البصرة أن يقوم والى بغداد بحملة ضدها فى عام ١٨٣٧ ولكن هذه الحملة واجهت فشلا ذريعاً فاضطرت إلى الانسحاب وتبع ذلك أفول السيادة العثمانية مما أغرى فارس على استغلال هذه الفرصة وذلك بضم المحمرة إلى مناطق سيادتها فى عام ١٨٣٩ ، وأصبح الموقف منذ ذلك الوقت فى شد وجذب بين الدولتين المتجاورتين ، كما أدى إلى بسلسلة من الاتفاقيات لتخطيط الحدود فيما بينهما والتى بدأت باتفاقية أرضروم فى عام ١٨٤٧[2] .

يتبين لنا مما سبق أن منطقة الخليج العربى رغم تقارب جزرها ومراكز تجارتها وموانيها كانت خلوا من سلطة بحرية قوية تستطيع أن تهيمن عليها الأمر الذى أتاح ظهور العديد من القوى المحلية التى حاولت أن تحقق لنفسها قدراً من السيطرة والنفوذ ، وساعد على ظهور تلك التنظيمات عدم وجود أسطول قوى لأى من الدولتين الكبيرتين المجاورتين للخليج وهما فارس والدولة

---

(١) عبد الأمير محمد أمين : المصالح البريطانية فى الخليج العربى ١٧٤٧ - ١٧٧٨ . من منشورات مركز دراسات الخليج العربى (مترجم) ١٢٢ و ١٢٨ بغداد ١٩٧٧ .

(٢) مصطفى النجار : المرجع السابق ص ٧٤ وما بعدها : انظر أيضا ج . ج لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخى ج ٤ ص ص ٢٠٤٠ - ٢٠٤٣ .

العثمانية ، كما انشغلت البحرية البريطانية فى تدعيم سيطرتها على الساحل الجنوبى من الخليج ، وهكذا تمهدت الظروف أمام موجات الهجرة التى تحركت من داخل الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج إلى أن تأخذ اتجاهاً جديداً ونعنى بذلك تكوين تنظيمات سياسية مستقرة ، كما وضح ذلك فى تجمعات العتوب فى الكويت والبحرين وقطر . ولم تقتصر تلك التنظيمات على السواحل الغربية للخليج بل امتدت تلك التجمعات إلى السواحل الشرقية أيضاً مما حدا بفارس تحت حكم الصفويين إلى أن تطلق على السواحل الشمالية الشرقية من الخليج اسم عربستان ومعناها بلاد العرب ولعل هذا كان اعترافاً ضمنياً من فارس أو من اللغة الفارسية على الأقل بعروبة هذه المنطقة التى أطلق عليها العرب اسم الأحواز بمعنى السيادة أو التملك[1] . وقد تمكن بنو كعب وجيرانهم العتوب أن يكونوا سادة على السواحل الشمالية من الخليج ، كما كان القواسم وبنو ياس واليعاربة والبوسعيديون سادة على القسم الجنوبى من الخليج ويعنى ذلك أن الخليج ، كان بسواحله الشرقية والغربية منطقة نفوذ عربية إذ أن القواسم لم يقتصروا على الاستقرار على الساحل الجنوبى الغربى من الخليج وإنما اندفعوا فى فترات متفرقة منذ القرن الثامن عشر إلى السواحل الشرقية كما حكم البوسعيديون فى مسقط الكثير من جزر وموانى ومقاطعات السواحل الشرقية للخليج ، وقد شهد كارستن نيبور[2] ، وهو من طليعة الرواد الأوربيين الذين توغلوا فى الجزيرة العربيـــة ووصلوا إلى سواحلها الشرقية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر التجمعات القبلية التى استقرت على سواحل الخليج مما دفع به إلى التأكيد بأن العرب هم الذين

---

(١) على نعمة الحلو : الأحواز – إمارة كعب العربية بغداد ١٩٦٩ .

(٢) كارستن نيبور رحالة ألمانى كان عضوا فى بعثة ملك الدانيمارك التى وجهها للكشوف الجغرافية وكانت له رحلات فى الجزيرة العربية ١٧٦٣/١٧٦٥ ويعد أول من فتح الجزيرة العربية للارتياد الأوربى وقد ترك لنا مؤلفين هامين هما وصف بلاد العرب طبع كوبنهاجن ١٧٧٤ ورحلات فى بلاد العرب وطبع فى إدنبره عام ١٧٩٢ بعد ترجمته إلى اللغة الإنجليزية . ومما يذكر أن مؤلفات نيبور ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية كما ترجم بعضها إلى اللغة العربية أخيراً .

يمتلكون جميع سواحله وأن ملوك فارس لم يتمكنوا من منازعة العرب سيادتهم وأنهم متحملون على مضض بقاء السواحل الشرقية فى حوزة القبائل العربية . والأمر الذى لا شك فيه أن القوة البحرية التى تمتعت بها القبائل العربية قد وقفت حائلا دون حدوث تعديات فارسية ناجحة على المنطقة على الأقل منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وعلى العكس من ذلك استطاعت القبائل العربية القاطنة على السواحل الغربية للخليج أن تمتد بسيطرتها على كثير من الجزر والموانى الواقعة على السواحل الشرقية المقابلة لها[1] .

---

(١) جمال زكريا قاسم : الإدعاءات الايرانية فى الخليج العربى أصول المشكلة وتطورها التاريخى من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ بغداد ١٩٧٣ .

الفصل الحادى عشر

استقرار آل صباح فى حكم الكويت

أصل تسمية الكويت وتاريخ تأسيسها – الشيخ صباح أول حكام الكويت – بناء أول سور للكويت – انشقاق آل خليفة والجلاهمة – موقعة الرقة بين آل صباح وبنى كعب – احتلال الفرس للبصرة وأثره فى انتعاش الكويت – انتقال الوكالة البريطانية إلى الكويت وبدء العلاقات الكويتية البريطانية – سقوط أسرة بنى خالد وأثره على العلاقات الكويتية السعودية – دور الوكالة البريطانية فى رد الهجوم السعودى على الكويت ١٧٩٣ – رحلة رينو إلى الدرعية – علاقة الكويت بالدولة العثمانية .

* * *

الفصل الحادى عشر

استقرار آل صباح فى الكويت

اتخذ العتوب من الكويت بعد هجرتهم إليها من أفلاج نجد فى السنوات الأولى من القرن الثامن عشر نقطة انطلاق لتأسيس إمارات أخرى مجاورة وقد حدث ذلك فى خلال نصف قرن من بداية استقرارهم فى الكويت .

والأمر الذى لا شك فيه أن نشاط العتوب ، الذين كانوا يشكلون اتحادا قبليا ، ومصاهرتهم للقبائل الأخرى أدى إلى زيادة عددهم وتعاظم ثروتهم ؛ ومن ثم كان تطلعهم إلى التوسع فى مناطق جديدة .ولعل مما ساعد على ازدهار العتوب استقرارهم فى منطقة كانت تخضع لحكم بنى خالد ، وقد عرف هؤلاء بسماحة حكمهم الأمر الذى كان مشجعاً على انتعاش التجارة واستتباب الأمن والنظام ، كما ساعدت العوامل الجغرافية على ازدهار ميناء الكويت الذى يقع فى جوف خليج عميق يصلح لرسو السفن الكبيرة حتى أن الرحالة الألمانى كارستن نيبور الذى زار الكويت فى عام ١٧٦٥ ذكر بأن العتوب يمتلكون أكثر من ثمانمائة سفينة وأنهم كانوا يستوردون الأخشاب لبنائها من الهند وذكر أن العتوب وهم أساسا من البدو أخذوا يتطورون إلى مجتمع حضرى يشتغل بالتجارة والغوص على اللؤلؤ وبناء السفن(١). ومما يستلفت النظر أن التجارة قد انتعشت فى الكويت فى الوقت الذى كانت فيه القوى الكبيرة المجاورة تعانى الكثير من الفوضى والاضطراب ، إذ كانت الحروب قائمة بين فارس والدولة العثمانية كما كانت نجد — قبل ظهور الدعوة الوهابية — منقسمة على نفسها إلى العديد من المشيخات الصغيرة المتنافرة ، ولا شك أن هذه

---

(١) Neibuhr C., Travels in Arabia and other countries in the East vol. II P. 103, Edinbourgh 1792.

الأوضاع قد أفادت العتوب فى الوصول إلى مجال متفوق فى الناحية الاقتصادية إذ كان من الطبيعى أن تلجأ الشركات الأوربية التجارية إلى ميناء الكويت للاستفادة من وضعه المستقر ومن موقعة الجغرافى الهام على طرف الخليج الشمالى الغربى فضلا عن موقعه على الطريق التجارى الصحراوى الذى يصل شمالى شبه الجزيرة العربية بالعالم الخارجى(١). وكانت نزعة العتوب إلى الاستقلال وضعف السلطة العثمانية فى جنوب العراق مما يغرى الوكالات التجارية الأوربية على التعامل مباشرة مع شيوخ العتوب .

وعلى الرغم من أن تأسيس الكويت ليس حدثا موغلا فى القدم إلا أن المؤرخين يختلفون فيما بينهم فى تسمية الكويت وتاريخ تأسيسها وترى بعض المصادر أن الكويت مشتقة من الكوت، والكوت فى لغة جنوب العراق وماجاوره من البلدان فى الجزيرة العربية وفارس هو البيت الذى يبنى على على شاكلة القلعة حتى يسهل الدفاع عنه ، وهو بيت تحيط به عادة بيوت أخرى(٢) ؛ ويطلق اسم الكويت على ذلك البيت شريطة أن يقع بقرب الماء سواء أكان ذلك ماء البحر أو النهر أو البحيرة أو ماء مستنقع ثم أصبح ذلك الاسم يطلق على القرية بكاملها إن بنيت فى مثل ذلك الموقع . وفى ذلك الصدد يقول الشيخ يوسف القناعى إن الكويت هو البيت الذى يبنى على شاكلة القلعة تحيط به دور الفلاحين وقد يحيط بالقرية سور أو لا يحاط بها (٣) . ويشير المؤرخ الكويتى عبد العزيز الرشيد إلى معنى كلمة الكويت فيذكر أنها تصغير للكوت، ومن المعروف أن سكان شرق الجزيرة العربية يميلون عادة إلى تصغير الأسماء حتى وإن كانت أسماء حكامهم . وقبل تأسيس الكويت كان الموقع يعرف بالقرين، وهو تصغير لكلمة قرن حيث أن ميناء الكويت أو على الأحرى خليج الكويت ينحنى فى اتجاه دائرى مكونا مايشبه القرن(٤).

(١) أحمد مصطفى أبوحاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ص ٩٥ — ٩٦ .
(٢) راجع دراسة الأب أنستاس الكرملى : «عن الكويت» مجلة الشرق ع ١١ السنة الثانية .
(٣) يوسف القناعى : صفحات من تاريخ الكويت ص ٥ الطبعة الرابعة مطبعة حكومة الكويت
(٤) ورد اسم القرين فى سجلات حكومة بومباى وهذا يعنى أن ذلك الاسم ظل مستخدما حتى منتصف القرن التاسع عشر كما يتضح ذلك من تقرير فيلكس جونز .

CF. S.R.B.G. vol. XXIV—Harbour of Grane (Extract From a Report by Felix Jones, Indian Navy pp. 51—54).

وكما سبق أن أشرنا أن الكويت كلمة مشهورة متعارف عليها فى العراق ونجد وما جاورهما من البلدان العربية أو الفارسية وهى تطلق عندهم على البيت المربع المبنى كالحصن أو القلعة وتبنى حوله بيوت صغيرة ويكون هذا البيت أو الحصن فرضة للسفن ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الزاد والماء . وقد سميت الكويت نسبة إلى حصن صغير كان موجوداً فى أرضها ذكرت بعض الروايات المحلية أن أحد حكام بنى خالد وهو محمد بن عريعر قد أمر ببنائه وأقام فيه أحد عماله واتخذه مستودعا للزاد والذخيرة ، وما يحتاج إليه وكان إذا ما أراد الغزو شمالا أو الصيد قريبا من ذلك الحصن تزود منه بما يريد ، وعندما نزل آل صباح ومن معهم بأرض الكويت وهبه لهم أو يكونون قد استولوا عليه عنوة بينما ذكرت روايات أخرى أن آل صباح هم الذين أسسوا ذاك الكوت على الأرض التى منحت لهم من قبل بنى خالد ويؤكد عبد العزيز الرشيد هذه الرواية على اعتبار أن الكويت كانت قبل نزول آل صباح فيها أرضا فقيرة لا يسكنها إلا لفيف من البدو التابعين لآل عريعر وأن أول من شاد بها البيوت الحجرية هم آل صباح الذين اتخذوها لهم مقراً وسكنا [١]. ويذكر لوريمر حسب رواية نقلها من بعض شيوخ آل صباح أن أجدادهم جاءوا إلى الكويت بعد أن طردهم الأتراك من أم قصر على خور الزبير وهو مكان قديم كانوا يتخذونه لقطع الطريق على القوافل المتجهة إلى البصرة أو القادمة منها وكذلك لممارسة نشاطهم البحرى ضد السفن العابرة فى شط العرب [٢] . وأنهم بعد أن استقروا فى الكويت وتزايد عددهم بدأت تظهر مستوطنة عربية فى تلك المنطقة التى لم تكن مأهولة إلا من جماعات قليلة من البدو وصائدى الأسماك . وعلى الرغم من أنه قد يكون من العسير تحديد تاريخ ثابت لتأسيس الكويت إلا أن الروايات المحلية الكويتية تتفق فيما بينها على أن الكويت خرجت إلى الوجود فى أواخر القرن السابع عشر أو بداية القرن الثامن عشر [٣] ، واعتماداً على بعض تلك الروايات

---

(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ٣٠ — ٣١.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٣ ص ١٥٠٣ .

(٣) Dickson, H. Kuwait and Her Neighbours P. 26—27 London 1956.

فإن الشيخ يوسف القناعي يرجح أن الكويت بنيت فى عام ١٦٨٨ (١١٠٠هـ) وأن الذى وضع أساسها هو الشيخ براك أحد شيوخ بنى خالد وقد أورد بصدد ذلك « وتاريخ بناء هذا الكويت لا نعلمه بوجه الحقيقة والأحرى أنه بنى فى أواخر القرن الحادى عشر من الهجرة أما البانى فهو أمير بنى خالد باتفاق الرواة والظاهر أن البانى لهذا الكويت هو براك أمير بنى خالد وقد يكون البناء فى آخر عام ١١٠٠ هـ »[1]. ويرى الأستاذ أبو حاكمة أنه إذا قبلنا هذه الرواية فإنه ينبغى تقديم تاريخ بناء الكويت وذلك اعتماداً على ما ذكره ابن بشر بأن براك أمير بنى خالد امتد حكمه من ١٦٦٩ حتى وفاته فى عام ١٦٨٢ . أما عن المؤرخ الكويتى عبد العزيز الرشيد فإنه لم يجزم بتاريخ معين لبناء الكويت وإنما اكتفى بالقول أنها أسست فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى وأن جميع الأقوال التى ذكرت حول تأسيسها لا تعدو أن تكون حدسا وتخمينا ، وأن الذى يصح لنا الجزم به أنها كانت موجودة قبل عام ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) وذلك اعتماداً على ما ذكره الشيخ إبراهيم ابن عيسى النجدى فى سلسلة مشايخه من أن الشيخ محمد بن فيروز جد ابن فيروز قاضى الكويت المشهور توفى فى الكويت عام ١١٣٥ هـ[2] . أما الشيخ محمد خليفة النبهانى الذى اعتمد بدوره على الرواية المحلية فقد ذكر أنها أسست فى عام ١٠١٩ هـ (١٦١١ م) . أما الشيخ عثمان بن سند البصرى صاحب كتاب سبائك العسجد فإنه لم يزد على كونه قد أورد إشارة يستفاد منها أن الكويت بدأت تكتسب شيئاً من الأهمية منذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادى(٣) .

ومهما يكن من أمر فإن الكويت على أغلب الظن كانت قرية صغيرة يسكنها بعض الصيادين من البدو ، ذلك قبل وفود العتوب إليها وكما يذكر

(١) يوسف القناعى : مصدر سبق ذكره ص ٥ .

(٢) عبد العزيز الرشيد مصدر سبق ذكره جـ ١ ص ص ٢٩ — ٣٠ .

(٣) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ١٠٠ . راجع سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد لعثمان بن سند البصرى ص ١٨ بومباى ١٣١٥ هـ .

الشيخ القناعى أن أول من سكن الكويت قبل آل صباح لفيف من البدو وصيادى السمك ثم آل صباح وآل خليفة وآل زايد والجلاهمة والمعاودة حيث نزل هؤلاء الكويت بعد إذن من أمير بنى خالد وكانت هجرتهم إلى الكويت على موجات متفرقة لأنهم حين تركوا قطر تفرقوا فى البلاد فمنهم من سكن مناطق فى فارس ومنهم من سكن ميناء قيس ومنهم من سكن الصبية ومنهم من سكن عبادان والخراق، ثم أخذوا يتوافدون على الكويت وتبعهم خلق كثير من عرب وعجم[1]. ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد عاصر نمو الكويت تكوين الهولنديين لمستعمرتهم فى جزيرة خرج ، وتذكر بعض المصادر أن شيخ الكويت احتفظ بعلاقات ودية مع البـــارون كنبهاوزن المسئول عن تلك المستعمرة بينما ذكرت مصادر أخرى أنه كان واقعاً تحت نفوذه [2] ، ولا نستطيع أن نجزم بذلك لأنه من المعروف لدينا أن العتوب عاشوا فترة طويلة من الوقت تحت حماية بنى خالد فى الاحساء بل أن الكويت استمرت حتى العقـــد الخامس من القرن الثامن عشر تخضع لحكم أمراء بنى خالد المباشر بيد أن الصراع بين شيوخ بنى خالد على تولى الحكم فت فى عضدهم وخفف من شدة قبضتهم على القبائل التى كانت تخضع لهم وتؤدى لهم الاتاوات ، ومن ثم بدأت هـــذه القبائل والجماعات المنتمية إلى زعامة بنى خالد تمارس نوعاً من الاستقلال الذاتى وبدأت تنفصل تدريجياً عن تبعيتها لهم وإن كانت قد حافظت فى الوقت نفسه على ولائها المعنوى لهم . على أن آل صباح فى الكويت لم يتمكنوا من إحراز مثل ذلك الاستقلال إلا فى العقد السادس من القرن الثامن عشر إذ كانوا حريصين على إعلان تبعيتهم للقوى الكبيرة المجاورة لهم . ومع ذلك فإن الغموض لا يزال يحيط علاقة الكويت بالدولة العثمانية لأنه عندما كان الحكم العثمانى يمتد إلى الاحساء لم تكن الكويت قد تأسست بعد إذ أنها لم تنشأ إلا بعد أن زالت السيطرة العثمانية الفعلية من المنطقة على يد زعماء بنى خالد فى عام

---

(١) يوسف القناعى : مصدر سبق ذكره ص ٩ .

(٢) ج . ج لوريمر : مصدر سبق ذكره ج ٣ ص ١٥٠٣ . ولمزيد من التفصيل عن المستعمرة الهولندية راجع بحث الدكتور عبد الأمير محمد أمين بعنـــوان مقاومة إمارات شرق الجزيرة للتغلغل الاستعمارى الأوربى — التجارب الوحدوية العربية المعاصرة — تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨١ ص ٦٠ وما بعدها .

١٦٧١ غير أن ولاة بغداد العثمانيين كانوا يصرون على اعتبار الكويت منطقة تابعـــة لهم ، ولذلك كان موقف آل صباح من العثمانيين كموقف آل خليفة من الفرس أى تجاهل مطالب العثمانيين تارة ورفضها تارة أخرى أو السكوت عليها إذا تربص بهم خطر من جهة ثالثة [١] .

ولا يعرف على وجه اليقين أول من حكم الكويت من آل صباح إلا أن سجلات حكومة بومباى تذكر أن أول رئيس لآل صباح هو الشيخ سليمان ابن أحمد الذى تولى الحكم فى عام ١٧١٦[٢] ، ولكن من المعروف أن هذا الشيخ ينتمى إلى شيوخ بنى خالد ولا ينتمى إلى آل الصباح ،وكان حكم آل خالد يمتد إلى الكويت ومن المؤكد أنه بعد وفاته استطاع آل صباح أن يبرزوا إلى مجال الزعامة وحدث ذلك فى عام ١٧٥٢ حين وصل الشيخ صباح بن جابر إلى الحكم ، وفيما يبدو أنه لم يكن لديه شهرة كبيرة إذ أن اسمه لم يرد فى رحلات الأوروبيين الذين مروا بالمنطقة خلال فترة حكمه وذلك على الرغم من أنه قد أشير فى تلك الرحلات إلى أن الكويت تخضع لحكم شيخ عربى[٣]. ومن المؤكد أيضا أن الشيخ صباح لم يتول الحكم فى أول تأسيس الكويت ، وفى ذلك الصدد يذكر عبد العزيز الرشيد أن العتوب مضت لهم بعد نزول الكويت مدة لا رئيس لهم ولكن حين بدأ المجتمع يتعقد ويمتد رأوا من الحكمة أن يختاروا من بينهم رجلا يحكمهم ويصرف شئونهم فوقع اختيارهم على الشيخ صباح[٤] . ولكنه لم يقبل ولاية الحكم إلا بعد أن أخذ عليهم نفوذ حكمه على الشريف والوضيع[٥]. كما أورد عثمان بن سند البصرى فى كتابه سبائك العسجد أن العتوب كانوا قبـــل

---

(١) جون كلى : بريطانيا والخليج جـ ١ ص ٥٨ .

(٢) Bombay Govt.. CF. Historical Sketsh of Utoobee Tribe of Arabs 1761—I853. P. 362.

(٣) أبو حاكمة : مرجع سبق ذكره ص ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٤) يعقوب الرشيد : الكويت فى ميزان الحقيقة والتاريخ ص ١٩ .

(٥) عبد العزيز الرشيد : مصدر سبق ذكره ص ٧٤ انظر أيضا ص ٨٧ .

وصول الشيخ صباح إلى الحكم شرذمة قليلة ذو مسكنة وذلة وحين جعلوه لآرائهم قبلة وفوض خواصهم الأمر إليه كله شد أزرهم وسد ثغرهم ورأب صدعهم ونصب جمعهم فسما فرع الثروة فى تلك البلاد[1]. وحول ذلك أيضا يذكر الشيخ القناعى أنه لما كثر الساكنون فى الكويت وخالطهم جمع من المهاجرين إليها رأوا من الضرورى أن يؤمر عليهم أمير منهم يكون مرجعاً لحل المشكلات والاختلافات فوقع اختيارهم على صباح لهذا الأمر فوافقهم الشيخ صباح بعد أن أخذ العهد منهم على السمع والطاعة فى الحق ، وأن الجماعة اختارته وقدمته لأنه كان أعقلهم وأحسنهم سـيرة وأقربهم لاتباع الحق وقد أصابوا المرمى فى ذلك[2] . وفى عهده تم بناء أول سور للكويت وكان ذلك فى عام ١٧٦٠ وكان سبب بناء ذلك السور أن نفوذ بنى خالد أخذ فى التزعزع وأصبحوا عاجزين عن حماية الكويت وخاصة أن الكويت أصبحت فى عهده مهددة من جهة الجنوب بالنفوذ المتزايد للسعوديين على عهد سعود بن عبد العزيز ومن جهة الشمال بشيوخ المنتفق فاضطر الكويتيون لحماية أنفسهم وأموالهم إلى بناء هذا السور الذى تم تشييده فى فترة وجيزة من الطين وكان كافيا فى ذلك الوقت لحماية الكويت من الهجمات التى كانت تتعرض لها وكان له ستة دروازات أو بوابات . وتختلف الروايات على سنة وفاة الشيخ صباح فعلى حين ذكر عبد العزيز الرشيد أنه توفى فى عام (١٧٧٦م[3])، فإن هناك الكثير من الروايات التى تتعارض مع ما ذكره الرشيد ومنها ما أوردها الشيخ عثمان بن سند البصرى من أن الشيخ عبد الله بن صباح كان يتولى حكم الكويت قبل عام ١٧٧٤ ببضع سنوات ، وتذكر بعض المصادر أن الشيخ عبد الله وصل إلى الحكم فى عام ١٧٦٢ وأنه استمر قائما بالحكم حتى عام ١٨١٥[5] وعلى الرغم من أن

---

(١) عثمان بن سند البصرى : سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ص ١٨ .

(٢) يوسف القناعى : مرجع سبق ذكره ص ص ٩ — ١٠ .

(٣) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ٨٧ .

(٤) راجع بصدد ذلك ملحق رقم (١) من القسم الأول من تاريخ الكويت ص ٣٤١ والخاص بحكام الكويت فى القرن الثامن عشر ومطلع القرن ١٩ .

كارستن نيبور زار الكويت فى عام ١٧٦٥ إلا أنه لم يذكر اسم شيخها وإنما اقتصر على أنه أو رد أن الكويت يحكمها شيخ من قبيلة أرثيمة — وصحتها عتيبة — وأنها مدينة تجارية عامرة(١). وإذا أخذنا بما جاء فى تلك المصادر فإن عهد الشيخ عبد الله يكون قد امتد إلى ما يقرب من نصف قرن فى خلاله وقعت عدة أحداث هامة فى الكويت، ولعل أبرز تلك الأحداث وقعت فى عام ١٧٦٦ حين انشق قسم من آل خليفة عن تحالف العتوب وانتقلوا إلى الزبارة على ساحل قطر فى مواجهة جزر البحرين حيث أسسوا إمارة خاصة بهم(٢)، وتبعهم الجلاهمة بعد فترة قصيرة، وظل آل صباح وحدهم يسيطرون على الكويت. وعلى الرغم من ذلك التصدع الذى تعرض له تحالف العتوب إلا أن العلاقات الودية ظلت قائمة بين آل صباح فى الكويت وآل خليفة فى الزبارة وإذا حدث وانقطعت فإنها كانت تعود إلى ما كانت عليه سريعاً(٣)، ففى عام ١٧٧٦ لجأ عدد من تجار الكويت إلى الزبارة بعد استيلاء الفرس على البصرة، وإن كان الضرر لم يقع على الكويت كما كان متوقعا نتيجة ذلك الاحتلال، إذ أن جزءا كبيرا من تجارة البصرة قد تحول إلى الكويت عقب الاحتلال الفارسى كما ظهر تعاون آل صباح مع آل خليفة فى طرد الفرس من البحرين وفى إعادة البحرين إمارة عربية يحكمها آل خليفة من الزبارة، كما شارك آل خليفة آل صباح فى الحروب التى قاموا بها ضد قبيلة بنى كعب فى عربستان، كما أخذت الكويت تأخذ نصيبها من الرخاء التجارى الذى جلبه فتح البحرين فى عام ١٧٨٣ بسبب اشتغال آل صباح فى تجارة النقل واستيراد البضائع من مسقط والزبارة والقطيف والبحرين(٤). كذلك وقف آل صباح إلى جانب البحرين حين قام سلطان مسقط بالاغارة عليها فى عام ١٨٠١ وسمح الشيخ عبد الله بن صباح بلجوء بعض رؤساء آل خليفة إلى الكويت الذين طردهم سلطان بن أحمد من البحرين(٥).

---

(١) Neibuhr, Carsten, Travels in Arabia vol. II P. 103.

(٢) يذكر عثمان بن سند البصرى فى كتابه سبائك العسجد أن الشيخ عبد الله اشترك مع الشيخ خليفة بن محمد فى تعمير الزبارة وتسميتها بذلك الاسم : سبائك العسجد ص ١٩

(٣) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٠٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ١٥٠٧ .

(٥) عن محاولات سلطان بن أحمد ضم البحرين راجع كتابنا دولة البوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ٧٦ وما بعدها .

وعلى الرغم من أن انشقاق آل خليفة عن آل صباح يعتبر من الأمور المنطقية بالنسبة للمفاهيم القبلية المرتبطة بمصالح القبيلة حيث تطلع آل خليفة إلى مكان يمارسون فيه حكمهم المستقل بعد أن خضعت الكويت لسيطرة آل صباح إلا أن بعض المصادر أرجعت أسباب انفصال آل خليفة عن آل صباح إلى ما كانت تتعرض له الكويت من غارات بنى كعب إذ أن ازدهار الكويت جعلها محل رغبة شيوخ بنى كعب فى السيطرة عليها وأن العلاقات أخذت تتوتر بين شيوخ الكويت وشيوخ بنى كعب وحلفائهم من عرب بندر ريق وبوشهر بسبب المنافسة على نقل التجارة أو بسبب الخلاف المذهبي بين الشيعة والسنة [1]. وقد أورد لنا عبدالعزيز الرشيد أسبابا مباشرة للصدام الذى وقع بين الكويت وبنى كعب، وذكر بصدد ذلك أن بنى كعب طمعوا فى امتلاك الكويت بعد أن نشطت تجارتها ورغبوا فى السيطرة عليها قبل أن تبلغ أشدها غير أنهم تظاهروا بغير ما أرادوا فطلبوا مصاهرة الشيخ عبد الله لأحد أبنائهم وحين استشار الشيخ عبد الله زعماء قومه فى أمر تلك المصاهرة أظهروا أشد الاباء والامتناع وأخذوا للحرب أهبتها، وجهزوا سفنهم لمحاربة بنى كعب وكان النصر حليفهم على قلة عددهم، ولعل ذلك يرجع إلى أن العتوب هاجموا سفن الزعماء أولا أو لأن الماء قد انحسر عن سفن بنى كعب فلم تقدر على الحركة لضخامتها على عكس سفن العتوب الصغيرة التى أحاطت بسفن بنى كعب من كل جانب . وقد عرفت هذه المعركة فى تاريخ الكويت باسم موقعة الرقه وهى مكان يقع بالقرب من جزيرة فيلكا إحدى الجزر المعروفة فى الكويت(٢) . وفيما يبدو أن الصلح الذى وقعه الشيخ عبد الله بن صباح رغم هذا الانتصار لم يكن فى صالح العتوب مما برر به آل خليفة انشقاقهم عن حلف العتوب وهجرتهم إلى الزبارة وكان ذلك فى عام ١٧٦٦ .

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت جـ ١ القسم الأول ص ١٨٨ .

(٢) عبد العزيز الرشيد – مصدر سبق ذكره ص ص ٨٨–٨٩ . ومما يذكر أن ديكسون المعتمد البريطانى فى الكويت قد سجل الرواية المحلية المتعلقة بعلاقة الكويت ببنى كعب نقلا عن أحد شيوخ الكويت :

CF. Dickson, Kuwait and Her Neighbours pp. 27—28 London 1956.

ومن الأحداث الهامة التي وقعت أيضا على عهد الشيخ عبد الله والتي كان لها أثر كبير في ازدهار الكويت احتلال الفرس لمدينة البصرة على عهد كريم خان الزندى ونجاحهم في الاستيلاء عليها في عام ١٧٧٦ إذ ترتب على ذلك الاحتلال ، والذى استمر ثلاث سنوات انتعاش واضح في تجـارة الكويت ولا شك أن الكويت قد أفادت فائدة كبيرة من ذلك الاحتلال لأن تجارة الهند التي كانت تتخذ طريقها عبر بغـداد وحلب ثم القسطنطينية أخذت تتحول إلى طريق الكويت (١) . كما امتدت تجارة الكويت إلى الهند وملبار واليمن والعراق (٢) .

وقد أدى ذلك إلى زيادة ثروتها وساعد على تلك الزيادة قلة الرسوم الجمركية التي كانت تفرض على التجارة فيها بالاضافة إلى نشاط تجارها وسماحة معاملاتهم. وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى أن من أهم أسباب الحصار الفارسى للبصرة ذلك النجاح التجارى الكبير الذى أحرزته البصرة بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية إليها ، وأثر ازدهار البصرة على انهيار تجـارة بوشهر مما أدى إلى توتر في العلاقات بين الوالى العثمانى في بغداد وحاكم إقليم فارستان، ووجد كريم خان فرصته في الهجوم على البصرة محتجاً بأن والى بغداد قد فرض بعض الضرائب على الفرس الذين كانوا يفدون إلى المزارات الشيعية المقدسة في العراق في النجف وكربلاء (٣) . وفي خلال الصراع الفارسى العثمانى تطلع الطرفان إلى حلفاء لهما في منطقة الخليج فإلى جانب الفرس انحاز العرب النازلون في السواحل الشرقية من الخليج وهم عرب بوشهر بزعامة شيخهم نصر آل مذكور الذى ينتمى إلى قبائل المطاريش وهى قبائل وفدت أساسا من عمان كما انحاز إلى الفرس أيضا عرب بندر ريق وعرب بنى كعب الذين ارتبطوا باتفاقية تحالف مع كريم خان الزندى أما إلى جانب العثمانيين فقد وقف عرب المنتفق (٤) ، كذلك ساعد إمام عمان

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٣ ص ١٥٠٧ .

(٢) يوسف القناعى : صفحات من تاريخ الكويت ص ١٠ .

(٣) عبد الأمير محمد أمين : القوى البحرية في الخليج العربى في القرن الثامن عشر ص ص ٦٢ — ٦٣ وكذلك أبو حاكمة — مرجع سبق ذكره جـ ١ ص ٦٥ .

Sykes, History of Persia vol II P 281,

(٤) يؤكد ابراهام بارسونز في رحلته أن الشيـخ عبد الله حاكم الكويت كان معاديا للحصار الفارسى للبصرة ولذلك كان يخشى أن تتعرض إمارته لخطر الفرس انظر :

Parsons, Travels in Asia and Africa P. 176—177.

فى ذلك الوقت أحمـــد بن ســـعيد متسلم البصرة العثمانى فى رد الهجوم الفارسى وكان ذلك رغبة من إمام عمان فى الانتقام من الفرس، أو قديكون نتيجة لطلب العثمانيين المساعدة ؛ وتؤكد وثائق بومباى أن الأسطول العمانى كان عونا كبيرا لمدينة البصرة المحاصرة من قبل الفرس [١] .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن القواسم وهم القوة البحرية المتنامية فى الخليج فى ذلك الوقت لم يسهموا فى القتال إلى جانب العثمانيين إذ أنهم كانوا مشغولين فى تأكيد نفوذهم البحرى على حساب القرى المجاورة لهم . أما موقف الكويت فعلى الرغم من أنه لايزال غامضا من حصار الفرس للبصرة إلا أنه من المعروف أن الشيخ عبد الله حاكم الكويت اتخذ فى بداية الأمر موقفا محايدا إزاء الطرفين المتصارعين ولكنه كان أميل إلى اتخاذموقف عدائى ضد الفرس بسبب العداء التقليدى بين الكويت وشيوخ بنى كعب وغيرهم من شيوخ القبائل العربية الأخرى فى الساحل الشرقى للخليج والتى قدمت مساعداتها لهم .

ومما يسترعى الانتباه أنه على الرغم من أن الكويت وقفت موقفا عدائياً ضد الفرس خلال حصارهم للبصرة [٢] ، إلا أنها أفادت كما سبق الإشارة إلى ذلك فائدة اقتصادية كبيرة من جراء الاحتلال الفارسى للبصرة إذ ترتب على ذلك الاحتلال قيام علاقات مباشرة بين الكويت ووكالات شركة الهند الشرقية البريطانية التى بدأت تتخـــذ من ميناء الكويت مستودعا لتفريغ بضائعها ، ومن الكويت كانت تنقل البضائع على ظهور القوافل إلى بلاد الشام متجنبة طريق البصرة ، ولذلك فإن استيلاء الفرس على البصرة يمكن أن يعد بداية للعلاقات البريطانية الكويتية ، ومما يؤكد ذلك أن شركة الهند الشرقية البريطانية بدأت تعمل على إنشاء وكالة تجـــارية فى الكويت التى ذكرت تقـــارير ممثليها بأن الكويت يتمتـــع بميناء

---

(١) Bombay Govt., op. cit. vol. XXIV. Rise and Progress of the Government of Muscat 1694—1844 P. 172 SQ.

(٢) عن حصار الفرس للبصرة راجع ابراهام بارسونز الذى كان شاهد عيان لذلك الحصار

Parsons. A. Travels in Asia and Africa CF. Mediated Siege of Bussorah pp. 167—172.

جيد يصلح لرسو السفن ، وأن القوافل التجارية التى تخرج من ذلك الميناء تتمتع بأمن كبير ، ونضلا عن ذلك فإنه لم تتعرض لهجوم فارسى[1]. وقد ترتب على ذلك قيام علاقات ودية بين شركة الهند البريطانية والشيخ عبد الله حاكم الكويت وإن كانت هذه العلاقات لم تلبث أن تعرضت لخطر التصدع حين قام رجال الوكالة البريطانية فى البصرة ١٧٧٨ — ١٧٧٩ بالقبض على أحد الضباط الفرنسيين وهو المسيو بورج **Borel de Bourg** الذى فر إلى الكويت وطلب اللجوء إلى شيخها ، وكان بورج يحمل رسائل من فرنسا إلى السلطات الفرنسية فى بوند شيرى وجزيرة موريس . وقد عارض الشيخ عبد الله تسليم الضابط الفرنسى ، مراعاة للتقاليد العربية ، رغم نواياه الطيبة تجاه الحكومة البريطانية . ولكن من ناحيـــة أخرى أخذت العلاقات البريطانية الكويتية تتخذ طابعاً وديا حين بادر المستر مانيستى ممثل الوكالة البريطانية فى البصرة بتحذير شيخ الكويت من الاستعدادات العسكرية التى كان يقوم بها الوالى العثمانى فى بغداد سليمان باشا ضد الكويت[2] بسبب رفض الشيخ عبـــد الله بن صباح تسليم الشيخ ثوينى شيخ المنتفق ومصطفى أغا متسلم البصرة اللذين التجأ إلى الكويت فراراً من السلطات العثمانية. فقد حدث أن أسندت متسلمية البصرة إلى السيد مصطفى أغا الذى عزم على التمرد ضد السلطات العثمانية واعلان استقلال البصرة فكان أن غضب سليمان باشا والى بغداد وجهز قوة كبيرة سيرها إلى البصرة للقضاء على ثورة مصطفى أغا وفى الطريق من بغداد إلى البصرة اشتبك جيش والى بغداد بقبائل المنتفق التى كان يقودها الشيخ ثوينى فهزمها ، وحينئذ أيقن مصطفى أغا أنه لا قدرة له على مواجهه القوة العثمانية فترك البصرة هارباً إلى الكويت مع الشيخ ثوينى واستنجد الاثنان بحاكمها ، ورفض الشيخ عبد الله تسليمهما إلى والى بغداد، وأوعز إلى مصطفى أغا بالرحيل إلى نجد

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة — مرجع سبق ذكره جـ ١ القسم الأول ص ١٧٦ .

(٢) يرجع إلى السير هارفورد جونز الفضل فى إمدادنا بتفاصيل كثيرة عن علاقة الكويت بالدولة العثمانية فى أواخر القرن الثامن عشر :

CF. Brydges, Harford Jones, An account of the Transaction of His Majesty's Mission to the court of Persia 1810—1811 London 1834.

بالأموال التى نقلها من البصرة برفقه قافلة كانت متأهبة للسفر تفاديا من تسليمه للسلطات العثمانية (١). ولا شك أن موقف شيخ الكويت من رفضه تسليم المتمردين إلى باشا بغداد كان موقفاً غير ودى ويظهر ذلك من رسالة بعث بها مانيستى إلى الشيخ عبد الله جاء فيها « قمت بزيارة الباشا فى معسكره الذى عبر عن دهشته وغضبه تجاه سلوككم فى منح الحماية لأناس كانوا ثائرين عليه وقال ما لم تسلموهم إليه أو تأمروهم بمغادرة الكويت فإنه سيعتبركم عدوا له وقال إنه سيكتب إلى حاكم بومباى راجياً أن يمده بعون بحرى سريع ، وهكذا فإن الصداقة هى التى حثتنى على الكتابة لأعرفكم بمشاعر باشا بغداد » وقد أجاب الشيخ عبد الله على الرسالة السابقة بأنه يدين للمستر مانيستى بهذه المعلومات بخصوص نوايا سليمان باشا وأن الموقف يتلخص فى أنه لا يستفيد أية فائدة من مقام مصطفى أغا متسلم البصرة فى بلاده ولكن إخراجه من الكويت لا يتمشى مع التقاليد العربية (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه فى الوقت الذى كانت فيه العلاقات بين الكويت وبريطانيا تسير سيراً وديا كانت الخلافات تتزايد بين الوكالة البريطانية فى البصرة ووالى بغداد(٣) ولذلك كان يرد اسم الكويت أو القرين على لسان رجـال الوكالة البريطانية كبديل للبصرة ومستقراً للوكالة البريطانية فيها . وقد اتخذت خطوة هامة فى عام ١٧٩٢ من قبل المستر مانيستى وهارفورد جونز لنقل الوكالة من البصرة إلى الكويت وتم نقل الوكالة بالفعل فى ذلك العام إلى الكويت حيث بقيت هناك ما يقرب من ثلاث سنوات وعلى حين ذكر لوريمر أن الوكالة البريطانية فى البصرة

---

(١) Brydges. Harford Jones A Brief History of the Wahauby P. 176.

وكذلك يعقوب الرشيد — الكويت فى ميزان الحقيقة والتاريخ ص ٣٥ .

(٢) انظر الرسائل المتبادلة من حاكم الكويت والمستر مانستى فى القسم الثانى من تاريخ الكويت للدكتور أبو حاكمة ص١٩ وما بعدها .

(٣) يفهم مما أورده ابراهام بارسونز أن أصول ذلك الخلاف ترجع إلى أيام رحلته ١٧٧٥ بسبب استئثار الانجليز بالضرائب الجمركية التى كانت تقدر بـ ٦٪

CF. Persons, A. op. cit. P. 157.

قررت الانسحاب إلى الكويت نتيجة الصعوبات والعقبات التى وضعتها السلطات العثمانية فى وجهها فإن هارفورد جونز يذكر أن انتقال الوكالة البريطانية إلى الكويت كان نتيجة خلافات بين الباشا العثمانى والوكالة البريطانية[١] . ويعنى ذلك أن انتقال الوكالة إلى الكويت كان إجراء تأديبيا على أمل أن تكون النتائج التى تصيب البصرة اقتصاديا بسبب هذا الإجراء قادرة على تسوية تلك الخلافات التى كانت تعــود أساسا إلى مؤامرات من قبل التجار اليهود المقيمين فى البصرة . ومع افتراضنا صحة هــذه المبررات إلا أننا نضيف سببا آخر وهو أن نقل الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت كان يرتبط ارتباطا كبيراً بالأحداث التى وقعت فى تلك الفترة ، ونعنى بذلك النشاط السعودى فى الاحساء الذى أدى إلى الاطاحة بنفوذ بنى خالد وخوف السلطات البريطانية فى الخليج من أن يتحول النشاط السعودى إلى الكويت وما قد يؤدى إليه ذلك من تعريض التجارة البريطانية فى الخليج إلى خطر محقق[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بنى خالد فى الإحساء كانوا الحاجز الكبير الذى حفظ الكويت من الهجمات الوهابية حتى نهاية القرن الثامن عشر غير أنه بسقوط بنى خالد صار اخضاع السعوديين للكويت بعد عام ١٧٩٣ أمرا كبير الاحتمال وبالفعل شهدت السنوات القليلة التالية لسقوط بنى خالد هجمات سعودية متكررة على الكويت اشتدت وطأتها طوال فترة إقامة الوكالة البريطانية التابعة لشركة الهند الشرقية فى الكويت عقب انتقالها من البصرة إذ كان من الطبيعى بعد إسقاط الســعوديين لحكم بنى خالد فى الاحساء أن يعملوا على السيطرة على الممتلكات التابعة لهم ويعنى ذلك أن تصبح الكويت منطقة من مناطق النفوذ السعودى . ولكن الأمر الذى يبعث

---

(١) للتفصيلات المتعلقة بانتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت وموقعها من الغزوات الوهابية للكويت انظر :

Brydges, An Account of Transaction of His Majesty's Mission to the Court of Persia to which is appended a Brief History of Wahabees pp. 12—16.

(٢) جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء العدد ١٧ من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ص ص ٩٤ — ٩٥ .

على الدهشة أن الكويت استمرت محتفظة بوضعها المستقل فى وقت كانت فيه القوة السعودية هى القوة المتسلطة ، بل وأكثر من ذلك يمكننا أن نذهب فى القول إلى أن سقوط حكم بنى خالد كان عاملا هاما من العوامل التى أدت إلى انطلاق الكويت نحو مرحلة هامة من مراحل استقلالها ولتعليل ذلك يمكننا أن نركز على ناحيتين هامتين ، أولاهما علاقة الكويت بأسرة بنى خالد ، وثانيتهما العوامل التى أدت إلى احتفاظ الكويت باستقلالها عن السعوديين رغم تداعى نفوذ بنى خالد . وفى تقديرنا أن سقوط أسرة بنى خالد على أيدى السعوديين فى عام ١٧٩٣ يعد بدءا للعلاقات الكويتية السعودية وليس بداية لخضوع إمارة الكويت للنفوذ السعودى فمن الأمور التى تسترعى الانتباه أنه على الرغم من تقديم شيوخ الكويت ولاءهم لشيوخ بنى خالد منذ أن تأسست إمارة الكويت فى النصف الأول من القرن الثامن عشر إلا أن ذلك الولاء لم يكن إلا من الناحية الشكلية البحتة . وقد ذكر نيبور بصدد ذلك أن النزاع كان يدور دائما بين سكان القرين المتمسكين باستقلالهم وبين شيوخ الاحساء الطامعين فى احتلال الكويت وكان إذا ماوجه شيخ الاحساء قواته إلى الكويت لاخضاعها غادرها أهلها إلى جزيرة فيلكا ، كما أكد نيبور أنه على الرغم من أن شيوخ القرين كانوا يتبعون شيوخ بنى خالد فى الاحساء إلا أنهم كانوا يمارسون استقلالهم فى أحيان كثيرة [1]، ويفهم من ذلك أنه على الرغم من أن آل صباح تمكنوا من ممارسة نفوذهم المستقل فى الكويت إلا أنهم كانوا فى المراحل الأولى من استقرارهم فى الكويت يرتبطون بشكل أو بآخر بنوع من التبعية لشيوخ بنى خالد، ولذلك كان من المتوقع حين داهمت بنى خالد الغزوات السعودية المتكررة خلال الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٧٩٣ أن يبادر آل صباح إلى نجدتهم طبقا لما يقضى به العرف فى أن يقوم التابع بنجدة متبوعه ولكن يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن صباح حاكم الكويت كان مترددا بين أمرين أولهما : تقديم العون لبنى خالد ومعنى ذلك أن يستمر

---

(١) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ١٦٤ حيث أوردت المؤلفة وصفا تفصيليا لرحلات كارستن نيبور فى شبه الجزيرة العربية .

محتفظا بولائه لهم . وثانيهما : مساعدة السعوديين فى إسقاط أسرة بنى خالد لما سيترتب على ذلك من تخلص الكويت من تبعيتها لهم[١]، وفيما يبدو أن الشيخ عبد الله قد التزم بموقف الحياد إزاء الصراع الذى كان قائما بين السعوديين وبنى خالد غير أنه لم يلبث أن أدرك قوة الضغط السعودى وخاصة فى هذه المرحلة التى اندفع فيها السعوديون بشكل حماسى بالغ لنشر الدعوة الوهابية على سواحل الخليج وماقد يترتب على ذلك بالضرورة من تعرض إمارته لخطر مجاورتها لنفوذ السعوديين بعد سيطرتهم على الاحساء .

وقد حدث ذلك بالفعل حين بدأت الكويت تتعرض منذ عام ١٧٩٣ لمناوشات سعودية خاطفة وذلك حين قدم القائدالسعودى إبراهيم بن عفيصان إلى أطراف الكويت بجماعة من قبائل الخرج والعارض وسدير واستحوذ على قدر كبير من الأسلاب، ولذلك حرص الشيخ عبد الله بن صباح أن يؤيد القوتين المناهضتين للسعوديين وهما العثمانيون وبنوخالد فى الوقت الذى لم يعلن فيه صراحة عداءه للسعوديين وكان تقدير شيخ الكويت أن إمارته تتمتع باستقلالها الذاتى فى ظل تبعيتها للعثمانيين أو بنى خالد ولكنه لا يضمن أن تستمر مشيخته محتفظة باستقلالها فى ظل السيطرة السعودية على أنه من ناحية أخرى كان حريصا على أن لايظهر من تقديم الكويت مساعدتها للعثمانيين أو بنى خالد تأكيدا لتبعيتها لإحدى هاتين القوتين ولذلك اكتفى بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق الذى كلف من قبل والى بغداد باعداد قوات كبيرة لمقاتلة السعوديين بالتحالف مع شيوخ بنى خالد وأسرع الشيخ عبد الله بوضع إمكانيات الكويت البحرية فى خدمة العمليات العسكرية ، حيث استخدمت السفن الكويتية فى نقل قسم كبير من قوات الشيخ ثوينى حاكم المنتفق لمقاتلة السعوديين فى الإحساء[٢] . ومع ذلك فلم تكن النتيجة فى صالح

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ١٠٨ وكذلك القناعى : مرجع سبق ذكره ص ١٢ ولمزيد من التفاصيل عن علاقة الكويت ببنى خالد انظر مقالة الأب أنستاس الكرملى عن الكويت — مجلة المشرق بيروت ١٩٥٢ ص ٤٤٩ وما بعدها .

(٢) جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء ص ٩٧ .

تلك القوات التى تفرقت أمام الهجمات السعودية وقتل الشيخ ثوينى نفسه فى إحدى المعارك الطاحنة التى نشبت بينه وبين السعوديين[١]، وأعقب ذلك نجاح السعوديين فى الاستيلاء على الإحساء وتأكيد نفوذهم فى المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية، وترتب على ذلك أن أصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التى أصبحت تتاخمها جنوبا. وعلى الرغم من أن الكويت استفادت من سقوط حكم بنى خالد فى التخلص من الارتباطات الواهية التى كانت قائمة بينها وبين تلك الأسرة الحاكمة إلا أن شيوخ الكويت أخذوا يتعرضون بعد سقوط حكم بنى خالد للعديد من الهجمات السعودية المتكررة[٢] على أنه ينبغى أن نشير هنا إلى أنه لما كانت الوكالة البريطانية قد انتقلت إلى الكويت فى عام ١٧٩٣ فقد حرص المستر صمويل مانيستى القائم بأعمال الوكالة آنذاك أن يستبقى طرادا فى ميناء الكويت حماية لإمارة الكويت من احتمال قيام هجوم سعودى ضدها، كما أمر باقامة فرقة حرس من الهنود يقودها ضابط هندى على الشاطىء، وقد حاول السعوديون بالفعل السيطرة على الكويت واتجهوا إلى منع المياه عنها وذلك بسيطرتهم على الآبار العذبة[٣]. وعلى الرغم من أن الوثائق الرسمية البريطانية قد حرصت على أن تنفى نفياً قاطعاً قيام الوكالة البريطانية فى الكويت بأى دور فى صد الهجمات السعودية عن الإمارة وعللت ذلك بأن هذا الموقف كان متمشيا مع السياسة البريطانية العامة التى كانت تقوم على عدم التدخل فى الصراعات الداخلية، وخاصة إذا كانت تلك الصراعات لها ارتباط بالدولة السعودية باعتبارها دولة إسلامية. ومن ثم كانت التعليمات البريطانية صريحة فى أن تقف الوكالة البريطانية فى الكويت موقفاً محايداً فى الصراعات الدائرة بين السعوديين والكويت خوفا على بريد شركة الهند الشرقية البريطانية الصحراوى من أن يتعرض لانتقام السعوديين، كما ذكر السير هارفورد جونز العديد من المبررات الأخرى التى الزمت الوكالة بهذا الموقف المحايد، وأكد أن أهالى الكويت هم

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الكويت الجزء الأول القسم الأول ص ٢٥٦ .
(٢) ج . ج لوريمر ، دليل الخليج جـ ٣ ص ١٥٠٩ .
(٣) Brydges, Wahauby pp. 12 ff.

الذين دافعوا عن أمارتهم وأن شيخهم هو الذى نجح بفضل عدله وسماحته أن يجنب إمارته الخضوع للسعوديين . وأنه تمكن بمدفع قديم أمر بنقله من إحدى سفنه أن يصد هجوما سعوديا قام به أكثر من خمسمائة رجل وواضح أن السير هارفورد جونز كان حريصا على التأكيد بأن الوكالة البريطانية لم تقم بأى دور بين الطرفين بل كان حريصا على التأكيد أيضا بأن العلاقات كانت طيبة بين الوكالة البريطانية وبين الإمام السعودى . وأن الوكالة لم تستجب لمساعدة شيخ الكويت رغم إلحاحه الشديد فى طلب تلك المساعدة لأن مصلحة الوكالة البريطانية أن تكون على وئام مع الأمير سعود من أجل سلامة مراسلاتها التى كانت تنقل من الكويت أو تصل إليها عن طريق الصحراء .[1] ومع وجاهة تلك المبررات إلا أننا نجد بعض المصادر الأخرى التى تؤكد على حدوث مساعدات انجليزية للكويت ضد السعوديين وتستند تلك المصادر على ماذكره المستر رينو Reinaud أحد العاملين فى الوكالة البريطانية فى الكويت الذى ذكر أنه فى خلال إقامته بالكويت مساعدا للمستر مانيستى فى الفترة بين ١٧٩٣ و ١٧٩٥ تعرضت الكويت لهجمات سعودية كثيرة ، وقدر مستر رينو إحدى الهجمات الكبيرة التى تعرضت لها الكويت بألفى جمل يحمل كل بعير رجلين الراكب الأمامى مسلح ببندقية وزميله مسلح برمح ليحميه أثناء إعادة ملء بندقيته بالرصاص وذكر رينو أن المستر مانيستى أصدر أوامره بانزال مدفعين من إحدى السفن العسكرية الإنجليزية التى كانت راسية فى ميناء الكويت وأنه أمر الجنود الهنود بالاشتراك مع الكويتيين فى صد الهجوم السعودى، وأن السعوديين خسروا كثيراً من رجالهم نتيجة نيران المدفعية البريطانية التى صوبت إليهم أثناء فرارهم إلى الساحل[2] . وقد رد السعوديون على هذا الاشتراك من جانب الوكالة

---

(١) Brydges H. Op. cit. CF. Wahauby pp. 12—16.

(٢) أورد لوريمر هذه الرواية نقلا عن ما ذكره المستر رينود فى حديثه إلى الدكتور سيتزن Seetzen والذى ورد فى كتاب فون زاش Zach مراسلات مونتاليش ص ص ٢٣٤ — ٢٣٥ وعلى الرغم من أن لوريمر يقر بأن المستر هارفورد جونز يعد مصدر أكثر اطلاعا إلا أنه لا يستطيع أن يعتبر ما جاء فى رواية رينو من نسج الخيال — انظر ج . ج لوريمر ج ٣ ص ١٥٠٩ — ١٥١٠ .

البريطانية وذلك بهجومهم على بريدها الصحراوى مما كان سبباً فى رحلة رينو إلى الدرعية حيث كلف من قبل مانيستى رئيس الوكالة البريطانية فى الكويت بمقابلة الأمير السعودى فى عاصمته ، وبذلك اشتهر رينو بأنه كان أول أوربى قدر له أن يزور الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى[١].

وعلى الرغم من التناقض الذى يبدو لنا واضحاً بين ما ذكره السير هارفورد جونز والمستر رينو إلا أن ما ذكره الأخير يبدو لنا مقبولا لأن الوكالة البريطانية كانت تخشى بطبيعة الحال، رغم على عدم اظهار عداوتها للسعوديين، على أموالها وبضائعها المودعة بالكويت فيما لو نجحت إحدى الغزوات السعودية لأنها سوف تصبح فى هذه الحالة غنيمة مشروعة فى عرف الوهابيين باعتبارها من أموال الكفر، وفضلا عن ذلك فإن مساعدة الوكالة لشيخ الكويت فى رد الهجوم السعودى عن إمارته كان التزاماً أدبياً وتعبيراً لشيخ الكويت عن الاعتراف بجميله حينما أفسح لها مكاناً فى بلاده[٢] .

وعلى الرغم من أن السعوديين استمروا فى مواصلة عملياتهم الهجومية ضد الكويت إلا أن تلك الهجمات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية من حيث اخضاع الإمارة لنفوذهم وعلى العكس من ذلك استطاعت إمارة الكويت أن تحقق انتصارات اقتصادية هامة ضد السعوديين نتيجة لما ترتب على الغزوات السعودية المستمرة على الاحساء من تحول تجارة الهند إلى أواسط الجزيرة العربية عن مجراها المعتاد مرورا بموانى الاحساء إلى الكويت حيث أصبح ميناء الكويت يستخدم بدلا من موانى القطيف والعقير وكان ذلك مما أثار

---

(١) جمال زكريا قاسم : الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز من أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة — الرياض ١٩٧٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء ص ٩٨ . انظر : للمقارنة بين الروايتين .

Brydges, H.J, A Brief History of the Wahauby pp. 12 SQ.

السعوديين وجعلهم ينظرون بقلق بالغ إلى منافسة ميناء الكويت لموانى الاحساء بل طالب السعوديون بنصيبهم من الأموال التى كانت تتدفق على الكويت . وفى عام ١٨٠٨ أعد السعوديون حملة كبيرة للاغارة بها على الكويت ولكن أهالى الكويت نجحوا فى مقاومة الحصار الذى فرضـه السعوديون عليهم وتمكنت الإمارة أن تبقى بمنأى عن النفوذ السعودى الذى بلغ فى ذلك الوقت درجة كبيرة من التفوق والانتعاش وإن استمر احساس الكويتيين بالخطر الذى يمكن أن تتعرض له إمارتهم من جانب السعوديين ولعل ذلك يفسر انا شدة ترحيب شيخ الكويت ، وكان فى ذلك الوقت ، الشيخ جابر الصباح بالتقدم الذى أحرزته القوات المصرية التى زحفت على نجد واسقطت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى فى عام ١٨١٨ ؛ إذ تؤكد بعض المصادر أن الشيخ جابر قدم مساعدات لإبراهيم باشا فى أثناء حصاره للدرعية . ومن المعروف أن الشيخ جابر تولى الحكم خلفا للشيخ عبد الله بن صباح بعد وفاته فى عام ١٨١٣ بعد أن حقق للكويت نموا مطردا كما عرف عنه بأنه كان حاكما حازما قريبا إلى الحق محبا للعدالة حسن السياسة لا يبت فى أمر مهم إلا بعد مشاورة كافية وكان لا يخالف الجماعة فيما يرونه صوابا(١) . وبوفاته تولى الشيخ جابر الذى لقب بجابر العيش لكثرة ما كان يتصدق به على الفقراء ، وقد امتد حكمه حتى عام ١٨٦٠ ولعل أهم ما يميز حكمه هو العلاقات التى وجدت بينه وبين الدولة العثمانية . والأمر الذى لا شك فيه أن مجاورة الكويت للدولة العثمانية جعل علاقتها بهذه الدولة الإسلامية الكبيرة أمرا حيويا وظهر ذلك فى أن سفن الكويت كانت تحمل الراية العثمانية(٢) ، وحين قضى العثمانيون على داود باشا آخر مماليك العراق فى عام ١٨٣١ حاولوا أن يمدوا نفوذهم إلى الكويت وذلك عن طريق الزام الشيخ جابر بدفع جزية سنوية ذكرت بعض المصادر أنها كانت تقدر بأربعين كيسا من الأرز وأربعمائة

---

(١) القناعى : مرجع سبق ذكره ص ١٠ .

(٢) لم تكن الكويت ضمن الإمارات الموقعة على المعاهدة العامة التى فرضتها بريطانيا على بعض إمارات الخليج فى عام ١٨٢٠ ، ولذلك فإنها لم تكن ملتزمة برفع راية ساحل الصلح البحرى .

سباطه من التمور[1] ، وأنه كان يتلقى فى كل سنة خلعة من السلطات العثمانية تكريماً له ولكن لم يستمر دفع الجزية من قبل الكويت ولعل ذلك يرجع فى الدرجة الأولى إلى أن الدولة العثمانية كانت فى حاجة إلى مساعدة أسطول الكويت للدفاع عن شط العرب حتى أن الدولة العثمانية كانت هى التى تدفع إعانة سنوية لشيخ الكويت . وفى عام ١٨٣١ أغارت عشائر بنى كعب على مدينة البصرة مما اضطر متسلمها للجوء إلى الكويت حيث أنجده الشيخ جابر بعدة سفن مليئة بالرجال والذخيرة[2] ، وفى عام ١٨٣٦ وحسب أوامر السلطات العثمانية قدم الشيخ جابر عونه للسلطات العثمانية فى البصرة فى القضاء على تمرد سكان الزبير وكان عونه قاصرا على حصار مداخل المدينة من ناحية البحر ، وحين سقطت الزبير فى أيدى السلطات العثمانية لجأ واحد من شيوخ عائلة الزهير إلى الكويت ومن هناك قيل أنه باع للشيخ جابر إمارة صوفية بشط العرب المشهورة ببساتين النخيل وهذه الحادثة ستثير مشاكل كثيرة فى المستقبل بين الكويت والدولة العثمانية ثم بينها وبين العراق بعد استقلاله[3] . ولعل أبرز المساعدات التى قدمها الشيخ جابر للدولة العثمانية هو تصديه لاغارات شيوخ بنى كعب ضد البصرة وكان كثيراً ما يمد السلطات العثمانية بالبصرة بالعون والمساعدة ، وحين نجح شيوخ بنى كعب فى محاصرة مدينة البصرة سار بقواته إليها وكان من أعظم المساعدين على استخلاصها من بنى كعب كما وجه أسطوله ضد بنى كعب حين تغلبوا على الحامية العثمانية فى المحمرة . كما يؤثر عن الشيخ جابر رفضه طلبا تقدم به الانجليز فى عام ١٨٢٩ لإقناعه برفع العلم الانجليزى على قلعته وذلك حفاظا منه على العلاقات التى كانت قائمة

---

(١) ج . ج لوريمر — دليل الخليج جـ ٣ ص ١٥١٢ .

(٢) القناعى ، صفحات من تاريخ الكويت ص ص ١٤ ، ١٥ انظر أيضا عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ٩٨ .

(٣) جمال زكريا قاسم ، الخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤—١٩٤٥ ص ١٤٧ وما بعدها .

بينه وبين الدولة العثمانية رغم تهديدات الانجليز له بمنع التعامل مع سفنه التجارية التى كانت تذهب إلى موانى الهند . ولعل الموقف الودى الذى وقفه الشيخ جابر إلى جانب الدولة العثمانية سواء بمساعدته لها فى صد الهجمات القبلية أو فى موقفه المعارض للإنجليز كان سبباً من الأسباب التى جعلت الدولة العثمانية تكافئه بمائة وخمسين كارة من التمر سنوياً كما منحته فرماناً وعلماً أخضر واستمر ذلك الراتب يجرى لآل صباح حتى انقطع بتولية الشيخ مبارك حكم الكويت فى عام ١٨٩٦[1] .

نخلص من ذلك أنه منذ أن تأسست الكويت فى منتصف القرن الثامن عشر استطاعت الامارة أن تحمى نفسها من التدخل فى شئونها من قبل القوى المجاورة لها والتى كانت تتمثل فى الفرس والعثمانيين والسعوديين والمصريين كما أنه لم يثبت وجود سيادة عثمانية على الكويت ، وعلى العكس من ذلك كانت الدولة العثمانية تميل إلى تشجيع شيوخ الكويت على التخلص من الأخطار التى كانت تهدد الكويت أو ولاية البصرة ، وكما أشرنا كان شيوخ الكويت يتلقون رواتب سنوية من خزانة البصرة نظير قيام شيوخ الكويت بحماية شط العرب دون إلزام بهذه الحماية ، كما أن رفع الراية العثمانية على السفن الكويتية كان لا يعنى ممارسة الدولة العثمانية سيادة على الكويت إذ كان الكويتيون يفضلون أن تبحر سفنهم وهى حاملة للرايات العثمانية لأنه لم يكن هناك اعتراف من قبل الدول الأخرى بالرايات المحلية الكويتية ، ومن ناحية أخرى أن رفع الراية العثمانية لم يكن يقترن فى الأذهان بالتبعية إلى الدولة العثمانية أكثر مما كان يعد مظهرا روحيا لاحترام دولة الخلافة الإسلامية [2] .

---

(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ص ٩٨ . انظر أيضا القناعى : صفحات من تاريخ الكويت ص ١٤ .

(٢) Rouire, la Question de Golfe Persique CF. le Reglement des Questions des Mascate et de koweit Revue des deux Mondes pp. 370—371 Tome XVII, 1903 Cinquiem periode. See also Whigham. The Persian problem pp. 102—103,

الفصل الثاني عشر

نشأة إمارتى البحرين وقطر

التركيبة القبـــلية والطائفية لإمارتى البحرين وقطر — الأوضاع الداخلية فى البحرين عقب انهيار الســـيطرة البرتغالية — محاولات أئمة اليعاربة السيطرة على البحرين — الظروف التى مكنت آل خليفة من السيطرة على البحرين — علاقات آل خليفة بساطنة مسقط — العلاقات بين آل خليفة والسعوديين — نجاح الجلاهمة فى السيطرة على أجزاء من شبه جزيرة قطر — نجاح السعوديين فى السيطرة على الحويلة والزبارة — انهيار النفوذ السعودى عقب سقوط الدرعية — ظهور سلطة آل ثانى — انفصال قطر عن البحرين .

* * *

الفصل الثانى عشر

نشأة إمـارتى البحرين وقطر

إن معالجة تاريخ نشأة إمارتى البحرين وقطر فى فصل واحد أمر يحتمه الواقع التاريخى إذ أنه من الصعب دراسة نشأة أية إمارة من هاتين الإمارتين دون الرجوع إلى الإمارة الأخرى ، ويكفى أن نشـير بصدد ذلك إلى أن آل خليفة حكام البحرين بدأو حكمهم فى الزبارة فى شبه جزيرة قطر وذلك قبل أن يتجهوا إلى البحرين لكى يؤسسوا لهم إمارة فيها . على أنه مما تجدر الإشارة إليه أنه فى الوقت الذى كان فيه آل خليفه يسيطرون على الزبارة كانت كثير من قبائل شبه جزيرة قطر تمارس نوعاً من الحكم الخاص بها واستمر الأمر على ذلك حتى تمكن آل ثانى من الوصول إلى مجال الزعامة ونجحوا فى تكوين إمارة خاصة بهم بعد انفصالهم عن آل خليفة فى البحرين فى عام ١٨٦٨ . ومن الطبيعى أن يصاحب ذلك ظهور كثير من المشكلات الإقليمية والبشرية بين قطر والبحرين نظراً لما كان يجمع بينهما فى الماضى من وحدة سياسية . ومن المؤسف أن تتحول روابط الماضى إلى إثارة العديد من المشـكلات بين الإمارتين كمطالبة قطر بجزيرة حوار ، وهى إحدى جزر البحرين ، أو مطالبة البحرين بالسيادة على آل النعيم فى ميناء الزبارة ، وهذا المطلب الأخير لا يمكن تصنيفه تصنيفاً قانونياً كما يشير إلى ذلك أحد الباحثين فى القانون الدولى لأن الأمر هنا لا يتعلق بالمطالبة بإقليم يقع خارج الإمارة

فحسب وإنما المطالبة برعايا إمارة يعيشون فى إقليم تابع لإمارة أخرى[١].

وقد يكون من المناسب قبـــل أن نعرض لنشأة الإمارتين أو تتبع التطورات السياسية فى كل منهما أن نبدأ بالتعرف على التركيبة القبلية والبشرية التى تتكون منها عناصر السكان فى كل من الإمارتين . ومما يسترعى الانتباه أن البحرين تختلف عن قطر بتعدد العناصر البشرية التى استوطنت بها وربما يعزى ذلك إلى طبيعة موقعها وتوافر موارد الرزق بها التى كانت تعتمد فى الدرجة الأولى على استخراج اللؤلؤ ، وهى حرفة رئيسية كانت تجتذب إليها الكثير من العاملين فى الخليج أو فى مناطق أخرى . وعلى الرغم من كثرة العناصر التى كانت تفد إلى البحرين إلا أن السكان الأصليين فى البحرين ينتمون إلى قبائل من شبه الجزيرة العربية أو سواحل الخليج وإن كانت قد خالطتهم بعض العناصر التى ترجع إلى أصول فارسية ؛ والتى نزحت فى بعض العهود التاريخية إلى البحرين ، وخاصة خلال الفترات التى خضعت فيها جزر البحرين للسيادة الفارسية ، كما حدث بعد طرد البرتغاليين من البحرين على عهد الشاه عباس الكبير فى عام١٦٠٢ ، أو على عهد نادر شاه مؤسس الأسرة الإفشارية حين أخذ يتطلع إلى مد السيادة الفارسية على سواحل الخليج العربى . وعلى الرغم من ذلك فإن السكان الأصليين من العرب هم الذين يشكلون المجموعة السكانية الكبيرة فى البحرين ، وإن كان ينبغى أن نقرر مع ذلك أن العناصر الأخرى التى وفدت على البحرين من السواحل الشرقية للخليج تكون عنصراً هاماً من عناصر السكان ، وقد انتقلت هذه العناصر إلى البحرين منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادى ومعظمهم يدينون بالمذهب السنى[٢] . وعلى الرغم من وجود بعض العناصر الفارسية إلا أنه ينبغى أن نقرر أيضاً أن هناك مجموعات كبيرة من العناصر العربية التى تشكل مجموعة عرب الهولة التى وفدت من السواحل الشرقية للخليج .

(١) Al Bahrna (Hussain), The legal Status of the Arabian Gulf States—A Study of Their Treaty Relations and Their International Problems—Manchester 1968 P. 249.

(٢) جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى أصول المشكلة وتطورها التاريخى من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ بغداد ١٩٧٣ .

أما العناصر العربية التي وفدت من أواسط الجزيرة العربية فيبرز من بينها مجموعات العتوب والسادة الدواسر وآل النعيم وغيرهم ، ومن مجموعة العتوب برز آل خليفة الذين نجحوا في الوصول إلى السلطة في البحرين منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي [1] . ويمكننا أن نضيف إلى تلك المجموعات القبلية مجموعات أخرى كانت قد استقرت في شبه جزيرة قطر واستعان بهم آل خليفة في السيطرة على البحرين وعلى الرغم من أن كثيراً من تلك المجموعات قد استقرت في جزر البحرين إلا أن أصولهم لا تزال قائمة في شبه جزيرة قطر ، ويبرز من تلك المجموعات القبلية آل بوكواره والسلاته وآل مسلم والمعاودة وغيرهم كثيرون .

ومما هو جدير بالذكر أن الغموض يكتنف تاريخ البحرين منذ الفترة التي انهار فيها النفوذ البرتغالي على أيدي الفرس في عام ١٦٠٢ حتى وصول آل خليفة إلى حكم البحرين في عام ١٧٨٣ . وعلى الرغم من أن المصادر الإيرانية تحاول تأكيد تبعية البحرين لفارس طيلة الفترة المشار إليها والتي تبلغ مائة وثمانين عاما إلا أن دراسة أحداث الخليج خلال تلك الفترة تؤكد لنا أن الحكم الفارسي في البحرين ، أو على الأحرى السيادة الفارسية على البحرين لم تتعد أكثر من تسعين عاما [2] .

حقيقة أن البحرين تعرضت لغزوات فارسية من قبل بعض حكام الأسرة الصفوية وكذلك على عهد نادرشاه إلا أن تلك الغزوات لم تكن ناتجة عن إيمان الحكام الفرس بأن البحرين تشكل جزءاً من فارس وإنما كان يحرك تلك الغزوات الأطماع الاقتصادية [3] أو الخلافات المذهبية وخاصة ضد شيوخ الاحساء من بني جبر أو بني خالد الذين كانوا يخضعون البحرين

(١) أحمد محمود صبحي : البحرين ودعوى إيران ص ١١ — الاسكندرية ١٩٦٢ .

(٢) يؤكد الكتاب الايرانيون على خضوع البحرين للسيادة الفارسية التي لم تضعف إلا بعد عهد كريم خان الزندي في عام ١٧٧٩ راجع بصدد ذلك :

Farroughy, Abbas, The Bahrein Islands, 750—1951, A Contribution to the study of Power Politics in the Persian Gulf pp. 67—69 New York 1951.

(٣) قدر الرحالة ابراهام بارسونز قيمة اللؤلؤ المستخرج من البحرين في عام ١٧٧٥ بستين ألف تومان عراق .

CF. Parsons, A., Travels in Asia and Africa P. 202.

لسيطرتهم . وقد أتيح للشاه عباس الكبير فى عام ١٦٠٢ أن يخلف البرتغاليين فى السيطرة على البحرين حين نشبت الخلافات الطائفية بين عناصر سكانها الشيعة والسنة فى أعقاب انهيار النفوذ البرتغالى ونجح الشاه عباس فى إرسال قوة بحرية عهد بقيادتها إلى قولى خان الذى نجح فى احتلال البحرين وأصبحت البحرين منذ السنوات الأولى من القرن السابع عشر الميلادى تحت الحكم الفارسى حيث تعاقب عليها العديد من الحكام الفرس. ويظهر من دراستنا لعهود أولئك الحكام عدم رضا سكان البحرين بالحكم الفارسى ، وبالتالى كانت البحرين مهيأة لقبول حكم عربى يسود فى عهده الأمن ويحقق العدالة بين طوائف السكان[1]. وقد تقدمت من أجل ذلك قوتان عربيتان هما الأئمة الاباضيون فى عمان وآل خليفة من جماعات العتوب . ومما يستلفت الانتباه أن تقدم الأئمة الإباضيين للسيطرة على البحرين قد تميز بالنزعة الطائفية إذ يعتبر شيعة البحرين الإباضيين من الخوارج وبذلك وقف الخلاف الطائفى حائلا دون نجاح الإباضيين فى عمان فى اخضاع البحرين لنفوذهم رغم المحاولات العديدة التى بذلوها من أجل ذلك . ولعل أبرز تلك المحاولات حدثت على عهد الامام سيف بن سلطان من أسرة اليعاربة حين انتهز فرصة الاضطرابات التى حدثت فى المملكة الفارسية فقام بحملة كبيرة على البحرين فى عام ١٧٠٠ وفر شيعة البحرين إلى القطيف ، كما لجأ بعضهم إلى السواحل الشرقية للخليج وقد أثار غزو اليعاربة للبحرين ثائرة فارس ومن ثم عزم الشاه حسين رغم تهالك قوته على تخليص البحرين من سيطرة اليعاربة واضطر إلى الاستعانة بالشركات الأوربية التجارية العاملة فى الهند وجزر الهند الشرقية[2] حيث أرسل بعثة برئاسة ميرزا نصر إلى بومباى فى عام ١٧٠٧ للاستعانة بشركة الهند الشرقية البريطانية كما توجهت بعثة أخرى إلى باتافيا للاستعانة بشركة الهند الشرقية الهولندية، ولما كانت هاتان الشركتان لا تزالان حتى ذلك الوقت تسعيان إلى الربح المادى ولم تكن أى منهما تضع المغامرات العسكرية

---

(١) على أبا حسين : تاريخ البحرين من خلال المخطوطات والوثائق ص ص ٢٤٦-٢٤٧ من أعمال الحلقة الرابعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية أبو ظبى نوفمبر ١٩٧٩ .

(٢) Curzon G. Persia and The Persian Question vol. II P. 484. See also Bombay Govt. S.R.B,G. Muscat vol. XXIV P. 168 SQ.

فى حسبانها فقد فشلت هاتان البعثتان[1]، مما دفع الشاه إلى ارسال بعثة ثالثة للبلاط الفرنسى نجحت فى التفاوض على معاهدة صداقة بين فارس وفرنسا فى عام ١٧٠٨ وكان ذلك على عهـــد لويس الرابع عشر، وجاء فى بعض نصوص هذه المعاهدة على أن تمد فرنسا فارس بكل ما تحتاجة من مساعدة ووسائل نقل بحرى لاحتلال مسقط، ولكن فرنسا لم تلبث أن ترددت فى تنفيذ تلك المعاهدة مما دفع فارس إلى تكليف سفيرها فى باريس بأن يتفاوض من أجل عقد معاهدة أخرى تعطى فرنسا امتيازات تجارية أكثر مما قررتها المعاهدة السابقة وكانت المعاهدة الجديدة تنص على أن تساعد فرنسا فارس فى تخليص البحرين من الاحتلال العمانى وتوافق فارس من ناحيتها على إبقاء حامية عسكرية فرنسية، وأن تشترك فرنسا مع فارس فى اقتسام موارد اللؤلؤ فى البحرين؛ غير أن تلك المعاهدة لم يتم المصادقة عليها وبالتالى لم تصـــل إلى مرحلة التنفيذ وفيما يرجح أن المشكلات الخارجية العديدة التى كان يواجهها لويس الرابع عشر لم تتح الفرصة لتنفيذها[2] .

ومما تجدر الاشارة إليه أيضا أن فارس اتجهت فى محاولتها اجلاء العمانيين عن البحرين إلى الاستعانة بالبرتغاليين فى قاعدتهم الرئيسية فى جوا بالهند وحدث ذلك فى عام ١٧١٨ مما أثار ثائرة الإنجليز الذين أخذوا من جانبهم يقدمون مساعداتهم إلى سلطان بن سيف إمام عمان مما مكنه من تثبيت سيطرته على البحرين، ولكن العداء الذى واجهه العمانيون من عرب الهولة فى البحرين كان من أهم الأسباب التى دفعت بإمامة عمان إلى الدخول فى مفاوضات مع فارس وقد قبلت فارس أن تدفع لعمان ثمانية آلاف تومان فارسى مقابل انسحاب القوات العمانية من البحرين ووافق اليعاربة على ذلك وتم انسحابهم من البحرين بالفعل فى عام ١٧١٨ . على أن ذلك لم يؤد إلى استقرار الأوضاع فى البحرين إذ ترتب على السيطرة الفارسية إثارة التعصب

---

(١) أحمد محمود صبحى : البحرين ودعوى إيران ص ٧٠ .

(٢) CF. Masson, Histoire du Commerce Francais dans le levant au 18 siècle P. 525. See also Flasson, Histoire de la Diplomatique Francais, Livre II, D'Avrile, La Golfe Persique P. 7 SQ.

المذهبي بين السنة والشيعة مما أحال البحرين إلى فوضى عارمة . ومما يستلفت الانتباه أنه على الرغم من أن فارس استطاعت أن تسيطر على البحرين منذ عام ١٧١٨ إلا أنها لم تمارس الحكم بصورة مباشرة إذ سيطر عرب الهولة على حكم البحرين تحت السيادة الفارسية حتى تمكن زعيم الهولة من التخلص من تلك السيادة وشجعه على ذلك تداعى حكم الشاه حسين[١] ؛ وتعرض فارس للغزو الأفغانى واستمر الشيخ جبارة زعيم الهولة بحكم البحرين خلال الفترة ١٧١٨ حتى أطاح به نادر شاه فى عام ١٧٣٦ . ولم يلبث عرب الهولة أن استردوا زعامتهم على البحرين على أثر اغتيال نادر شاه فى عام ١٧٤٧[٢] ولكن سيادة عرب الهولة لم تلبث أن انهارت حين قام الشيخ نصر آل مذكور وهو شيخ عربى من قبيلة المطاريش التى تنتمى أساسا إلى عمان بالقضاء على نفوذهم فى عام ١٧٥٥ ، وقد عهد كريم خان الزندى للشيخ نصر آل مذكور الحكم فى البحرين بالاضافة إلى بوشهر وبندر ريق حتى تم لآل خليفة القضاء على حكم آل مذكور فى البحرين فى عام ١٧٨٣[٣] .

ويمكننا أن نستخلص مما أوردناه أنه على الرغم من أن البحرين كانت تخضع للسيادة الفارسية إلا أن القبائل العربية هى التى كانت تمارس الحكم الفعلى فى البحرين ، وكثيرا ماكانت هذه القبائل تقوم بالثورة على التبعية الفارسية ولعلنا قد لاحظنا ذلك فى المحاولات العديدة التى قام بها عرب الهولة من أجل التخلص من السيادة الفارسية . ومما يسترعى الانتباه أنه قد عاصر وصول المطاريش أو عرب بوشهر إلى حكم البحرين هجرة آل خليفة إلى الزبارة فى عام ١٧٦٦ وذلك بعد انشقاقهم عن تحالف العتوب حيث بدأت العلاقات بين الفريقين ، والتى انتهت بنجاح آل خليفة فى السيطرة على البحرين وحين وفد آل خليفة إلى شبه جزيرة قطر لم يتمكنوا من السيطرة إلا على ميناء الزبارة أما بقية شبه الجزيرة القطرية فقد كانت تقطن بها مجموعات قبلية

---

(١) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ٢٠٠ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ١٢٧٠ .

(٣) النبهانى : التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية المجلد السادس البحرين ص ١٧٤ .

بلغت درجة كبيرة من التعقيد فهناك المناصير وبنى مرة وقسم من قبيلة النعيم وآل بوعينين وآل سودان ، وكانت هذه القبائل تسكن مناطق وقرى مختلفة من شبه جزيرة قطر كالوكرة والفويرط والبدع (الدوحة فيما بعد) [1]. ومن الثابت أيضا أن شبه جزيرة قطر برمتها كانت تخضع فى ذلك الوقت لنفوذ بنى خالد فى الاحساء ، وكما يذكر صاحب كتاب لمع الشهاب فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن آل مسلم أبرز قبائل قطر ينتمون أساساً إلى قبيلة ربيعة وهم بذلك كانوا يعدون فرعا من فروع بنى خالد وكانوا يقيمون فى الحويلة الواقعة على الساحل الشرقى من شبه جزيرة قطر [2] ، وكانوا يستمدون نفوذهم من علاقتهم ببنى خالد . وقد تمكن آل خليفة أخيرا من الاستقرار فى ميناء الزبارة المواجه لجزر البحرين ومن ذلك الميناء بدأوا يوجهون طموحهم للسيطرة على تلك الجزر [3] .

وبصدد سيطرة آل خليفة على البحرين تؤكد بعض المصادر الفارسية أن الشيخ أحمد بن خليفة ألح على الشيخ نصر آل مذكور شيخ بوشهر والبحرين على أن يترك له حكم البحرين مقابل دفع جزية سنوية إلى أمير شيراز ووافق الشيخ نصر على ذلك وأصبح الشيخ أحمد بن خليفة حاكماً على الزبارة والبحرين تحت السيادة الفارسية . على أن ما ذكرته المصادر الفارسية كان أمراً لا يتفق مع منطق الأشياء إذ أن الشيخ نصر حاكم بوشهر كان يخضع البحرين لسيطرته ، ومن الطبيعى ألا يقبل أن يحل غيره فى حكم البحرين ، كذلك تذكر بعض المصادر الفارسية الأخرى بأن سيطرة آل خليفة على البحرين حدثت بعد وفاة الشيخ نصر آل مذكور فى عام ١٧٧٧ وأن الشيخ أحمد بن خليفة انتهز فرصة وفاة الشيخ نصر ليكتب إلى كريم خان

---

(١) Kelly J,, Britain and the Persian Gulf CF Chapter I, The Persian Gulf in the Late Eighteenth.

(٢) لمع الشهاب فى تاريخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٦٩ .

(٣) ج . ج لوريمر : دليل الخليج القسم التاريخى ج ٣ ص ص ١٢٧٣ — ١٢٧٤ .

الزندى كى ينيبه عنه فى حكم البحرين ، وقبل كريم خان هذا الطلب الذى يعنى اعتراف آل خليفة بالسيادة الفارسية ودفع الجزية للخزانة الفارسية بنفس القدر الذى كان يتحصل من شيوخ بوشهر ، ولكن ما كاد الشيخ أحمد ابن خليفة يصل إلى تحقيق هدفه هذا حتى بدأ يتخلص من دفع الجزية لفارس وأعانه على ذلك اغتيال كريم خان الزندى فى عام ١٧٧٩ وتعرض الأقاليم الفارسية للاضطراب والفوضى ، وفى أثناء فترة الاضطرابات هذه عمل شيوخ بوشهر على استرجاع سيطرتهم على البحرين مما دفع بالشيخ أحمد بن خليفة إلى التراجع إلى الزبارة . وحين نجح شيوخ بوشهر فى السيطرة على حكم البحرين استعان آل خليفة بالقواسم والجلاهمة ، وبفضل المساعدات التى قدمت لهم نجح أحمد بن خليفة فى دخول البحرين وهرب حكام البحرين من آل مذكور ليستعينوا بالسلطات الفارسية فى الخليج ؛ بيد أن أحمد بن خليفة فوت عليهم الفرصة حين أعلن بعد وصوله إلى حكم البحرين استعداده لدفع الجزية إلى أمير شيراز ولم تكن فارس تطلب من حكامها المحليين أكثر من دفع الجزية والاعتراف بسيادتها . ويؤكد المؤرخ الايرانى صادق نشأت أن الشيخ أحمد بن خليفة ظل طوال حياته لا ينكر ارتباط البحرين بفارس كما ظل لعدة سنوات يدفع الجزية باعتباره تابعاً لأمير شيراز[١] . وإذا دققنا النظر فيما ذكرته المصادر الفارسية بشأن استيلاء آل خليفة على البحرين نجد أن الروايات التى أثيرت بصدد ذلك تحفل بكثير من المتناقضات[٢] . ولذلك فقد يكون من الأسلم أن نأخذ بما ذكرته المصادر العربية والوثائق البريطانية التى تقرر أن آل خليفة وصلوا إلى حكم البحرين بعد تخليصها من السيادة الفارسية وأن البحرين كانت موضع اهتمامهم منذ استقرارهم فى الزبارة ، وقد اتخذ الشيخ خليفة بن محمد بعد نزوله فى الزبارة عدة إجراءات استهدف بها تقوية نفوذه فنزل عند قبيلة آل بنعلى وتزوج منهم وبعد مصاهرته لتلك القبيلة قويت صلاته ونفوذه لدى القبائل الأخرى

---

(١) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ص ١٢٦ .

انظر أيضا Farroughy, Abbas, Bahrein Islands pp. 67 FF.

(٢) أحمد محمود صبحى : مرجع سبق ذكره ص ص ٨٠/٨١ .

وعزز ذلك سيرته الحسنة بين الناس ، وفى الزبارة شيد لنفسه بيتاً محصناً لا تزال أطلاله قائمة حتى وقتنا الحاضر ويعرف بقلعة مرير . وفى البداية اعترف الشيخ خليفة بن محمد بسلطة آل مسلم باعتبارهم نواباً لبنى خالد فى قطر وكان يدفع لهم الخراج كأية قبيلة أخرى تقطن فى شبه جزيرة قطر ولكن بعد أن نمت ثروة آل خليفة وازداد نفوذهم امتنعوا عن دفع الخراج وتحصن الشيخ خليفة بالقلعة التى بناها وكانت هذه القلعة أساساً لنفوذ آل خليفة فى الزبارة كما أنها اتخذت نقطة وثوب على البحرين[1]. وساعدت الأحداث التاريخية التى مرت على الخليج العربى فى تطور مركز الزبارة فقد هاجر إليها تجار البصرة الأثرياء أثناء الاحتلال الفارسى للبصرة ١٧٧٦/ ١٧٧٩ كذلك هاجر إليها الجلاهمة وهم الفرع الثالث من تحالف العتوب بعد انشقاقهم عن آل صباح ، كما أخذت تتركز فى الزبارة تجارة شرق الجزيرة العربية والهند فضلا عن أنها أصبحت مركزاً هاماً لتجارة اللؤلؤ . ولا شك أن هذا التطور الذى حدث فى ميناء الزبارة قد أثار مخاوف الشيخ نصر آل مذكور حاكم بوشهر والبحرين ولذلك أصبح غزو الزبارة من أهم الأهداف التى سعى إليها ذلك الحاكم وقد وجد الشيخ نصر تشجيعاً من حاكم إقليم فارستان فكان أن بدأ مناوشاته مع آل خليفة وقد نبهت تلك المناوشات آل خليفة إلى الخطر الذى بدأ يحدق بهم من البحرين ولذلك ما كادت تتردى الأقاليم الفارسية فى الاضطرابات التى وقعت بعد اغتيال كريم خان الزندى فى عام ١٧٧٩ حتى انقضوا على البحرين وبعد صدام مسلح تمكن آل خليفة من العودة إلى قاعدتهم فى الزبارة بعد استيلائهم على الكثير من الاسلاب وكان من بينها إحدى السفن التابعة للشيخ نصر حاكم بوشهر والتى كانت راسية فى إحدى موانى البحرين[2] . واستجابة لتعليمات مراد خان حاكم إقليم فارستان أعد الشيخ نصر حملة تأديبية ضد

---

(١) صادق عبدوانى : علاقات الدولة السعودية الأولى مع دول شرق الجزيرة العربية ١٧٥٠ — ١٨٢٠ ص ٤٧ القاهرة ١٩٧٢ .

(٢) ج . ج لوريمر : مرجع سبق ذكره جـ ٣ ص ص ١٢٧٣ — ١٢٧٤ . انظر أيضا محمد خليفة النبهانى : التحفة النبهانية فى إمارات الجزيرة العربية القسم السادس البحرين ص ص ١٢٣ ، ١٢٧ وما بعدها .

آل خليفة فى الزبارة فى عام ١٧٨٢ وانضم إلى هذه الحملة عرب بندر ريق ودوستان وغيرهم حيث نجحت فى حصار الزبارة ولما عجز آل خليفة عن مقاومة ذلك الحصار عرض شيوخ آل خليفة الصلح ورد الاسلاب إلى الشيخ نصر وتوسط الشيخ راشد حاكم رأس الخيمة فى الخلاف الذى نشب بين الطرفين ، ولما فشلت مفاوضات الصلح بادر الشيخ نصر بشن هجوم على الزبارة بعد أن استطاع أن يجذب إليه بعض القوى العربية ضد آل خليفة ومن بينها الشيخ راشد زعيم القواسم الذى حول موقفه تجاه آل خليفة واتجه به إلى موقف معادى . ولكن القوات المهاجمة فشلت فى اسقاط قلعة الزبارة وانتشى آل خليفة بنجاحهم فى صد ذلك الهجوم وأخذوا يتعقبون القوات المغيرة ولم يثنهم عن تعقبها إلى البحرين سوى افتقارهم إلى وسائل النقل والمدلك ما كاد آل خليفة يتلقون عوناً من الجلاهمة وآل صباح حتى نجحوا فى مد سيطرتهم على البحرين فى عام ١٧٨٣ . [١] ولا شك أن آل خليفة قد استغلوا الظروف السياسية الحرجة التى كانت تمر بها فارس ومن بينها تفكك أسرة الزند وحالة الفوضى التى سبقت وصول أسرة قاجار إلى الحكم. ومما تجدر الإشارة إليه أنه شارك آل خليفة فى السيطرة على البحرين بالاضافة إلى الجلاهمة وآل صباح بعض القبائل القطرية والتى كان من أبرزها آل مسلم من الحويلة وآل بنعلى من الفويرط وآل سودان من الدوحة وآل بوعينين من الوكرة والقبيسات من خورحسان وآل سليط من الدوحة والسادة والدواسر من داخل شبه الجزيرة القطرية . وكان من أثر ذلك الهجوم الذى تزعمه آل خليفة أن استسلمت الحامية الفارسية فى حصن المنامة فى ٢٩ يولية ١٧٨٣ وسمح آل خليفة لأفرادها بالعودة إلى بوشهر بعد شهرين من الحصار [٢] .

والأمر الذى يستلفت الانتباه أن توسع آل خليفة فى البحرين كان ظاهرة طبيعية للانتعاش الذى حققته الزبارة إذ أن المدينة لم تعد تستوعب

---

(١) Bombay Government, op. cit. CF Historical Sketsh of The Utoobee tribe of Arabs P. 364. ff See also Report by Captain Tyler R. relating to Oman and adjoining countries.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٢٧٤ .

التصاعد الواضح فى نمو السكان الذين تدفقوا عليها من نجد والكويت كما أن آل خليفة اتجهوا إلى التوسع فى البحرين بينما لم يفكروا فى التوسع على حساب شبه جزيرة قطر ، وربما يرجع تعليل ذلك إلى أنهم ظلوا محافظين على علاقات حسن الجوار مع بنى خالد، كما أن التوسع السعودى إلى سواحل الخليج هو الذى دفع آل خليفة للاتجاه صوب البحرين لعدم وجود أسطول للسعوديين يستطيع أن يتعقبهم داخل تلك الجزر [١] . وبالإضافة إلى الظروف السياسية المضطربة التى كانت تمر بها فارس كانت الأوضاع الداخلية فى البحرين مساعدة لآل خليفة للسيطرة عليها ونعنى بذلك الخلافات المذهبية الحادة بين الطائفتين الإسلاميتين السنة والشيعة ؛ وقد أدت هذه الخلافات إلى مقتل أحد أفراد آل خليفة فى جزيرة سترا مما دفع الشيخ أحمد بن خليفة إلى شن حملة على البحرين . وحين استنجد شيعة البحرين بأمير شيراز أصدر أوامره إلى شيخ بوشهر بتجهيز حملة للسيطرة على الزبارة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ثم تطور النزاع إلى السيطرة على البحرين من قبل آل خليفة .

وعلى أية حال فإن ضم البحرين إلى الزبارة يرتبط بالشيخ أحمد بن خليفة الذى لقب بأحمد الفاتح وقد ظل مقيما فى ميناء الزبارة حتى وفاته بينما ترك الحكم فى البحرين لإثنين من أبنائه ولم ينتقل مركز الحكم إلى البحرين إلا بعد وفاته حين اتفق ابنا الشيخ أحمد فيما بينهما على استمرار مشاركتهما فى الحكم حيث اتخذ الأول مدينة الرفاع مركزا الحكمة واتخذ الثانى من جزيرة المحرق مركزا له ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا التقليد ظل متبعا فى البحرين حتى عام ١٨٦٨ حين توحدت السلطة فى البحرين وانفصلت الزبارة عن تبعيتها لآل خليفة لتشكل مع بقية أجزاء قطر إمارة قائمة بذاتها [٢] .

---

(١) أحمد مصطفى أبوحاكمة : تاريخ الكويت ج ١ القسم الأول ص ص ١٨٨/١٨٩.

(٢) عن انفصال قطر عن البحرين انظر : جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠–١٩١٤ ص ص ١٧٨/١٧٩ القاهرة ١٩٦٦ .

تطور إمارة البحرين والعلاقات بينها وبين القوى المجاورة لها .

وفى غضون العشرين عاما الأولى من حكم آل خليفة للبحرين ١٧٨٣/١٨٠٣ تقدمت البحرين تقدما سريعا فى النواحى التجارية وكان مقدرا لها أن تنتزع من مسقط أهميتها التجارية يساعدها على ذلك وقوعها فى منطقة تتوسط مضيق هرمز وشط العرب ومقدرتها على التحكم فى التجارة العابرة فى الخليج ، كما أن التدهـــور الذى لحق بالبصرة دفع عملية التطـــور الإقتصادى فى البحرين دفعة كبيرة ، كما يرجع الفضل فى الازدهار التجارى الذى حققته البحرين إلى حكامها الجدد من آل خليفة الذين برزت قدراتهم التجارية فى الكويت أولا ثم فى الزبارة ثانياً . والأمر الذى لاشك فيه أيضا أن ازدهار موارد الثروة فى البحرين قد أثار الأطماع الفارسية حيث ضاقت فارس ذرعاً بضياع البحرين منها ؛ وإن كان اضطراب الأوضاع بها قد حال بينها وبين العودة لمحاولة استرجاع البحرين كما أن آل خليفة رأوا فى بداية حكمهم ترضية فارس وذلك بدفع مبلغ من المال سنويا إلى أمير شيراز ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة وخاصة بعد أن أيقن شيوخ آل خليفة أن فارس لم تعد تشكل خطراً عليهم [١] . على أنه فى الوقت الذى لم تعد فيه فارس تشكل خطراً على آل خليفة كانت هناك أخطار أخرى تتربص بهم ولعل أهم تهديد واجهه آل خليفة كان من قبل سلطنة مسقط حيث قام سلطان بن أحمد بمحاولات ثلاث للسيطرة على البحرين فى أعوام ١٧٩٩ و ١٨٠١ و ١٨٠٣ على التوالى [٢] . وكان ذلك مما دفع آل خليفة للاستنجاد بالقوى المجاورة لهم دفعا لتلك الغزوات ففى الحملة الأولى التى وجهتها مسقط إلى البحرين بادر آل خليفة بالاستنجاد بأعدائهم القدامى شيوخ بوشهر حيث أعربوا لهم بأنهم على استعداد لتأكيد السيادة الفارسية ودفع الجزية السنوية لفارس [٢]، وكان من أثر المساعدات الفارسية التى قدمت

---

(١) جون كلى : بريطانيا والخليج ج ١ ص ص ٥٢/٥٤ .

(٢) عن محاولات سلطان بن أحمد السيطرة على البحرين راجع كتابنا دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ص ٧٧ — ٧٨ .

لشيوخ آل خليفة فشل حملة مسقط الأولى التي لم تسفر عن شيء سوى احتلال جزيرة خرج في عام ١٨٠٠ ، ولكن ذلك الاحتلال لم يستمر طويلا إذ اضطرت القوات المسقطية إلى اخـلائها . وفي عام ١٨٠١ خرج سلطان بن أحمد في حملة ثانية لاحتلال البحرين ونجح في السيطرة عليها بالفعل حتى أنه نصب ابنه سالما واليا عليها ولما كان سالم هذا حدثا صغيرا فقد جعل في معيته الشيخ محمد بن خلف وكان ينتمي إلى المذهب الشيعي وفيما يبدو أنه قصد بذلك إلى إرضاء شيعة البحرين ، ولكنه في نفس الوقت أساء إلى العتوب الذين نقضوا عهدهم معه لما بينهم وبين الشيعة من العداء المذهبي [١] . كذلك حرص سلطان بن أحمد أن يأخذ من البحرين مجموعة من الرهائن كانت ممثلة في خمسة وعشرين شخصا من أعيان البحرين كما وضع حامية من الجنود التابعين له في قلعة عراد بالمحرق وأرغم آل خليفة على مغادرة البحرين فالتجأوا إلى الزبارة . ويرى الباحث الإيراني فريدون أداميات أن هذه الحمـلة كانت بتنسيق تم بين سلطان مسقط وحاكم شيراز وأن فارس وافقت بعد تردد على إرسال تلك الحملة مقابل مشاركتها مسقط في إيرادات البحرين، وأنها أسهمت في هذه الحملة بألفي فارس وألفين من المشاة وقدمت تلك القوة من قبل شيخ بوشهر وحسين على ميرزا حاكم إقليم فارستان [٢] .

ولكن لم يلبث أن تمكن آل خليفة من استرداد البحرين وأعانهم على ذلك ظهور القوة السعودية في الاحساء حيث تمكنوا من طرد الحامية المسقطية من البحرين وأجبروا النائب الذي وضعه سلطان بن أحمد من قبله لحكم البحرين

---

(١) ابن رزيق : الفتح المبين في تاريخ السادة البوسعيديين ص ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ وكذلك النبهاني : التحفة النبهانية — البحرين ص ١٣٠ .

(٢) Adamyiat F., Bahrein Islands P, 37.

انظر أيضا ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج٣ص ص ١٢٧٧ — ١٢٧٨ .

على مغادرة الجزيرة[١] . وحين توجه سلطان بن أحمد إلى البحرين للانتقام من آل خليفة فى عام ١٨٠٣ كان واضحا أنهم قد ألقوا بأنفسهم فى أحضان السعوديين ولذلك آثر سلطان مسقط الانسحاب وخاصة أن القوات السعودية كانت تهدد الأراضى العمانية ذاتها[٢] . وهكذا أسفرت محاولات سلطان مسقط عن فشل ذريع ولم يجن منها سوى نقمة آل خليفة عليه حيث ظلوا يتربصون به حتى تمكنوا من اغتياله فى عام ١٨٠٤ بالاشتراك مع جماعة من القواسم[٣] .

غير أنه لم يكد آل خليفة يتخلصون من نفوذ كل من فارس ومسقط حتى وجدوا أنفسهم خاضعين للنفوذ السعودى بل ولم يلبث أن جرهم السعوديون فى عام ١٨٠٣ إلى توجيه حملة ضد مسقط ، وبطلب من السعوديين أيضا أبحر أسطول آل خليفة إلى مسقط فى عام ١٨٠٥ وكان ذلك بهدف مراقبة الأحداث التى نجمت عن اغتيال سلطان بن أحمد ومما يستلفت الانتباه أن خضوع البحرين للضغوط السعودية أدى إلى تحويل موقف حكامها إذ ما كاد بدر بن سيف يصل إلى السلطة فى مسقط حتى بادر آل خليفة باعلان تحالفهم مع مسقط بل أخذوا يدفعون إليها مبالغ من المال ؛ وهى المبالغ التى كانوا قد أهملوا دفعها لسلطنة مسقط من قبل ، واستنادا إلى ذلك التحالف أعلنوا فى عام ١٨٠٩ رفضهم طلب السعوديين الاشتراك مع القواسم فى حملة بحرية ضد مسقط أو ضد إخوانهم آل صباح فى الكويت[٤]

أسفر عن هذا الموقف المعادى للسعوديين من قبل شيوخ آل خليفة أن أصدر الأمير السعودى فى عام ١٨١٠ أمرا بتعيين عبدالله بن عفيصان ليكون وكيلا

(١) Bombay Government, op. cit. CF Historical Sketsh of the Rise and Progress of the Government of Muscat vol, XXIV P. 173 FF.

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٢٧٨ .

(٣) محمد مرسى عبد الله : إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ص ١٩٠ .

(٤) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٢٧٩ .

عنه للإشراف على شئون البحرين وقطر والاحساء ، وقد اتخذ عبد الله ابن عفيصان من البحرين قاعدة له بيد أنه حدث فى العام التالى أن اضطر السعوديين إلى تقليص قواتهم فى الزبارة والبحرين والاحساء وذلك بسبب التوتر فى الجبهة الغربية نتيجة تقدم القوات المصرية التركية فى هذا الاتجاه وقد أفاد هذا الوضع السيد سعيد بن سلطان الذى استطاع أن يخلص البحرين من النفوذ السعودى [1]، مما كان يبشر بتحالف وثيق بين مسقط وآل خليفة ولكن ذلك التحالف لم يقدر له الاستمرار طويلا إذ أن طموح مسقط فى السيطرة على البحرين دفعت آل خليفة فى عام ١٨١٦ إلى الاستنجاد بالسعوديين ضد سلطان مسقط ؛ كما دخلوا فى علاقات تحالف مع القواسم وخاصة بعد أن وضع رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة نفسه تحت لواء مسقط .

نخلص من ذلك أنه لم تكن هناك سياسة ثابتة لشيوخ آل خليفة بالنسبة لعلاقتهم بكل من فارس ومسقط والسعوديين والقواسم وإنما كانت سياستهم تتحدد طبقاً للظروف أو الأخطار التى يواجهونها فحينما استولى سلطان ابن أحمد على البحرين استعان آل خليفة بالسعوديين وحين سيطر السعوديون على البحرين استعان آل خليفة بألد أعدائهم وهو سلطان مسقط وحين ضغط السعوديون على البحرين فى عام ١٨١٧ أرسل آل خليفة رسالة يستنجدون بها بالفرس وأنهم يتطلعون إلى الشاه فى مساعدتهم ضد (خطر الوهابيين) ، ورغم أننا لانستبعد أن تكون هذه الرسالة قد صدرت بالفعل من شيوخ آل خليفة ؛ وذلك فى محاولة منهم استغلال العداء المذهبى بين الفرس والسعوديين ، إلا أن الملاحظ أن كثيراً من المصادر الإيرانية تركز على هذه الرسالة باعتبارها بمثابة اعتراف من شيوخ البحرين بالسيادة الفارسية عليهم . وفى يقيننا أن هذه الرسالة لم تكن إلا مجرد إثارة الناحية المذهبية بهدف تدخل الفرس

---

(١) تركز المصادر الفارسية على الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة وأن فارس كانت تتجه للتحالف مع سلطنة مسقط لتخليص البحرين من النفوذ السعودى ولم يقف حائلا دون ذلك إلا طموح السيد سعيد فى السيطرة على البحرين انظر :

Adamyiat F., Bahrein Islands P. 62 —65.

لإنقاذ البحرين من نفوذ السعوديين ، ولا تدل هذه الرسالة على شيء أكثر مما تدل عليه رسالة أخرى طلب فيها آل خليفة النجدة من السعوديين ضد سلطان مسقط ، أو رسالة ثالثة طلب فيها آل خليفة من السيد سعيد العون ضد السعوديين . على أنه منذ عام ١٨٢٠ بدأ آل خليفة يتطلعون إلى الحكومة البريطانية لحمايتهم ولم يكن هناك عقبة إزاء ذلك سوى أن بريطانيا كانت تعتبر البحرين ميناء من موانى القرصنة هذا على الرغم من أن آل خليفة لم يرتكبوا أية عمليات بحرية ضد السفن البريطانية إلا أن صداقتهم للقواسم وبيع القواسم أسلابهم فى البحرين جعل بريطانيا تقف هذا الموقف من شيوخ آل خليفة فى البحرين . ومع ذلك فعلى الرغم من العلاقة الوثيقة التى كانت تربط بريطانيا بالسيد سعيد سلطان مسقط إلا أنها لم تشأ أن تتدخل لمناصرته فى السيطرة على البحرين ، وعلى العكس من ذلك وقفت الحكومة البريطانية ضد المحاولات التى قام بها بهدف السيطرة على البحرين ومن ثم بدا واضحاً لشيوخ آل خليفة أن بريطانيا هى القوة الوحيدة التى يمكن أن تحميهم من أخطار جيرانهم ، ولذلك ما كادت بريطانيا تبرم معاهدة السلام العامة مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٢٠ حتى أعلن آل خليفة إنضمامهم إلى تلك المعاهدة[١] . وحين أدرك سلطان مسقط عدم اهتمام حكومة بومباى بالاستجابة إلى طموحه بشأن ضم البحرين اقترح على الشيخ سلمان والشيخ عبدالله بن خليفة — وكانا يقبضان على زمام الأمور فى البحرين أن يدفعا له مبلغ ثلاثين ألف كورونة كجزية سنوية[٢] مقابل تنازله عن المطالبة بالبحرين ، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإنجليز رفضوا الاشتراك كطرف ثالث فى الاتفاقية المقترحة لضمان دفع المبلغ المذكور ؛ ولما رأى شيوخ آل خليفة اعتراض الإنجليز استغلوا هذه الفرصة وخفضوا الجزية السنوية إلى ثمانية عشر ألف كورونة[٣] . غير أنه على أثر توقف شيوخ البحرين عن دفع الجزية المتفق عليها قام سلطان مسقط فى عام ١٨٢٨

---

(١) أحمد محمود صبحى : مرجع سبق ذكره ص ١٠٠ .

(٢) تعادل الكورونة ½ جنيه سترلينى .

(٣) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ١٤٨ .

بمحاولته الأخيرة لضم البحرين؛ غير أن مخططاته العسكرية لم تلبث أن منيت بفشل ذريع وذلك حين طلب شيوخ البحرين النجدة من السعوديين وحاول سلطان مسقط الاستفادة من هذا التحول المفاجىء فى سلوك شيوخ البحرين فطلب من الإنجليز مساعدته ، وتوجه فى هذه المرة إلى وزارة الخارجية البريطانية مباشرة مؤكداً الأضرار التى يمكن أن تنجم عن سيطرة السعوديين على البحرين ؛ غير أن هزيمة سلطان مسقط العسكرية فى البحرين وإصرار الحكومة البريطانية على موقفها الذى كان يتلخص فى أن ضم السيد سعيد للبحرين سوف يبعث الفوضى فى المنطقة جعلته ييأس من الحصول على أية انتصارات سياسية أو عسكرية حتى أنه أراق ماء وجهه فى سبيل عقد صلح مع شيوخ آل خليفة وتم ذلك بالفعل فى نوفمبر ١٨٢٩ (١) ، وفيما يبدو أن هزيمة السيد سعيد وضياع آماله فى الخليج كانت من أهم الأسباب التى دفعت به إلى توجيه اهتمامه إلى ميدان جديد أقل وعورة من الخليج وهو الميدان الافريقى حيث بدأ منذ ذلك الوقت يركز على القسم الافريقى من ممتلكاته أكثر من تركيزه على القسم الآسيوى منها ويهمنا أن نشير فى ذلك المجال أن الحروب التى دارت بين السيد سعيد سلطان مسقط وآل خليفة شيوخ البحرين لم تكن تتعارض مع معاهدة السلام العامة التى كان شيوخ البحرين طرفاً فيها ؛ وذلك لأن هذه المعاهدة كانت كما سبق أن أشرنا إلى ذلك لا تضع حظراً على الحرب النظامية ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصدرت حكومة بومباى أوامرها إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج لكى يعرض وساطته لإنهاء هذا النزاع ، وهو أمر تقبله السيد سعيد الذى كان متلهفاً إلى عقد صلح يتمكن بواسطته من تصفية مشاكله فى الخليج العربى ولكن على أثر إصرار شيوخ آل خليفة على أن يكون الإنجليز ضامنين لشروط ذلك الصلح

---

(١) تعزو وثائق بومباى فشل السيد سعيد فى محاولاته ضم البحرين إلى تخلى جيرانه الذين كان يعتمد عليهم ومن بينهم الشيخ طحنون حاكم أبو ظبى . على حين يؤكد كيرزون بأن بريطانيا كانت تحول دون أية قوة للسيطرة على البحرين بعد انضمامها إلى المعاهدة العامة انظر :

Bombay Government, S.R.B.G, vol. XXIV P. 381
See also G. Curzon, Persia and thc Persian Problem vol. II P. 458.

أعلن المقيم البريطانى سحب وساطته ، وكعقاب لهم أصدر المقيم البريطانى أوامره بسحب الطراد البريطانى الذى كان موجوداً فى مياه البحرين للمحافظة على النظام فى مواسم الغوص على اللؤلؤ ، ولذلك اضطر شيوخ آل خليفة إلى الموافقة على عقد الصلح الذى نص على ألا يتدخل أحد من الطرفين فى الشئون الداخلية للطرف الآخر إلى جانب تقديم كل من الطرفين عـونه للآخر حالة تعرض أحـدهما لهجوم من قبل طرف ثالث .

وعلى الرغم من عقد ذلك الصلح إلا أن العلاقات بين مسقط والبحرين ظلت يعتورها الشك وفقدان الثقة بدليل أن بريطانيا لم تدع شيخ البحرين للتوقيع على الهدنة البحرية الأولى التى عقدتها مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٣٥ ، وكان استبعاد بريطانيا لشيوخ البحرين من التوقيع على تلك الاتفاقية يعود لسببين هامين أولهما أن سلوكهم فيما يتعلق بسلامة أمن الخليج البحرى لم يكن خالياً من الشوائب ، أما السبب الثانى وهو الأهم فقد قدرت حكومة بومباى أنه إذا سمح لآل خليفة بالانضمام إلى الهدنة البحرية فقد يترتب على ذلك مطالبتهم السلطات البريطانية فى الخليج بحماية البحرين من الهجوم عليها حالة استئناف الحرب بينهم وبين سلطنة مسقط وهو أمر كانت ترفضه الحكومة البريطانية ، ومن ناحية أخرى أدى عدم تحديد الموقف البريطانى بشأن البحرين فيما يتعلق بعلاقاتها مع سلطنة مسقط أو فى عدم ضمان حمايتها إلى تطلع السعوديين للسيطرة عليها خاصة حين بدأ تركى بن سعود يوطد حكمه فى الاحساء وأخذ يطالب شيوخ آل خليفة بالزكاة ، ومن ثم خاض آل خليفة حروباً طويلة ضد السعوديين حيث تمكنوا من مهاجمة موانى القطيف والعقير إلى أن تم فى عام ١٨٣٦ عقد الصلح بينهم وبين الإمام فيصل بن تركى وإن كان وصول القوات المصرية إلى سواحل الاحساء فى عام ١٨٣٨ أصبح له أثر كبير فى تبـدل العلاقات بين آل خليفة والسعوديين من ناحية وبينهم وبين الحكومة البريطانية من ناحية أخرى[1] .

---

(١) انظر بصدد ذلك صورة الجنرال المحضر من طرف محمد أفندى رفعت المتضمن بيان الأحوال الصادرة من مادة البحرين وغيرها — محفظة ٢٦٧ وثائق القلعة (عابدين) .

الأوضاع الداخلية فى شبه جزيرة قطــر :

وبينما كانت الأمور تسير على هذا النحو فى البحرين كانت هناك تطورات أخرى مرت بها شبه الجزيرة القطرية ؛ ففى خلال الفترة من عام ١٧٨٣ وهو تاريخ سيطرة آل خليفة على البحرين حتى عام ١٨٢٦ وهو العام الذى انتهى فيه نفوذ الجلاهمة كان هؤلاء قد نجحوا فى أن يشكلوا فى قطر قوة يعتد بها إذ أن الجلاهمة اعتبروا المكافأة التى قدمها لهم آل خليفة غير لائقة بالتضحيات الكبيرة التى قدموها لآل خليفة ومكنوهم بها من السيطرة على البحرين ، وقد دفع الخلاف الذى قام بينهم وبين آل خليفة ، إلى مغادرتهم الزبارة التى كانت فى ذلك الوقت مركزا لحكم آل خليفة والتجئوا إلى الرويس ولذلك اتجه آل خليفة إلى العمل على التخلص منهم نهائيا وأخذ الصراع بينهما يحتدم حيث عبأ آل خليفة كل الموارد التى يمتلكونها واستأجروا عددا لا يستهان به من القوات المرتزقة مما دفع الجلاهمة إلى طلب الحماية السعودية ، وليس من شك فى أن الدعم البحرى الذى قدمه الجلاهمة للسعوديين هو الذى مكن لنفوذ الأخيرين فى كل من الاحساء وقطر والبحرين[1] . ومما يسترعى الانتباه أنه بينما حظيت مدينتا الزبارة وخور حسان فى شبه جزيرة قطر بشىء كبير من اهتمام المصادر المحلية لتاريخ الخليج حيث خضعت الأولى لنفوذ آل خليفة والثانية لنفــوذ الجلاهمة فإن بقية مناطق قطر لم تحظ بأى اهتمام باستثناء بعض اللمحات البسيطة التى وردت فى مؤلفات ابن بشر و ابن غنام وقد استطاع السعوديون نتيجة الغزوات المتتالية التى وجهوها إلى قطر اخضاع معظم مناطقها لسيطرتهم على أنه بانحسار النفوذ السعودى من قطر والاحساء بسبب تقدم القوات المصرية التركية بدأ يظهر نفوذ القبائل المحلية فى شبه جزيرة قطر وخاصة آل بوعينين فى البدع الذين اشتبكوا فى صراعات

---

(١) Bombay Govt., Op. cit. CF. Hisrorical Sketsh of The Utoobee Tribe of Arabspp 368—369.

وتذكر وثائق بومباى بصدد ذلك أن السعوديين نجحوا فى عام ١٨١٠ فى توحيد البحرين وقطر والقطيف فى إدارة واحدة عين عليها ابن عفيصان نائبا عن الأمير السعودى سعود ابن عبد العزيز .

حادة فى عام ١٨٢٨ مع شيوخ آل خليفة فى البحرين دمرت فيها قلاعهم كذلك يسجل لنا عام ١٨٣٥ تمرد أهالى الحويلة على سلطة شيوخ البحرين وكان الزعيم المتنفذ على الحويلة عيسى بن طريف زعيم قبائل آل بن على وقد حاول أن يتخذ من أبو ظبى قاعدة لعملياته ضد آل خليفة ولكنه فشل فى ذلك بسبب إصرار السلطات البريطانية فى الخليج على عدم الإخلال بمعاهدة السلام العامة . والأمر الذى لاشك فيه أن هذا الطابع الذى تميزت به قطر من حيث رفض قبائلها الخضوع لآل خليفة قد حولها إلى ساحة للحروب الأهلية التى نشبت بين شيوخ البحرين أنفسهم المتنازعين حول السلطة فى البحرين مما جعل بريطانيا تتجه فى سياستها إلى العمل على فصلها نهائيا عن البحرين حيث اعترفت بسلطة آل ثانى عليها منذ عام ١٨٦٨ ، ولذلك يعد ذلك التاريخ بداية انفصال قطر عن البحرين وبروزها كإمارة جديدة بعد أن كان يشار إليها قبل ذلك بتوابع البحرين كما نلحظ ذلك فى المعاهدات التى أبرمت بين بريطانيا وشيوخ البحرين بدءاً من معاهدة السلام العامة حتى عام ١٨٦٨ (١) .

---

(١) جمال زكريا قاسم الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤ من ص ١٧٨ – ١٧٩ .

الفصل الثالث عشر

البحرين في العلاقات البريطانية الفارسية
١٨١١ – ١٨٤٠

بدء العلاقات البريطانية بالبحرين – انضمام شيوخ البحرين إلى معاهدة السلام العامة ١٨٢٠ – اتفاقية شيراز ١٨٢٢ – تأكيد بريطانيا علاقتها بشيوخ البحرين ١٨٢٤ – انسحاب الانجليز من جزيرة خرج ١٨٤٠ ومحاولة فارس غزو البحرين – تصريح اللورد أبردين وأثره في بدء المباحثات الانجليزية الفارسية بشأن البحرين – موقف بريطانيا من الادعاءات الفارسية على البحرين .

* * *

الفصل الثالث عشر

البحرين فى العلاقات البريطانية الفارسية

١٨١٤ -- ١٨٤٠

دخلت البحرين فى دائرة اهتمام شركة الهند الشرقية منذ السنوات الأولى من القرن السابع عشر إذ كانت جزر البحرين من أولى المناطق التى اجتذبت اهتمام ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية فى الساحل الغربى للخليج العربى ؛ فعلى أثر إنشاء وكالة سورات فى عام ١٦١٣ اقترح توماس الدورث Aldourth الذى عين رئيسا لتلك الوكالة أن تأتى إلى البحرين السفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانجليزية ، ولما كانت شركة الهند الشرقية الانجليزية مهتمة فى ذلك الوقت بالتجارة مع فارس ، فقد فضلت إنشاء وكالات تجارية لها فى جاسك وبندر عباس على الرغم مما أشارت إليه سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية منذ عام ١٦٢٥ إلى أهمية جزر البحرين وغناها باللؤلؤ[١] . ولذلك كان من الطبيعى حين أخذت العلاقات فى التوتر بين شركة الهند الشرقية الانجليزية والحكومة الفارسية أن تعاود الشركة اهتمامها بالبحرين ، وفى عام ١٧٠٠ اقترح المستر أوين Owen وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية فى بندر عباس احتلال جزر البحرين حيث يمكن استخدامها للضغط على فارس من أجل استمرار التجارة الانجليزية والامتيازات التى تحصلت عليها الحكومة الانجليزية

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٣ ص ص ١٢٧١ — ١٢٧٢ .

من فارس . ومع ذلك لم تتخذ بريطانيا خطوات فعالة بالنسبة لعلاقتها بجزر البحرين إلا بعد عدة سنوات من استقرار آل خليفة فى حكم البحرين فى عام ١٧٨٣ . على أنه يمكن تحديد بداية تدخل الانجليز فى البحرين وعلاقتهم بشيوخ آل خليفة منذ عام ١٨١٤ حين توجه الكابتن بروس المقيم البريطانى فى الخليج إلى البحرين موفدا من حكومة بومباى وهناك تقابل مع حاكمها الشيخ عبد الله بن خليفة للتباحث معه فى بعض الشئون المتعلقة بضمان أمن الملاحة فى الخليج العربى[١]، ولما كان الشيخ عبد الله يعتبر هذه المبادرة هامة بالنسبة لتأكيد سيطرته على البحرين فقد أبدى استعداده لتنفيذ مطالب حكومة بومباى وذلك فى مقابل حمايته من التهديدات الفارسية التى كثيرا ما كان يتعرض إليها، وأبدى استعداده لمنع أتباعه ورعاياه من الاقتراب من أية سفينة ترفع العلم البريطانى وكذلك عدم التعرض لأرواح وممتلكات الرعايا البريطانيين . وبصدد ذلك كتب الكابتن بروس تقريرا إلى رؤسائه شرح فيه الفوائد التى يمكن أن تعود على شركة الهند الشرقية البريطانية من علاقتها بشيوخ آل خليفة وأهمية توقيع اتفاقية معهم . وكان مما جاء فى تقرير بروس « إن البحرين أصبحت الآن هى السوق الرئيسية لبيع منهوبات القراصنة فى الساحل العمانى كذلك أصبحت قاعدتهم التى يمونون فيها بالأرز والتمور وبالتالى فلا يمكن اعتبار البحرين سوى أنها ميناء يمارس القرصنة وخاصة أن عدداً كبيراً من سكانها اعتادوا أن يبحروا إلى رأس الخيمة وهناك يغيرون طاقم سفنهم وكان من المعتاد أن ينقل القواسم أسلابهم مباشرة إلى البحرين ومن هناك كانت تحمل أجزاء منها إلى كنجون وغيرها من الموانى المطلة على الساحل الشرقى للخليج بواسطة سفن الكويت وغيرها[٢]» .

وحين عرض تقرير بروس على حكومة بومباى لم تتخذ الحكومة أية بادرة بشأن تنفيذ ما جاء بمقترحاته إذ كان أهم ما يعنى حكومة بومباى فى ذلك الوقت هو التخلص من النشاط البحرى للقواسم الذى وصل إلى ذروته

---

(١) صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى ص ٣٠٣ .

(٢) ج . ج لوريمر ، مرجع سبق ذكره ج ٣ ص ١٢٨٢ .

ومن ناحية أخرى كانت الحكومة البريطانية تخطط سياستها فى الخليج على أساس تجنب أى صدام بينها وبين فارس إذ كانت الحكومة الفارسية لا تعترف بشرعية حكم آل خليفة فى البحرين وتعتبر البحرين لا تزال تابعة لها . على أنه من ناحية أخرى نجد أن بريطانيا قد استفادت من عدم امتلاك فارس لقوة بحرية فى الخليج واستطاعت بوسائلها الدبلوماسية تدعيم نفوذها فى المنطقة ومن ثم اقتصرت المواجهة بين بريطانيا وفارس على المواجهة السياسية ولم تصل إلى مواجهة عسكرية بين الطرفين . وأكثر من ذلك نجد أن فارس لم تعترض على حملة ١٨١٩ التى أرسلتها حكومة بومباى إلى رأس الخيمة وذلك بعد أن أكدت حكومة بومباى عدم اتجاهها للقيام بأية عمليات عسكرية على الشاطىء الفارسى ومن ثم قدرت فارس أهمية هذه الحملة للتخلص من نفوذ القوى العربية المتاخمة لها على سواحل الخليج العربى[١] .

ومما لاشك فيه أن حملة ١٨١٩ قد نبهت فارس إلى ضعف مركزها فى الخليج وعلى الرغم من أن السلطات الفارسية وجدت فى هذه الحملة تخليصا لها من نفوذ القوى العربية على نحو ما أشرنا إلا أنه من ناحية أخرى كانت تنظر إلى ما قد يترتب على هذه الحملة البريطانية من ضياع نفوذها فى الخليج ولذلك حاولت استثمار نتائج الحملة البريطانية لصالحها مستغلة فى ذلك السياسة العامة التى أعلنتها حكومة الهند البريطانية ، وكذلك التعليمات التى صدرت لقادة الحملة بالامتناع عن ممارسة أى لون من ألوان النشاط العسكرى فى سواحل بلاد فارس[٢] . وفيما يبدو أن حكومة الهند البريطانية كانت حريصة كل الحرص على عدم إثارة فارس فعلى الرغم من أنه كان من أهداف حملة ١٨١٩ البحث عن قاعدة بحرية لبريطانيا فى الخليج واختيرت جزيرة قشم من أجل ذلك بموجب تنازل من سلطان مسقط الذى

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ١٤٤ .

(٢) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ص ص ١٥٤ – ١٥٥ .

كان يعتبر تلك الجزيرة خاضعة لنفوذه إلا أن بريطانيا رأت مع ذلك ضرورة التباحث مع الحكومة الفارسية حول وضع جزيرة قشم وخاصة بعد أن تقدمت الحكومة الفارسية باحتجاج ضد احتلال القوات البريطانية للجزيرة ومن أجل ذلك أرسلت حكومة بومباى الجنرال مالكولم إلى البلاط الفارسى ليتباحث مع فتح على شاه حول القاعدة البريطانية فى قشم ، وكلف من قبل حكومة بومباى أن يدرس الأوضاع فى الجزيرة أثناء مروره عليها قبل وصوله إلى البلاط الفارسى وقد خلص مالكولم بعد دراسة قانونية قام بها إلى أن الجزيرة تابعة لسلطنة مسقط . وحين وضع نتائج دراسته هذه أمام السلطات الفارسية أبدت فارس معارضتها الشديدة وبادر فتح على شاه بارسال ممثل من قبله إلى بريطانيا لـكى يتباحث مع اللورد كاسارى وزير الخارجية البريطانية حول موضوع جزيرة قشم ولكى يؤكد أحقية فارس فى السيادة عليها وعلى غيرها من جزر وموانى الخليج العربى . وحين وجدت حكومة بومباى أن المباحثات الانجليزية الفارسية حول جزيرة قشم لاتشكل أية أهمية بالنسبة لها وخاصة بعد معاناة الحامية البريطانية فى تلك الجزيرة من جدب الحياة وقسوة المناخ فقد أصدرت أوامرها بالانسحاب منها ولم تكن الحامية البريطانية قد استقرت فى تلك الجزيرة أكثر من عامين[1]. ولكن حكومة الهند لم تلبث أن أوجدت أزمة جديدة مع فارس حين اتجهت إلى استبدالها بجزر البحرين إذ أنه فى استطاعتها فى هذه الحالة أن تؤكد لفارس بطريقة منطقية أن هناك فرقا كبيرا بين قشم والبحرين فإذا كان لدى الحكومة الفارسية ما يعزز مطالبها بالنسبة لجزيرة قشم حيث من الممكن أن تتذرع باقتراب الجزيرة من سواحلها فإن البحرين لا ينطبق عليها ذلك الوصف لأنها منفصلة عن فارس بخليج واسـع وأنها أكثر التصاقا بالسواحل العربية منها بالسواحل الفارسية فضلا عن استقرار آل خليفة بالحكم بها وعدم اعترافهم بالسيادة الفارسية عليهم . وحين أدرك ساسة الفرس السياسة

---

(١) عن جزيرة قشم ومحاولة بريطانيا اتخاذها قاعدة النظر :

S.R,B.G. vol. XXIV P. 317.

وكذلك ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ١٠٣١ .

وجون كلى : بريطانيا والخليج جـ ١ ص ص ٢٧٧ — ٢٨٨ حيث أورد دراسة مفصلة .

التوسعية البريطانية فى الخليج رأوا ضرورة تقوية مركز فارس بارسال حملة عسكرية لضم البحرين فى عام ١٨٢٢ (١). وكان الدافع إلى هذه الحملة عاملين أولها اتجاه حكومة الهند إلى توثيق علاقتها بشيوخ آل خليفة، وثانيهما ما أقدمت عليه حكومة الهند بالفعل من اشراك شيوخ البحرين فى معاهدة السلام العامة التى وقعت مع شيوخ الساحل العمانى فى عام ١٨٢٠ وما يعنيه ذلك من الاعتراف بشيوخ آل خليفة كحكام مستقلين عن أية تبعية فارسية(٢) ومن الطريف فى الأمر أن حسين على ميرزا حاكم إقليم فارستان طلب من الجنرال جرانت كير خمس سفن لنقل الجنود واستند فى ذلك إلى معاهدة طهران الموقعة بين بريطانيا وفارس فى عام ١٨١٤ والتى كانت تنص على أنه إذا طلب صاحب الجلالة الشاه العون من الحكومة البريطانية فإنها تقدم له ذلك العون إذا كان هذا العون مرضيا ويمكن تنفيذه عمليا. وكان من الطبيعى أن ترفض بريطانيا تقديم مساعدتها لفارس فى غزو البحرين واعترضت على مطلب الحكومة الفارسية بأن معاهدة طهران لا تلزم بريطانيا بتقديم المساعدة إذا لم تكن فارس هى المعتدى عليها أى أن معاهدة طهران كانت معاهدة دفاعية وليست معاهدة هجومية(٣).

ولما كانت فارس لا تملك القوة البحرية التى تعينها فى ضم البحرين فقد اتجهت إلى طلب المساعدة من سلطان مسقط ولكن سلطان مسقط منع من تقديم تلك المساعدة بعد تدخل وليام كير وهنرى ويللوك فى الوساطة بين مسقط والبحرين(٤) مما أثار نقمة الحكومة الفارسية التى لجأت إلى الشيوخ العرب المقيمين على سواحلها حيث طلبت المساعدة من الشيخ عبد الرسول حاكم بوشهر ورحمة بن جابر الجلاهمة فى الوقت الذى سارع فيه بروس بمقابلة شيخ البحرين وقدم له ضماناً بوقوف بريطانيا ضد الغزو

---

(١) Adamyiat, F. Bahrein Islands, Alegal Study of Anglo-Persian Controversy pp, 98—99

(٢) Al Bahrna, Hussain, The Legal Status of The Arabian Gulf States pp. 166—168.

(٣) أحمد محمود صبحى : البحرين ودعوى إيران ص ص ٩٦ — ٩٨ .

(٤) Adamyiat, F,, op. cit. pp. 97—98.

المنتظر ؛ ومن ناحية أخرى نجح الكابتن بروس فى تهدئة الموقف بين شيخ البحرين وسلطان مسقط ، حيث تعهد سلطان مسقط بعدم التدخل فى شئون البحرين . وهكذا وصلت العلاقات البريطانية الفارسية إلى درجة كبيرة من التأزم فى عام ١٨٢٢ ؛ وكانت الحكومة البريطانية تعتبر نفسها قد أصبحت مسئولة عن تأكيد نفوذ آل خليفة فى البحرين وذلك بموجب ارتباطهم بمعاهدة السلام العامة وأن افساح المجال لفارس لضم البحرين لن يقضى على نفوذ آل خليفة فحسب بل سيقضى على السياسة التى وضعتها حكومة الهند فى منطقة الخليج العربى بعد حملة ١٨١٩ بما اسفرت عنه من نتائج [١] . ولعل مما يسترعى انتباهنا بصدد ذلك هو التساؤل عن الدوافع التى دفعت بشيوخ البحرين إلى تقييد حريتهم وحرية رعاياهم بالانضمام إلى معاهدة الصلح البحرى على الرغم من أن البحرين لم تكن تدخل ضمن مخططات الحملة العسكرية البريطانية لضرب معاقل القواسم فى الساحل العمانى ، وبمعنى آخر أن معاهدة الصلح البحرى كانت تستهدف شيوخ الساحل العمانى فقط ، ودخول حكام آخرين فى تلك المعاهدة كان يعد إلى حد كبير بمحض إرادتهم ورغبتهم المطلقة [٢] . ويتضح من إجابتنا على تلك التساؤلات أن انضمام شيوخ البحرين إلى معاهدة الصلح البحرى العام كان رغبة منهم فى ضمان الحماية البريطانية إذ أن معاهدة الصلح كانت تتضمن اعترافا باستقلال الأطراف المتعاقدة وبالتالى فإن بريطانيا بناء على هذه المعاهدة كان عليها أن تقف أمام القوى المتطلعة للاستيلاء على البحرين ولذلك وجد شيوخ البحرين فى انضمامهم لتلك المعاهدة الفرصة للتخلص من محاولات سلطان مسقط وفارس أو كليهما ومن ثم فإن الفائدة التى عادت على شيوخ البحرين من جراء انضمامهم إلى تلك المعاهدة هى أنهم استطاعوا أن يضعوا بريطانيا وجه لوجه أمام محاولات فارس فى الاستيلاء على البحرين بعد أن كانت المقاومة من قبل آل خليفة وحدهم وهؤلاء كان لا يمكنهم بطبيعة الحال أن يتصدوا لهجوم فارسى عليهم ، هذا بالاضافة إلى أن فارس كانت على استعداد للتحالف مع أية قوة أخرى

---

(١) صادق نشأت : مرجع سبق ذكره ص ١٥٦ .

(٢) أحمد محمود صبحى : البحرين ودعوى إيران ص ٩٦ .

فى سبيل السيطرة على تلك الجزر . ومن ثم كان من الطبيعى أن تعارض فارس اشتراك شيوخ البحرين فى التوقيع على معاهدة السلام العامة على اعتبار تبعية البحرين لها .

وفى الوقت الذى كلفت فيه فارس الشيخ عبد الرسول حاكم بوشهر باحتلال البحرين فى عام ١٨٢٢ بادرت السلطات البريطانية من ناحيتها بايفاد الكابتن بروس المقيم البريطانى فى الخليج إلى البحرين كى يؤكد لشيوخها بصفة رسمية بأن بريطانيا تعتبر شيوخ آل خليفة هم الحكام الشرعيون للبحرين وأن الحكومة البريطانية على استعداد للدفاع عن البحرين ضد أى أخطار يتعرضون لها من قبل فارس وذلك بعد أن أخذت تعهداً من سلطان مسقط بعدم مهاجمة البحرين كما سبق أن أشرنا . على أن الكابتن بروس لدى عودته إلى بوشهر من البحرين بدأ يتصرف تصرفاً خاصاً يختلف بل ويناقض التعليمات التى أرسلت له من حكومة الهند إذ أنه اتجه إلى شيراز لمقابلة حاكم فارستان بهدف إيقاف الحملة الفارسية على البحرين[1]. وترى بعض المصادر أن بروس قام بهذا التصرف لأغراض شخصية تتعلق بمصالحه التجارية فى بوشهر ، وكانت السلطات الفارسية اعترضت على بقائه فى بوشهر وطلبت من السير هنرى ويللوك Willock ممثل بريطانيا فى تبريز أن تبادر الحكومة البريطانية بسحبه من منصبه وتعيين آخر بدلا منه . وفيما يبدو أن بروس حرصاً على مصالحه التجارية فى بوشهر اتخذ سياسة مناقضة لتعليمات حكومته رغبة منه فى التقرب إلى السلطات الفارسية ووجد أن فى مقدوره استخدام صلاحياته باعتباره مقيما سياسياً فى الخليج لكى يضع حلا للمشكلات القائمة بين بريطانيا وفارس ، ولذلك كانت زيارته إلى شيراز بهدف التفاوض مع زكى خان ميرزا حاكم شيراز فيما يتعلق بشئون الخليج بصفة عامة وشئون البحرين بصفة خاصة ونجح فى التوصل إلى اتفاقية بينه وبين حاكم شيراز فى ٣٠ أغسطس ١٨٢٢ . وتعرف هذه الاتفاقية باسم اتفاقية شيراز وقد نصت مقدمة هذه الاتفاقية على رغبة الطرفين فى حل المشكلات القائمة بينهما[2]

---

(١) Adamyiat, F., op. cit. pp. 251—252.

(٢) كانت جزر البحرين قبل وصول آل خليفة إليها تتبع مقاطعة فارستان فى جنوب فارس التى كان يحكمها أمير شيراز وكانت تدخل فى حوزتها جزر وموانى الخليج الواقعة على سواحله الشرقية . انظر تقرير روبرت تايلور فى مختارات حكومة بومباى ص‌ص ٢٧—٢٩ ؛

إذ ورد فيها أنه لما كانت هناك أخطاء بسيطة قد وقعت من جانب الطرفين لا تتفق مع النيات الحسنة ولا العلاقات الطيبة بينهما ورغبة فى ازالة كل سوء تفاهم بين الطرفين فإن محمد زكى خان والكابتن بروس قد دخلا فى اتفاقية ودية تستهدف توثيق روابط الود والصداقة بين حكومة الهند والحكومة الفارسية[1] . كما نصت المقدمة على حرص حكومة الهند على فرض الأمن البحرى فى الخليج . أما المواد المتعلقة بهذه الاتفاقية فهى خمس مواد تناولت ما يأتى :

أولا : إن جزر البحرين كانت دائماً تابعة لإقليم فارس وأن حكامها العرب من العتوب شقوا عصا الطاعة أخيراً وإذا كانوا قد طلبوا من القائد البريطانى العام لحملة ١٨١٩ علماً مميزاً لهم أو إذا كانوا قد منحوا هذا العلم بالفعل فلابد أن يسحب منهم على الفور ولا تقدم لهم أية مساعدات بعد ذلك إذ أنه من شأن هذه المساعدة أن تؤدى إلى تماديهم فى عنادهم ضد فارس ولما كان الطرفان يعربان عن رغبتهما فى توثيق أواصر الصداقة بين حكومتيهما فقد وصفت حملة ١٨١٩ التى قادها السير ويليام كير على شيوخ الساحل العمانى من القواسم بأنها انتهاك لتلك الصداقة . ومما تجدر الإشارة إليه أن نص اتفاقية شيراز على سحب أعلام الصلح البحرى كان يتعارض مع المادة الثالثة من معاهدة السلام العامة التى انضم إليها شيوخ البحرين والتى كانت تنص صراحة على أن يحمل العرب المتصالحون ومن بينهم عرب البحرين علماً أحمر ضمن حاشية بيضاء .

ثانياً : نصت اتفاقية شيراز على أن الخسائر التى تحملها سكان لنجة

---

(١) Treaty of Shiraz Signed by Mirza Mohamed Zaki Khan, The Minister of Fars and Captain Bruce 30—8—1822 CF. F.O. 60/21 Persia.

(٢) عن التفصيلات الخاصة بهذه الاتفاقية راجع :

Adamyiat F., op, cit. P. 105—107,

ومما تجدر الاشارة إليه أن الكتاب الايرانيين يعلقون أهمية بالغة على هذه الاتفاقية حتى أن أدميات أورد نصوصها كاملة فى كتابه راجع ص ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

وخرج بسبب الحملة العسكرية البريطانية فى عام ١٨١٩ وما ترتب عليها من تدمير لسفنهم ينبغى أن تتحملها الحكومة البريطانية وأن تعوضهم بالأموال أو بسفن أخرى[١] .

ثالثاً : أن الحكومة الفارسية توافق على تأجير جزيرة قشم لبريطانيا لمدة خمس سنوات على أن تستخدمها الحكومة البريطانية لحفظ الأمن البحرى فى الخليج حتى تتمكن فارس من تكوين قوتها البحرية ، وخلال الخمس سنوات يقلل عدد القوات البريطانية تدريجياً ويحل محلها قوات فارسية وأن تقوم القوات البريطانية الفارسية المشتركة بالتمركز فى أية جزيرة على السواحل الفارسية يكون مناخها معتدلا .

رابعاً : إذا رغبت فارس فى استرداد البحرين فإن الحكومة البريطانية تجد نفسها ملزمة بأن تضع السفن الحربية تحت تصرف الحكومة الفارسية وأن تسمح لها بالإضافة إلى ذلك بشراء كل ما تريده من السفن والأخشاب اللازمة لتجهيزات تلك الحملة من الهند[٢] .

خامساً : تتراجع الحكومة الفارسية عن طلبها الخاص بسحب الكابتن بروس المقيم السياسى فى الخليج واحلال غيره بدلا منه إذ أن السلطات الفارسية أصبحت مقتنعة تماماً بتثبيته فى منصبه وأن الشكوك التى كانت ألحقتها به فى قيامه بعدة تصرفات تتعارض مع حسن التفاهم القائم بين الدولتين أصبحت لا تتفق مع الأمر الواقع .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما جاء فى هذه المادة يؤكد لنا الدوافع الشخصية التى حركت الكابتن بروس لعقد هذه الاتفاقية هذا بالإضافة إلى أنه كان مدفوعاً باعتقاد مؤداه أن عودة جزر البحرين إلى الحكومة الفارسية سيؤدى إلى تحقيق مزيد من الهدوء على الجانب الغربى من الخليج ، ويمكن حاكم إقليم فارس من الاستفادة من خدمات الأسطول البريطانى ، كما أن

---

(١) انظر المادة الثالثة من اتفاقية شيراز .

(٢) المادة الخامسة من الاتفاقية .

تثبيت السلطة الفارسية سيضع حداً للأعمال العدوانية والمشاحنات القائمة بين مختلف فروع العتوب من آل خليفة وآل صباح والجلاهمة[1] . ولا شك أن ضيق الكابتن بروس بتلك الحروب والمنازعات هو الذى دفعه إلى تقديم تلك التنازلات لحاكم شيراز .

ولعل أول انتقاد وجه إلى هذه المعاهدة هو ما نصت عليه بالاعتراف بالسيادة الفارسية على البحرين حيث ذكر المستر فرانسيس واردن Warden سكرتير حكومة بومباى أنه لم يقم أى دليل على هذه السيادة فضلا عن أن اعتراف الحكومة البريطانية بها سيؤدى إلى إساءة الثقة بينها وبين أصدقائها سيا سلطان مسقط ، كما سيضعف الثقة بينها وبين شيوخ البحرين فضلا عن أن تلك المعاهدة تعنى انتهاكاً واضحاً لمعاهدة السلام العامة[2] . وقد لخص فرانسيس واردن انتقاداته على الوجه التالى :

أولا : إن الكابتن بروس دخل فى مفاوضات لم يكلف بها كما أنه لم يزود بتعليمات من حكومته وأنه ليست لديه السلطة المخولة لتوقيع تلك الاتفاقية .

ثانياً : أنه لا يمكن للحكومة البريطانية أن تعترف باتفاقية ليست متمشية مع التزاماتها لأن ذلك يؤدى بطبيعة الحال إلى إهدار كرامتها وقلب سياستها رأساً على عقب أمام القوى الأخرى المتواجدة فى الخليج .

ثالثاً : إن معاهدة شيراز نسبت إلى بريطانيا بعض الأخطاء وطالبتها بتعويض عنها فى الوقت الذى كان الإجراء الذى اتخذته بريطانيا ضد سكان لنجه وخرج إجراء ضرورياً .

رابعاً : إن المعاهدة تتناقض تماماً مع السياسة التى اتبعها جرانت كير

---

(١) جمال زكريا قاسم : رحمة بن جابر الجلاهمة حوليات كلية الآداب — جامعة عين شمس ١٩٦٤ ص ص ٦٤—٦٥ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ص ١٢٨٨ — ١٢٨٩ .

فى حملة ١٨١٩ نحو تأكيد الكيانات الذاتيه للامارات العربية على حين أن المعاهدة كانت تنص على الاعتراف بأحقية فارس فى ملكية جزر البحرين وهو أمر لم يقم عليه دليل مقنع ، كما أنه مخالف لمطالب سلطان مسقط واستقلال آل خليفة الذين أصبحت تربطهم بريطانيا معاهدة الصلح البحرى .

خامساً : إن معاهدة شيراز تمنع آل خليفة من حمل راية الصلح البحرى مما يشكل انتقاصاً لمعاهدة السلام العامة التى اشترك فيها شيوخ البحرين .

سادساً : أنه يتحتم على حكومة بومباى أن تزيل الآثار السيئة التى سببتها معاهدة شيراز وتبادر باعادة الثقة إلى شيوخ الخليج واعلامهم بأن الكابتن بروس لم يخول من قبل الحكومة البريطانية بأية سلطة لعقد مثل تلك الاتفاقية وأنها سوف تبادر بخلعه واحلال آخر بدلا منه .

سابعاً : ضرورة الجلاء عن جزيرة قشم لأنها فى موقع لا يمكن الدفاع عنه فيما لو هاجمها الفرس[1] .

وعلى الرغم من أن الكابتن بروس قدم دفاعاً عن نفسه وعن الدوافع التى جعلته يتفاوض من أجل هذه المعاهدة مؤكداً أن إقرار بريطانيا للسيادة الفارسية سيؤدى إلى مزيد من الأمن البحرى فى الخليج إلا أن حاكم بومباى الفنستون Elphinston أصدر قراره الخاص — بناء على تقرير واردن — بسحب القوات البريطانية من جزيرة قشم وعزل الكابتن بروس من منصبه كمقيم سياسى فى الخليج وأرسلت حكومة الهند رسائل إلى كل من شيوخ آل خليفة وسلطان مسقط مؤكدة فيها أن الموقف البريطانى لم يتغير وأنه لابد من أن يزيلوا أى شكوك أو مخاوف بالنسبة لعلاقتهم بالحكومة البريطانية[2]

---

(١) أحمد محمود صبحى : البحرين ودعوى إيران ص ١٠٥ .

(٢) Persian Claim to Bahrein Islands, Foreign Secretary to the Govt. of India Sept.. 1931 F.O. 371/15279.

وجاء فى الرسالة الموجهة إلى شيخ البحرين أن حكومة الهند لا توافق على معاهدة شيراز التى عزلت من أجلها الكابتن بروس وعينت غيره وأن المقيم البريطانى الجديد الكابتن ماكلويد قد زود بكل الصلاحيات الخاصة بتأكيد الصداقة القائمة بين البحرين والحكومة البريطانية . وطبقاً لتعليمات خاصة من حكومة بومباى قام الملازم ماكلويد بجولة هامة على الساحل العربى للخليج زار فيها البحرين فى يناير ١٨٢٣ وكان الهدف الرئيسى من تلك الزيارة هو طمأنة شيخ البحرين فيما يتعلق باتفاقية شيراز وابلاغه كأنها لم تكن وأن الحكومة البريطانية لن تغير شيئاً من سياستها نحوه[1] .

وإذا كان من الطبيعى أن ترفض الحكومة البريطانية معاهدة شيراز للأسباب التى أشرنا إليها فإنه مما يدعو إلى الدهشة أن هذه المعاهدة قد رفضت من حكومة الشاة أيضاً على الرغم من أنها كانت تعطى فارس مكاسب كثيرة ولعل سبب رفض الشاه لتلك المعاهدة وعدم موافقته على التصديق عليها أن أمير شيراز لم تكن له السلطة المخولة لعقد معاهدات . ولا شك أن الشاه قد أبدى استياءه من أمير شيراز لمحاولته تنظيم العلاقات بين بريطانيا وفارس دون أن يتلقى تعلياته فى هذا الشأن، هذا بالإضافة إلى أن معاهدة شيراز كانت تعطى الإنجليز حق إقامة حامية عسكرية فى جزيرة قشم لمدة خمس سنوات وهو أمر لم توافق عليه الحكومة الفارسية . وطبقا لتقرير أرسله الماجور ويلوك Willock ممثل بريطانيا فى تبريز أن الشاه لم يقر هذه المعاهدة بل وجه اللوم إلى حاكم فارستان لدخوله فى المفاوضات التى أدت لتوقيع تلك المعاهدة دون أن يؤخذ رأيه فى ذلك . وعلى الرغم من أن كلا من الحكومتين البريطانية والفارسية قد رفضت معاهدة شيراز ولم تصادق أى منهما عليها وبالتالى لم تظهر تلك المعاهدة إلى حيز التنفيذ أى أنها أصبحت فى حكم المعاهدات الملغاة إلا أنه مما يستلفت النظر أن الحكومة الفارسية ظلت تستند على تلك المعاهدة فى المباحثات التى قامت بينها وبين

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٢٨٩ .

الحكومة البريطانية بشأن البحرين والتى استمرت على مدى سنوات عديدة من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين[1] ! .

وقد أعقب عدم مصادقة الحكومة البريطانية على معاهدة شيراز مبادرتها بتأكيد علاقتها بشيوخ البحرين حيث توسط المقيم البريطانى فى الخليج الكولونيل ستانوس Stanus فى توقيع اتفاقية بين آل خليفة والجلاهمة فى عام ١٨٢٤ وكانت وساطة المقيم البريطانى بمثابة تأكيد لانضمام البحرين إلى معاهدة السلام ، وكان لذلك أثره فى أن وقفت بريطانيا ضد المحاولات العـديدة التى قام بها كل من سلطان مسـقط والسعوديين للسيطرة على البحرين .

وخلال الفترة من عدم المصادقة على معاهدة شيراز ١٨٢٢ حتى تقدم القوات المصرية إلى الخليج العربى ١٨٣٨ لم تشكل فارس أية خطورة على الأوضاع فى البحرين ، بسبب ضعف القوة البحرية الفارسية بالاضافة إلى المشكلات الخارجية العديدة التى واجهتها الحكومة الفارسية وبالأخص حروبهامع روسيا والدولة العثمانية ، كما كان لاحتلال بريطانيا لجزيرة خرج فى عام ١٨٣٨ أثره الكبير فى أن أعطى الحكومة البريطانية ثقلا سياسيا وعسكريا أصبح يهدد السواحل الفارسية ذاتها ، واستمر الوضع على ذلك حتى وصلت القوات المصرية إلى سواحل الخليج العربى فى عام إذ بعث الكولونيل هنل Henell المقيم البريطانى فى الخليج إلى حكومة بومباى يلفت نظرها طبقا لما تلقاه من وكيله الوطنى فى الشارقة بأن حاكم فارستان يجمع قواته فى كنجون ومن المحتمل أن يقوم بتدبير هجوم مفاجىء على الإنجليز فى جزيرة خرج وإذا نجح فى ذلك فإن اتجاهه صوب البحرين سيكون مؤكدا ، بيد أن حكومة بومباى لم تعر هذه الملاحظات أهميتها إذ كانت جهودها منصبة على مقاومة القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا وابعادها عن البحرين ومشيخات

---

(١) جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانية على الخليج العربى — من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ — بغداد ١٩٧٣ وعن المباحثات الايرانية الانجليزية بشأن البحرين انظر :

Adamyiat, Bahrein Islands P. 134 ff.

الساحل العمانى ، وما كادت بريطانيا تتخلص من الوجود المصرى فى سواحل الخليج العربى فى عام ١٨٤٠ حتى قررت حكومة بومباى الانسحاب من جزيرة خرج مما ترك الفرصة لفارس لتعزيز حاميتها فى تلك الجزيرة [1] ؛ حتى أن المقيم البريطانى فى الخليج الكولونيل روبرتسون Robertson كتب إلى حكومة الهند يؤكد أن فارس تبذل محاولات كبيرة لكى تنشئ لها أسطولا يتكون من جميع السفن التى تمتلكها موانى الساحل الشرقى للخليج وأنها عمدت إلى حاكم بوشهر ليقوم بتنفيذ خطتها هذه ، وفى تقرير آخر لروبرتسون أكد أن جزيرة خرج سوف تصبح عما قريب مركزا لتجمع الأسطول الفارسى الذى سيقوم بغزو البحرين . وقد أجاب حاكم عام الهند على هذين التقريرين بقوله « إنه فى حالة ارسال الحكومة الفارسية أية قوات من الرجال أو السفن فإنه يجب ملاحظة تلك التحركات وإذا كانت فارس تهدف إلى الاتجاه إلى أية إمارة من إمارات الخليج التى تربطها ببريطانيا علاقات خاصة فيجب أن تقاوم تلك التحركات بكل قوة » [2] .

وتعتبر هذه التعليمات التى صدرت عن الحاكم العام فى الهند نقطة تحول هامة فى السياسة البريطانية بالنسبة لعلاقتها بفارس بشأن البحرين فحتى ذلك الوقت لم تكن الحكومة البريطانية تعترض اعتراضاً إيجابيا على مطالب فارس بالسيطرة على البحرين بل وأكثر من ذلك نجد أن الحكومة البريطانية نفسها هى التى عارضت تقدم القوات المصرية إلى البحرين بحجة تبعيتها لفارس . ويرجع هذا التحول فى السياسة البريطانية فى تقديرنا إلى عاملين رئيسيين :

العامل الأول : أن الحكومة البريطانية لم تعد تطمئن إلى فارس التى أخذت تتصرف بتأثير واضح من روسيا .

---

(١) Henell to Willoughby 11th Feb. 1839 Doc. No, 24 of 1839. See also Enclosure 1 Translation of a Letter from Mohmet Ali's Agent at Bahrein to the Resident of the Persian Gulf Feb. 1839 F.O. 78/388.

انظر الأرشيف الأوربى بوثائق عابدين (القلعة حاليا) محفظة رقم ١٢ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ١٨٤٠ — ١٩١٤ ص ١٤٦ .

والعامل الثانى : أن الحكومة البريطانية أخذت منذ انسحاب القوات المصرية من الخليج العربى فى عام ١٨٤٠ تقدر أهمية الخليج الاستراتيجية وتعمل على منع أية دولة من الحلول فيه .

ولعل مما يستلفت الانتباه أن معارضة بريطانيا لفارس بشأن إرسالها حملة إلى الخليج العربى لم تقتصر على السلطات البريطانية فى الخليج أو سلطات حكومة الهند البريطانية وإنما انتقلت هذه المسألة إلى وزارة الخارجية بلندن حيث أرسل اللورد أبردين وزير الخارجية البريطانية إلى السير جستن شيل Sheil القائم بأعمال السفارة البريطانية فى فارس يطلب إليه اقناع الشاه بالطرق الديبلوماسية بعدم القيام بعمل من شأنه أن يؤدى بالحكومتين إلى تصادم فى منطقة الخليج وأعلن وزير الخارجية البريطانية بأن حكومته ستقابل التدخل الفارسى بالقوة حتى لو أدى الأمر إلى وقوع صدام مسلح بينها وبين فارس . وفى المذكرة التى قدمها السير جستن شيل إلى الحكومة الفارسية أعربت الحكومة البريطانية عن عدم اعترافها بأحقية فارس فى السيطرة على البحرين إذ أنه منذ أن أتت أسرة قاجار إلى الحكم فى عام ١٧٩٨ فإن أحداً من ملوكها لم يمارس سلطة فعلية على البحرين . وعلى الرغم من أن المذكرة البريطانية كانت حاسمة فى رفض أى اعتراف بالسيادة الفارسية إلا أن اللورد أبردين قد حاول فى نفس الوقت مراوغة السياسة الفارسية حيث ختم مذكرته بدعوة فارس لكى توضح للحكومة البريطانية ادعاءاتها على البحرين بالطرق الدبلوماسية وذلك بدلا من اللجوء إلى القوة المسلحة للاعراب عن مطالبها[١] . وبذلك يكون اللورد أبردين قد استهل حقبة طويلة من المباحثات البريطانية الفارسية بشأن البحرين استمرت منذ ذلك الوقت حتى نهاية الوجود البريطانى العسكرى فى الخليج العربى. وكانت وجهة النظر

---

(١) Adamyiat, F., op. cit. P, 131

وعن تحليل الادعاءات الفارسية من الناحية القانونية بما فى ذلك اتفاقية شيراز راجع :

Tadjbakche, G.R. la Question de iles Bahrein, Publication de la Revue Generale de Droit Internationale Serie Numero I Paris, 1960.

البريطانية فى مباحثاتها مع فارس بشأن البحرين هى أنها منذ أن عقدت معاهدتها الأولى مع شيوخ البحرين فى عام ١٨٢٠ وهى تتصرف مع أولئك الشيوخ طبقاً لما تنص عليه شروط المعاهدة من الاعتراف بحكام البحرين من آل خليفة كشيوخ مستقلين وأنها اتخذت من تلك المعاهدة أساساً لرفض أية محاولات من قبل القوى الأخرى لضم البحرين إليها .

وبمعنى آخر أن بريطانيا كانت تتعامل مع شيوخ البحرين بصفتهم الاستقلالية لا مجرد كونهم أتباعا للحكومة الفارسية ولذلك أكدت وجهة النظر البريطانية أنه على الرغم من عدم إنكارها خضوع جزر البحرين لفارس على عهد الأسرتين الصفوية والزندية، وهما الأسرتان اللتان سبقتا آل قاجار فى الحكم ، إلا أن السيادة الفارسية على البحرين قد سقطت نهائيا منذ وصول آل خليفة إلى حكم البحرين فى عام ١٧٨٣ . وعلى عكس وجهة النظر هذه كانت فارس تؤكد تبعية البحرين وغيرها من إمارات الخليج العربى لسيادتها ، وأن الخليج بدءا من شط العرب إلى مسقط يعد خاضعاً لسيادتها مستندة إلى ذلك على تسميته بالخليج الفارسى كما أن معظم المصادر الجغرافية القديمة سواء كانت شرقية أو أوربية وكتب الرحالة العرب والأجانب تؤكد تبعية البحرين لفارس [١] . كما أن شيوخ البحرين المتعاقبين على الحكم كانوا يدفعون الجزية السنوية لفارس فى عهد الصفويين وخانات الزند، وقبل وصول آل خليفة إلى حكم البحرين كان أمير شيراز يخضع البحرين لسيطرته ، وأن الحكومة الفارسية لم تعترف بشرعية حكم آل خليفة وليست لهم أية صفة استقلالية وأنهم، شأنهم فى ذلك الشأن الخانات المحليين

---

(١) راجع بصدد ذلك أسانيد الخليج الفارسى تصنيف على رضا ميرزا محمد – الفصل الأول والثانى – القاهرة ١٩٧٦ انظر أيضا :

Sir John Chardin, Travels in Persia and East Indies— London 1665,

ولا يمنع من ذلك أن كثيرا من هذه المصادر قد أقرت غرابة تلك التسمية وعلى سبيل المثال عبر الرحالة إبراهام بارسونز الذى زار البحرين فى عام ١٧٧٥ عن دهشته لكون البحرين تابعة لفارس على الرغم من ملاصقتها لسواحل الجزيرة العربية .

CF. Parsons, A. Travels in Asia and Africa P. 202.

فى بعض مقاطعاتها الذين يتوارثون الحكم أو يتمردون على السلطة القائمة ولكنهم حتما سيعودون إليها بالولاء ، هذا بالاضافة إلى أن شيعـة البحرين يؤكدون السيادة الفارسية على تلك الجزر ؛ وأنهم يشكلون نسبة كبيرة من السكان الذين يتجهون بولائهم إلى فارس بطبيعة الحال .

ومما يسترعى الانتباه أن المباحثات بشأن البحرين اقتصرت على كونها مباحثات فارسية بريطانية وبالتالى انصرفت عناية كثير من الباحثين العرب إلى دراسة هذا الموضوع باعتباره نزاعا فارسيا بريطانيا، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى عدم نضوج الوعى العربى فضلا عن سيطرة بريطانيا على مقدرات الخليج السياسية ومصالحها التى كانت تعارض السيادة الفارسية ؛ وبمعنى آخر أن موقف بريطانيا لم يكن إيمانا منها بعروبة البحرين بقدر ما كان يتجه إلى المحافظة على مصالحها الاستعمارية فى منطقة الخليج العربى [١] . وفى تحليلنا للادعاءات الفارسية على البحرين يمكننا الوصول إلى الحقائق التالية :

أولا : إن جزر البحرين لا يمكن أن تكون جزءاً من فارس وهى منفصلة عنها بخليج واسع كما أن سكانها ليسوا من العنصر الفارسى تماماً وعلى العكس من ذلك فإن جزر البحرين بحكم طبيعة موقعها الجغرافى أكثر التصاقاً بالسواحل الشرقية للجزيرة العربية ، كما أن سكانها من أصول عربية خالصة وإذا وجدت بعض العناصر الفارسية فإنها لا تقارن بالكثافة العربية السكانية مما لا يشكك بأية حال من الأحوال فى عروبة جزر البحرين .

ثانياً : إن إدعاءات فارس بأن شيعة البحرين تابعون لها أمر لا يستقيم مع المنطق إذ أن الشيعة، وهم أتباع مذهب إسلامى كبير موجودون فى البحرين كما هم موجودون فى غيرها . وقد تأكدت هذه الحقيقة أخيرا حين أثبتت بعثة جيرشيار دى بأن شيعة البحرين كانوا لا يختلفون عن الطوائف الأخرى

---

(١) جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى من أعمال المؤتمر الدولى التاريخ — بغداد ١٩٧٣ .

فى المطالبة بالاستقلال [١] .

ثالثاً : إن المحاولات التى كانت تقوم بها فارس بقصد إيجاد حجج وأسانيد تحت زعم أن الخليج فارسى أمر غير منطقى تمامـاً كالادعاء بأن كل سواحل البحر الأحمر وجزره تابعة للجزيرة العربية[٢] .

رابعاً : تؤكد الوقائع التاريخية أن فارس لم تمارس سيادتها على البحرين فى العصور الحديثة إلا فى خلال الفترة من جلاء البرتغاليين عن تلك الجزر فى عام ١٦٠٢ حتى وصول آل خليفة إلى الحكم فى عام ١٧٨٣ وحتى فى خلال تلك الفترة كانت القبائل العربية هى التى تتولى مسئوليات الحكم المباشر إذ استمرت جزر البحرين فى أيدى رؤسائها القبليين من عرب الهولة والمطاريش ، كما أن أئمة عمان اليعارية سيطروا على البحرين فى بعض سنوات تلك الفترة ولم تعد البحرين لفارس إلا فى عام ١٧٣٧ على عهد نادر شاه، ثم وقعت البحرين بعد اغتياله فى عام ١٧٤٧ فى أيدى رؤساء عرب عديدين من بنى طاهر وبنى ماهر والعسيليين وغيرهم أى أن السيادة الفارسية على البحرين خلال الفترة من ١٦٠٢—١٧٨٣ كانت لا تعدو سيادة اسمية أما الحكم الفعلى فقد كانت تمارسه القبائل العربية، وعلى أية حال فقد انتهت السيادة الفارسية بوصول آل خليفة إلى الحكم ووضعهم الأساس لحكم عربى مستقر منذ عام ١٧٨٣[٣] .

---

(١) CF. Report of the Personal Representative of the Secretary General in charge of the good offices Mission— Bahrein 30th April, 1970.

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠—١٩١٤ ص ١٤٩ .

(٣) من أبرز الدراسات التى تؤكد وجهة النظر الفارسية يمكن الرجوع إلى صادق نشأت : تاريخ الخليج السياسى وعباس إقبال مطالعاتى درباب بحرين وجزاير خليج فارس وكذلك فريدون أداميات Bahrein Islands وعباس الفاروق . وعن وجهة النظر العربية يمكن الرجوع إلى أحمد محمود صبحى، البحرين ودعوى إيران وحسين البحارنة The legel status of the Arabian Gulf States ومجيد خدورى البحرين وإيران وصلاح العقاد التيارات السياسية فى الخليج العربى وجمال زكريا قاسم الادعاءات الايرانية فى الخليج العربى .

الفصل الرابع عشر

مصر وإمارات الخليج العربي

١٨١١ — ١٨٤٠

أهداف التوسع المصرى فى الخليج العربى — علاقة محمد على بسلطنة مسقط — بعثة سادلر ١٨١٩ — حملة خورشيد باشا على الاحساء — موقف شيوخ الساحل العمانى — محمد على والبحرين — موقف بريطانيا من التوسع المصرى فى الخليج العربى — تصريح بالمرستون بشأن البحرين — عوامل الانسحاب من الخليج العربى — نتائج الانسحاب .

* * *

الفصل الرابع عشر

مصر وإمارات الخليج العربي

١٨١١ – ١٨٤٠

أهداف التوسع المصرى فى الخليج العربى – علاقة محمد على بسلطنة مسقط – بعثة سادلر ١٨١٩ – حملة خورشيد باشا على الاحساء – موقف شيوخ الساحل العمانى – محمد على والبحرين – موقف بريطانيا من التوسع المصرى فى الخليج العربى – تصريح بالمرستون بشأن البحرين – عوامل الانسحاب من الخليج العربى – نتائج الانسحاب .



الفصل الرابع عشر

مصر وإمارات الخليج العربى

١٨١١ — ١٨٤٠

يعد وصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج العربى من أبرز الأحداث السياسية التى شهدتها منطقة الخليج فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ويكفى أن نشير بصدد ذلك إلى أن هيبة الحكومة البريطانية تلقت ضربة شديدة فى نظر سكان الخليج نتيجة وصول تلك القوات إلى سواحلهم . وتعنينا هنا الأهداف الخاصة التى كانت تتجه إليها سياسة مصر بالنسبة للامارات العربية فى الخليج العربى إذ أن الأمر الذى لاشك فيه أن وصول القوة المصرية الناشئة إلى تلك الأنحاء كانت عاملا فعالا فى تجميع الكيانات الصغيرة والسعى إلى تحقيق الوحدة فيما بينها تحت حكم واحد . وليس أدل من الحرص على تحقيق ذلك الهدف أن التوسع المصرى لم يتجه إلى إمارة معينة وإنما نظر إلى إمارات الخليج العربى نظرة شاملة فامتدت محاولات التوسع المصرى شمالا وجنوبا فى آن واحد. كما أن احتمال نجاح مصر فى تحقيق الوحدة بين إمارات الخليج كان أمرا مؤكدا ، ولم يقف عائقا دون تحقيقها لذلك الهدف سوى الظروف التى طرأت على الموقف الدولى واجبار مصر على الانسحاب من تلك الجهات ، وإن كان مما يسترعى الانتباه أن الجهود المصرية لم تذهب سدى وإنما سيستفيد السعوديون منها إلى حد كبير فى محاولة تجميع قوى الخليج تحت لوائهم ، كما سيظهر ذلك واضحا على أثر انبعاث

الدولة السعودية الثانية ووصولها إلى أقصى توسع لها خاصة خلال العهد الثانى للامام فيصل بن تركى ١٨٤٣ — ١٨٦٥ الذى يعد من أبرز حكام تلك الدولة .

ومن ناحية أخرى أثر وصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج تأثيرا كبيرا فى تطور علاقة بريطانيا بالامارات العربية فى الخليج العربى إذ لم تقتصر أهداف بريطانيا على مراقبــة الأوضاع البحرية فى المنطقة وإنما امتدت أهدافها إلى أبعد من ذلك فى فرض حمايتها على إمارات الخليج . وكما تعبر المصادر البريطانية بصدد ذلك بالقول إنه بينما كانت بريطانيا تعمل على تأكيد الهدنة البحرية بما يكفل فرض السلام البريطانى على المنطقة أخذت الأحداث ؛ أوما عبرت عنه تلك المصادر بالأخطار تعم الخليج بسبب التوسع المصرى الذى كان مناقضا للضمانات التى قدمها محمد على لممثل بريطانيا فى القاهرة بأن توسعاته فى الجزيرة العربية لن تصل إلى سواحل الخليج وهذه الضمانات لم يلتزم بها محمد على أو على الأقل خورشيد باشا قائد القوات المصرية الذى وضح بعد حملاته التى قام بها فى سواحل الخليج أنه كان يستهدف إخضاع البحرين ومشيخات الساحل العمانى وسلطنة مسقط ومن ثم اتجهت بريطانيا إلى إثارة شيوخ المنطقة ضـــد التوسع المصرى مستخدمة الترغيب تارة والتهديد تارة أخرى ، كما أوفدت حكومة بومباى أحد ضباطها لزيارة البريمى ليعمل على إثارة قبائل النعيم ضد التحركات المصرية ، كما توسطت بريطانيا فى إنهاء النزاع الذى كان قائما بين السيد سعيد سلطان مسقط وابن عمه حمود بن عزان الذى استقل بصحار حيث أبرم تحالف بين الطرفين بوساطة الحكومة البريطانية لمقاومة التوسع المصرى فى سلطنة مسقط فى عام ١٨٣٩ .

على أنه مما يسترعى الانتباه أن التوسع المصرى فى سواحل الخليج العربى أظهر تعاطفا كبيرا من شيوخ الخليج تجاهه، ومن المحتمل أن يكون ذلك تعبيراً عن مناهضة الشيوخ للضغوط البريطانية التى كانوا يعانون من آثارها ومن ثم فإن وصول القوات المصرية إلى التعامل مباشرة مع أولئك الشيوخ قد نبه بريطانيا إلى خطورة الأوضاع على إحدى المنافذ الجوية

الموصلة إلى امبراطوريتها فى الهند ومن ثم عملت على احكام حلقات سيطرتها على إمارات الخليج العربى فى أعقاب انسحاب القوات المصرية فى عام ١٨٤٠ . حقيقة أن بريطانيا قد تنبهت إلى أهمية الخليج العربى بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية إلى الهند منذ عهد الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر مما دفعها لكى تبدأ أولى معاهداتها مع سلطنة مسقط ولكنها لم تصل إلى توطيد علاقتها بامارات الخليج إلا بعد أن نبهها التقدم المصرى إلى ضرورة توطيد تلك العلاقات وهو الأمر الذى تحقق لها خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر . ولعل مما تجدر الإشارة إليه بصدد ذلك أن التوسع المصرى فى الجزيرة العربية والخليج العربى كان من أهم الأهداف التى سعى إليها محمد على لتحقيق أمله فى تأسيس إمبراطورية عربية كبيرة ، ومن الواضح أن نجاحه فى تحقيق ذلك الهدف كان يشكل خطراً كبيراً على بريطانيا لأن سيطرته على سواحل جنوب وشرق الجزيرة العربية سوف تجعله متحكماً فى كل من طريق البحر الأحمر والخليج العربى وهما المنفذان الحيويان الموصلان إلى المستعمرات البريطانية فى الشرق(١) .

وتكشف لنا الوثائق المصرية عن مخطط محمد على للتصدى للنفوذ البريطانى فى سلطنة مسقط ومشيخات الساحل العمانى ، كما تكشف لنا أيضاً عن المحاولات التى بذلها محمد على للسيطرة على المناطق التى لم تكن قد امتدت إليها السيطرة البريطانية فى السواحل الشمالية الغربية من الخليج ، ونعنى بذلك البحرين والكويت والبصرة بل والعراق كله وخاصة أن التقارير التى كان يتلقاها خورشيد باشا القائد المصرى فى الاحساء من عملائه فى البصرة وبغداد كانت تكشف عن تدهور الأوضاع فى هاتين الولايتين العثمانيتين حتى أن بعض القوات العثمانية فى البصرة تمكنت من الفرار لكى تلتحق بقوات خورشيد باشا فى الاحساء . وبينما كان من المتوقع أن تحرز القوات المصرية نجاحاً كبيراً فى تحقيق أهدافها إلا أن الوقت جاء متأخراً حيث كان

---

(١) Hoskins, British Routes to India P. 269.

الموقف الدولى قد أخذ يحتدم ضد محمد على وجاءت النتائج على عكس ما كان يتوقعها واضطر فى عام ١٨٤٠ أن يصدر أوامره إلى خورشيد باشا بأن يغلق باب مصروفات هذا المشروع ويعد العدة لسحب قواته من الخليج والجزيرة العربية والعودة بها إلى مصر[١] .

ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن التوسع المصرى فى الخليج العربى مر بمرحلتين الأولى من عام ١٨١١ — ١٨١٩، والثانية من ١٨٣٣ — ١٨٤٠ وتتميز المرحلة الأولى بعدم معارضة بريطانيا لوصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج بل حدثت محاولات للتعاون من قبل الإنجليز ولعل ذلك يرجع إلى أن النفوذ البريطانى لم يكن قد تدعم بعد كما أن وصول القوات المصرية إلى ســواحل الخليج فى هذه المرحلة كان مقتصراً على تأمين العمليات العسكرية فى نجد ، أما المرحلة الثانية فقد اختلفت عن المرحلة الأولى وفيها كان النفوذ البريطانى قد وضح فى منطقة الخليج كما وضحت الأهداف المصرية فى التوسع فى المنطقة ، ولذلك كان من الطبيعى أن يحدث الصدام فيما بينهما . ولعل مما يستلفت الانتباه أن الوثائق المصرية تحدد بدء العلاقات بين محمد على وشيوخ الخليج العربى منذ عام ١٨١١ أى أنها ترجع هذه العلاقات منذ بدء وصول حملة طوسن باشا إلى الحجاز فى عام ١٨١١ وليس بوصول إبراهيم باشا إلى الاحساء فى عام ١٨١٩. ووضحت تلك العلاقات الأولى مع سلطنة مسقط بصفة خاصة التى كانت فى ذلك الوقت على عداء مع السعوديين الذين تطلعوا إلى السيطرة على كثير من مقاطعاتها ولذلك ما أن علم سلطان مسقط بتقدم القوات المصرية لقمع الحركة الوهابية حتى أسرع بتقديم عرض صريح إلى طوسن باشا الذى كان على رأس القوات المصرية التركية الزاحفة على نجد ويقضى هذا العرض بايجاد تحالف بين محمد على وسلطان مسقط[٢]، وبذلك التحالف يستطيع محمد على أن يعتمد على

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن : من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على ١٨١٩ — ١٨٤٠ ص ص ٣٩ — ٤٠ — الدوحة ١٩٨٢ .

(٢) عن علاقة محمد على بسلطنة مسقط راجع كتابنا دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ص ١٨١ — ١٨٦ حيث رجعنا إليه لتوضيح تلك العلاقة .

المساعدات التى سوف يبعث بها إليه سلطان مسقط بهدف القضاء على العدو المشترك بينهما[1] .

وعندما أرسل طوسن باشا إلى والده محمد على يستطلع رأيه فى شأن ذلك أجاب محمد على أنه لا يجد ثمة حاجة لعقد مثل ذلك التحالف ولذلك اكتفى طوسن باشا بطلب تأجير عشرين سفينة من مسقط لأنه كان فى حاجة إلى قطع بحرية لنقل المئون والإمدادات إلى جنوده[2] . وقد يعلل رفض محمد على التحالف مع سلطان مسقط فى أنه كان لا يريد التورط فى عقد معاهدة تحالف مع مسقط حيث كان النفوذ الإنجليزى قد تغلغل فى تلك السلطنة ومن ناحية أخرى أن الموقف العسكرى فى داخل نجد أخذ يتحول سريعاً إلى صالحه بعد مقتل القائد السعودى مطلق المطيرى فى أواخر عام ١٨١٣ ثم وفاة الإمام سعود الكبير فى العام التالى . ومع توالى الانتصارات التى حققتها القوات المصرية التركية فى نجد رغم المشكلات الكبيرة التى تعرضت لها تم لإبراهيم باشا اسقاط الدرعية عاصمة الدولة السعودية فى عام ١٨١٨ ، ومن الدرعية اتجهت القوات المصرية التركية بقيادة ابراهيم باشا إلى الاحساء وتذكر بعض المصادر أن ابراهيم باشا تلقى دعوة صريحة من آل عريعر الذين شجعوه على فتح الاحساء على أن يكونوا نوابا عنه فى حكم تلك البلاد[3] . والحقيقة أن ابراهيم باشا وجد فى الاحساء خير قاعدة تمكنه بواسطتها الانطلاق لتحقيق أهدافه فى التوسع فى سواحل وإمارات الخليج ولذلك لم يكن الأمر فى تقديرنا مجرد وفاء من قبله للوعود التى قدمها لآل عريعر بقدر ما كان ذلك يتفق مع السياسة المصرية التى رسمها

---

(١) Shaikh Mansour, History of Sezyid Said P. 89.

(٢) Burchardt, Notes on the Bedouins and Wahabys P. 252 London 1830.

(٣) محمد بن عبد الله الأنصارى : تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد جـ ١ ص ١٤٤ الرياض ١٩٦٠ .

للسيطرة على تلك الأنحاء فالأمر الذى لا شك فيه أن ابراهيم باشا أدرك أهمية الاحساء الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة للتواجد المصرى فى نجد ولعله استجاب لطلب آل عريعر لكى يمهدوا له الاستيلاء على الاحساء دون أن يكلفه ذلك الكثير من النفقات والرجال . وبفضل الدعم المصرى لشيوخ بنى خالد من آل عريعر تمكن بنو خالد من السيطرة على الاحساء دون مقاومة؛ لأن فهد بن عفيصان عامل الوهابيين عليها قد تركها وفر إلى البحرين كذلك نجح شيوخ بنى خالد فى السيطرة على القطيف وعاد بذلك إقليم الاحساء لبنى خالد ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث أرسل إبراهيم باشا محمد بك كاشف وبرفقته مائتان وأربعون رجلا حيث أمرهم بالاستيلاء على ما فى بيت المال وما كان لآل سعود من أموال وسلاح وخيل ففعلوا ذلك؛ بل وصادروا أموال كل من كان له علاقة بآل سعود وقتلوا قاضى الاحساء الشيخ عبدالرحمن بن نافع وجميع أعضاء هيئة الوعظ والارشاد التابعة للوهابيين، وعندما رأى آل عريعر تلك الفظائع ترتكب أمام أعينهم أيقنوا أن وضعهم لن يستتب فى الاحساء فغادروها هرباً إلى العراق[1] .

وعلى أثر سقوط الدرعية رأت بريطانيا أن تنتهز تلك الفرصة لتضرب بشدة على القواسم بعد أن فقدوا السند المعنوى الذى كانوا يعتمدون عليه بعد سقوط الدولة السعودية، وكانت الخطة البريطانية تهدف إلى التنسيق بين السيد سعيد ومحمد على للقضاء على نفوذ القواسم البحرى ، ولعل مما ساعد بريطانيا على تنفيذ تلك الخطة مشاعر السرور التى عبر عنها السيد سعيد على أثر سقوط الدرعية حيث أرسل كتاباً إلى محمد على يهنئه فيه على الانتصارات التى أحرزتها قواته فى نجد وعبر عن استعداده للتعاون معه ، ومن ثم بادرت حكومة بومباى بارسال أحد ضباطها وهو الليفتنانت جون فوستر سادلر Sadlier ومعه رسالة إلى كل من إبراهيم باشا والسيد سعيد تحثهما على توثيق أواصر الصداقة والتعاون فيما بينهما بهدف تحقيق الأمن البحرى

---

(١) محمد عرابى نخلة : تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٣ – ١٩١٣ ص ٣٥ وعن الوثائق المصرية الخاصة بأهمية فتح الاحساء انظر عبد الرحيم عبد الرحمن : من وثائق الدولة السعودية الأولى فى عصر محمد على جـ ٢ القاهرة ١٩٨٣ ص ٦٥٦ وثيقة رقم ١٨ .

فى الخليج والقضاء على نفوذ القواسم البحرى . على أن بعثه سادلر لم تحرز أى تقدم يذكر وربما يرجع ذلك إلى رفض محمد على التورط فى تلك المشروعات[١]. ومن ناحية أخرى أن مركزه فى الاحساء أخذ يهتز بشدة حين تمكن شيوخ بنى خالد الذين أصبحوا فى ذلك الوقت مناوئين للحكم المصرى التأثير على والى العراق العثمانى الذى لم يكن بدوره ينظر إلى تقدم القوات المصرية إلى الخليج بعين الرضى ، وكان والى العراق فى ذلك الوقت هو الوالى المملوكى داود باشا الذى كان يخشى من أن تلتقى مطامع محمد على مع المطامع البريطانية فى الخليج ، واستطاع بذلك التأثير على الباب العالى الذى أوعز بدوره إلى محمد على بضرورة الانسحاب من الجزيرة العربية ونفذ ابراهيم باشا أوامر أبيه فى يوليه ١٨١٩ ،وعاد آل عريعر إلى الاحساء بمثابة ولاة من قبل الدولة العثمانية ويتبعون بغـــداد من الناحية الإدارية أى أنهم عادوا إلى الوضع السابق الذى كانوا عليه قبل الغزو السعودى لأراضيهم فى أواخر القرن الثامن عشر[٢] .

وعلى الرغم من أن الخطة البريطانية قد باءت بفشل ذريع ولم يتحقق التحالف بين محمد على والسيد سعيد إلا أن العلاقات ظلت ودية بين الحاكمين ويتضح لنا من إحدى الوثائق أن السيد سعيد وفد حاجاً إلى مكة فى عام ١٨٢٤ وهناك استقبله والى جدة استقبالا طيباً كما أرسل محمد على بعثة من كبار رجاله لاستقباله تقديراً للكفاح الذى قام به لمواجهة النفوذ السعودى فى بلاده[٣] . كما أحسن شريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد، وكان السيد سعيد قد وفد من مسقط إلى جدة على ظهر سفينته الكبيرة ليفربول التى استقبلت من والى جدة استقبالا حافلا ، وفيما يبدو

---

(١) Ruete, R. Said Bin Sultan pp. 37—38.

(٢) محمد عرابى نخلة : مرجع سبق ذكره ص ٣٦ .

(٣) Guillain, Documents Sur L'Histoire, Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale Tome I P. 186.

أن السيد سعيد حرص على توقيت حجه فى ذلك العام لكى يعبر عن تأييده لمحمد على بعد أن نجحت القوات المصرية فى السيطرة على نجد والحجاز .

وعلى الرغم من أن الوثائق المصرية قد سجلت لنا العديد من الرسائل الودية التى تبودلت بين محمد على والسيد سعيد [١] إلا أن علاقة الاثنين فيما بينهما لم تقتصر فقط على تلك العلاقات الودية وانما يسترعى الانتباه أن الأمور تحرجت بين الحاكمين تحرجاً شديداً ، ويحدثنا الشيخ منصور ، وهو طبيب ايطالى عمل فى خدمة السيد سعيد ورافقه فى كثير من حروبه ضد السعوديين وتسمى بذلك الاسم ، أنه عقب نجاح المصريين فى الاستيلاء على الحجاز كان والى جدة لا يكف عن تحذير السيد سعيد بعدم تخطى حدود ممتلكاته بالتوغل فى الداخل[٢] ، ومن المؤكد أن تلك التحذيرات كانت نتيجة لما كان يبذله السيد سعيد من محاولات للامتداد بسيطرته على أنقاض السلطة السعودية المتداعية وإن كان السيد سعيد آثر التراجع عن هذه المحاولات لتقديره أنه فى حاجة إلى الاحتفاظ بممتلكاته الأصلية قبل أن يفكر فى توسعات أخرى .

وإذا كانت المرحلة الأولى من مراحل التوسع المصرى فى الجزيرة العربية قد شهدت بعض العلاقات بين مصر وسلطنة مسقط فإن المرحلة الثانية من مراحل الوجود المصرى فى الجزيرة العربية ١٨٣٣ — ١٨٤٠ شهدت علاقات أكثر اتساعا إذ أنها لم تقتصر على سلطنة مسقط فحسب وإنما امتدت لكى تشمل معظم إمارات الخليج خاصة الكويت والبحرين ومشيخات الساحل العمانى . ويمكننا أن نؤرخ للمرحلة الثانية من التواجـــد المصرى فى الجزيرة العربية منذ عام ١٨٣٣ وهو العام الذى شهد توقيع صلح كوتاهية بين محمد على والسلطان فى إبريل من ذلك العام إذ أتاح توقيع تلك المهادنه انسحاب قسم كبير من القوات المصرية من آسيا الصغرى واتجاهها

---

(١) حفلت محافظ الحجاز بالكثير من المراسلات الودية التى تبودلت بين محمد على والسيد سعيد — راجع وثائق عابدين (القلعة) محافظ الحجاز رقم ٢٦١ — ٢٦٢ و ٨ بحر برا ١٢٣٤ — ١٢٣٦ هـ .

(٢) Shaikh Mansour (Vincenzo), History of Seyyid Said pp. 90—91.

إلى الجزيرة العربية، وفى السنوات التالية تحركت تلك القوات التى كانت تتألف من عدة آلاف مقاتل من قلب الجزيرة العربية صوب سواحل الاحساء بقيادة خورشيد باشا حيث أحرزت نجاحاً كبيرا فى اخضاع القبائل العربية تحت لوائها وعند مصب شط العرب كان مقدراً أن تلتقى هــذه القوات بالأسطول المصرى الذى كان قد أبحر عن طريق البحر الأحمر لتحقيق أهداف التوسع المصرى فى سواحل الخليج العربى[1] . وكما سبق أن أشرنا أن هذه المرحلة من مراحل التوسع المصرى كانت تختلف اختلافا كبيراً عن المرحلة التى سبقتها من حيث موقف بريطانيا فبينما كانت بريطانيا فى المرحلة الأولى حريصة على الاستفادة من وصول القوات المصرية فى قمع النشاط البحرى للقواسم نجد أنها وقفت فى المرحلة الثانية موقفا معارضاً للتوسع المصرى وذلك بعد أن نجحت فى توقيع معاهدات الصلح البحرى مع شيوخ الساحل العمانى وأخذت فى تدعيم نفوذها فى المنطقة ومن ثم كان من المستبعد بطبيعة الحال أن تقبل ظهور قوة جديدة تنازعها النفوذ فى الخليج وظهر ذلك واضحا فى معارضتها لأى اتصال يقوم به خورشيد باشا مع شيوخ الخليج خاصة حينما حاول خورشيد باشا أن يتخذ من القطيف مركزا للاتصال بالإمارات المجاورة محاولا إغراء شيوخها بالانضواء تحت سيادة محمد على ، حيث لقيت هذه المحاولات معارضة شديدة من بريطانيا التى قدرت أن وصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج سيمكن مصر من السيطرة على الخطوط الملاحية التى تصل أوربا بالهند[2]. ومما يستلفت الانتباه أن محمد على لم يشأ فى البداية الاصطدام بالانجليز إذ أعلن أنه لم يبغ من توسعه فى الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربى أكثر من اخضاع السعوديين وحماية الحرمين الشريفين[3]، كما أعلن عن استعداده لتقديم كافة الضمانات لتيسير سبل الاتصال بين مصر

---

(١) Dodwell, op. cit. pp. 142—145.

(٢) عن المعارضة البريطانية للتوسع المصرى فى الخليج انظر كتابنا الخليج العربى دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ — ١٩١٤ ص ص ٦٥ — ٧١ الذى رجعنا إليه فى توضيح بعض جوانب هذه المعارضة .

(٣) Palmerston to Colonel Campell 29th November 1838 F.O. 78/343.

راجع الأرشيف الأوربى بوثائق عابدين (القلعة حاليا) محفظة رقم ١٢

See also Temperley, Documents Old and New Doc. No. 27.

والهند ، غير أنه لم يكن من السهولة أن تسلم بريطانيا بذلك وإنما سارعت بتوطيد علاقاتها بشيوخ الخليج كما كلفت بعثة كسنى بمسح نهرى دجله والفرات واختبار صلاحيتهما للملاحة البخارية فى عام ١٨٣٤ ، وذلك لكى تفتح طريقا آخر للمواصلات بدلا من طريق البحر الأحمر الذى أصبح تحت السيطرة المصرية حتى احتلال بريطانيا لعدن فى عام ١٨٣٩ ، كما أرسلت بريطانيا بعض قواتها إلى البصرة واحتلت جزيرة خرج ١٨٣٨ ، التى تقع عند مدخل الخليج العربى فى ناحيته الشمالية ؛ بهدف مراقبة التحركات المصرية فى الأجزاء الشمالية من الخليج العربى[1] . وفى عام ١٨٣٨ أخذ الموقف يتأزم بين بريطانيا ومحمد على تأزما شديدا حيث كتب الليفتنانت كولونيل تايلور المقيم البريطانى فى بغداد إلى اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية يوضح العواقب التى سوف تترتب على تقدم القوات المصرية فى سواحل الخليج ، وبادر بالمرستون بالكتابة إلى الكولونيل كمبال ممثل بريطانيا فى القاهرة يبلغه بتلك المعلومات التى كان مفادها اتجاه القوات المصرية إلى الاحساء والقطيف تمهيدا للسيطرة على البحرين وطلب منه الاستفسار من السلطات المصرية فى القاهرة عن صحة هذه المعلومات مؤكدا أن هـذه التحركات تنظر إليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية . وسلم كامبل احتجاج بالمرستون إلى باغوص بك وزير محمد على حيث كان محمد على متغيبا فى السودان فى ذلك الوقت ، وحصل كامبل على وعد من باغوص بك بأنه سيبادر بتبليغ ذلك الاحتجاج إلى الوالى فور عودته وأنكر باغوص بك بأن يكون لمحمد على أية أطماع فى جزر البحرين[2] ، ومما تجدر الاشارة إليه أن تحركات القوات المصرية فى الخليج قد أثارت وزارة الخارجية بلندن ، ومن المعروف أن شئون الخليج كانت من اختصاص

---

(١) من خورشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوى ١٦ أبريل ١٨٣٩ حول احتلال الانجليز لجزيرة خرج محافظ الحجاز — محفظة رقم ٢٦٧ ، ٧ أصلية و٥٠ حمراء ٢١ محرم ١٢٥٥ هـ . عن عبد الرحيم عبد الرحمن : محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٨١٩ — ١٨٤٠ — الجزء الثانى ص ٥١٣ — القاهرة ١٩٨١ .

(٢) جون كلى : بريطانيا والخليج العربى جـ ١ ص ص ٥٢٥ — ٥٢٧ .

حكومة بومباى ولم يكن تدخل الحكومة البريطانية فى لندن فى شئون الخليج إلا فى الأمور الهامة التى تستوجب تدخلها ومن ثم فإن اهتمام وزارة الخارجية بلندن بالتحركات المصرية فى الخليج العربى يؤكد لنا أهمية تلك التحركات ليس بكونها خطرا على حكومة الهند فحسب وإنما على الامبراطورية البريطانية بأسرها وبصدد ذلك أرسل بالمرستون إلى حكومة الهند يلفت نظرها إلى ضرورة معارضة أى تقدم يقوم به خورشيد باشا فى الخليج ويطالبها بالتدخل المسلح إذا ما اقتضت الضرورة ذلك[1] . وقد ركز بالمرستون ، وقد عرف بسياسته العدائية ضد محمد على ، على جزر البحرين وما يمكن أن يشكلة استيلاء مصر على تلك الجزر من خطر على مركز بريطانيا فى الخليج العربى . والحقيقة أن خورشيد باشا كان يتجه فعلا للسيطرة على البحرين ، كما كان يعمل على استغلال المطالب السعودية لتحقيق نشاطه فى منطقة الخليج برمتها وقد وضح ذلك حين أسر فيصل بن تركى وبعث به إلى القاهرة وأحل بدلا منه الأمير خالد بن سعود الذى كان يتحرك وفقا لمشورته[2]. وباسم الأمير خالد تحرك خورشيد باشا للسيطرة على الاحساء . وقد يكون من المفيد أن نشير إلى أن الاحساء قد عادت إلى حكم بنى خالد فى عام ١٨١٨ ثم نجح السعوديون فى استردادها على يد الامام تركى بن عبد الله فى عام ١٨٣٠ ، ولكن الاضطرابات التى حدثت فى الاحساء بعد أسر الأمير فيصل جعلت الفرصة سانحة أمام خورشيد باشا لاستردادها باسم الأمير خالد بن سعود ، كما شدد خورشيد باشا جهوده على البحرين خاصة بعد أن التجأ إليها عدد كبير من السعوديين المناوئين لخالد ابن سعود وعلى رأسهم القائد السعودى عمر بن عفيصان[3] :

---

(١) Hoskins, Background of the British Posistion in Arabia Middle East Journal vol. 1 No.2 April 1947 pp. 138—143.

(٢) كان الأمير خالد بن سعود من الأسرى السعوديين الذين اعتقلهم ابراهيم باشا عند تحطيم الدرعية فى عام ١٨١٨ وأرسلهم إلى مصر وعندما كبر خالد بن سعود نال حظوة لدى محمد على الذى رأى أن يجعله أميرا على نجد ولذا أرسله إلى نجد بصحبة خورشيد باشا وبعد القبض على فيصل بن تركى أعان خالد بن سعود أميرا على نجد راجع الزينى دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء بيت الله الحرام ص ٣١٢ .

(٣) ج . ج لوريمر دليل الخليج ج ٣ ص ص ١٣٠٦ - ١٣٠٧ .

ومما تجدر الاشارة إليه أن خورشيد باشا استكتب خالد بن سعود عدة مطالب قدمت باسمه إلى شيوخ البحرين، ومن بين هذه المطالب إعادة قلعة الدمام وجزيرة طاروت إلى السعوديين وتسليم عمر بن عفيصان. وقد أفزعت تلك المطالب شيخ البحرين، الشيخ عبد الله، الذى بادر بطلب الحماية الفارسية كى يتخلص من تقدم القوات المصرية خاصة وأنه كان يعتقد بأن السيد سعيد بن سلطان يتآمر مع محمد على للاستيلاء على البحرين وحكمها نيابة عنه، وقد بادر أمير شيراز بارسال مبعوث من قبله هو حاجى قاسم ليقيم فى البحرين، ولم يكن لذلك التحرك أى أثر فى تهدئة مخاوف شيوخ البحرين الذين أذعنوا للتقدم المصرى وخاصة لما أشيع فى ذلك الوقت عن احتمال إبرام تحالف بين محمد على والشاه لمواجهة الأطماع الإنجليزية فى الخليج العربى[1]. وفيما يرجح لدينا أن محمد على كان يفكر بالفعل فى ايجاد تحالف بينه وبين فارس ولكن حال دون ذلك معارضة بريطانيا لقيسام تحالف من ذلك النوع إذ استغلت بريطانيا الادعاءات الفارسية على البحرين لكى تقاوم التقدم المصرى إلى تلك الجزر كما يفهم ذلك من تأكيد القنصل البريطانى فى الاسكندرية لمحمد على بأن البحرين لاتكون جزءاً من الجزيرة العربية حيث أنها تابعة لفارس وعلى ذلك فإن بريطانيا لن تسمح لاللدولة العثمانية ولاالقوات محمد على بالسيطرة عليها[2]. وهكذا اتجهت السياسة البريطانية إلى منع القوات المصرية من السيطرة على البحرين لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية، وشدد بالمرستون على استخدام القوة أو إلى احتلال فعلى تقوم به حكومة بومباى من أجل ذلك[3]، ولذلك سارع الأدميرال فردريك ميتلاند Maitland قائد البحرية البريطانية فى الهند إلى الخليج العربى

---

(١) Claim to Bahrein Islands—Foreign Secretary to the Govt. of India, 1937. See also Adamyiat F. Bahrein Islands pp. 134—136.

(٢) من خورشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوى ١٣ أكتوبر ١٨٣٩ وثائق عابدين (القلعة) محافظ الحجاز ١٢٥٥ هـ محفظة رقم ٢٦٧ وثيقة ١٣٩ أصلية، ٦ حمراء.

(٣) I.O, Political and Secret Dept, 20th Feb. 1840 302 A. See also Dodwell, op. cit. pp. 142—143.

ليقدم ما يلزم من حماية إلى شيوخ البحرين وغيرهم من شيوخ الخليج العربي(١). وقد وصل ميتلاند إلى البحرين فى الوقت الذى كان فيه خورشيد باشا قد انتهى من احتلاله للقطيف والعقير ووجد أن شيوخ البحرين كانوا على استعداد للاعتراف بالسيادة المصرية ، ولذلك رأى من الحكمة عدم القيام بأى عمل عسكرى ، وطلب من الكولونيل هنل المقيم البريطانى فى الخليج أن يعمل على وقف الضغط المصرى بالطرق السلمية. ويقرر هنيل فى تقرير بعث به إلى حكومة الهند أنه وجد من الأمراء الذين زارهم أنهم كانوا أكثر تقديرا لعظمة القوات المصرية (٢)، كما فوجىء هنل بأن هناك معاهدة تم توقيعها بين خورشيد باشا وشيوخ البحرين فى مارس ١٨٣٩ ويتضح لنا من توقيع تلك المعاهدة أن شيوخ البحرين أبدوا ترحيبهم بالوجود المصرى أملا فى التخلص مما كان يحيق بهم من خطر الانجليز والفرس وسلطان مسقط جميعاً ، وخاصة أن محمد على لم يتجه إلى طلب جزية كبيرة كما كان يفعل الفرس أو السعوديون ومما هو جدير بالذكر أن خورشيد باشا كان قد أوفد أحد مبعوثيه ويدعى محمد أفندى رفعت إلى البحرين ، للتفاوض فى عقد معاهدة ود وصداقة . وقد حفظت لنا وثائق القلعة بمصر نص المعاهدة التى وقعت بين الطرفين(٣) . كما حفظت لنا التقارير التى كان يبعث بها محمد أفنــدى رفعت عن مهمته التى قام بها فى البحرين والتى استند فيها على تبعية جزر البحرين للسعوديين وكما هو واضح أن محمد أفندى رفعت كان يحاول أن يسبغ شرعية على

---

(١) Rihani (Ameen), Ibn Saud P. 140.

(٢) Henell to Willoughby 14th Feb. 1839 Enclosure No. 3 letter from Abdullah Bin Khalifah to the Resident in the Persian Gulf 26th January 1839 F.O. 78/386 No. 140 Political Department, راجع الأرشيف الأوربى محفظة ١٢ وثائق القلعة (عابدين سابقا)

(٣) من خورشيد باشا إلى عبد الله آل خليفة ٧ مارس ١٨٣٩ مرفق عربى للوثيقة ١٣٧ حمراء وثائق عابدين (القلعة حاليا) محافظ الحجاز ١٢٥٤ هـ محفظة رقم ٢٦٧ .

التحرك المصرى فى البحرين الذى كان يتم خلال تلك المرحلة باسم الأمير خالد بن سعود . وتؤكد لنا الوثائق المصرية أن محمد أفندى رفعت نجح فى عقد معاهدة مع شيوخ البحرين قبلوا فيها الخضوع للحماية المصرية وأن يسلموا كل سنة ثلاثة آلاف فرانسة على سبيل الزكاة ، ولعل توقيع هذه المعاهدة أثار قلقا شديداً لدى الانجليز حتى أن هنل المقيم البريطانى فى الخليج وجه احتجاجا شديداً إلى خورشيد باشا محملا إياه أى ضرر يحدث للرعايا الإنجليز فى البحرين . كما أخذ ينشر النشرات المعادية للحكم المصرى وطلب من شيخ البحرين أن يعطيه المعاهدة ليمزقها وأن الإنجليز على استعداد لتقديم الحماية للبحرين وضمان الحكم لأسرة آل خليفة وألا يتقاضوا إيرادا من البحرين لمدة عشرين عاماً . وعلى الرغم من الضغوط التى استخدمها هنيل إلا أن الشيخ عبد الله امتنع عن قبول الحماية البريطانية وأجاب المقيم البريطانى بقوله . . « إنى وإن كنت طلبت منكم الحماية قبلا ولكن ماقلت لكم أن أكون من جملة رعايا الانجليز ، وأما اليوم فقد تصالحنا ولله الحمد مع خورشيد باشا وربطنا الصلح بشروط » ولم يكتف هنل بتهديد شيخ البحرين وإنمـــا أرسل إلى خورشيد باشا محتجا أن البحرين تتبع فارس ولايجوز الاستيلاء عليها ومذكرا له بما كان قد سبق أن صرح به محمد على إلى ممثل بريطانيا فى القاهرة بأن قواته لن تتعدى على بلاد العرب المتصلة بخليج فارس »[1] وقد أجاب خورشيد باشا على احتجاج هنل بأن ماقام به لايستوجب أى اعتراض وبرر ذلك بأن المناطق التى يعمل على فتحها كانت فيما مضى خاضعة للسعوديين وحيث أن محمد على قد أنعم على خالد بن سعود بالحكم فلا موجب إذن للاعتراض خاصة وأن المعاهدة التى وقعت مع شيخ البحرين كانت لاتختلف عما كانت بين هذا الشيخ والسعوديين من قبل[2] .

---

(١) وثائق عابدين (القلعة حاليا) — محافظ الحجاز ١٢٥٥ هـ محفظة رقم ٢٦٧ انظر اعتراض هنيل على اتفاق خورشيد باشا مع شيخ البحرين — صورة المرفق العربى الوثيقة رقم ١٤٧ حمراء ٢٧ يونية ١٨٣٩ .

(٢) وثائق عابدين (القلعة حاليا) : محافظ الحجاز ١٢٥٥ هـ صورة المرفق العربى الوثيقة رقم ١٣٧ حمراء — رد خورشيد باشا على اعتراض هنل ١٨٣٩/٧/٣١ .

ولعل مما يسترعى انتباهنا الموقف الذى اتخذه شيوخ البحرين فى علاقتهم بكل من الانجليز والمصريين ، وعلى وجه خاص تحولهم إلى صداقة المصريين وفى تحليلنا لذلك الموقف ينبغى أن نؤكد هنا أن الأوضاع الداخلية فى البحرين كانت من أهم أسباب ذلك التحول إذ شهد عهد الشيخ عبد الله بن خليفة خروج بعض أفراد أسرته عليه وحين استنجد ببريطانيا لم تستطع أن تلزم نفسها بضمان الحكم له فى الوقت الذى تعرض فيه للمنافسات الأسرية ، وعلى الرغم من أن الشيخ عبد الله حاول أن يستعين بفارس إلا أن منافسيه سبقوه إليها ولذلك لم يجد أمامه قوة تسانده سوى اللجوء إلى خورشيد باشا . بيد أن أسلوب الضغط الذى استخدمته بريطانيا ضد البحرين كان من أهم العوامل التى أدت إلى تراجع الشيخ عبد الله عن اتفاقه مع خورشيد باشا إذ أوضح للمقيم البريطانى أنه عدل عن اتفاقه بعد أن أدرك أن خورشيد باشا يهدف إلى احتلال البحرين واتخاذها قاعدة لشن هجوم بحرى على البصرة وأنه كان يريد استخدام السفن التابعة لآل خليفة لتحقيق تلك الغاية ، وأكد الشيخ عبد الله أنه بعد أن تراجع عن اتفاقه هذا فإنه يطلب من الحكومة البريطانية ضمان الحكم له ولأسرته . وقد أوصى هنل حكومة بومباى بقبول مبدأ الحماية للبحرين وأكد فى التقرير الذى بعث به إلى حكومته بأن تصرفات الشيخ عبد الله وتردده بين القوى المختلفة كان منشؤها الرغبة فى مسالمة أية دولة قوية تطمع فى السيطرة على البحرين ؛ وكانت هذه هى النتيجة التى توصلت إليها بريطانيا فى نهاية الأمر ، ومما يذكر بصدد ذلك أن البحرين كانت أولى إمارات الخليج التى خضعت للحماية البريطانية وذلك منذ توقيعها معاهدة ١٨٦١ مع الحكومه البريطانية [١] .

لم يقف نشاط خورشيد باشا فى علاقته بإمارات الخليج العربى عند إمارة البحرين فحسب بل حاول أيضا الاستيلاء على المقاطعات التابعة لسلطنة مسقط منتهزا فرصة التفكك الإقليمى الذى كانت تعانيه تلك السلطنة بانتقال عاهلها إلى زنجبار وإلى الثورة التى تزعمها حمود بن عزان فى عام ١٨٣٠ والتى أدت إلى استقلاله بميناء صحار فى عام ١٨٣٩ ، ومن الثابت أن

(١) I.O. Political and Secret Department CF. Historical Memorandum on Bahrein B. 436.

محمد على كان يفكر جديا فى السيطرة على سلطنة مسقط تحقيقا لمشروعه الذى كان يستهدف منه السيطرة على جميع سواحل شبه الجزيرة العربيــة وخاصة لتقديره أهمية موقع ميناء مسقط ورغبته فى التحكم فى مداخل الطرق البحرية للخليج العربى(١)، يضاف إلى ذلك أهمية ميناء مسقط فى نقل الامدادات إلى القوات المصرية فى الخليج والجزيرة العربية إذ أن نقل الغلال من مسقط أسهل وأقل تكلفة من نقلها عن طريق القصير وجدة(٢) . وتؤكد بعض المصادر أن القوات المصرية سببت فزعا كبيرا لحكام مسقط ولو لم تبادر بريطانيا بمساعدتهم لسقطت السلطنة وملحقاتها فى قبضة خورشــيد باشا (٣) .

والجدير بالذكر أن معاهدة ١٨٣٩ بين السيد سعيد وحمود بن عزان عقدت بمشورة بريطانيا بهدف توحيد الجبهة العمانية ضد القوات المصرية وقد نصت المعاهدة على أن يحتفظ كل طرف بممتلكاته وأن يتعهد الطرفان بأن يعيش كل منهما داخل ممتلكاته دون عدوان واشترط السيد سعيد أن تعاونه بحار عسكرياً حــين يطلب منها ذلك . كذلك بادرت بريطانيا فى عام ١٨٣٩ بعقد معاهدة مع سلطنة مسقط بعد أن استنفدت معاهدة ١٧٩٨ أغراضها(٤) .

ومما يسترعى الانتباه أن مخاوف سلطان مسقط من التوسع المصرى فى سلطنته لم يتضح إلا فى عام ١٨٣٩ أما قبل ذلك فقد كان موقف سلطان مسقط مؤيداً للتقدم المصرى فى الجزيرة العربية إذ أن ذلك التقدم قد أعفى سلطنة مسقط من دفع الزكاة السنوية للسعوديين ؛ ولذلك كان سرور السيد

---

(١) Tamisier, Voyage en Arabie Tome I P. 359.

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن : من وثائق الجزيرة العربية فى عصر محمد على المجلد الأول ص ص ٧٢٤ — ٧٢٥ الدوحة ١٩٨١ .

(٣) Jackson, European Powers and South East Africa CF. Muscat and the Powers P, 170.

(٤) ج . ج لوريمر : دليل الخليج جـ ٢ ص ٧٠٥ .

سعيد عظيما عندما تمكن خورشيد باشا فى فترة سابقة على ذلك التاريخ من القضاء على حكم الإمام فيصل بن تركى ، ولكن يبدو أن سروره لم يستمر طويلا حينما أصدر محمد على فرمانه الخاص بتعيين خالد بن سعود بدلا من الإمام فيصل أميراً على نجد . ويتضح لنا قلق السيد سعيد من رسالة بعث بها إلى محمد على فى عام ١٨٣٩ يحذره فيها من خالد بن سعود وقد جاء فى تلك الرسالة « وقد فرحت الخلق برواح فيصل بن سعود ويدعون لكم آناء الليل وأطراف النهار وإن تمكن خالد بن سعود يقع منهم (أى من السعوديين) أكثر مما مضى »[1]. وتؤكد لنا الوثائق المصرية أن السيد سعيد رغب فى تنسيق سياسته مع محمد على وأنه أرسل له ثلاث رسائل توضح له أهمية ذلك التنسيق ولكن محمد على أهمل عروض السيد سعيد حتى قرر خورشيد باشا التدخل فى البريمى والساحل العمانى فبدأت المراسلات من جديد للوقوف على مدى استعداد السيد سعيد للتنسيق أو التعاون ، وربما كانت العقبة التى حالت دون ذلك الموقف العدائى الذى وقفه خالد بن سعود الذى تابع التقاليد السعودية فى اصراره على أن تدفع مسقط الزكاة السنوية التى كانت مقررة للسعوديين[2] ، وكتب إلى أبناء السيد سعيد ثوينى وهلال اللذان كانا يقومان بالحكم فى مسقط نيابة عن أبيهما أثناء تواجده فى زنجبار بأن يكونا فى علاقتهما معه على الوضع الذى كان عليه أبوهما مع أسلافه تركى وفيصل . وليس من شك فى أن رسالة خالد بن سعود هذه أزعجت سلطان مسقط فأرسل كتاباً إلى محمد على عن طريق حاكم الحجاز موضحاً له استياءه من تلك التصرفات مبدياً استعداده للتفاهم مع محمد على وإجابة مطالبه ، ولما لم يكن محمد على يرغب فى تضييق الخناق على السيد سعيد لأنه كان لا يزال يراوده الأمل فى الاستعانة به لتحقيق مشروعاته التوسعية

---

(١) وثائق عابدين (القلعة حاليا) — محفظة رقم ٢٦٦ حجاز ١٢٥٥ هـ صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٨١ حمراء و ٤٣ أصلية .

(٢) وثائق عابدين (القلعة حاليا) : محفظة رقم ٢٦٦ حجاز ١٢٥٥ هـ من خالد بن سعود إلى أبناء السيد سعيد — صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٨١ حمراء و ٤٣ أصلية (ذكرت بدون تاريخ) .

فى الخليج فقد بادر بالكتابة إلى خالد بن سعود يقول له « إنه بالنظر للصفوة القائمة بيننا وبين حضرة الإمام المشار إليه لا نوافق على كسر خاطره أصلا فاجتنب المعاملة التى توجب اضطراب حضرة الإمام المشار إليه وبادر إلى إدخال السرور عليه وتطييب خاطره[1] ». كما أمر فى نفس الوقت أحمد باشا قائد جيش الحجاز بأن يكتب إلى السيد سعيد يؤكد له « ان ما كتبه خالد بك لحضرتكم إنما هو من مقتضيات صبوته وخفة مزاجه وقد كتبنا له بأن يرجع عن مثل هذه الكتابة وأن يراعى خاطركم فى كل حال[2] » .

وبينما كان محمد على يتجه إلى استخدام تلك السياسة التلطيفية كان خورشيد باشا يعمل على السيطرة على المقاطعات العمانية وأخذ يمهد لمشروعه هذا عن طريق سـيطرته أولا على واحات البريمى التى هى بمثابة المفتاح الرئيسى لعمان، وكان من المتوقع نجاح خورشيد باشا فى السيطرة على سلطنة مسقط بأسرها نظراً لما كانت تعانيه السلطنة من تفكك فى ذلك الوقت ولعل هذا التفكك كان يهم خورشيد باشا الذى لاحظ حالة البلاد جيداً وكتب إلى محمد على يقول « إن عمان ثلاثة أقسام جانب فى حكومة سعيد ابن سلطان إمام مسكت (مسقط) وجانب فى حكومة ولد عمه حمود بن عزان وجانب من الظاهرة فى حكومة السعوديين[3] » . وقد مهد خورشيد باشا لمشروعه هذا بايفاد سعد بن مطلق إلى واحة البريمى فى عام ١٨٣٩ لكى يعمل على تهيئة الأذهان لتقبل الحكم المصرى القائم فى نجد[4]، فى الوقت الذى

---

(١) وثائق عابدين (القلعة) — محفظة رقم ٢٦٦ حجاز ١٢٥٥ ترجمة الوثيقة ١٠٤ حمراء .

(٢) وثائق عابدين (القلعة) — محافظ الحجاز انظر إرادة رقم ٢٥ من محمد على بتاريخ ٣ ذى القعدة ١٢٥٥ هـ .

(٣) وثائق عابدين (القلعة) محفظة رقم ٢٧٠ وثيقة عربية ١٩٠ حمراء بتاريخ ١٢ جمادى الآخر ١٢٥٥ هـ رسالة من خوشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوى .

(٤) ترى الوثائق السعودية بصدد ذلك أن سعد بن مطلق المطيرى تعاون مع خورشيد باشا بدافع من ولائه لآل سعود إذ كان محمد على لا يزال يظهر حتى ذلك الوقت أنه يعمل فى نجد باسم خالد بن سعود، انظر التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية عرض الحكومة السعودية جـ ١ ص ١٧٣ القاهرة فى ١٩٥٥ .

وقف فيه السيد سعيد موقفاً مضاداً حيث أخذ يعمل على تأليب شيوخ بنى النعيم ويحرضهم على عدم الاذعان للوضع القائم وأن يحتفظوا باستقلالهم[١] والأمر الذى لا شك فيه أن السيد سعيد كان يفضل استقلال تلك الواحة على وقوعها فى أيدى المصريين فهو لا يمكن أن يرحب بطبيعة الحال بأن تقوم إلى جواره قوة عسكرية فتية أثبتت كفايتها العسكرية فى الجزيرة العربية وقضت على أكبر قوة بها وهى القوة السعودية . ومما لا شك فيه أيضاً أن الإنجليز اشتركوا مع السيد سعيد فى تحريك قبائل النعيم على الثورة ضد سعد بن مطلق المطيرى ويتضح ذلك من رسالة بعث بها إلى خورشيد باشا يؤكد فيها « إن الفتن والثورات القائمة فى البريمى إنما هى من حركات الإنجليز »[٢]. ولعله من المفيد أن نشير هنا إلى أن العلاقة بين آل النعيم والدولة السعودية التى أقامها المصريون فى نجد قد أصابها الفتور ذلك أن آل النعيم لم يعترفوا بامارة خالد بن سعود كما لم يعترفوا بالوجود المصرى واعتبروا ذلك انحرافاً عن العقيدة الوهابية ،وقد استغل هنل هذا الوضع لإرسال أحد ضباطه إلى البريمى ليقوم بتوزيع السلاح والعتاد والمواد الغذائية وإجراء المصالحات بين قبائل الظواهر والنعـــيم والشوامس ، كما بادر هنل بارسال احتجاج شديد اللهجة إلى خورشيد باشا جاء فيه « إنه ينبغى من جنابكم الكف والسكوت عن المداخلة والتصرف فى أمورات البحرين وعمان إلى أن تصل المخاطبة فيما بين الدولتين الإنجليسية والمصرية وتقضى على نهج معلوم » ، كما ذكر له أيضاً أنه إذا ما أرسل عساكر إلى طارفة البريمى سواء من البر أو البحر فسيتخذ ذلك دليلا واضحاً على أن جنابكم غير

---

(١) وثائق سعودية : التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية عرض الحكومة السعودية ج ١ ص ص ١٧٣/١٧٥ .

(٢) وثائق عابدين — محفظة رقم ٢٧٠ وثيقة عربية رقم ٩٤ بتاريخ ١٢ جمادى الآخر ١٢٥٥ هـ .

راغب فى استقامة الصداقة فيما بين الدولتين بدون خلل[١] ، وثمة ما ينبغى الإشارة إليه أيضاً أنه فى خلال موجة التوسع المصرى كانت الحكومة البريطانية لا تكف عن تنبيه السيد سعيد بأن يكون على أهبة الاستعداد لمقاومة القوات المصرية الزاحفة فى أى وقت[٢] . ومما لاشك فيه أيضاً أن محمد على كان يعمل فعلا على الاستيلاء على سلطنة مسقط وقد أعرب عن رغبته هذه فى حديث بينه وبين الكولونيل هودجس Hodges القنصل البريطانى العام فى القـاهرة فى ابريل ١٨٤٠[٣]، والتى لم تتحقق بسبب اضطراره إلى الانسحاب من الجزيرة العربية، ويذكر شارل ديدييه إن علاقات الصداقة لم تلبث أن استؤنفت من جديد بين محمد على والسيد سعيد كما تبادل خلفاء محمد على، عباس وسعيد، الهدايا مع السيد سعيد وقد حفلت وثائق القلعة بكثير من الرسائل التى تؤكد استمرار العلاقات الودية بين مصر وسلطنة مسقط وزنجبار[٤] .

وقد أدت محاولات خورشيد باشا السيطرة على البريمى وغيرها من المقاطعات العمانية إلى إيجاد علاقات بينه وبين شيوخ السـاحل العمانى التى تعرضت بدورها لموجة التوسع المصرى مما استلزم من الأدميرال ميتلاند الالتقاء بشيوخ الساحل وتذكيرهم بروابط الصداقة بينهم وبين بريطانيـا وعلى حين أكد الشيخ سلطان بن شخبوط شيخ أبوظبى الذى التقى بالادميرال ميتلاند على مقربة من المنامة حرصه على توثيق الروابط بينه وبين بريطانيا أعرب سلطان بن صقر شيخ القواسم عن ثقته بأن السكان العرب لايستطيعون وقف خورشيد باشا ، وأجاب ميتلاند بأن قبائل الساحل العمانى فى وسعها

---

(١) وثائق عابدين (القلعة حاليا) — محفظة رقم ٢٦٧ صورة المرفق العربى المؤرخ فى ١٧ جمادى الآخر ١٢٥٥ هـ .

انظر رسالة من هنيل إلى خورشيد باشا .

(٢) Coupland, R. East Africa and It's Invaders P. 470.

(٣) Ruete, R. Said Bin Sultan P. 78 1929.

(٤) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا ص ١٨٧ القاهرة ١٩٦٧ .

التصدى لخورشيد باشا لو أنها وحدت صفوفها وأن قبائل القواسم التى تضم رأس الخيمة والشارقة وعجمان وأم القوين تستطيع تعبئة أحد عشر ألف مقاتل . ومما تجدر الاشارة إليه أن سلطان بن صقر رفض تعبئة هذه القوة تحت إشراف بريطانيا لما قد يؤدى إليـــه ذلك من كثرة الحزازات القبلية وقد ورد فى التقرير الذى كتبه ميتلاند وبعث به إلى حكومة بومباى إنه لمما يحز فى النفس أن أرى زعماء القبائل غير مدركين (للخطر) الذى يداهمهم وأنهم رغم المخاطر التى يتعرضون لها فإنهم لم يتخذوا أية خطوة لمواجهتها [1].

ولم تلبث الأمور أن تأزمت فى الساحل العمانى حينما وصل سعد بن مطلق المطيرى إلى الشارقة وأبلغ سلطان بن صقر أنه جاء موفدا من الأمير خالد بن سعود لاحتلال البريمى وقد بادر سلطان بن صقر باحلاله فى إمارته خوفا من أن ينصرف إلى منافسه خليفة بن شخبوط ولكن المقيم البريطانى فى الخليج الكولونيل إدموندز Edmonds نصح الشيخ سلطان بضرورة التخلص منه مهما تكن مخاوفه من ردود الفعل لأنه من المؤكد أنه وفد إلى الساحل بتكليف من خور شيد باشا وليس من الأمير خالد بن سعود وفى ذلك الوقت كانت الشائعات منتشرة فى الساحل العمانى بأن عملاء خور شيد باشا موجودون فى جميع أنحاء الخليج [2].

ولم تلبث أن تحققت صدق المخاوف البريطانية حينما أبلغ سعد بن مطلق الشيخ سلطان صراحة بأنه جاء ممثلا عن خورشيد باشا ولذلك أدرك هنل الذى وصل إلى المقيمية البريطانية فى الخليج بأنه إذا سمح لسعد بن مطلق بالبقاء فى منطقة الساحل العمانى فلن يمضى وقت طويل حتى يكون جميع شيوخ الساحل قد خضعوا لمحمد على ، ولذلك أسرع هنل بالحصول على تعهدات خطية من شيوخ الساحل بمقاومة نفوذ خورشيد باشا وأضيف نص خاص بالنسبة للشيخ سلطان بن صقر يتعهد فيه صراحة بعـــدم إجراء أية

---

(٢) جون كل : بريطانيا والخليج ج ١ ص ٥٤٥ .

(٣) نفسه ص ص ٥٦٠ — ٥٦١ .

علاقات أو مراسلات أو اتفاقيات مع محمد على أو أنصاره أو أية قوةأجنبية أخرى قبل موافقة الحكومة البريطانية وأن يعتبر حلفاء تلك الحكومة حلفاءه وأعداؤها أعداءه . وطبقا لما تقرره الوثائق البريطانية بعث الشيخ سلطان ابن صقر إلى المقيم البريطانى يطلب منــه التعرف على موقف الحــكومة البريطانية إذا ما تعرض لتوسع القوات المصرية ، وكتب المقيم البريطانى إلى حكومة الهند معلقا على رسالة الشيخ سلطان بأنه كان يريد أن يؤكد للشيخ بأن الحكومة البريطانية تمتنع عن التدخل فى الشئون الداخلية ، كما كان يفعل ذلك فى الماضى ، ولكن الظروف تبدو مختلفة الآن اختلافاً كبيراً عما كانت عليــه قبل ظهور القوات المصرية ولعل ذلك مادفعه إلى تقديم ضمانات الحماية للشيخ سلطان بن صقر ما كان له الأثر فى الزام الشيخ نفسه بالتعهد الذى أشرنا إليه [1] . ومما تجدر الاشارة اليه أن سعد بن مطلق كان يحمل معه رسائل من خورشيد باشا يطلب فيها من شيوخ الساحل تقديم المساعدة له ومحذرا إياهم من عدم الانصياع له [2] ، وقد أحدث هذا التحرك أثركبيرا لدى شيوخ الساحل إلى درجة أفزعت الكولونيل هنل المقيم البريطانى فى الخليج الذى وجه تحذيرات إلى الشيوخ فى ٥ يونيه ١٨٤٠ جاء فيها « فليكن معلوما أننا قد أنذرنا العامة [3] أن كل أحد من المشايخ الداخلين فى سلك الصلح البحرى مع جناب حضرة السركار بها دور يعطى لسعد بن مطلق مكانا عنده يقع الخلل فى صداقته مع حضرة السركار ذى الاقتدار ولا

---

(١) Campell to Fackrouse—Secret No. 6 of 1839 29th January 1839. See also Hennell to Willoughby Secretary to the Govt, of Bombay, Enclosure in India Board 6th May 1839 F.O. 78/336. انظر الأرشيف الأوربى بوثائق القلمة محفظة ١٢

(٢) Hennell to the Govt. of Bombay 12th Feb. 1839, CF. Enclosure No. 6 from Molla Hussein, The Native agent of Sharga to the Resident in the Persian Gulf 14th January 1839, F.O. 78/336. راجع الأرشيف السابق

(٣) الشيوخ الذين اشتركوا فى توقيع معاهدة السلام العامة فى يناير ١٨٢٠ .

يلومن إلا نفسه»[1]. ونجح هنل فى الحصول على تعهدات من شيوخ الساحل بعدم التعاون مع سعد بن مطلق أو خورشيد باشا إذ أن هذا التعاون يعـد خرقا صريحا لروابط الاتحاد والصلح القائم بينهم وبين الحكومة البريطانية وكان أبرز الشيوخ الذين كتبوا هذه التعهدات الشيخ خليفة بن شخبوط شيخ بنى ياس ومكتوم بن بطى حاكم دبى وسلطان بن صقر شيخ القواسم ، ولم تكن هذه التعهدات إلا مقابل وعد شفهى بأن يمد أولئك الشيوخ بآلات الحرب ومعدات القتال إذا مااقتضت الضرورة ذلك[2] .

كذلك امتدت التحركات البريطانية إلى قبائل النعيم فى قطر الذين ظلوا على موقفهم المعارض لتقدم القوات المصرية على عكس قبائل البوكوارة التى أخذت تدفع الجزية إلى شيخ البحرين لصالح القوات المصرية . ومما تجدر الإشارة إليه أن الصدام بين القوات المصرية وبريطانيا كاد أن يتم فى منطقة الساحل العمانى ويتضح لنا ذلك من رسالة بعث بها خورشيد باشا إلى محمد على يؤكد فيها أن هدف الانجليز الاستيلاء على الخليج العربى لينفذوا إلى فارس ويشكلوا عقبة أمام روسيا ، ويتساءل خورشيد باشا فيما يجب عمله ضد الانجليز ولكن محمد على وكان متورطا فى مشاكل الشام كتب إليه فى سبتمبر ١٨٤٠ بأن الوقت أصبح غير مناسب للتدخل فى شئون البحرين والساحل وأنه يتعين عليه العودة إلى مصر ويغلق باب المصروفات الذى فتحه فى نجد بعد أن يترك عليها خالد بن سعود. ولعل محمد على كان يأمل باتخاذ قرار الانسحاب من منطقة الخليج العربى كسب ود بريطانيا لكى تغض الطرف عن مشروعاته التوسعية فى الشام وهو أمل لم يتحقق له بطبيعة الحال . وقبل أن نعرض

---

(١) هنل إلى سلطان بن صقر ٢١ ربيع آخر ١٢٥٥ هـ (٥ يونية ١٨٤٠) وثائق عابدين (القلعة) محفظة رقم ٢٧٠ حجاز ١٢٥٥ هـ المرفق العربى للوثيقة ١٩٤ حمراء .

(٢) وثائق عابدين (القلعة) محافظ الحجاز ١٢٥٥ هـ محفظة رقم ٢٦٧ حجاز صورة المرفق العربى المؤرخ فى ١٧ جمادى الأخرى ١٢٥٥ — من هنل باليوز خليج العرب إلى خورشيد باشا سر عسكر نجد .

(٣) وثائق عابدين (القلعة) — محافظ الحجاز محفظة رقم ٢٦٧ حجاز من خورشيد باشا إلى الباشمعاون الخديوى ٣ شعبان ١٢٥٥ هـ وثيقة رقم ٣٩ أصلية و ٧ حمراء ..

للعوامل التى أدت إلى انسحاب القوات المصرية من الخليج والجزيرة العربية قد يكون من المفيد أن نشير إلى أن التوسع المصرى كان يضع الكويت ضمن مخططاته العسكرية على الرغم من أن النشاط المصرى لم يتضح فى الكويت بالقدر الذى كان عليه فى الاحساء والبحرين ومنطقة الساحل العمانى وسلطنة مسقط . ولكن من الثابت لدينا أنه حينما وصلت القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا إلى سواحل الاحساء فى عام ١٨٣٨ أرسل خورشيد باشا مندوبا عنه ليقيم فى الكويت على أنه وكيل لشراء الامدادات اللازمة للقوات المصرية ولا شك أن خورشيد باشا كان فى حاجة شديدة إلى الاستعانة بسفن الكويت التى كانت مجهزة تجهيزا طيبا وإن لم يثبت مع ذلك استفادة القوات المصرية بالأسطول الكويتى باستثناء شحنة واحدة من الذخيرة والعتاد نقلتها سفن الكويت إلى القوات المصرية خلال وجودها فى الاحساء من ميناء الحديدة على ساحل البحر الأحمر[١] . على أنه لم يلبث أن اتضح الهدف الحقيقى من إقامة الوكيل المصرى بالكويت وهو أن يكون مبعوثا سياسيا وجامعاً للأخبار المتعلقة بامكانية نجاح خطة خورشيد باشا فى تطويق العراق بقوات من الاحساء والكويت بالاضافة إلى القوات المصرية فى الشام بهدف انتزاع العراق من الدولة العثمانية[٢] . وقد استرعى وجود المندوب المصرى فى الكويت نظر الانجليز ، ولما كان الشيخ جابر بن الصباح حاكم الكويت ١٨١٣ - ١٨٥٩ يحرص على علاقات حسن الجوار مع الدولة العثمانية والصلات الودية مع الحكومة البريطانية فقد آثر الوقوف على الحياد وإن لم يمنع ذلك من أنه منح المندوب المصرى مكانة خاصة فى مجلسه كما أبدى فى بعض المناسبات تعاطفا مع التقدم المصرى فى سواحل الخليج العربى[٣]. وتذكر بعض المصادر أنه حدث خلال وجود المندوب المصرى فى الكويت أن

---

(١) ج . ج لوريمر : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥١٥ .

(٢) جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء العدد ١٧ من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ص ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) Earl Brampton to J.W. Parren 28th August 1841 F.O. 78/469. عن الأرشيف الأوربى بوثائق القلعة (عابدين سابقا) محفظة رقم ١٢

عامل الشيخ جابر مسئولا بريطانيا وهو اليفتنانت إدموندز Edmonds معاملة تجافى اللياقة وذلك أثناء زيارته للكويت من أجل مفاوضة حاكمها بشأن انشاء خط حديدى عبر صحراء نجد بين الكويت والبحر المتوسط وتضيف تلك المصادر أن حكومة الهند لم تجد مع ذلك ما يلزم تأنيب الشيخ على تصرفه هذا مبررة أن الأمر لم يصدر عن نوايا سيئة ولكن بهدف خداع الوكيل المصرى . وإن كنا بطبيعة الحال لانتفق مع ذلك التبرير إذ أن شيخ الكويت لم يختلف عن بقية شيوخ ورؤساء الخليج فى ترحيبه بالتقدم المصرى تخلصا من الضغوط البريطانية من ناحية وتعاطفا مع القوات المصرية من ناحية أخرى أو على الأقل تقديرا لما أحرزته من انتصارات كبيرة فى أواسط الجزيرة العربية .

وعلى الرغم من التقدم الكبير الذى أحرزته القوات المصرية فى سواحل الخليج العربى إلا أن الأوضاع المتأزمة فى نجد واغتيال مندوب خورشيد باشا فى البحرين[1]، وعدم استطاعة إرسال المزيد من القوات العسكرية إلى الاحساء بسبب عدم مقدرة السفن المصرية من الوصول إلى الخليج العربى بسبب احتلال الانجليز لميناء عدن فى عام ١٨٣٩ كانت من أهم الأسباب التى أدت إلى الانسحاب المصرى من سواحل الخليج العربى ، هذا بالاضافة إلى عوامل أخرى من بينها ما تردد فى بعض المصادر عن كثرة الأوامر المشددة التى كان يطلب فيها محمد على من خورشيد باشا ضرورة الانسحاب مما دعى البعض إلى التشكيك فى غيرة محمد على من قائده خورشيد باشا وما حققه من انتصارات متوالية مما دعاه إلى التفكير فى ضرورة الحد من نشاطه ومطالبته بالعودة إلى مصر[2]. ولعل ما ذهبت إليه تلك المصادر كان بسبب أن الانسحاب المصرى من الخليج والجزيرة العربية حدث قبل أن تجبر مصر على الانسحاب من المناطق التى توسعت فيها بمقتضى اتفاقية لندن

---

(١) عن اغتيال محمد أفندى رفعت مندوب خورشيد باشا فى البحرين راجع ابن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد جـ ٢ ص ٨٧ . وعبد الرحيم عبد الرحمن : محمد على شبه الجزيرة جـ ٢ ص ٥٩٠ القاهرة ١٩٨١ .

(٢) ج . ج لوريمر : دليل الخليج العربى جـ ٣ ص ص ١٤٤٠ / ١٤٤١ .

١٨٤٠ والفرمانات الصادرة على أساسها والتى وضعت نهاية لمخططات محمدعلى التوسعية ولتطلعاته فى انشاء امبراطورية عربية تمتد من النيل إلىالفرات وذلك بعد أن توالت الهزائم على الجيش المصرى من قبل قوات التحالف المشتركة من الدولة العثمانية والنمسا وبريطانيا . على أنه مما تجدر الإشارة إليه أن انسحاب القوات المصرية من الخليج والجزيرة العربية قد أوجد فراغاً كبيراً وفى منطقة الخليج لم تتمكن الدولتان الاسلاميتان الكبيرتان فارس والدولة العثمانية أن تقوماً بملء هذا الفراغ ، فعلى الرغم من أن فارس كانت تجد تأييداً من روسيا فى مناوأة النفوذ البريطانى فى الخليج إلا أن فشلها فى السيطرة على هيرات . وهى منطقة جبلية صغيرة تقع على الحدود الهندية الأفغانستانية واستيلاء الإنجليز على جزيرة خرج ١٨٣٨ الواقعة فى المدخل الشمالى للخليج بالقرب من مصب شط العرب ، وبقاء الاحتلال البريطانى فى تلك الجزيرة حتى عام ١٨٤٢ قد أبعدت فارس عن أن يكون لها دور ملموس فى وراثة التوسع المصرى فى منطقة الخليج ، أما عن الدولة العثمانية فقدكانت منشغلة بتنظيماتها الداخلية وبمشاكلها الخارجية كما كانت الإمارات العربية فى الخليج قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف والتفكك بحيث لم تستطع أن تسد جانباً من هذا الفراغ بما فى ذلك سلطنة مسقط التى انصرف عاهلها إلى زنجبار ولم تعد هناك قوة محلية يعتد بها سوى القوة السعودية التى أتيحت لها الفرصة للاستفادة من الأوضاع السياسية التى أعقبت انسحاب القوات المصرية من الخليج العربى ، وقد ظهرت تلك القوة على أثر انبعاث الدولة السعودية الثانية بعد أن وضع السعوديون نهاية لحكم الأمير خالد ابن سعود الذى اعتبر صنيعة للمصريين ، وتولى الحكم عبد الله بن ثنيان فى عام ١٨٤٢[١] ، ثم خلفه الإمام فيصل بن تركى الذى امتد حكمه من عام

---

(١) وثائق الحكومة السعودية : التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية — العرض التاريخى جـ ١ ص ص ١٨٠ — ١٨١ .

١٨٤٣ إلى ١٨٦٥، ورغم محاولة الدولة السعودية الثانية التوسع فى سواحل الخليج إلا أن بريطانيا وقفت حائلا دون امتدادها إلى الامارات العربية المرتبطة بمعاهدات وعلاقات خاصة معها ، كما عملت فى الوقت نفسه على تأكيد نفوذها السياسى فى منطقة الخليج العربى بصورة أقوى مما كانت عليه فى النصف الأول من القرن التاسع عشر[1] :

---

(١) Hoskins, Background of the British Posistion in Arabia CF. M.E.J. April 1947 pp. 138—143.

الخاتمة



تناولت الفترة التى تعرضنا لها فى هذا الكتاب تاريخ الامارات العربية فى الخليج العربى منذ أوائل القرن السادس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا . وهذه الفترة تواكب عصر التوسع الأوربى الأول منذ بداية السيطرة البرتغالية على الخليج العربى حتى تدعيم السيطرة البريطانية ، وقد أوضحت الدراسة أن السيطرة على منطقة الخليج العربى تتطلب قوة بحرية كبيرة بسبب الطبيعة البحرية للمنطقة ، ولذلك استطاعت القوى البحرية التى ظهرت فى عصر التوسع الأوربى الأول أن تحقق سيطرتها على المنطقة ، ونعنى بذلك القوى البحرية البرتغالية والهولندية والفرنسية ، حتى استطاعت بريطانيا بفضل تفوقها البحرى أن تنتزع من تلك القوى مجال التفوق والسيادة ، فى الوقت الذى عجزت فيه القوى الغير بحرية أن تحقق لها سيادة فعلية ، ونعنى بذلك الدولة العثمانية التى افتقرت إلى قواعد بحرية فى بحار الشرق ، رغم أن مركزها الدينى كان يتيح لها قدراً كبيرا من النجاح ، كذلك لم تتمكن فارس من أن تصل إلى مجال التفوق فى الخليج العربى بسبب ضعف إمكاناتها البحرية . ولعل مما يستلفت النظر أن حركات المقاومة التى قامت ضد السيطرة البرتغالية والهولندية والانجليزية ارتكزت على القوى البحرية أيضا ، ونعنى بذلك قوة اليعاربة البحرية فى صراعهم ضد البرتغاليين ، وقوة عرب الساحل الشرقى للخليج فى صراعهم ضد الهولنديين ، وقوة القواسم البحرية فى مواجهتهم للسيطرة البريطانية على على الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر .

ولعل مما يسترعى الانتباه أن انهيار السيطرة البرتغالية فى الخليج العربى قد نتج عنها ظهور تنظيمات محلية بدأت فى شكل تجمعات قبلية كاتحاد العتوب واتحاد القواسم واتحاد بنى ياس . وقد أتيح لتلك التنظيمات أن تصل إلى قدر كبير من النمو السياسى والاقتصادى، وساعدها على ذلك انشغال القوى الأوربية التى ظهرت فى أعقاب السيطرة البرتغالية بالتنافس الذى قام فيما بينها ، ولكن هذه التجمعات القبلية لم تلبث أن تفرقت إلى مجموعات من التشكيلات الأقل حجما بسبب طبيعتها القبلية من ناحية ، ولتعاملها مع القوى الاستعمارية من ناحية أخرى ، إذ كان من الطبيعى أن تقف بريطانيا — حين بدأت تنفذ إلى الخليج العربى — ضد حركات التجمع السياسى فى المنطقة ، ولذلك فإنه يعزى إلى السياسة البريطانية إلى حد كبير تفتيت منطقة الساحل العمانى إلى العديد من الوحدات السياسية ، كذلك وقفت بريطانيا حائلا ضد حركات التجمع فى المنطقة ويتضح ذلك فى وقوفها ضد امتداد السعوديين إلى الامارات العربية وضد محمد على حين تطلع إلى بسط نفوذه على سواحل الخليج العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم من أن العلاقات البريطانية بالخليج العربى يمكن إرجاعها إلى أوائل القرن السابع عشر أى منذ تأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلا أن الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ١٧٩٨ هى التى كان لها أثر كبير فى شد انتباه بريطانيا سياسياً واستراتيجياً إلى المنطقة وبالتالى توسيع دائرة اهتمامها من المجالات التجارية إلى المجالات السياسية والاستراتيجية ولعل مما يؤكد ذلك أن بدء العلاقات البريطانية السياسية بمنطقة الخليج وضحت فى المعاهدة التى أبرمت بين شركة الهند الشرقية البريطانية وسلطنة مسقط فى عام ١٧٩٨ ، ثم بالسيطرة البريطانية على الساحل العمانى بموجب اتفاقية السلام العامة فى عام ١٨٢٠ وما أعقبها من اتفاقيات الهدنة البحرية . وقد تعاملت بريطانيا مع إمارات الخليج العربى باعتبارها قوى ساحلية غير مرتبطة بالأراضى الظهيرة لها ، وبالتالى كانت تعمل على

تأكيد فصل تلك الإمارات عن أية قوة داخلية فى أواسط الجزيرة العربية وربما يتضح لنا ذلك بخلال صراع بريطانيا ضد القواسم إذ اتجهت إلى تحييد السعوديين ، وليس من باب الصدفة أن بريطانيا كانت تطلق على الإمارات العربية فى الساحل العمانى اسم المشيخات البحرية ، كما كانت تطلق على حكامها الرؤساء البحريين . ولعل دراستنا لتاريخ السيطرة البريطانية على إمارات الخليج العربى تتطلب منا ضرورة إعادة النظر حول كثير من المفاهيم وعلى سبيل المثال السـلام البريطانى الذى كانت بريطانيا تفخر بتحقيقه فى منطقة الخليج العربى كان سلاماً من أجل المصالح البريطانية وليس من أجل صالح المنطقة ، وأن أعمال القرصنة التى ذكرت فى كثير من المصادر الأجنبية لم تكن إلا محاولات يائسة قامت بها القوى البحرية المحلية لكى تحقق لنفسها أسلوباً من لحياة فى خضم المنافسات الاستعمارية والتجارية الكبرى التى لم تكن قادرة على مواجهتها .

وعلى الرغم من أن الفترة التى عالجناها فى ذلك الكتاب كانت بطبيعتها فترة تسلط استعمارى إلا أنه أمكننا مع ذلك تسجيل بعض الصفحات المشرقة لأبناء المنطقة فى كفاحهم ضد السيطرة البرتغالية والهولندية وفى تصديهم للوجود البريطانى وفى محاولتهم تأسيس كيانات خاصة بهم واكساب الخليج شخصيته العربية ، وكان ذلك بفضل موجات الهجرة التى اندفعت من أواسط الجزيرة العربية إلى سواحلها الشرقية ، وامتداد تلك الموجات إلى السواحل الشرقية للخليج العربى ، وقد أكد على تلك الحقيقة الكثير من الرحالة الأوربيين الذين جابوا سـواحل الخليـج الغربيـة والشرقية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ولعل مما ينبغى التركيز عليه استخلاصاً من تلك الدراسة إلى أهمية الوحدة فى تاريخ الخليج العربى إذ أن أزهى الفترات التاريخية تلك التى كانت تتمتع فيها القوى العربية فى الخليـج بقدر من الوحدة السياسية

والاقتصادية . كما أن استقراء الأحداث التاريخية يؤكد لنا أن الخلافات الطائفية والقبلية كانت أقصر الطرق للمخططات الاستعمارية فى المنطقة . وليست الخطورة فى استغلال القوى الاستعمارية لتلك الخلافات بل إن الخطورة تتفاقم حين تعمد القوى المحلية المتنافسة إلى الاستعانة بالقوى الخارجية لتصفية حساباتها فيما بينها . ولعل فى وقائع التاريخ ما يفيد القوى العربية والإسلامية فى منطقة الخليج العربى فى وقتنا الحاضر .

* * *

الملاحق

ملحق (ا) البرتغاليون .

ملحق (ب) العلاقات الخارجية لسلطنة مسقط وعمان .

ملحق (حـ) بريطانيا وإمارات الخليج العربى .

ملحق (ى) محمد على وإمارات الخليج العربى.

* * *

ملحق (١)

البرتغاليون

— هرمز على عهد السيطرة البرتغالية

نورد فيما يلى مقتطفات مما أورده بعض الرحالة البرتغالين عن مملكة هرمز فى زمن خضوعها للسيطرة البرتغالية .

والنص الأول جاء فيما ذكره باربوسا عن بناء الفونسو دى البوكيرك للقلعة البرتغالية فى هرمز وكيف استغل البرتغاليون الخلافات الداخلية فى هرمز لتدعيم سيطرتهم .

أما النص الثانى فقد سجله بدرو تيكسيرا الذى قام برحلاته إلى الشرق بين عامى ١٥٨٦ و ١٦٠٥ ويفهم من ذلك النص أن هرمز لم تفقد مكانتها التجارية ويدل على ذلك كثرة الرسوم الجمركية التى كان يجبيها البرتغاليين لحسابهم فى هرمز وعلى ذلك فإنه من الخطأ المبالغة فى أن البرتغاليين حولوا تجارة الشرق بكاملهاإلى طريق رأس الرجاء الصالح إذ ظلت الطرق التقليدية القديمة مستخدمة فى تجارة الشرق وإن كانت تحت السيطرة البرتغالية .

وقد نقلنا النصين التاليين عن الترجمة الانجليزية لأعمال دورات باربوسا وبدروتيكسيرا .

— خضوع هرمز للبرتغاليين

To this City of Ormuz came a fleet of the King our Lord of which the Captain in Chief was Afonso D'Albuquerque, he desired to have peace with them in all things but, they would not, seeing which Afonso D'Albuquerque began to make war on this kingdom, more especially on the seaports, where he caused them great loss proceeding thus he came with the whole

fleet to take the city of Ormuz itself in the harbour whereof he fought a mighty battle with a fleet of very great ships full of brave men and well armed. This fleet the Said Afonso D'lAbuquerque defeated, and took and sank many ships, also taking and burning many others which were an anchor hard by the walls of the city. The King and the Governour beholding such destruction of their people and ships and having no power to prevail against him, sued for peace, which the Captain in chief acecpted on the condition that they should allow him to build a fortress on one point of city, to which they agreed. But when the building of the fort began, the Moors repented, and were not willingly that it should bc carried further. Seeing this the Captain in chief bagan to do them so much harm, and to slay so many of their people, that he made them tributaries of the King our Lord at fifteen thousand Xerafins yearly, and this they always pay.

A few years later the King and Governour of Ormuz sent an ambassador with great train to the King of our Lord, and with the reply which His Highness sent them Afonso D'Albuquerque came again with a very fine fleet to Ormuz, where they received h m in all peace, agreed that he should finish the fortress, which he had begun before. He then ordered that it should be undertaken and made very large and strong as if it had been Just now begun.

At this time the King, who is youth of no great age, seeing himself so oppressed by the dominion of the Governour that he dared not do anything of himself, found a way of letting the Captain in Chief know secretly how little liberty he had, and how the Governour kept him almost a prisoner taking by force the Governance of the Kingdom and delivering it over to the others who held it, and also how it seemed to him that letters had been sent to the Xeque Ismael, offering to betray the Kingdom to him.

The Captain in chief when he knew this, kept it quite secret and arrange to see the king, agreeing with him that the

interview should take place in a certain large house close to the sea, The appointed day having arrived, the Captain in Chief entered this house with ten or twelve Captains leaving his people draw up without, and every thing as it should be. The King and the Governour came with a great band of followers, and when the King had entered the house, and no other person had entered, the gates were at once shut, and as they went in the Captain in Chief ordered that the Governour should be slain with dagger strokes. Seeing this the young King began to be angry, but Afonso D'Albuquerque told him not to fear, for what he had done was only to make him a King like the other Moorish Kings, and that he should no longer live in subjection,(١)

— الأوضاع الاقتصادية في هرمز

And so the Kings of Ormuz went on prospering such manner that they became rulers of all the Islands in this strait and all the country along tho Coasts of Arabia af far as Lassa(٢) and Catifa(٣) and also others on the shore of Persia, by which they formed a very great rich and prosperous kingdom : principally because the trade of Cays Passed entirely to the Island that is now Called Hormuz, wherefore Cays was utterly ruined, both in buildings and in wealth, so that is now tottaly deserted after having been a sterile and desert island, and a mountain of salt, is, among all the wealthy countries of India, one of the wealthiest through the many and rich goods that come thither from all parts of India, and from the whole of Arabia

---

The book of Durate Barbosa by Mansil Dames vol. I (١) pp. 101—103. An account of the countries bordering on the Indian Ocean and their inhabitants written by Durate Barbosa and completed about the year 1518,

(٢) الاحساء .

(٣) القطيف .

and Persia as far as the territories of the Mogores,(١) and even from Russ'a in Europe I saw merchants to there and from venice. And this the inhabitants of Ormuz say that the whole world is a ring and Hormuz is the stone thereof. Wherefore it is Commonly Said that the custom house of Ormus is a conduit of silver that is always running. The last year(٢) that I was in Hormuz having been there, the officials assured me that the custom house had yielded one hundred and fifty thousand Pardaos for the King of Portugal beside what it is to be Presumed is stolen by the Moors and the Goazil, who are officers of the customs house.(٣)

— مقتطفات مما أورده ابن إياس عن مواجهة السلطان قنصوه الغورى للبرتغاليين واستخدامه الضغوط الدينية من أجل ذلك بعد هزيمة ديو ١٥٠٩ وقتل البرتغاليين للسلطان مقرن بن زامل سلطان البحرين .

« . . . وفيه(٤) حضر إلى الأبواب الشريفة رهبان القيامة التى بالقدس وكان السلطان أرسل خلفهم بسبب الفرنج الذين قتلوا الأمير محمد بيك قريب السلطان ونهبوا ما فى المراكب التى جهزها السلطان صحبته فلما وقفوا بين يدى السلطان وبخهم بالكلام على لسان تغرى بردى الترجمان وقال لهم : كاتبوا ملوك الفرنج بأن يردوا ما أخذه الفرنج من المراكب والسلاح وإن لم يردوا ذلك هدمت القيامة وأشنق الرهبان فتسلمهم ناظر الخاص على ما يحرر من أمرهم وكانوا نحوا من عشرين راهبا » .

---

(١) لعله يقصد هنا امبراطورية المغول فى الهند .

(٢) ١٥٦٩ .

(٣) The Travels of Pedro Teixiera with His Kings of Harmuz and Extracted from His Kings of Persia—Translated by William F, Sinclair Hakluyt Society 1902 CF. appendix D Re'ation of the Chronicle of the Kings of Ormuz pp. 265—266

(٤) حوادث شهر رجب ٩١٦ هـ ابن إياس : جـ ٤ ص ١٩٥ .

— وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عربان بنى جبر متملك جزيرة بين النهرين(١) إلى بلاد هرمز الأعلى وكان أميرا جليل القدر معظما مبجلا فى سعة من المال . وكان مالكى المذهب سيد عربان الشرق على الإطلاق وكان أتى مكة وحج فى العام الماضى وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة من المسك والعنبر والخام والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الأشياء التحفة قيل إنه لما دخل إلى مكة والمدينة تصدق على أهل مكة والمدينة بنحو خمسين ألف دينار فلما حج ورجع إلى بلاده لاقته الفرنج فى الطريق وتحاربت معه فانكسر الأمير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه فسألهم أن يشترى نفسه منهم بألف ألف دينار فأبوا الفرنج من ذلك وقتلوه بين أيديهم ولم يغن ماله شيئا وملكوا جزيرة بين النهرين وملكوا قلعتها التى هناك واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده وكان ذلك من أشد الحوادث فى الإسلام وأعظمها وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندى والأمر لله تعالى(٢)

— الصراع العمانى البرتغالى

نورد فيما يلى نص مكاتبتين متبادلتين بين البرتغاليين والإمام سيف بن سلطان اليعربى وفيهما يتضح أسلوب البرتغاليين المتعنت والتحدى العنيف الذى قابل به عرب الخليج البرتغاليين . وقد نشر جيان هاتين المكاتبتين بعد ترجمتهما إلى اللغة الفرنسية أما النصوص العربية فقد أوردها السالمى فى كتابه تحفة الأعيان بسيرة آل عمان

رسالة من البرتغاليين إلى إمام عمان سيف بن سلطان

(١٦٩٨ — ١٧١١)

هذا كتاب من النصارى للإمام سيف بن سلطان اليعربى

الحمد لله فاطر السموات والأرض ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون .

---

(١) البحرين .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٥ ص ٤٣١ حوادث شهر محرم ٩٢٨ هـ .

إعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطة مسلطون على من يحل عليه غضبه لانرق لشاكى ولانرحم عبرة باكى قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لا يمتثل لأمرنا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا فى الأرض الفساد فإن أعجبكم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وإن أنتم أبيتم وعلى بغيكم تماديتم فالحصون منا لا تمنع والعساكر لدينا لاترد ولا تدفع لأنكم أكلتم الحرام وضيعتم الجمع فأبشروا بالذل والجشع اليوم تجزون عذاب الهوان بما كنتم تعملون فإن أعجبكم كلامنا أننا كفرة وقد صار عندنا أنكم فجرة قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال كثيركم عندنا قليل وعزيزكم عندنا ذليل قد ملكنا الأرض شرقا وغربا . قد أرسلنا إليكم هذا الكتاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ولم تبق لكم باقية وينادى عليكم بالفناء هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكرا . وقد أنصفناكم وأرسلنا عليكم جواهر الكلام والسلام .

رد الإمام سيف بن سلطان على البرتغاليين

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير . وقد حصل الوقوف على هذه الكتبة الشاهرة لقولكم قد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا من أقبح عيوبكم وأشد وأشنع وبغيتم وذكرتم إنكم كافرون ألا لعنة الله على الكافرين . من تعلق بالأصول فلايبالى بالفروع . ونحن المؤمنون حقا لايصدنا عنكم عيب ولايدخلنا شك ولا ريب . والقرآن علينا قد نزل فهو رحيم بنا لايزل وخيولنا برية وبحرية وهممنا سامية عالية . إن قتلناكم فنعم البضاعة وإن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله » .

وقولكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال . الجزار لايبالى بكثرة الغنم الكثير ، وإن الله مع الصابرين . فنحن بالمنع عالية أمنية إن عشنا سعداء

وإن متنا شهداء . « ألا إن حزب الله هم الغالبون » . لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال » . فقل لصاحبك إذا رصع وشيد مقالته حصل الوقوف على هذا الكتاب كصرير باب وطنين ذباب سنكتب ما قالوا ونمد لهم من العذاب مدا . وما عندنا بعد ذلك إلا الخيل تمطر بالويل والنار مظهرة العار والسيوف مسقيه بالحتوف والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى واختار الآخرة على الأولى . والصلاة والسلام على خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام [1] .

ملحق (ب) المعاهدات والعلاقات الخارجية

لسلطنة مسقط وعمان

١ — رسالة من هلال بن أحمد إلى السكونت دا ستان الذى قام بمناورة عسكرية فى الخليج العربى عام ١٧٥٩ يعتذر فيها عن بعض التصرفات التى حدثت من حاكم ميناء مسقط إزاء الفرنسيين [2] .

Je suis amis de Francais. Je me regarde Comme Fils de France. Vous avez Pris le Monudy, Puis que vous avez garde le visseux, vous devries du moins, renvoyer les gens ce gens la ne sont pas esclaves Pourquoi les garder avez vous ? Ils sont de Pauvres miserables que vous devriez relacher J'ai beaucoup blame le gouverneur de mon Port d'avoir on la hardiesne de rompre l'amitie qui etait entre les Francais et moi, Je vous demande excuse, et Je offre mon Port et tout ce qui dependra de moi l'eau, les boeuffs.

Hela
Fils de Roi

(١) انظر الترجمة الفرنسية فى :
Guillain, Documents sur L'Histoire, la Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale Tome I. pp. 512–514.
وللمزيد من التفاصيل عن الصراع العمانى البرتغالى انظر المجلد الثانى
Expose critique P. 518 ff.
ومن النصوص العربية انظر السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ٢ ص ص ١٠٦ — ١٠٧ طبعة القاهرة ١٣٤٧ هـ .

(٢) CF. Auzoux. France et Mascate pp. 6—7.

٢ — الاتفاقية المبرمة بين الكابتن جون مالكولم وسلطان بن أحمد في ١٨ يناير ١٨٠٠ بهدف تأكيد اتفاقية أكتوبر ١٧٩٨

Agreement entered into by the Imam of the State of Oman with Captain John Malcolm Bahadoor, envoy from the Right Honourable the Governor General. Dated 21st of Shabaan 1213 Hegira or 18th January 1800.(١)

Article I

The Cowlnamah entered into by the Imam of Oman with Mehdy Aly Khan Bahadoor remains fixed and full force.

Article II

As improper reports of atcndency to interrupt the existing harmony and create misunderstanding between the States have gone abroad, and have been Communicated to the High Honourable the Governor General, the Earl of Mornington K.N.P. with a view to Prevent such evils in future, we actuated by Sentiments of reciprocal Friendship, agree that an English gentleman of respectability, on the part of the Honorable Company shall always agent through whom all intercourses between the states shall be Conducted, in order that the actions of such Government may be fairly and Justly Stated, and what no opportunity may be afforded to designing men who are over eager to Promote dissentions and that the friendship of the two states remains under shock till the sun and moon finished their revolving career.

Sealed in my Presence John Molcolm (Envoy) approved by the Governor General in Council on 26th, April, 1801.

٣ — معاهدة الصداقة والتجارة بين الولايات المتحدة الأمريكية وسلطان مسقط وتوابعه ١٨٣٣(٢) .

Aitchison, A Collection of Treaties, Engagements and (١) Sands relating to India and Neighbouring Countries, vol. XII pp. 208—209.

Ibid. vol. XII P. CIXI—CIXIII, Bombay Govt., op. (٢) cit. vol. XXIV pp. 262—264.

Treaty of Amity and Commerce between the United States of America and his Majesty Sayeed Saeed Bin Sultan of Muscat and his Dependencies.

Article I

There shall be a perpetual peace between the United States of Amrica and His Majesty Saeed Bin Sultan of Muskat and His dependencies.

Article 2

The citizens of the United States shall have free from liberty to enter all the Ports of His Majesty Sayeed Saeed Bin Sultan, with their cargoes, of whatever kind the Said cargoes may consist, and they shall have liberty to sell the same to any of the subjects of the Sultan, or others who may wish to purchase the same or barter the same for any produce or manufactures of the kingdom or the other articles that may be found there.

No Price shall be fixed by the Sultan or his officers on the articles to be sold by the merchants of the United States, or merchandise they may wish to buy, but the trade shall be free on both sides to sell or buy or exchange on the terms and for the prices the owners may think fit, and whenever the Said citizens of the United States may think to depart they shall be at liberty to do so, and if any officer of the Sultan shall contravene this article he shall be severley punished.

It is uderstood and agreed, however that the articles of the Muskets, Powder and ball can only be sold to the government in the island of Zangubar, but in all other Ports of the Sultan the Said Munitions of War may be freely sold without any restriction whatever to the highest bidder.

Arlicle 3

Vessels of thc United States entering any Port within the Sultan's dominions shall pay no more than five percent duties on the cargo landed and this shall be in full consideration of all

import and export duties, tonnage, license to trade, Pilotage, an chorage, or any other charge whatever. Nor shall any charge-whatever be paid on any vessel of the United States which may enter any of the Ports of His Majesty's for purpose of refitting, or for refreshments to inquire the state of market.

Article 4

The American Citizens shall pay no other duties export or import tonnage, license to trade, or other charges whatsoever than the nation of the most favoured shall pay.

Article 5

If any vessel of the United States shall suffer shipwreck on any Port of the Sultan's dominions, the Persons escaping from the wreck shall be take care and hospitatiiy entertained at the expense of the Sultan, until they shall find an opportunity to be returned to their country, for the Sultan can never receive any remuneration whatever for rendering sucoour to the distressed and the property save from such wreck shall be carefully preserved and delivered to the owner, or the Consul of the United States, or to any authorized agent.

Aricle 6

The cisizens of the United States resorting to the Ports of the Sultan for the purpose of trade shall have leave to land and reside in the Said Ports without paying any tax on the importation whatever for such liberty other than the general duties on ipmorts which the most favoured nation shall pay.

Article 7

If any citizens of the United States or their vessels or other Property shall be taken by Pirates, and brought within the dominions of the Sultan the persons shall be set at liberty and Property restored to the owner if he be present, or to the American Consul or to any authorized agent.

Article 8

Vessels belonging to the subjects of the Sultan which may resort to any Port in the United States shall pay no other or higher rate of duties or other charges than the nation of the most favoured shall pay,

Article 9

The President of the United States may appoint Consuls to reside in the Ports of the Sultan where principal commerce shall be carried on, which consuls shall be exclusive judges of all disputes on suits where in American citizens shall be engaged with each other ; they shall have power to receive the property of any American citizen dying within the Kingdom and to Send the sums to his heirs, first payiny all his debts due to the subjects of the Sultan.

The Said Consuls shall not be arrested n shall their property be seized, nor shall any of their household be arrested, but their persons and their property and their houses shall be inviolate. Should any consul, however, consist any offence against the Imam of the Kingdom, complaint shall be made to the President, who will immediately displace him.

Concluded, Signed and Sealed at the Royal Palace in the city of Muscat, in the Kingdom of Oman, the 21st day of September, In the year one thousand eight hundred and thirty three of the christian era. and the fifty seventh year of the independence of the United States of America.

Corresponding to the sixth day of the moon called Jumada e Al Awal in the year of the Higree one thousand two hundred and forty nine.

S.D. Edmund Roberts

ملحق (ج) بريطانيا ومشيخات الساحل العمانى

١ — قولنامة (اتفاقية) وقعت فى ميناء بندر عباس بين الشيخ عبدالله ابن كروش نيابة عن الشيخ سلطان بن صقر بن راشد والكابتن دافيد سيتون نيابة عن شركة الهند الشرقية فى ٦ فبراير ١٨٠٦ وأكدها سلطان بن صقر بتوقيعه ووافق عليها حاكم بومباى فى٢٩ أبريل ١٨٠٦ . وقد عقدت هذه الاتفاقية فى أعقاب الحملة البريطانية على القواسم فى عام ١٨٠٥ . وتتميز باحتفاظ القواسم بزعامتهم الموحدة حيث وصف الشيخ سلطان بن صقر بكونه شيخ وأمير القواسم وذلك على خلاف الاتفاقيات التالية التى عقدتها شركة الهند الشرقية البريطانية مع شيوخ الساحل بعد تفكيك الاتحاد القاسمى فى عام ١٨٢٠ حيث أصبح يطلق على كل شيخ اسم المنطقة التى آلت إليه [١] .

Coulnamah or agreement between Sheikh Abdulla Bin Croosh, on the Part of Sheikh —Ul—Mus Sheikh Ameer Sultan Bin Suggur Bin Rashid Joasmee, and Captain David Seton, on the Part of the Honourable East India Company in Bunder Abbas, this 6th day of February 1806.

Article I

There shall be peace between the Honourable East India Company and Sultan Bin Suggur, Joasmee and the whole of the dependants and subjects on the shores of Arabia and Persia, and they shall respect the Flag and Property of the Honourabl East

---

(١) عن هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات الخاصة بعلاقة بريطانيا بمشيخات الساحل العمانى انظر المجلد العاشر نارس والخليج الفارسى من مجموعة معاهدات ايتشيسون طبعة كلكتا عام ١٨٩٢ وكذلك :

Hughes, Thomas, Treaties, Agreements and Engagements between the Honourable East India Company and the Native Princes, Chiefs and States in Western India, The Red Sea, The Persian Gulf etc. also between Her Britanic Majesty's Govt. & Persia Portugal, Turkey Compiled Under instructions of Govt. of Bombay, 1851 pp. 21—35. See also : Copies of Treaties and Areements entered into by the Honourable East India Company with the Arab tribes of the Persian Gulf (Annex to Kempall Report S.R.B.G. vol. XXIV P. 80 ff Bombay 1856.

India Company and their subjects wherever and in whatever it may be, and the same the Honourable East India Company towards the Joasmmee.

Article 2

Should the Joasmee infringe the above, they shall be liable in the sum of Dollars(١) 30,000, and on this Condition Captain David Seton agrees to receive from Ameer Sultan Bin Suggur the Brig now laying at Muscat, and to drop the claims to the cargo guns, etc. of the Said vessel and the Shanon(٢).

Article 3

Whatever British Property shall be found in the Sorie Fleet shall be restored.

Article 4

Should any British vessel touch on the coasts of the Joasmee for wood or water or be forced on shore by stress of weather, or any other cause the Joasmee shall assist and protect the Said vessel and property and Permit it be disposed of or carried away. as their owners shall see fit without claim or demand,

Article 5

Should Johood(٣) Compel the Joasmee to infringe this peace, they shall give three month's previous notice in all places.

Article 6

When the above is confirmed and ratified by both Parties, the Joasmee shall frequent the English Ports from Surat to Bengal as be before.

S.D David Seton
Sealed Abdullah Bin Croosh

---

(١) المقصود بالدولار ريال ماريا تريزا وهو العملة التي كانت سائدة في منطقة الخليج العربي .

(٢ ، ٣) اسمان لسفينتين كان قد استولى عليهما القواسم في عملياتهم ضد الانجليز .

(٤) واضح أنه يوجد هنا خطأ في إسم الأمير السعودي وصحته Saud وهو الأمير سعود أمير الدولة السعودية الأولى ١٨٠٣ — ١٨١٣ .

٢ — المعاهدة العمومية مع الأقوام العرب
فى خليج فارس فى سنة ١٨٢٠ع [١]

عقدت هذه المعاهدة بين بريطانيا وشيوخ الساحل الجنوبى للخليج العربى عقب الحملة البريطانية التى دمرت رأس الخيمة معقل القواسم فى عام ١٨١٩ .

وتعتبر هذه المعاهدة الأساس الذى ارتكز عليه النفوذ البريطانى فى المنطقة ، إذ أنها كرست أوضاع التفكك والتجزئة فهى لم تعقد بين بريطانيا وقوة موحدة وإنما بين بريطانيا و « الطوائف » العربية فى الخليج وتتميز هذه المعاهدة بمجموعة من الأنظمة والإجراءات البحرية التى كانت وسيلة لضرب القوى البحرية المحلية بحجة المحافظة على الأمن والسلام البريطانى : وقد آثرنا أن نعرض لتلك المعاهدة بنصها العربى للتعرف على نموذج للنصوص العربية لتلك المعاهدات[١] .

---

(١) يرمز حرف ع إلى التاريخ العيسوى أو الميلادى .

(٢) مما يستلفت النظر أن قسم شئون الدولة بحكومة الهند قد نشر بعض التر جمات العربية للاتفاقيات والتعهدات التى عقدتها بريطانيا مع شيوخ الخليج إلى جانب النصوص الانجليزية وذلك ضمن المجموعات الوثائقية التى نشرت بين عامى ١٩٠٦ و ١٩١٤ انظر :

Government of India (Department of State) Treaties and Engagements inforce between the British Government and the Trucial chiefs (Calcutta, 1906), Treaties and undertakings between the British Government nd the Rulers of Kowiet (Culcutta, 1913), The Rulers of Bahrein (Calcutta, 1914) and the Sultans of Muscat and Oman (Calcutta, 1914).

راجع أيضا النصوص الانجليزية فى مجموعة معاهدات أيتشيسون :

A Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries vol. X Persia and The Persian Gulf Calcutta, 1892.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الصلح خيراً للأنام وبعــد فقد صار الصلح الدائم بين دولة سركار الانكريز وبين الطوائف العربية المشروطين على هذه الشرط .

الشرط الأول : أن يزال النهب والغارات فى البر والبحر من طرف العرب المشروطين فى كل الأزمان.

الشرط الثانى : إن تعرض أحد من قوم العرب المشروطين على المترددين فى البر والبحر من كافة الناس بالنهب والغارات بلا حرب معروف فهو عدو لكافة الناس فليس له الأمان على حاله ولا ماله والحرب المعروف هو الذى منادا به مبين مأمور به من دولة إلى دولة وقتل الناس وأخذ المال بغيربه مناد وتبين وأمر دولة فهو النهب والغارات .

الشرط الثالث : إن العرب المصالحين لهم فى البر والبحر علم أحمر فيه حروف أو بلا حروف على مطلوبهم وهو فى كفه أبيض وعرض الأبيض الذى فى الكفة يعادل عرض الأحمر كما هو مصور فى الحاشية وإن هذا هو علم العرب المصالحين فيستعملون به ولا يستعلمون بغيره .

الشرط الرابع : إن الطوايف المصــالحين كلهم على حالة الأوان إلا أنهم صار الصلح بينهم وبين دولة سركار الانكريز وأن لا يحارب بعضهم بعضاً والعلم هو الشاهد على ذلك فقط وليس هو شاهد على غيره .

الشرط الخامس : إن مركب العرب المصالحين كلهم بأيديهم قرطاس مرشوم بخط أميرهم فيه اسم المركب وطوله وعرضه وكم يحمل من كارة وبأيديهم أيضاً مكتوب آخر مرشوم بخط أميرهم فيه اسم صاحب المركب واسم الناخداة وعدد الرجال وعدد السلاح ومن أين سار وفى أى وقت وإلى أى بندر يتوجه فإن تعرض لهم مركب من الانكريز أو غيرهم يعرضون عليه القرطاس والمكتوب .

الشرط السادس : إن العرب المصالحين إن كان مرادهم يرسلون رسولا إلى سركار الانكريز فى بحر الفارس ومعه الذى يحتاج إليه فيجلس مع السركار حتى يقضى غرضهم منه وسركار الانكريز إن كان مراده يرسل رسولا أيضاً إلى عندهم كذلك والرسول يلحق خطه إلى خط أميرهم فى قرطلس مراكبهم المذكور الذى فيه طول المركب وعرضه وكم يحمل من كارة وينبغى خط الرسول يتجدد فى كل سنة وأيضاً كل من المرسولين خرجه على قومه .

الشرط السابع : إن كان طايفه أو غيرهم لا يزالون من النهب والغارات فالعرب المصالحون يقومون عليهم على قدر حالهم ويصير بين العرب المصالحين وبين الانكريز كلام فى ذلك فى وقت وقوع ذلك النهب والغارات .

الشرط الثامن : إن قتل الناس بعد تسليم السلاح فهو من الغارات ولا من الحرب المعروف وإن كان طائفة يقتل الناس مسلمين أو غيره بعد تسليم السلاح فهو قد أخلف الصلح فإن العرب المصالحين مع الانكريز يقومون عليهم وإن شاء الله تعالى فلا يزال عليهم الحرب إلا بعد تسليم من فعل بذلك وحكم به .

الشرط التاسع : إن نهب الرقيق الرجال والنساء والأولاد فى سواحل السودان أو غيره وحملهم فى المراكب فهو من النهب والغارات فالعرب المصالحون لا يفعلون من ذلك شيئاً .

الشرط العاشر : إن مراكب العرب المصالحين الحاملة علمهم المذكور يدخلون فى كل بنادر دولة سركار الانكريز وفى بنادر رفيقهم على قدرهم يشترون ويبيعون فيها وإن كان أحد تعرض لهم فذلك على سركار انكريز .

الشرط حادى عشر

إن هذه الشروط المذكورة فهى على جميع الطوايف والناس يقبلونها فى المستقبل كما قبلوها فى الحين تم الشروط .

وإن تحرير القول فى رأس الخيمة بثلاثة نسخ فى تاريخ ظهر يوم السبت اثنين وعشرين من شهر ربيع الأول فى سنة ١٢٣٥ الهجرية مائتين

خمس وثلاثين بعد الألف ورشموه المشروطون فى الأماكن والتواريخ المكتوبة ذيلا فرشموه فى رأس الخيمة فى تاريخ تحرير القول[1] .

خط السرداو بيده وخاتمه كتبـه حسن بن رحمة بيـده كتبه قضيب بن أحمد بيده .

S. b W. Grant Keir
Major General

ملحق (ى) محمد على وإمارات الخليج العربى

١ — مكاتبة صادرة من محمد على إلى الصدر الأعظم بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٣٦ (١٥ يونيـه ١٨٢١) [2] حول التحركات الانجليزية فى سواحل الخليج والجزيرة العربية وفيها يحذر محمد على الصدر الأعظم بعدم التغافل عن تلك التحركات ويطلعه على التحالف القائم بين سلطان مسقط والإنجليز وعن الحملة البريطانية على القواسم وبنى بوعلى فى جعلان .

حضرة سلطانى ومولاى صاحب الدولة والعنـاية والعطوفة والرأفة والأبهة ولى النعم العالى الهمم الكثير اللطف والكرم .

كان حرر من مقام الصدارة سابقا إلى صوب عبدكم أنه حيث سمع وقوع تعرض الانجليزى لطرف مخا يلزم مد أنظار البصيرة إلى حوالى مخا وأفيد أيضا من طرف خادمكم بعض الكيفيات المتعلقة بهذا الشأن وأنه يجرى العمل على مقتضى الإرادة السنية وقد صار معلوما لخادمكم مضمون

---

(١) تضمنت الاتفاقية توقيعات وأختام الشيخ شخبوط بن سعيد فى ٢٥ ربيع أول ١٢٣٥ والشيخ حسين بن على ٢٩ ربيع أول ١٢٣٥ , وزايد بن سيف من طرف محمد بن هزاع شيخ دبى وقع فى الشارقة ١٢ ربيع الثانى ١٢٣٥ وتوقيع سلطان بن صقر فى الشارقة بتاريخ ١٢ ربيع الثانى ١٢٣٥ والسيد عبد الجليل بن السيد حسين الوكيل عن الشيخ سليمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة شيخى البحرين عشرين ربيع الثانى ١٢٣٥ ثم وقعه عبد الله بن أحمد فى ٩ جمادى الأولى فى البحرين وتوقيع راشد بن حميد وعبد الله بن راشد فى ٢٩ جمادى الأولى ١٢٣٥ هـ .

(٢) مقيدة فى الدفتر رقم ٤ ص ٦٣ من محفوظات دار المحفوظات العمومية ومترجمة عن اللغة التركية ، وثائق القلعة — (عابدين) ملف الحجاز ١٢٣٦ هـ .

ما حرر بالآخرة من طرف قائمقاكم العالى صاحب العطوفة عبدكم صالح باشا أنه أفيد فى مضمون ترجمة الخطاب العربى الوارد فى الحالة الحاضرة من طرف متسلم البصرة والمقدم من طرف حضرة صاحب العطوفة والى بغداد [1] أن طائفة الانجليز أقلعوا من مرفأ بومباى بست سفن وبعد أن أقاموا فى المحل المسمى مسقط توجهوا إلى المحل المدعو جعلان الذى يقطنه قبيلة بنى أبى على من توابع الجواسم تحت مسقط وأتى أيضـــا إمام مسقط السيد سعيد برا إلى جعلان فاحتلوا بالاتفاق مع الانجليز قلعـــة جعلان وأخذوها وبعد ذلك جمع قبيلة بنى أبى على المذكورة عساكر واستردوا القلعة المذكورة وأعدم قائد واحد من قواد الانجليز فى مرفأ مخا فجهز الانجليز لأجل ذلك عساكر وافرة وأرسلوهم بالقوارب إلى جانب مخا فإذا تردد أهالى مخا فى تسليم قاتل القائد المذكور تتصدى إنجلترا للحرب والقتال وقد تجمع أهل نجد كما فى السابق فى المحل المدعو قصيم وفى بعض المحلات فى تلك الحوالى وهم يتجهزون وأرسلت ست سفن للاستيلاء على بعض المحلات الصغيرة فى طرف اليمن كما استبان ذلك من الورق الوارد من القنصل (باليوس) فى أبوشهر المستر بروس إلى وكيله فإذا اســـتولى الانجليز على تلك الجهات يسهل مجيئه من بحر السويس إلى ذلك الجانب فلا يبعد من الملاحظة إذ ذاك أن تحدث فتنـــة وأنه خلا ذلك قد حرر من طرف ملك انجلترا للاعلان فى الأطراف والاكناف أنه قد عين قائد من طرف دولة إنجلترا لأخذ الثأر ببيان أنه دفـــع نهب أموال طائفة الانجليز وأشيائهم والاغارة عليهم والمسارعة إلى الظلم والمضايقة عليهم من طرف حاكم مرفأ مخا الذى هو تحت تصرف إمام صنعاء من توابع إقليم اليمن كما استفيد من ترجمة الصورة المعربة من البيان المقدم من طرف المشار إليه وأن تلك المواد لما عرضت على الأعتاب السلطانية صدر الخط الهمايونى المقرون بالـــكرامة بافادتها لصوب خادمكم وتأكيد إجراء العمل على مقتضى الارادة السنية الصادرة سابقا فيلزم مد أنظار البصيرة على الدوام إلى تلك الحوالى وعدم التغافل عن أحوال الانجليزى وحركاته فعلى ذلك

---

(١) كان فى ذلك الوقت الوالى المملوكى داود باشا .

كان ينبه أمين جمرك جدة على أن يتجسس ويحقق أحــوال الانجليزى وحركاته وكيفيات تلك الحوالى وأن يكتبها إلى طرفنا وها هو يفيد فى مضمون ورقه الوارد فى هذه المرة أن قبيلة بنى أبى على من توابع جواسم كانت فى الأصل تحت طاعة إمام مسقط (مسكت) ثم عصت وقامت ضد الإمام المذكور وحاربت الامام محاربة كثيرة ولم يتمكن الإمام من الغلبة عليها حتى تراجع منقلبا إلى مسقط واستمد من الانجليزى فأمده الانجليزى بالعساكر على وفق مطلوبة فزحفوا متفقين تكرارا على القبيلة المذكورة وجرت محاربة عظيمة إلا أنهم لم يتمكنوا من التغلب على القبيلةالمذكورة لمتانة قلاعها وقتل فى أثناء الحرب من القبيلة المذكورة مقدار مائةوعشرين نفرا وهلك رئيس عساكر إنجلترا (سر عسكر) وثمانية وأربعون نفرا من العساكر الانجليزيين وأصيب إمام مسقط من ذراعه فتراجع فى نهاية الأمر منهزماً إلى مسقط وأما الكيفية الواقعة بين الانجليزى وأهالى مخا فعلى الوجه المعروض لمقام الصدارة فيما سبق وبعد أن دامت الحرب عدة أيام وقعت المصالحة على بعض شروط وأقام الانجليزى قنصلا فى مخا وقد سطر فى ورق آخر وارد من عبدكم أمين الجمرك المومى إليه أن سفن انجلترا التى كانت تجاه مخا قد اجتازت مضيق باب المندب وذهبت وإنما بقيت لهم فى مخا سفينة واحدة ذات عمودين واجتمعت تلك السفن فى مرفأ بومباى فأقلعوا تكرارابست عشرة سفينة إنجليزية وتسع سفن شواطىء من ستة مراكب خشبية مقطورة من صنع العرب استأجروها من المرفأ المذكور ووصلوا إلى مسقط تكرارا وزحفوا متفقين أيضا على قبيلة بنى أبى على فالانجليزيون من جهة البحر والامام المذكور من جهــة البر ووصلوا إلى تجاه القبيلة المذكورة لكن لم يعلم بعد هل وقعت المحاربة ولا كيف يتم الأمر وأنه توجد بين مسقط وبين القبيلة المذكورة من جهة البحر مسافة يوم ومن جهة البر مسافة خمسة أيام وقد بين أمين الجمرك المومى إليه فى عريضته الواردة عقب ورقة المذكور أنه تحقق أن قبيلة بنى أبى على بعثوا إلى المحل الذى حل فيه الانجليزيون مائتى هجان وخمسين هجـــانا مزدوجة وباغتوا جيش إنجلترا الحاضر فقتلوا مقدارا يتراوح بين سبعين وثمانين من الإنجليزيين وأفاد الأمين المومى إليه فى المرة الرابعة أنه وقعت

محاربه عظيمة بين القبيلة المذكورة والانجليزيين لكن لم يعلم بعـــد فى أى جهة بقيت الغلبة وقد صار بيان تلك الكيفيات باعثا لعرض عبوديتى فالأمر والارادة لدى وصول هذه العريضة وإحاطة علمكم العالى بها بمشيئة الله تعالى لصاحب الدولة .

٢ — أمر من محمد على إلى قائد جيش الحجاز يأمره بالكتابة إلى سلطان مسقط يعتذر له عن تعديات خالد بن سعود بتاريخ ٣ ذى القعدة ١٢٥٥ هـ رقم ٣٥[١] .

من محمد على إلى قائد جيش الحجـ

اطلعت على كتابكم المؤرخ فى ٢٩ رمضان ١٢٥٥ رقم ٤٣ المشتمل على أنه ورد لطرفكم خطاب حضرة إمام مسقط وبضمنه الخطاب الذى أرسله خالد بك لأولاد سعيد بن سلطان إم م مسقط .

ونظراً للصفاء القائم والولاء الدائم والمحبة الحاصلة بيننا وبين حضرة الإمام المشار إليه فقد كتبنا لخالد بك أن لا يبدو منه ما يكسر خاطره وأنتم اكتبوا للإمام المشار إليه جواباً على كتابه وقولوا فيه أن ما كتبه خالد بك لحضرتكم إنما هو من مقتضيات صبوته وخفة مزاجه وقد كتبنا له بأن يرجع عن مثل هذه الكتابة وأن يرعى خاطركم فى كل حال ومحل بكل توفيق وهذا ما لزم اشعاركم به .

٣ — أمر من محمد على إلى خالد بن سعود أن لا يأتى أفعالا تستوجب غضب مام مسقط .

من محمد على إلى خالد بن سعود[٢] .

إن الخطاب الذى أرسلته أنت إلى ثوينى وهلال ابنى سعيد بن سلط

---

(١) وثائق القلعة — محفظة رقم ٢٦٦ حجاز ١٢٥٥ هـ .

(٢) وثائق عابدين (القلعة) محفظة رقم ٢٦٦ رقم ١٠٤ حمراء حجاز ١٢٥٥ هـ مترجمة عن اللغة التركية .

إمام مسقط بعثه حضرة إمام مسقط إلى ولدنا صاحب النجابة أحمد باشا سرعسكر الحجاز وأعرب فيه عن انكسار خاطره قائلا أيحتاج المحسوب عليكم أن يكون هدفاً لمثلى هذا التعريض وأن السير عسكر الموما إليه قد أرسل لنا كتاباً بتاريخ ٢٩ رمضان ١٢٥٥ ﻫ رقم ٤٣ وبضمنة الكتاب الذى أرسلته أنت لابنى الإمام المشار إليه وكتاب الإمام الذى أرسلته إلى أحمد باشا واطلعت على ذلك كله وها نحن قد أرسانا لك صورة خطابك الذى أرسلته أنت إلى الموما إليهما لتعلم ما جاء فيه ضمن خطابنا هذا فيا أيها الوالد أنه بالنظر للصفوة القائمة والولاء الدائم والمودة الحاصلة بيننا وبين حضرة الإمام المشار إليه لا نوافق على كسر خاطره أصلا فاجتنب المعاملة التى توجب اضطراب حضرة الإمام المشار إليه وبادر إلى إدخال السرور عليه وتطييب خاطره وهـــذا ما أؤمله منك من كل وجه ومن أجله كتبنا لك .

٤ — مكاتبة من خورشيد باشا سرعسكر نجد إلى هنل باليوز خليج فارس ١٧ جمادى الأولى ١٢٥٥ ﻫ ٣٠ يوليه ١٨٣٩[١] .

يرد خورشيد باشا فى هذه المكاتبة على احتجاج هنل على الاتفاق الذى أبرم بينه وبين شيوخ البحرين (١٨٣٩) ويؤكد أن هذا الاتفاق قد صار طبقاً لما كان الوضع عليه على عهد السعوديين بالنسبة لعلاقتهم بالبحرين وغيرها من إمارات الخليج الأخرى . ويعنى ذلك أن الحكم المصرى كان يستند على الشرعية السعودية كما هو واضح فى تعيين محمد على لخالد بن سعود حاكماً لنجد تحت التبعية المصرية .

ورد إلينا جوابكم المؤرخ فى ١٣ ربيع الثانى وبه تشيروا عن خصوص التحرك على بنادر العرب المتصلة بسواحل خليج فارس وعن عدم قبول مصالحة البحرين مما نفيد سعادتكم أن الأقاليم النجدية والتابع إليها فى السابق

---

(١) وثائق عابدين (القاهرة) محفظة رقم ٢٦٧ ملف الحجاز ١٢٥٥ ﻫ صورة المرفق العربى الوثيقة ١٢٧ .

حكم السعوديين حيث أن خالد بك هو ولد سعود وسعادة ذو السطوة والجلالة أفندينا محمد على باشا قد أنعم عليه بتملك آل سعود وأن يكون ما كانوا عليه وكذلك قد صار الاتفاق مع عبد الله بن أحمد الخليفة على قدر القانون الذى كان جارى عليهم بمدة السعود فقط وهذا شىء صار فى شريف علم سعادتكم ولا يخفى الجناب العالى أن عبد الله الخليفة فهو الأمين على البحرين وليس القصد بسوق عساكر إليه أو خلافه ولا يكون عندنا مقصد آخر إلا لراحة العباد وإصلاح البلاد وأما من خصوص الدولة العلية الانكليزية والدولة المصرية فتعلم أنهم أصدقاء لبعض زيادة عن غيرهم وبحول الله وقوته لا يزالون على هذه الحالة على الدوام وأنه بتاريخه قد أرسلنا كتبكم الشريفة مع هاجانه مخصوصين من طرفنا على حسب السرعة وبعشمنا أنه لا يحصل أمر يوجب للاختلاف بين الدولتين العليتين ولابد أن يصدر إليكم أوامر سعادة ذو الشوكة والاقتدار حضرة السركار ونحن بالمثل يصدر إلينا أوامر سعادة أفندينا ولى النعم وبمقتضاها نفيدكم كما تفيدونا ولكم العز والبقاء .

* * *



المصادر والمراجع



أولا : وثائق باللغة العربية

— الدار القومية للوثائق التاريخية بالقلعة

محافظ الحجاز ٢٦٠ — ٢٦١ — ٢٦٣ — ٢٦٦ — ٢٦٧ — ٢٧٠

— وثائق المملكة العربية السعودية

التحكيم لتسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية .

المجلد الأول (الأساس) — المجلد الثانى (الوثائق)

القاهرة ١٩٥٥

ثانياً : وثائق باللغة الإنجليزية

Factory Records.

— Gombroon Diary and Consultation.

— Persia and the Persian Gulf Letters from Bussorah, Gombroon, Bushire,

Vols 15, 16.

Public Foreign Office.

F.O. 78/366, 386, 388(١) F.O. 371/13010, 15279,

F.O. 60 Persia/21.

ثالثاً : مصادر وثائقية بلغة أجنبية

Aitchison, C.U.

A Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Njeghbouring Countries ed. 1892, 1909 Calcutta 12 vols.

— Bombay Government.

Selection from the records of Bombay Government.

---

(١) تتضمن الملفات المذكورة الكثير من الوثائق المتعلقة بالتوسع المصرى فى سواحل الخليج العربى وقد نقلت لنـــا وثائق عابدين (القلعة) المراسلات المتعلقة بهذا الموضوع انظر محفظةرقم ١٢ من الأرشيف الأوربى .

Historical and other Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrein and other places in the Persian Gulf New Series vol. XXIV Bombay 1856.

— Bruce, James.

Annals of the Honourable East India Company—London 1810;

— Brydges (Sir Harford Jones)

An Account of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the year 1807—1811 to which is appended a brief History of the Wahabauy 2 vols London 1834.

— Great Britain Foreign Office.

Handbooks Prepared under the Direction of. . The Persian Gulf No, 67 London 1920.

— Greenville—Freeman.

Selcct Documents—The East African Coast Oxford 1962.

— Guillain, Charles.

Documents Sur l'Histoire, La Geogrophie et le Commerce de l'Afrique Orientale 3 Tomes, Paris 1856.

— Hughes, Thomas.

Treaties, Agreements and Engagements between the Honourable East India Company and Native Princes, Chiefs and States in Western India, the Red Sea, the Persian Gulf etc. Also between Her Britannic Majesty's Government and Persia, Portugal and Turkey Compiled under the Instructions of the Government of Bombay, 1851.

— Kaye (John).

The life and correspondence of Sir John Malcolm. 2 vols London 1856.

Saldanha, A.

East India Companies Connection with the Persian Gulf (1600—1800) Selection from Bombay State Papers. Calcutta 1908.

رابعاً : المصادر والمراجع والدراسات العربية

— أبو الفوز البغدادى السويدى
سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب
بغداد ١٢٨٠ هـ

— أبو عبد الله محمد بن بطوطه
تحفة النظار فى عجائب الأسفار وغرائب الأمصار
مجلدان — القاهرة ١٩٣٣

— أحمد محمود صبحى
البحرين ودعوى ايران
الاسكندرية ١٩٦٢

— أحمد مصطفى أبو حاكمه
تاريخ الكويت
المجلد الأول — القسم الأول
الكويت ١٩٦٧

— آدم متز
الحضارة الإسلامية
ترجمة عبد الهادى أبو ريدة — مجلدان

— أرنولد ويلسن
الخليج العربى
ترجمة محمد أمين عبد الله — نشر وزارة الثقافة والتراث القومى (سلطنة عمان)

— أمين الريحانى
ملوك العرب أو رحلة فى البلاد العربية — مجلدان بيروت ١٩٢٩

— أنور عبد العليم
ابن ماجد الملاح العدد ٦٣ من سلسلة أعلام العرب
القاهرة ١٩٦٦

— جاكلين بيرين (مترجم)
اكتشاف جزيرة العرب
بيروت ١٩٦٣

— جان جاك بيريبى (مترجم)
الخليــج العــربى
بيروت ١٩٥٩

— ج . ج . لوريمر
دليــل الخليــج
القسم التاريخى ٧ مجلدات ،
ترجمة مكتب ديوان حاكم قطــر
الدوحة ١٩٦٧

— جمال زكريا قاسم (دكتور)
• الخليــج العربى
دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ — ١٩١٤
القاهرة — جامعة عين شمس ١٩٦٧

• الخليــج العــربى
دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ — ١٩٤٥
دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٧٣

— الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية
معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٥

— دولة بوسعيد فى عمان وشرق إفريقيا
١٧٤١ — ١٨٦١
القاهرة ١٩٦٧

— مختارات من وثائق الكويت والخليج العربى المحفوظة فى دور
السجلات البريطانية — جامعة الكويت ١٩٧٢

• الإدعاءات الإيرانية فى الخليج العربى
من أعمال المؤتمر الدولى للتاريخ بغداد ١٩٧٣

• الدوافع السياسية لرحلات الأوربيين إلى نجد والحجاز
من أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية
الرياض ١٩٧٧

• وحمة بن جابر الجلاهمة
حوليات كلية الآداب — جامعة عين شمس المجلد التاسع ١٩٦٤

• موقف الكويت من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الاحساء
العدد ١٧ من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
القاهرة ١٩٧١

• الأسس التاريخية لوحدة الإمارات العربية ودور الاستعمار فى تجزئتها
من أعمال ندوة تجربة دولة الإمارات العربية
التجارب الوحدوية العربية المعاصرة — مركز دراسات
الوحدة العربية — بيروت مارس ١٩٨١

• استقرار العرب فى ساحل شرق إفريقيا
العدد العاشر — حوليات كلية الآداب
جامعة عين شمس ١٩٦٥

— جون كلى (مترجم)
بريطانيا والخليج ١٧٩٥ — ١٨٧٠
مجلدان — نشر وزارة التراث القومى والثقافة
سلطنة عمان ١٩٧٩

— حسن أحمد ابراهيم (دكتور)
المطامع الأوربية فى الخليج العربى من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف التاسع عشر
من أعمال مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية
المجلد الثانى الدوحة — قطر ١٩٧٦

- حسين بن غنام
تاريخ نجد المعروف بروضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال
الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام
تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد القاهرة ١٩٦١
- حميد بن محمد بن رزيق
- الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين
تحقيق عبد المنعم عامر ودكتور محمد مرسى عبد الله
وزارة الثقافة والتراث القومى - سلطنة عمان ١٩٧٧
- زين الدين (الشيخ)
تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين
ترجمة دافيد لوبز ونشر جمعية لشبونة الجغرافية ١٨٩٨
- سالم بن حمود السيابى
إيضاح المعالم فى تاريخ القواسم
مراجعة أحمد التدمرى - دمشق ١٩٧٦
- سرحان بن سعيد الأزكوى العمانى
- كشف الغمة مخطوطة بالمتحف البريطانى بلندن
رقم 0r6568
- تاريخ عمان « المقتبس من كتاب كشف الغمة .
تحقيق عبد المجيد القيسى
وزارة الثقافة والتراث القومى - سلطة عمان
- سعيد بن على المغيرى
جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار
تحقيق عيد المنعم عامر
ونشر وزارة الثقافة والتراث اقومي - سلطنة عمان
- شارل ديل (مترجم)
البندقية جمهورية أرستقراطية

ترجمة الدكتور توفيق اسكندر والدكتور أحمد عزت عبد الكريم
الجمعية الملكية للدراسات التاريخية — القاهرة ١٩٤٧

— شركة الزيت العربية الأمريكية
عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي — إدارة العلاقات
شعبة البحث — القاهرة ١٩٥٥

— صادق نشأت (ميرد آماد) — مترجم عن الفارسية
تاريخ الخليج السياسي — ترجمة وتحقيق دكتور أحمد كمال
حلمي وبدر الدين عباس طبعـــة أولية على الآلة الكاتبة
الكويت ١٩٧٢

— صادق عبدواني
علاقات الدولة السعودية الأولى مع دول شرق الجزيرة
عمان — ساحل عمان — قطر — البحرين ١٧٥٠ — ١٨٢٠
القاهرة ١٩٧٢

— صالح أوزبران (مترجم)
البرتغاليون والأتراك العثمانيون فى الخليج العربى
ترجمة دكتور عبد الجبار ناجى — منشورات مركز دراسات
الخليج العربى — جامعة البصرة ١٩٧٩

— صالح محمد العابد
— موقف بريطانيا من النشاط الفرنسى فى الخليج العربى
١٧٩٨ — ١٨١٠ بغداد ١٩٧٩
— دور القواسم فى الخليج العربى ١٧٤٧ — ١٨٢٠
بغداد ١٩٧٦

— صلاح العقاد (دكتور)
— التيارات السياسية فى الخليج العربى القاهرة ١٩٧٤

— عباس إقبال
مطالعاتى درباب بحرين وسواحل وجزاير خليج فارس
القاهرة ١٩٥٦

— عبد الحميد البطريق (دكتور)
ابراهيم باشا فى بلاد العرب — من أعمال ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا — الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٤٨

— عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور)
— الدولة السعودية الأولى القاهرة ١٩٦٩
— من وثائق الدولة السعودية الأولى فى عصر محمد على ١٢٢٢ هـ — ١٢٣٤ هـ — ١٨٠٧ — ١٨١٩ م
القاهرة ١٩٨٣
— محمد على وشبه الجزيرة العربية ١٨١٩ — ١٨٤٠
القاهرة ١٩٨١

— عبد الأمير محمد أمين (دكتور)
— القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر
بغداد ١٩٦٦
— المصالح البريطانية فى الخليج العربى ١٧٤٧ — ١٧٧٨ منشورات مركز دراعات الخليج العربى بغداد ١٩٧٧ .
— مقاومة إمارات شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربى للاستعمار الأوربى ١٥٠٠ — ١٨٢٠ من أعمال ندوة تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة — مركز دراسات الوحدة العربية بيروت — مارس ١٩٨١

— عبد الله بن خلفان بن قيصر
سيرة الإمام ناصر بن مرشد
تحقيق عبد المجيد القيسى — وزارة الثقافة والتراث القومى سلطنة عمان ١٩٧٧

— عبد الله صالح العثيمين (دكتور)
العلاقة بين الاحساء وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

من أعمال مؤتمر تاريخ شرق الجزيرة العربية
المجلد الثانى — الدوحة — قطر ١٩٧٦

— عبد العزيز الرشيد
تاريخ الكويت
طبعة منقحة وضع حواشيها وأشرف على تنسيقها يعقوب
عبد العزيز الرشيد — منشورات مكتبة الحياة بيروت

— عبد العزيز الشناوى (دكتور)
المراحل الأولى للوجود البرتغالى فى شرق الجزيرة العربية
من أعمـــال مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية
المجلد الثانى . الدوحة — قطر ١٩٧٦

— عبد العزيز عبد الغنى (دكتور)
— علاقة ساحل عمان ببريطانيا دراسة وثائقية فى العلاقات
التعاهدية — مطبوعات دارة الملك عبد العزيز رقم ٢٥ —
الرياض ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م وكذلك طبعة البصرة ١٩٧٨
— حكومة الهند البريطانية والإدارة فى الخليج العربى دراسة
وثائقية . الرياض ١٩٨١

— عبد الفتاح ابراهيم
على طريق الهند
الرسالة الأولى من رسائل الأهالى
بغداد ١٩٣٥

— عبد القوى فهمى
القواسم ونشاطهم البحرى ١٧٤٧ — ١٨٥٣
رأس الخيمة ١٩٨٣

— عبد اللطيف ناصر الحميدان (دكتور)
— التاريخ السياسى لإمارة الجبور فى نجد وشرق الجزيرة
العربية ٨٢٠ — ٩٣١ هـ (١٤١٧ — ١٥٢١ م)
العدد ١٦ من مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة ١٩٨٠

— نفوذ الجبور فى شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية ١٥٢٥ — ١٧٨١
العدد ١٧ من مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة ١٩٨١

— عبد الهادى التازى (دكتور)
الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، من حصاد ندوة الدراسات العمانية المجلد الثانى وزارة الثقافة والتراث القومى
سلطنة عمان نوفمبر ١٩٨٠

— عثمان بن بشر النجدى
عنوان المجد فى تاريخ نجد
جزءان مكة المكرمة ١٣٤٩ هـ

— عثمان بن سند البصرى
سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد
بومباى ١٣١٥ هـ

— على رضا ميرزا محمد
أسانيد الخليج « الفارسى »
دار الرائد العربى : القاهرة ١٩٧٦

— على عبد الرحمن أبا حسن
— تاريخ البحرين خلال المخطوطات والوثائق
من أعمال الحلقة الرابعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية . أبو ظبى ١٩٧٩

— على نعمة الحلو
الأحواز إمارة كعب العربية (المحمرة)
بغداد ١٩٦٩

— فاروق عمر فوزى (دكتور)
الخليج العربى فى العصور الإسلامية
دار القلم دبى ١٩٨٣

— فضلو حورانى (مترجم)
الملاحة العربية فى المحيط الهندى

القاهرة ١٩٥٨

— فؤاد حمزه
قلب جزيرة العرب

مكة المكرمة ١٣٥٢ ﻫ

— فالح حنظل
المفصل فى تاريخ الإمارات العربية
جــزءان — نشر لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٣

— مجهول المؤلف
لمع الشهاب فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة بيروت

— مجيد خدورى (دكتور)
البحرين وإيران العدد الأول من منشورات صوت البحرين
بيروت ١٩٥٣

— محمد بن أحمد (ابن إياس) الحنفى
بدائع الزهور فى وقائع الدهور
تحقيق محمــد مصطفى ج ٤ ، ج ٥ الطبعة الثانية نشر فرانز شتاينر فيسبادن القاهرة ١٩٦٠ ، ١٩٦١

— محمد بن خليفة النبهانى
التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية
٦ — البحرين القاهرة ١٣٤٢ ﻫ

— محمد بن عبد الله السالمى وناجى عساف
عمان تاريخ يتكلم دمشق ١٩٦٣

— محمد بن عبد الله بن عبد القادر الأنصارى

تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء فى القديم والجديد
مجلدان . الرياض ١٩٦٠
— محمد مرسى عبد الله (دكتور)
— إمارات الساحل وعمــان والدولة الســعودية الأولى
١٧٩٣ — ١٨١٨ القاهرة ١٩٧٨
— دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها
الكويت ١٩٨١
— محمد عرابى نخلة
تاريخ الاحساء السياسى ١٨١٨/١٩١٣
دار السلاسل الكويت ١٩٨٠
— محمود على الداود (دكتور)
• محاضرات فى التطور السياسى لقضية عمان
معهد الدراسات العربية العالية — القاهرة ١٩٦٤
• تاريخ العلاقات الهولندية فى الخليج العربى — مجلة كلية
الآداب — جامعة بغداد العدد الثانى يناير ١٩٦١
— مصطفى عبد القادر النجار (دكتور)
التاريخ السياسى لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربى فى
شط العرب دراسة وثائقية
من منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج
البصرة ١٩٧٤
— مصطفى مراد الدباغ
الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الاسلام
المجلد الأول — دار الطليعة — بيروت ١٩٦٣
— معهد البحوث والدراسات العربية
— دولة الامارات العربية المتحدة
دراسة مسحية شاملة
القاهرة ١٩٧٧

— نورالدين عبد الله السالمى
تحفة الأعيان بسيرة آل عمان
مجلدان — تحقيق اسحق طفيش الجزائرى
القاهرة ١٣٤٧ هـ . وكذلك طبعة ١٩٦١
— هولى (دونالد) — مترجم
عمان ونهضتها الحديثة
ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحى وتحقيق محمد
نيبى — نشر مؤسسة ستايس الدولية — لندن
(بدون تاريخ)
— ياقوت الحموى
معجم البلدان
المواد المشار إليها
القاهرة ١٩٠٦
— يعقوب الرشيد
الكويت فى ميزان الحقيقة والتاريخ ١٩٦٣
— يوسف الفلكى
قضية البحرين بين الماضى والحاضر
القاهرة ١٩٥٣
— يوسف القناعى
صفحات من تاريخ الكويت
الكويت ١٩٤٦

المراجع والدراسات الأجنبية

— Aubin, Jean.

Les Princes d'Ormuz du XIIIE au XVE siecles. Journal Asiatique CDXLI, 1953.

— Auzoux, A.

La France et Mascate aux XVIII et XIX siecles. Extrais de la Revue d'Histoire diplomatique. Paris 1910.

— Bahrna (Hussain El),

The Arabian Gulf States their Legal and Political Status & their International Problems. Manchester1968.

— Barbosa (Durate)

The Book of Durate Barbosa 2 vols. London 1918.

— Bartlett (Moyse H).

The Pirates of Trucial Oman. London 1966.

— Bent (Theodore).

Southern Arabia. London 1900.

— Bertram, Thomas.

Arab Rule under the Al Bu Said Dynasty in Oman and East Africa. London 1938.

— Alarms and Excursions in Arabia, London 1931.

— Buckingham.

Travels in Assyria, Media and Persia 2 vols. London 1829.

— Burchardt, L.

Notes on the Bedouins and Wahabuys London 1830.

— Boxer, C.

New light on the relationship of Oman and Portuguese 1613—1633,

Proceeding of Omani Studies Symposium vol. 2 November, 1980.

Ministry of Culture and National Heritage — Sultanate of Oman.

Glimpses of the Goa Archives Bulletin of S.O.A.S. vol. XIV London 1952.

Some Aspects of the struggle be:ween Omanis & the Portuguse AD 1650—1730. Proceedings of Arab Gulf centres Abu Dahabi 1979.

— Brich (Welter de Gray) The Commentarles of Alfonso Dalbuquerque 4 vols Hakluyt Society 1875—1884.

— Chappuis, F.

Visite à l'Imam de Mascate au Zangubar.

Extrait de Memoires de la Socite de Geographie de Geneve 1860.

— Chardin, John

Travels in Persia and East Indies, London 1691.

— Colomb R.N.

Slave Catching in the Indian Ocean,

A Record of Naval epxerience London 1873.

— Coupland, Sir Reginald.

East Africa and It's Invaders from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856, London 1938.

Exploitation of East Africa 1856—1890. London 1939.

— Curzon, George N.

Persia and the Persian Question 2 vols London 1892.

— D'Avrille.

Le Golfe Persique route de l'Inde et de la Chine.

Extrait de la Revue des Questions diplomatique et Coloniales Paris, 1905.

— Danvers, F.C.

The Portuguese in India 2 vols, London 1894.

— Dennis, Alfred.

Eastern Problem at the Close of the 18th Century. Cambridge 1901.

— Dickson, H.R.P.

Kuwait and Her Neighbours. London 1956.

— Dodwell, H H.

The Founder of Modern Egypt Cambridge 1951.

The Cambridge Shorter History of India, Delhi 1964.

— Farinha, A.D,

Arabic Documents in the Toro Do Tombo Proccedlng of the fourth Seminar of Arab Gulf Centres. Abu Dhabi, 1979.

— Farroughy (Abbas),

Bahrein Islands 750—1951.

A contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf New York 1951,

— Feredoun (Adamyiat).

Bahrein Islands.

A Legal and Diplomatic Controversy New York, 1955.

— Flasson.

Histore de la Diplomatique Francaise. Livre II.

— Foster, William.

England's Quest in Eastern Trade London 1933.

— Fryer (John) A new account of East India and Persia 1672—1681 London.

— Gaffrel (Paul).

Les Colonies Francaise Quatrieme edition Paris 1882.

— Gardane, Comte Alfred, la Mission du General Gardane en Perse sous le Premier Empire Paris, 1865.

— Goldsmid, F.

Telegraph and Travel. A Narrative of the formation and development of Telegraphic communication between England and India under the orders of Her Majestey's Government with incidental notices of the countries traversed by the lines. London 1874.

— Grover, B.L. and Sethi, R.R. Studies in Modern Indian History, Delhi 1963.

— Haje Khalefah.

The History of the Maritime Wars of Turks. London 1831.

— Hawley (Donald)

The Trucial States, London 1970.

— Hoskins Harford L.

British Routes to India. London 1928.

— Huede, William,

A voyage up the Persian Gulf and Journey overland from India to England in 1817. London 1819

— Huart. (C.L)

Histoire des Arabes. 2 Tomes Paris 1912.

— The Imperial Gazeteer of India vol. II Historical Oxford 1908.

— Ireland PhiliP.

Iraq London 1945.

— Kajare, Firouz.

Le Sultanate d'Oman et la Question de Mascate Etude d'Histoire diplomatique et Droit Internationale, Paris 1914.

— Kassem, G.Z.

Omani—Portuguese Conflict in the 17th century.

Bulletin of the Arab Research and Studies Institute, Cairo 1980.

— Kelly, John.

Britain and the Persian Gulf 1795—1880. London, 1968,

— Krapf. Rev. Dr, Lewis,

Travels, Researches and Missionary labours during an eighteen years Residence in Eastern Africa London 1860,

— Landen, R.G.

Oman Since 1856 Disruptive Modernisation in a Traditional Arab Society, Princeton University 1967.

— Lockhart, L.

The Fall of the Safavi Dynasty and Afghaistan Occupation to Persia. Cambridge 1938.

Nadir Shah.

A Critical study based only upon contemporary sources London 1938.

— The Navy of Nadir Shah,

Proceedings of the Iran Society vol. I Part I London. 1936.

— Iopes. David (Editor).

Historia des Portuguese No Malabar Lisbon 1898.

— Low, Charles R.

History of the Indian Navy 1613—1863 2 vols London, 1877.

— Mann (Clarence) Abu Dhabi Brith of an Oil Shaikhdom Beirut 1969.

— Mason.

Histoire de Commerce Francaise dans le levant Paris, 1911,

— Maurizi (Vincenzo)

History of Seyyid Said of Muscat together with an account of the countries and people on the Shores of the Persian Gulf London 1819.

— McMillan (Mona).

Introducing East Africa London 1945.

— Miles, Samuel.

The countries and Tribes of the Persian Gulf 2 vols, London 1919 2nd Ed. in one volume 1966.

— Morrier, James.

A Journey through Persia Armenia and Asia Minor to Constantinpole London, 1812.

— Neibuhr, Carsten.

Travels through Arabia and other countries in the East Translated by Rupert Heren 2 vols Edinburgh 1792.

Description de l'Arabie Paris Paris LXXIX.

— Owen, Roderick.

The Golden Buble, Arabian Gulf Documentary London 1957.

— Palgrave, W. G.

Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia 1862—1863 2 vols, London 1865.

Personal Narrative of a year's Journey through Central and Eastern Arabia. London 1877.

— Pankhurst, E Sylvia, Ex-Italian Somalj and London 1951.

— Pearce : Zanzibar, The Island Metroplis of Eastern Africa London 1920.

— Parsons (Abraham)

Travels in Asia and Africa London 1808.

— Perrin, N.

Relation de la Compagne d'Ibrahim Pacha Contre les Wahabites Paris, 1913.

— Philips, Wendell.

Oman A History London 1967.

— Rabaud, Alfred,

Zanzibar–La cote Orientàlc d'Afriquè Equatoriale–Extrait de Bulletin de la Societe Geographie de Marsailles 1881.

— Ravenstein.

Journal of the first voyage of Vasco de Gama, Hakluyt Society London 1898.

— Rouire. M.

La Question de Golfe Persique–l'Angleterre en Arabie, Revue das deux Mondes LXIII Annêe, Cinquieme Periode, Tome XIV Paris, 1903.

La Question de Golfe Persique les Reglement des Questions de Mascate et de Koweit, Revue des deux Mondes LXXIIIe Cinquieme Periode XVII, Paris 1905.

— Ruete, Said.

Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa 1791—1856 London 1929.

— Ruete, Emily.

Memoires d'une Princesse Arabe Paris 1905.

— Salil Bin Razik.

History of the Imams and Seyyids of Oman.

Translated from the Original Arabic and Edited with Notes, appendices and introduction Continuing the History down 1870 by G. Percy Badger London 1871,

— Sanger, R.

The Arabian Peninsula New York 1954.

— Sirhan Bin Said,

Annals of Oman Translated by E.C. Ross, London 1872.

— Staven. John,

Translation of a Manuel de Faria Sousa.

The Portugese Asia 3 vols London 1695.

— Skeet, Ian.

Muscat and Oman.

The End of an Era London 1974.

— Sykes, Percy.

History of Persia 2 vols London 1951.

— Tadijbakche, Gholma Reza la Question de iles Bahrein Pub-licailon de la Revue Grenerale de Droit Internationale Publie Nouvelle Serle Numero, Paris 1960.

— Texiera, Pedro

Travels of Pero Texiera with His Kings of Harmuz, Translated by William F. Sinclair Hakluyt Society 1902.

— Vambery, A.

Sidi Ali Reis, Travels and adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Reis in India, Afghanistan, Central Asia and Persia during the years 1553—1556 London 1899.

— **Watson, Robert Grant.**

History of Persia from the begining of the 19th century to the year 1858 London 1866.

— **Wellested.**

Travels in Arabia 2 vols. London 1838.

— **Whigham E.J.**

The Persian Problem London 1903.

تصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٠	٢٧	1871	1834
٢٧	٢٦	I937	1957
٢٧	٢٨	1847	1877
٣٤	١٨	روس Ross	بروس Bruce
٣٤	٢٥	Skereh	Sketsh
٣٥	٢٤	tribo	Tribe
٣٦	٢٢	beween	between
٣٧	٢١	أميات	أداميات
٣٧	٢٧	Controvesy	Controversy
٣٩	٢٢	Porrugnesa	Portuguese
٤٠	٢٤	Salil by	Salil Bin
٤١	٢١	of Oman	Annals of Oman
٤٥	١٨	Cambride	Cambridge
٤٦	٢١	1498—	1795—
٤٦	٢٢	1885, 1963	1880, 1968
٤٩	٢٦	1284	1884
٥٣	٣	نبد	نبدأ
٥٣	١١	إلى	إلا
٥٦	٢٥	الدراسة المشار إليها	بريطانيا وإمارات الساحل ص ٢٦
٧٤	٢٨	» »	التاريخ السياسى للجبور
٧٦	١١	أظلالها	أطلالها
٧٦	٢٥	192	172
٧٦	٢٨	جـ ٣ ص ٢٦٧	جـ ٣ ص ١٢٦٧
٨٨	٢٦	جـ ٣ ص ١١١	جـ ١ ص ١١
١٠٣	٢٧	ص ٤٧	ص ٧٤
١١٠	٢٥	John	Ian
١١٣	٢٣	Wilson, A	لوريمر جـ ١ ص ١٢٦
١١٥	٢٨	The Persian Gulf	» » ص ٨٦
١٢٦	٢٣	المصدر المذكور	دولة البوسعيد ص ٨ — ١٠
١٢٨	٢٤	جـ ٢ ص ٦٣٧	جـ ٢ ص ٦٢٧
١٣٤	٢٦	بدون تاريخ	القاهرة ١٩٧٨

(تابع) التصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٣٨	١٧	١٧٢٧	١٧٣٧
١٤٢	٢٦	جـ ٢ ص ٤٧	جـ ٢ ص ١٤٧
١٤٥	١٧	أرملة سيف بن سلطان	أخت ناصر بن محمد
٤٤٥	٢٤	المرجع المشار إليه	ابن رزيق ص ٣٨٢
١٦٩	١٧	كينهاوزن	كنيهاوزن
١٧٠	٢٧	جـ ٣ ص ٢١٧١	جـ ١ ص ص ٢٠٧ / ٢٠٨
١٧٣	٢٥	ص ٤ ص ٢٦٣١	جـ ٥ ص ص ٢٤٢٨ — ٢٤٣٠
٢١٣	٤	كوبلان	كوبلاند
٢٢١	٢٢	مويس	موريس
٢٢١	٢٥	Expoitation	Exploitation
٢٢٤	٢٣	Priccesse	Princesse
٢٢٤	٢٣	Chapitne	Chapitre
٢٦٤	٣	البقلية	القبلية
٢٧١	٢٦	ص ٨٧	ص ٧٨
٢٧٦	٢٣	مخالفة	محالفة
٣٨٥	١٠	نائب الملك	حاكم بومباى
٢٨٥	٢١	فى الهند	» »
٣٠٢	٢٦	لوريمر جـ ١	لوريمر جـ ٢
٣٠٩	٢	ابن بشر (١٨٠٩)	ابن بشر (١٨١٩)
٣٠٩	٢٢	جـ ١ ص ٣٢٣	جـ ١ ص ٢٢٣
٣١٣	٢٤	جـ ٢ ص ٩١٣	جـ ٢ ص ٩٩٤
٣١٤	٥	١١٨١	١٨١١
٣١٦	٢٦	القرب	العرب
٣٥١	١٥	Porpetual	Perpetual
٣٦٥	٢٢	١٢٥٤ هـ	١٢٠٨ هـ
٤٠٠	٢٤	موقعها	موقفها

رقم الإيداع : ٨٥/٤١٥٥

الترقيم الدولي : ٣ - ١٠٥٢ - ١٠ - ٩٧٧

مطابع النجوى ـ عابدين ـ القاهرة



